

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشيخ

عبد السلام محمد هارون

الجزء السابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخالجي

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

□ حقوق الطبع محفوظة □

○ الطبعة الثالثة ○

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأنشد بعده : وهو الشاهد الحادى بعد الخمسمائة :

٥٠١ (أما ترى حيث سهيل طالعا)

وبعده :

* نجما يضىء كالشهاب ساطعا *

على أنَّ حيث مضافةٌ إلى مفرد بُندرة ، وسهيل مجرور بإضافة حيث إليه . وفي هذه الصورة يجوز بناء حيث وإعرابها . وروى برفع سهيل على أنَّه مبتدأٌ محذوف الخبر ، أى موجود ، فتكون حيث مبنيةً مضافةً إلى الجملة ، وهى هنا على كلِّ تقدير وقعت مفعولا ^(١) ل ترى ، لا ظرفاً له . هذا محصل كلام الشارح المحقق .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت أنشده الكسائى وجعل حيث اسما ولم يعربه ، لأنَّ كونه اسما لا يُخرجه عن البناء ، كقوله تعالى : ﴿ من لئن حكيم خبير ^(٢) ﴾ . يريد أن موضع حيث

(١) ش : « مفعولة » .

(٢) الآية الأولى من سورة هود . وفى ش : « حكيم عليم » من الآية ٦ من سورة النمل .

النصبُ بترى ، فإن قلت : إنَّ حيثُ إنّما جاءَ اسماً في الشعر ، وقد يجوز أن تجعل الظروف أسماءً ^(١) في الشعر . فالجوابُ أنَّ ذلك قد جاء اسماً في غير الشعر . وقد حكى أحمد بن يحيى عن بعض أصحابه أنهم قالوا : هي أحسنُ الناس حيثُ نظرَ ناظرٌ ، يعنى الوجه . فهذا قد جاءَ في الكلام . ومما جاءَ مفعولاً به قوله تعالى : ﴿ الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاته ﴾ ^(٢) كما تقدم . اهـ .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : مذهب البصريين أنه لا يجوز إضافتها إلى المفرد ، وما سُمِعَ من ذلك نحو :

* حيثُ لىَّ العمائم ^(٣) .

نادر . وأجاز الكسائى الإضافة إلى المفرد قياساً على ما سمع [من] إضافتها إلى المفرد . اهـ .

ولا يخفى أنَّ إعراب هذا الشعر مشكل . والذى أراه أنَّ الرؤية بصرية ، وأنَّ حيثُ مفعول به ل ترى ، وسهيل مجرور بإضافة حيثُ إليه ، وطالعا حال من سهيل . وجميئ الخطل من المضاف إليه وإن كان قليلا فقد ورد منه كثيرٌ في الشعر . قال تأبط شراً :

سَلَبْتُ سِلاحى بائساً وشتَمْتَنى فيا خيرَ مَسْلُوبٍ ويا شرَّ سَالِبٍ
فبائساً حالٌّ من الباء .

قال ^(٤) أبو على (فى المسائل الشيرازيات) : قد جاءَ الحال

(١) ط : « أسماء » .

(٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وهذه قراءة الجمهور . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالافراد ، ووافقهما ابن محيصن . إتخاف فضلاء البشر .

(٣) انظر الشاهد ٥٠٠ فى الجزء السادس .

(٤) ش : « وقال » .

من المضاف إليه فى نحو ما أنشده أبو زيد :
عَوِذُ وَبُهْتَةُ حَاشِدُونَ ، عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتْلَهُبُ (١)
ومضاعفًا حال من الحديد . اهـ .

وقال الشاطبى (فى شرح الألفية) : مثلُ هذا إنما يكون على توهم إسقاط المضاف ، اعتبارًا بصحة الكلام دونه . ومن هنا أجاز الفارسى فى قول الشاعر (٢) :

أرى رجلاً منهم أسيِّفًا كأنما يضمُّ إلى كشحيه كفاً مخضَّباً

أن يكون مخضَّباً حالاً من الهاء فى كشحيه وهو مضاف ، ولكنه فى تقدير : يضمُّ إليه ، لأنه إذا ضمَّه إلى كشحيه فقد ضمَّه إليه ، فكأنه قال : يضمُّ إليه ، فهو فى التقدير حال من المجرور بحرف ، وهو جائز كما تقدم . وكذلك جعل مضاعفًا من قوله « حلق الحديد مضاعفاً يتلهَّب » حالاً من الحديد . اهـ .

وكذلك المعنى هنا ، فجاء طالعاً حالاً من سهيل على توهم أنه مفعول وسقوط حيث ، فيكون نَحْمًا على هذا بياناً لسهيل أو بدلاً منه . ويجوز أن يكون منصوباً على المدح .

ونقل الدمامينى (فى الحاشية الهندية) عن شارح اللباب أن طالعاً مفعول ثان لترى ، أو حال من سهيل إن جعلت حيث صلة ، بمنزلة مقام فى قوله :

(١) من شواهد الخزنة ٣ : ١٧٣ . وهو لزيد الفوارس .

(٢) الأعشى . ديوانه ٨٩ وابن الشجرى ١ : ١٥٨ ، ٢٢٧ والإنصاف ٧٧٦ .

* نفيت عنه مقام الذئب ^(١) *

وإن لم يُجعل ^(٢) صلة يكون حالا ، والعامل معنى الإضافة ، أى مكانا مختصا سهيل حال كونه طالعا . ويجوز أن يكون حيث في البيت باقيا على الظرفية ، وحذف مفعول ترى نسيا ^(٣) كأنه قيل : أما تُحدث الرؤية في مكان سهيل طالعا . اهـ .

قلت : جعل العامل معنى الإضافة غير مرضي عندهم ، وكذا القول بزيادة حيث ، والأولى أن تُجعل الحال من ضمير يعود إلى سهيل حذف هو وعامله للدلالة عليه ، أى تراه طالعا . هذا كلام الدماميني .

وقال اللبلي ^(٤) (في شرح أدب الكتاب) ^(٥) : من جرَّ سهيل نصب طالعا حالا من حيث ، لأنَّ الحال من المضاف إليه ضعيفة . والتقدير : حيث سهيل طالعا فيه ، وحيث مفعول . [وإن جعلت] ^(٦) ترى بمعنى تعلم كان طالبا مفعولا ثانيا . ولا يجوز أن يكون حيث ظرفا لفساد المعنى . اهـ .

(١) قطعة من بيت للشماخ في ديوانه ٩٢ . وتام إنشاده :

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

وهو من شواهد الخزائن ٤ : ٣٤٧ .

(٢) ش : « نجعل » .

(٣) النسي ، بالكسر والفتح : النسيان . والنسيان يأتي بمعنى الترك .

(٤) في ط : « النيل » ، وفي ش : « النسي » والوجه ما أثبت ، وانظر الحاشية التالية .

(٥) في النسختين : « هذا الكتاب » والوجه ما أثبت ، وانظر ما سبق في الجزء السادس

ص ١٠١ .

ومن المعروف أن أدب الكاتب لابن قتيبة يسمى أيضا أدب الكتاب ، وعلى ذلك ألف ابن السيد كتابه : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ش .

وقال العينى : حيث معرب إما منصوبٌ على الظرفية أو على المفعولية ، ويكون ترى علمية مفعوله الأول حيث ، ومفعوله الثانى طالعا ، أو تكون ترى بصرية فتكون حيث مفعولا به وطالعا حالا من حيث ، لا من سهيل . هذا كلامه .

وأما إن رفع سهيل ^(١) فطالعا حالٌ من ضمير خبر سهيل ، ونجما منصوب على المدح . وسهيلٌ : نجمٌ عند طلوعه تنضح الفواكه وينقضى القیظ . والشهاب : شعلة من نار ساطعة أى مرتفعة ، فيكون ساطعا حالا مؤكدة . والهمزة فى أما للاستفهام . وهذا الشعر لم أعرف قائله ، والله سبحانه أعلم .

١٥٧

وقال التبريزى (فى شرح الكافية الحاجبية) : وأما قوله :
وأنتى حيث مايدنى الهوى بصرى من حيث ماسلكوا أدنو فانظور ^(٢)
فمن تجوز إضافته إلى المفرد فما مصدرية ، أى من حيث السلوك :
ومن لا يجوز يجعله ^(٣) فى محل المبتدأ وخبره محذوف ، فيكون مضافا إلى الجملة ، أو ما زائدة اهـ .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : والجملة التى تضاف إليها حيث شرطها أن تكون خبرية اسمية أو فعلية ، مثبتة ، مصدرة بماض أو مضارع مثبتين ، أو منفيين بلم أو لا . فأما قوله من حيث ما سلكوا فما زائدة .

* * *

(١) ش : « وان رفع سهيل » .

(٢) من شواهد الخزائن ١ : ١٢١ . والبيت لابن هرمة فى ديوانه ١١٨ عن سر الصناعة وشرح المعلقات للروزنى ٢٨٦ . وقد أغفلت نسبه فى الجزء الأول من الخزائن ، فلتبث فى الحاشية .

(٣) ش : « لا يجعله » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد الخمسمائة :

٥٠٢ (لَدَى حَيْثُ أُلْقَتْ رَحْلُهَا أُمُّ قَشْعِمِ)

هذا صدر وعجزه :

* فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بِيُوتَ كَثِيرَةً * .

على أَنَّ (حيث) المضافة إلى الجملة والمفرد قد تفارق الظرفية فتجرّ ، كما في البيت ، فإنّها في موضع جرّ بإضافة لدى إليها ، وقد تنصب على المفعوليّة كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ ^(١) . وقد تنصب على التمييز كما في : هي أحسن الناس حيث نظر ناظرٌ ، يعني وجهها .

قال ابن هشام (في المغنى) : والغالب كونها في محل نصبٍ على الظرفية أو خفضٍ بمن ، وقد تخفض بغيرها كقوله :

* لَدَى حَيْثُ أُلْقَتْ رَحْلُهَا أُمُّ قَشْعِمِ *

وقد تقع مفعولاً به وفقاً للفراسى ، وحمل عليه : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ ، إذ المعنى أنه تعالى يعلم نفس المكان المستحقّ لوضع الرسالة فيه لا شيئاً في المكان . وناصبها يعلم محذوفاً مدلولاً عليه بأعلم لا بأعلم نفسه ، لأنّ أفعال التفضيل لا ينصب المفعول به . فإنّ أوّلته بعالم جاز أن ينصبه في رأى بعضهم . ولم تقع اسماً لأنّ ، خلافاً لابن مالك ، ولا دليل له في قوله :

إِنَّ حَيْثُ اسْتَقَرَّ مِنْ أَنْتَ رَاعِي ۖ جِمِّي فِيهِ عَزَّةً وَأَمَانٌ ^(٢)

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وقد سبق التعليق عليها قريباً .

(٢) البيت غير منسوب . انظر العيني ٢ : ١٤ والجمع : ١١١ . وما بعد البيت إلى كلمة

اسماً ساقط من ش .

لجواز تقدير حيث خبراً وحى اسماً . فإن قيل : يؤدّى إلى جعل المكان حالاً في المكان . قلنا : هو نظير قولك : إن في مكة دار زيد . ونظيره في الزمان : إن في يوم الجمعة ساعة الإجابة . اهـ .

وقوله : « والغالب كونها في محل نصب على الظرفية أو خفض بمن » ، بقى عليه خفضها بالباء وبغيرها . قال أبو حيان في (الارتشاف) : إنها جُرت بمن كثيراً ، وبفي شاذاً ، نحو :

* فأصبح في حيث التقينا شريدهم ^(١) *

وبعلّى . قال :

* سلامٌ بنى عمرو على حيث هأمكم *

وبالباء ، نحو :

* كان منا بحيث يُعكّي الإزار ^(٢) *

وبإلى ، نحو :

* إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم *

وأضيفت لدى إليها في قوله : « لدى حيث ألفت رحلها » . وتمام الدليل في الآية أن يقال : لا يجوز أن تكون حيث ، ظرفاً ، لأنّ علم الله لا يختص بمكان دون مكان . ولا يجوز أن تكون مجرورة بإضافة أعلم إليها ، لأنّها ليست بصفة وهي شرط في إضافة أفعل التفضيل . ولا يجوز أن تكون منصوبة به ، لأنّ أفعل التفضيل لا يعمل النصب في الظاهر .

(١) وكذا ورد هذا الصر في المص ٢ : ٢١٢ .

(٢) ط : « يعلى » تحريف ، صوابه في ش والدرر اللوامع ١ : ١٧١ . يعكّي : يشد البطن .

١٥٨ وإذا بطل ذلك تعيّن أن يكون منصوباً على المفعول به بفعل مقتر دَلَّ عليه
أَعْلَمَ ، أَيْ اللهُ أَعْلَمَ يَعْلَمُ حَيْثُ يُجْعَلُ ، كَقَوْلِهِ :

* وَأَضْرَبَ مَنْنًا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا *

أَيْ أَضْرَبَ مَنْنًا يَضْرِبُ الْقَوَانِسَ بِالسُّيُوفِ .

وَجَوَّزَ السِّفَاقِسِيُّ أَنَّ تَكُونَ بَاقِيَةً عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ
عَمَلِ أَعْلَمَ فِي الظَّرْفِ . وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى ظَرْفِيَّتِهِ ، وَالْإِشْكَالُ إِنَّمَا
يَرُدُّ مِنْ حَيْثُ مَفْهُومُ الظَّرْفِ ، وَكَمْ مَوْضِعٌ تُرِكَ فِيهِ الْمَفْهُومُ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى
تَرْكِهِ . وَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . اهـ .

وَقَوْلُهُ : لَا دَلِيلَ لَهُ فِي قَوْلِهِ إِنَّ حَيْثُ اسْتَقَرَّ إِنْجُ ، يَرِيدُ : أَنَّ حَيْثُ فِيهِ
ظَرْفٌ ، وَهُوَ خَيْرٌ مَقْدَمٌ ، وَحَمَى اسْمُ إِنَّ مُؤَخَّرٌ كَقَوْلِهِمْ : إِنَّ عِنْدَكَ زَيْدًا .
وَيَرُدُّ عَلَيْهِ أَنَّ هَذَا الْحَمْلَ غَيْرُ مَرَادٍ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى إِنَّ مَكَانًا اسْتَقَرَّ فِيهِ جَمَاعَةٌ
أَنْتَ رَاعِيهِمْ وَحَافِظُهُمْ هُوَ حَمَى فِيهِ الْعِزَّةُ وَالْأَمَانُ . فَتَأَمَّلْ . وَالْحَمَى : الْمَكَانُ
الْمَحْمِيُّ مِنَ الْمَكْرُوهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَيَّانَ (فِي تَذَكُّرَتِهِ) أَنَّ حَيْثُ تَقَعُ اسْمًا لِكَاَنَّ ، وَتَقَعُ
مَبْتَدَأً ، وَأُورِدَ مَسَائِلُ تَمَرِينٍ لِحَيْثُ فَلَا بَأْسَ بِإِيرَادِهَا هُنَا ، قَالَ :

إِذَا قِيلَ : حَيْثُ نَلْتَقَى طَيْبٌ ، حَكَمَ عَلَى حَيْثُ بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُ اسْمُ
الْمَكَانِ الَّذِي خَيْرُهُ طَيْبٌ ، وَهُوَ نَائِبٌ عَنْ مَوْضِعَيْنِ أُسْبِقُهُمَا مَحْلُودُ خَيْرِهِ
طَيْبٌ ، وَآخِرُهُمَا مَجْهُولٌ نَاصِبُهُ نَلْتَقَى . تَلْخِيصُهُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي نَلْتَقَى فِيهِ
طَيْبٌ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كان حيثُ نلتقى منه المحلّ من جانبيه وَعِلَانٍ وَوَعِلٍ

* ثلاثةُ أَشْرَفَنَ في طَوْدٍ عُتْلٍ *

أُنشد هذا الشعرَ هشام وقال : ثلاثةُ خبر كان .

وإذا قيل إنَّ حيثُ زيدُ ضربتُ عمرًا ، ففيها وجهان : رفعُ زيدٍ ونصبُ عمرو ، ونصبُ زيدٍ وعمرو . فعلى الأوَّلِ أبطلُ إنَّ في ظاهر الكلام ، ونصبُ عمرًا بضربتُ ، ورفعُ زيدًا بحيثُ لنيابةِ زيدٍ عن محلِّين أُسْبِقُهُما يطلبه الضربُ وآخرهما يرفعُ زيدًا ، وتقديرها : إنَّ في المكان الذي فيه زيدُ ضربتُ زيدًا . والكسائي يقول : ليس لأنَّ اسم ولا خبر . لأنَّها مبطلَّةٌ عن ضربتُ ، إذ لم تكن من عوامل الأفعال . والبصريون يضمرون الهاءَ مع إنَّ ، ويجعلون الجملةَ الخبر . والفراء يقول : ضربتُ سَدًّا مَسَدًّا ضارِبًا أنا . وقال هشام : يقال حيثُ زيدٌ عمرو ، بفتحِ التاءِ ورفعِ زيدٍ وعمرو ، وحيثُ زيدٌ عمرو بفتحِ التاءِ وخفضِ زيدٍ . وأما الفتحُ مع رفعِ زيدٍ فمُفَارِقٌ للقياسِ يجري مجرى قول من يقول : حيثُ زيدٌ عمرو ، فيضمُّ التاءَ ويخفضُ بها زيدًا . قال :

* أما ترى حيثُ سهيلٌ طالعا *

وقد حكوا عن العربِ حيثُ سهيلٌ بضمِ التاءِ وخفضِ سهيلٍ ، وهو فاسدُ العلةِ ، لأنَّ ضمَّ التاءِ يوجب رفعَ سهيلٍ ، كما أنَّ فتحَ التاءِ يُوجِبُ به خفضَ سهيلٍ . ولا ينبغي أن يبنى إلَّا على الأكثرِ والأعرف والأصحَّ علة . وإذا قيل : إنَّ حيثُ أبوك كان أخوك ، رفعُ الأخ بكان وحيثُ

خبر كان ، والأب رفع بحيث لنيابتها عن محلّين أحدهما خبر كان والآخر رافع الأب وإن مبطلّة عن كان ، والتقدير : إن في المكان الذي فيه أبوك كان أخوك . ويجوز إن حيث أبوك كان أخاك ، فأخاك اسم إن وحيث خبر إن ، وأبوك رفع بالراجع من كان ، وحيث خبر كان ، والتقدير : إن أخاك في المكان الذي كان فيه أبوك .

وإذا قيل إن حيث أبوك قائم أخاك جالس ، نصب الأخ بإن وجالس خبر إن ، ورفع قائم بالأب ، وحيث نائبة عن محلين : أحدهما صلة الجالس (١) وهو الأسبق ، وآخرهما صلة قائم . ويجوز : إن حيث أبوك قائم أخاك جالس ، الأخ وجالس على ما كانا عليه (٢) والجواب الأول ، وقائماً نصب على الحال من أيك ، وحيث متضمنة لمحلّين أولهما صلة الجالس (٣) وآخرهما رفع للأب . ويجوز : إن حيث أبوك قائم أخاك جالساً ، أخاك اسم إن وحيث خبر إن ، وهى رافع الأب وقائماً حال الأب وجالساً حال الأخ . ويجوز إن حيث أبوك قائم أخاك جالساً ، أخاك اسم إن وحيث متضمّن محلين أولهما خبر إن وآخرهما صلة قائم ، وقائم رفع بأيك ، وجالساً نصب على الحال من أخيك . وإن فتحت ثاء حيث وأضيفت قيل : إن حيث أيك قائم أخاك جالس وجالساً ، على التفسير المتقدم . انتهى ما أورده أبو حيان .

وقال (في الارتشاف) : لم يجيء فاعلاً ولا مفعولاً به ولا مبتدأ . وقد قرّع الكوفيون صوراً على حيث ، منها : حيث نلتقى طيّب .

(١) ش : « صلة الجالس » .

(٢) ش : « كان عليه » .

(٣) ط : « صفة جالس » وأثبت ما في ش .

ثم ذكر بعض ما أورده في التذكرة .

والبيت من معلقة زهير بن أبي سلمى ، ولا بد من إيراد شيء مما قبله صاحب الشاهد ليتضح معناه . وهذه أبيات مما قبله وما بعده :

(لَعَمْرِي لَنَعَمَ الْحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ	بِمَا لَأَيُّوَاتِهِمْ حَصِينُ بْنُ ضَمْضَمٍ	أبيات الشاهد
وَكَانَ طَوًى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكْنَةٍ	فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَلَّمْ	
وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقَى	عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجِمٍ	
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ يَبُوتٌ كَثِيرٌ	لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعِمٍ	
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مَقْدَفٍ	لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ	
جَرَىءٍ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ	سَرِيعًا وَإِلَّا يُبَدَّ بِالظُّلْمِ يَظْلَمُ)	

أراد بالحي حتى مرة من بني ذبيان . وجر : ماضي من الجريرة ، وهي الجناية . ويواتيهم : يوافقهم . وحصين بن ضمضم هو ابن عم النابغة الذبياني ، وكانت جنايته أنه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبي امتنع حصين هذا من الصلح واستتر من القبيلتين ، لأن ورد بن حابس العبسي كان قتل هريم بن ضمضم ، وهو أخو حصين ، فحلف حصين لا يغسل رأسه حتى يقتل وردا أو رجلا منهم . ثم أقبل رجل من بني عبي فنزل بخصين بن ضمضم ، فلما علم أنه عبسي قتله ، فكاد الصلح ينتقض ، فسعى بالصلح وتحمل الديّة الحارث بن عوف وهرم بن سنان . ولهذا مدحهم زهير بقوله : لنعم الحي .

وقد تقدم الكلام على هذه القصيدة وعلى سببها مفصلا في

الشاهد السادس والخمسين بعد المائة (١) .

وقوله : « وكان طوى كشحا » إلخ اسم كان ضمير حصين . والكشح : الخاصة ، يقال طوى كشحه على كذا ، أى أضمره فى نفسه . والمستكنة : المستترة . أى أضمر على غدره مستترة . وقوله : « فلا هو أبداها » أى : ما أظهر الغدر المستكنة ولا تقدم فيها قبل الصلح . وروى « ولم يتجمع » بجيمين ، أى لم ينتهه عما أراد مما كنتم . وقال الأعلام : أى لم يدع التقدم فيما أضمر ، ولم يتردد فى إنفاذه .

وشرح هذين البيتين تقدم فى الشاهد السادس والأربعين بعد المائتين (٢) .

وقوله : « وقال سأقضى حاجتى » إلخ فاعل قال ضمير حصين . وحاجته : ما كان أضمره فى نفسه من قتل عيسى . وورأى أى أمامى كقوله تعالى : ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ ومن وراءه عذاب ﴾ (٤) . وملجم يروى بكسر الجيم ، أى باللف فارس ملجم فرسه . ويروى بفتح الجيم ، أى باللف فرس ملجم . وأراد بها فرسانها . قال الأعلام : أى سأدرك ثارى ثم ألقى عدوى باللف ، أى أجعلهم بينى وبين عدوى . يقال ألقاه بحقه ، أى جعله بينه وبينه . وجعل ملجما على لفظ ألف فذكره ، ولو كان فى غير الشعر لجاز تأنيثه على المعنى . اهـ . وذلك لأن فرسا مما يذكر ويؤنث .

(١) الخزانة ٢ : ٥ .

(٢) الخزانة ٤ : ٣ - ٤ .

(٣) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

(٤) الآية ١٧ من سورة إبراهيم .

وقوله : « فشُدَّ » إلخ أى حمل حصينٌ على ذلك الرجل العبسيّ فقتله ولم تَفْزَعْ بيوت كثيرة ، أى لم يعلم أكثرُ قومه بفعله . وأراد بالبيوت أحياءً وقبائل . يقول : لو علموا بفعله لَفَزَعُوا ، أى لأَغاثوا الرجل العبسيّ ولم يَدْعُوا حصينًا . وإنما أراد بقوله هذا أن لا يُفْسِدُوا صلحهم بفعله . وقوله : « حيثُ أَلَقْتُ رَحْلَهَا » أى حيث كان شدةُ الأمر ، يعنى موضع الحرب . وأُمُّ قَشْعَمَ : كنية الحرب ، ويقال كنية المنية . والمعنى أن حُصَيْنًا شَدَّ على الرجل العبسيّ فقتله بعد الصُّلْحِ ، وحين حطَّت رحلها الحرب ووضعت أوزارها وسكنت . ويقال هو دعاء على حُصَيْن ، أى عدا على الرجل العبسيّ بعد الصلح وخالف الجماعة ، فصَيَّرَهُ اللهُ إلى هذه الشدة ! ويكون معنى أَلَقْتُ رحلها على هذا : ثَبَّتَتْ وَتَمَكَّنَتْ .

هذا كلام الأَعلَم (فى شرح الأشعار الستة) . وتَفَزَعَ على روايته بالبناء للفاعل .

وقال التبريزي : معناه شَدَّ على عُلُوِّهِ وَحَدَّهُ فقتله ، ولم تَفْزَعِ العامَّةُ بطلب واحد ^(١) وإنما قصد الثَّار ، أى لم يستعن على قتله بأحد .

ونَقَلَ صَعُودًا ^(٢) (فى شرح ديوان زهير) عن قوم ، أن أُمَّ قَشْعَمَ على هذه الرواية هى أُمُّ حُصَيْن ، أى فلم تَفْزَعِ البيوت التى بحضرة بيت أمه ، لأنَّه أَخَذَ ثَارَهُ . فلدى على قول الأَعلَم ظرف متعلِّق بشدِّ ، وعلى

(١) أى يطلب واحد منهم .

(٢) ش : « صاعوراء » ، تحريف . وهو محرز بن هبيرة الأسدي أبو سعيد النحوي الكوفي ، وهو أستاذ عبد الله بن المعتز . معجم الأدباء ١٩ : ١٠٥ وإنباه الرواة ٢ : ٨٥ وتاريخ بغداد ٣ : ٣٧٠ وابن النديم ٧٤ . قال القفطي : « ولقبه أشهر من اسمه » . ولنا أورده فى رسم الصاد .

قول صَعُودَاءَ يكون لدى متعلقا بمحذوف على أنه صفة ثانية لبيوت أو حال منه .

وروى الزوزنى : « ولم يُفزع بيوتًا » ، على أن فاعله ضمير حصين ، وقال : أى لم يتعرض لغيره عند مُلقى رحلِ المنية . ومُلقى الرّجال : المنزل ، لأنّ المسافر يُلقى به رحله ، أى أثاثه ومتاعه . أراد : عند منزل المنية . وجعله منزل المنية لحلّوها فيه . فعلى هذا يكون لدى متعلقا بـتُفزع مضارع أفرعه أى أخافه ، بخلاف الأوّل فإنّه مضارع بمعنى أغاث أو علم . والمشهور رواية « فشّد ولم ينظرُ بيوتًا كثيرة » فيكون فاعل ينظر أيضا ضمير حصين ، ثمّ اختلفوا فرواه صعوداء ^(١) بفتح أوّله وقال : لم ينظر أى لم ينتظر ، يقال نظرتُ الرجل أى انتظرته . وعلى هذا يكون المعنى لم ينتظر حصين أن ينصره قومُه على أخذ ثأره . وروى أبو جعفر « ولم يُنظر » بضم أوّله وكسر ثالثه ، وقال : معناه لم يؤخّر حصين أهل بيت قاتل أخيه فى قتله ، لكنه عجلَ قتلته . فيكون يُنظر مضارع أنظره ، بمعنى أمهله وأخّره . وعلى هذين الوجهين يكون لدى متعلقا بشدّ ، وكذلك على قول من فسّر أم قشعم بالعنكبوت ، وهو أبو عبيدة ، أو بالضبع ، كما نقله صعوداء . ويكون المعنى : فشّد على صاحب ثأره بمضيعة من الأرض . قال صعوداء : أم قشعم عند الأصمعى : الحرب الشديدة . ومن جعلها العنكبوت أو الضبع فمعناه وجده بمضيعة قتلته . وقال ابن الأثير (فى المصع) : أم قشعم هى المنية ، والداهية ، والحرب ، والنسر ،

(١) ش : « صاعودا » فى هذا الموضع وتاليه . وانظر الحاشية السابقة .

والعنكبوت ، والضبع ، والدئب ، واللبؤة ، وفَسَّرَ بأحد هذه الأشياء . قال زهير :

* لدى حيثُ أَلَقْتُ رحَلها أُمُّ قَشْعِم *
هذا كلامه .

وقشعم : فَعَلَمٌ من قشعِ الرِّيحِ الترابِ فانقشع ، وأقشع القومُ عن الشيء وتقشَّعوا ، إذا تفرَّقوا عنه وتركوه .

١٦١

وقوله : « لدى أُسَدٍ شاكى السلاح » إُلخ هذا البيت في الظاهر غير مرتبط بما قبله ، ولا يعرف متعلق لدى أُسَدٍ . وقد فحصت عنه فلم أجِدْ من رَبطه مع أَنَّهُ من أبيات علم المعاني ، أُورِدَ شاهدًا لِجَوَاز الجمع بين التجريد والترشيح . وقد رجعت إلى (معاهد التنصيص للعباسي) فلم أر فيه غير هذه الأبيات ، ولم يتكلَّم عليها بشيء ، ففَزَعْتُ إلى قريحتي وأعملت الفكرة ، فأرشدني الله إلى وجهه ، وهو أَنَّ لدى أُسَدٍ متعلق بأَلَقْتُ رحَلها أُمُّ قَشْعِم ، على تفسير أُمُّ قَشْعِم بالحرب ، ومعنى أَلَقْتُ رحَلها حطَّت رحَلها الحربُ ووضعت أوزارها وسكنت ، فيكون الإلقاء عبارة عن السُّكون والهدوء ، كما قال الشاعر (١) :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا واستقرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عينا بالإياب المسافرُ

ويكون المراد من الأسد الحارث بن عوفِ المري ، فإنه هو الذي أطفأ نار الحرب بين عبي وذييان ، بعد ما جرى بينهما في يوم

(١) هو مضرس الأسدى كما في البيان ٣ : ٤٠ أو معقر بن حمار كما في المؤلف ٦٩٢ والاشتقاق ٤٨١ . وفي اللسان (عصا) نسبته إلى عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر . ونسب في كتاب العصا من نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ إلى راشد بن عبد الله .

داحس ، وسَعَى في الصُّلح بينهما بتحمُّل الديات مع عَمِّه هَرَم بن سِنان المرى . وعلى هذا يَتَّضح الارتباط ويضمحل ما فسرَّ به أُم قَشَعَم من سائر المعاني ، والله الحمد والمنة .

وقال الزوزنى : البيت كُلُّه من صفة حُصين بن ضمضم .

وقال الأَعلم والتَّبْرِيزى : أَراد بقوله لدى أَسَد الجِيْش ، وحمل لفظ البيت على الأَسد .

ولا يَخفى أَنَّهُ لا يَصحُّ الارتباط بكُلِّ من هذين القولين .

وقوله : « شاكى السِّلَاح » وهو مقلوبٌ شائك كما بَيَّن في الصَّرْف ، أَى سِلَاحُه شائكة حديدية ذاتُ شوكة .

والمَقْدَفُ ، بصيغة اسم المفعول ، قال الأَعلم وأبو جعفر : هو الغليظ الكثير اللحم ، فيكون ترشيحاً . كقوله : « له لَبْدٌ » إلخ . وقال الزوزنى : أَى يُقْدَفُ به كثيراً إلى الوقائع والحروب . فعلى هذا يكون تجريدًا كشاكى السلاح . وروى صَعُوداءُ والتَّبْرِيزى : « مَقَاذِفُ » بكسر الذال وفسَّراه بمرامى ^(١) أَى يَرَامى بنفسه في الحروب . وهذا تجريدٌ أيضاً .

وقوله : « له لَبْدٌ » هو بكسر اللام وفتح الموحدة ، جمع لِبْدَةٍ . قال الأَعلم : اللَّبْدَةُ : زُبْرَةُ الأَسد . والزُّبْرَةُ : شعرٌ متراكبٌ متلبَّدٌ بين كتفى الأَسد إذا أَسَنَّ . وأَراد بالأَظْفَارِ السِّلَاح . يقول : سِلَاحُه تَأَمُّ حديد . وأَوَّلُ من كنى بالأَظْفَارِ عن السِّلَاحِ أوس بن حجر في قوله :

لَعَمْرُكَ إِنَّا والأَحَالِيفَ هُوَلا لَفَى حِقْبَةٍ أَظْفَارُهَا لم تَقْلِمُ

ثم تبعه زهيرٌ والنابعةُ في قوله :

(١) كذا في النسختين . والوجه « مرام » .

أَتَوَكَّ غَيْرَ مَقْلَمَى الْأُظْفَارِ (١) اهـ

وقوله : « جرىء » هو وصف أسد ، ويُظلم الأول ويُبَدَّ كلاهما بالبناء للمفعول ، ويعاقب ويظلم الثانى بالبناء للفاعل . قال الأَعلَم : قوله وإلا يبد بالظلم إلخ . يقول : إن لم يُظلمَ بداهم ، لعزّة نفسه وجراءته . ومتى جازم لفعلين . وسريعا إمّا حال من ضمير يُعاقب وإمّا مفعول مطلق ، أى عقابا سريعا . ويُبدَّ أصله يُبدَأ بالهمزة ، فأبدلها ألفا ثم حذفت الألف للجازم . وقد أوردَ الشارح المحقق (فى أول شرح الشافية) لما ذكرنا .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الخمسمائة :

١٦٢ ٥٠٣ (للفتى عقلٌ يعيشُ به حيثُ تهْدَى ساقَه قَدُمُه) (٣)

على أنَّ الأَخْفَش قال : إن حيث قد تأتى بمعنى الحين ، أى ظرف زمان ، كما فى هذا البيت .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : زعم أبو الحسين أنَّ حيث قد يكون اسماً للزمان ، وأنشد :

للفتى عقلٌ يعيشُ به البيت

(١) صدره فى ديوان النابغة ١٠٠ :

• وبنو قعين لا محالة أنهم •

(٢) الخزاعة ٢ : ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٣ : ٣٢٨ وابن الشجرى ٢ : ١٦٢ وابن يعيش ١٠ : ٩٢ والهمع ١ :

٢١٢ وديوان طرفة ١٩ .

فجعل حيث فيه حيناً .

فإن قلت : فهل يجوز على هذا أن يكون موضع الجملة بعد حيث جراً ، لإضافة حيث إليه ، كما تضاف أسماء الزمان إلى الجمل ، فالجواب : أن ذلك لا يمتنع فيه إذا كان زماناً . اهـ .

وقال ابن مالك : لا حجة للأخفش فيه ، لجواز إرادة المكان على ما هو أصله . ويدل لما قاله أن المعنى على الظرفية المكانية ، إذ المعنى أين مشى ، لا حين مشى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : وإذا اتصل بـحيث ما الكافة ضمنت معنى الشرط وجزمت الفعلين ، كقوله ^(١) :

حيثما تستقم يُقدَّر لك الد . هـ نجاحاً في غابر الأزمان

وهذا البيت دليلٌ عندى على مجيئها للزمان . قال الدماميني (في الهندية) : كأن ذلك جاء من قبل قوله : في غابر الأزمان ، فصَّرح بالزمان . وليس بقاطع ، فإن الظرف المذكور إما لغو متعلق بيقدر ، وإما مستقرٌ صفة لنجاحاً . وذلك لا يوجب أن يكون المراد بـحيث الزمان ، لاحتمال أن يكون المراد : أينما تستقم يُقدَّر لك النجاح في الزمان المستقبل .

وقوله : (حيث تهدي) قال في الصحاح : « وهذاه أى تقدَّمه » . وأنشد البيت . (وساقه) : مفعول مقدم ، وقدمه فاعل مؤخر .

والبيت آخر قصيدة عدتها ثلاثة وعشرون بيتاً لطرفة بن العبد .

(١) المغنى ١٣٣ والعينى ٤ : ٣٢٦ والأشعرونى ٤ : ١١ والجمع ٢ : ٣٧ . ولم يعرف له

وأورد أبو عبيد (في الغريب المصنف) البيت الذي قبل هذا ، فلنقتصر عليه ، وهو :

الهييتُ لا فؤادَ له والثبيتُ ثبته فهُمهُ

قال أبو عبيد : الهييت : المذهب العقل . وقال شارح أبياته ابن السيرافي : المعنى أنَّ الجبان يذهب عقله ويطيّر قلبه من الفزع ، فلا يتهدى للصواب ، والثابت القلب يعرف وجه الرأي فيأتيه . وقوله « للفتى عقل » ، أى للفتى العاقل عقل يعيش به ، أين توجه انتفع به . اهـ .

وقال ابن السكيت (في شرح ديوانه) : الهييت : الذى فيه هبة أى ضربة بالعصا . وقال أبو عمرو : الهييت المبهوت جُبْنَا . ويروى : « والثبيتُ قلبه قيمه » ، أى قوامه . وقوله : « حيث تهدى » الخ أى عقل حيثما مشى . اهـ .

وقال الأعلام : (في شرح الأشعار الستة) : الهييت : المبهوت ، يقال رجل هييت ومهبوت ومبهوت بمعنى ، وهو الجبان المخلوع الفؤاد . وقوله : « والثبيت ثبته فهمه » أى من كان ثابت القلب ففهمه يُثبت عقله . وهذا مثل ضربه لشدة الحرب . وقوله : « للفتى عقل » يقول من كان عاقلاً وفتى معصراً عاش ، حيثما نقلته قدمه وذهبت به من أرض غربة وغيرها . اهـ .

وكُلُّهم حملوا حيث على أصلها كما هو ظاهر من كلامهم .

وترجمة طرفة تقدّمت في الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الخمسمائة وهو من شواهد س^(١) :

٥٠٤ (ترفع لى خندف والله يرفع لى نارا إذا حمدت نيرانهم تقيد)

على أن إذا قد تجزم فى الشعر فعلى كما هنا ، فإن جملة حمدت فى محل جزم شرط إذا ، وتقيد جوابها ، وهو مجزوم وكسرة الدال للروى .

قال سيويه : وقد جازوا بها ، أى يا إذا ، فى الشعر مضطرين ، شبهوها بأن حيث رأوها لما يستقبل ، وأنها لابد لها من جواب .

وقال قيس بن الخطيم :

إذا قصرت أسافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وقال الفرزدق :

ترفع لى خندف والله يرفع لى (البيت)

وقال بعض السلوليين :

إذا لم تزل فى كل دار عرفتها لها واكف من دم عينيك يسجيم^(٢)

فهذا اضطرار ، وهو فى الكلام خطأ ، ولكن الجيد قول كعب بن

زهير :

وإذا ما تشاء تبعث منها مغرب الشمس ناشطاً مدعورا . اهـ

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٤ . وانظر المقتضب للمبرد ٢ : ٦٥ وأمالى ابن السجى ١ : ٢٣٣

وابن يعيش ٧ : ٤٧ وديوان الفرزدق ٢١٦ .

(٢) فى النسختين : « تسجيم » بالتاء هنا وفى المواضع التالية . والوجه ما أثبت من سيويه

والشتمرى .

وقوله : « إذا قصرت أسيفنا » إلخ يأتي شرحه إن شاء الله بعد بيت الفرزدق .

وقوله : (ترفع لي خندف) إلخ ، قال الأعلام : الشاهد فيه جزم تقد على جواب إذا ؛ لأنه قدرها عاملة عمل إن ضرورة . يقول : ترفع لي قبيلتي من الشرف ماهو في الشهرة كالنار الموقدة إذا قعدت بغيري قبيلته . وخندف : أم مدركة وطابخة ابني الياس ، فلذلك فخر بخندف على قيس عيلان بن مضر .

وقوله : « إذا لم تزل في كل دار » إلخ قال الأعلام : الشاهد في جزم تسجُم على جواب إذا كما تقدّم . وتقدير لفظ البيت : إذا لم تزل في كل دار عرفتُها من ديار الأحبة يسجُم لها واكف من دمع عينيك . ومعنى يسجُم ينصبُّ ^(١) . والواكف : القاطر . ورفعه بإضمار فعل دل عليه يسجُم . ويجوز أن يكون مرتفعاً به على التقديم والتأخير ضرورة . ويروى : « يسكب » .

والبيت لجرير في قصيدة بائية ، ونسب إلى غيره في الكتاب ، وغيرت صاحب الشاهد قافيته غلطاً . ويحتمل أن يكون لغيره ، من قصيدة ميمية .

وقوله : « وإذا ما تشاء تبعث » إلخ قال الأعلام : الشاهد فيه رفع ما بعد إذا على ما يجب فيها . وصف ناقته بالنشاط والسرعة بعد سير النهار كله ، فشبهها في انبعاثها ^(٢) مسرعةً بنشاط قد دُعر من صائد أو سبع . والنشاط : الثور يخرج من بلد إلى بلد ، فذلك أوحش له وأدعر . انتهى .

(١) في النسختين : « ومعنى تسجُم تنصب » . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) في النسختين : « بانبعائها » ، والوجه ما أثبت من الشتمري .

وروى بيت الفرزدق « إذا ماخَبَتْ نيرانُهُمْ تَقِدْ » . وعليه فلا ضرورة فيه . ووقع بهذه الرواية (فى بعض نسخ الباب) وقال : إنه قليل . قال شارحه الفالى (١) : هذا البيت لم يوجد مذكورا فى نسخة مقابلة بنسخه المصنّف ، والظاهر أنّه إلحاق ، والصواب إذا خمدت ، لأنّ إذا بدون ماهو المبحث ، وأما مع ما فتجوزُ الجزم به قد لا يستبعد ، لأنّ إذْ مع « ما » جُوزَ الجزمُ بها ، فإذا مع « ما » أجدر . انتهى .

ولم يرضِ الشارح المحقق الجزمَ بإدّاما أيضًا كما سيأتى فى آخر الكلام على إذا وإذ .

وقوله : « ترفعُ لى خندف » بكسر الحاء المعجمة والدال ، قال ابن هشام (فى السيرة) : قال ابن إسحاق : ولد الياس بن مضر ثلاثة نفر : مدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقمعة بن الياس ، بكسر القاف وتشديد الميم المفتوحة (٢) ، وأُمهم خندف : امرأة من اليمن ، وهى خندف بنت الحاف بن قضاة . انتهى .

والخندفة : مشية كاهرولة ، ومنه سميت خندف ، واسمها ليل ، نسب ولد الياس إليها وهى أمهم . وإنّما افتخر بها الفرزدق لأنّه تميمى ، ونسب تميم ينتمى إليها . وتوین خندف للضرورة . وقوله (والله يرفعُ لى) ١٦٤

(١) فى النسختين « الفالى » ، صوابه بالفاء ، كما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) هنا ضبط غريب . والمعروف أن قمعة بفتحين ، كما فى التهذيب والقاموس واللسان ، وكما ضبط فى كتب الأنساب . وقال فى التهذيب ١ : ٢٩٣ : « يقال إنه لقب بقمعة لأنه انقمع فى ثوب حين خرج أخوه مدركة بن الياس فى بغاء إبل له ، وقعد الأخ الثالث يطبخ القدر ، فسمى باغى الإبل مدركة ، وسمى طابخ القدر طابخة ، وسمى المنقمع فى ثوبه قمعة » .

أى إنَّ الرافع فى الحقيقة هو الله . وحمدت النار نُحمودا من باب قعد : ماتت فلم يبق منها شىء ، وقيل سكنَ لهُبها وبقي جمرها . وأما حَبَّتِ النارُ حُبُّوا من باب قعد أيضاً ^(١) فمعناه خمدَ لهُبها . و (تقد) مضارع وقدت النار وَقَدًا من باب وعد ، ووقودا ، أى اشتعلت .

وترجمة الفرزدق تقدّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٣) :

٥٠٥ (إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبِ)

على أَنَّ (إذا) جازمة للشرط والجزاء فى ضرورة الشعر ، بدليل جزم نضارب بالعطف على موضع جملة كَانَ وَصْلُهَا إلخ الواقعة جواباً لإِذَا . ولولا أَنَّ جملة الجواب فى موضع جزم لما عطف عليه نضارب مجزوماً . وأما كسرة الباء فهى للروى .

والبيت الذى قبل هذا ظهر أثر الجزم فيه على نفس الجواب ، بخلاف هذا البيت فَإِنَّهُ ظهر أثره فى تابعه ، ولهذا قدّمه على هذا البيت . وقد تقدّم نقل كلام سيبويه .

وإلى متعلّقة بوصْلِها . ويجوز أن يكون متعلّقاً بِالْخُطَا . والمعنى فنخطو إلى أعدائنا . كذا قال اللّخُمى .

وفيه على الأوّل الفصل بين المصدر ومعموله بمعمول غيره ، لأنَّ خطانا

(١) وتقال من باب نصر أيضاً ، والمصدر خبوا كنعرا .

(٢) الخزانة : ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٤ والمتنضب ٢ : ٥٧ وابن الشجرى ١ : ٣٣٣ ، وابن عيش ٤ :

٩٧ / ٧ : ٩٧ . وديوان قيس بن الخطيم ٤١ .

خبر كَانَ ، والعامل في إذا شرطها ، لأنها ليست حينئذ مضافة إليه .

قال اللَّحْمَى : ويجوز أن يكون العامل كان .

وقال الأَعْلَم : يقول : إذا قصُرت أسيافنا في اللقاء عن الوصول إلى الأقران وصلَّناها بخطانا مُقَدِّمين عليهم حتَّى ننالهم .

وقال اللَّحْمَى (في شرح أبيات الجمل) : معنى البيت : إذا ضاقت الحرب عن مجال الخيل واستعمال الرماح نزلنا للمضاربة بالسُّيُوف ، فإن قصُرت عن إدراك الأقران خطونا إليهم إقداماً عليهم فالحقناها بهم . انتهى .

قال ابن الشجرى (في أماليه) : وإثما لم يجزوا بإذا في حال السَّعة كما جزموا بمتى ، لأنه خالف إن ، من حيث شرطوا به فيما لا بد من كونه ، كقولك : إذا جاء الصيف سافرت ، وإذا انصرم الشتاء قفلت . ولا تقول : إن جاء الصيف ولا إن انصرم الشتاء ، لأنَّ الصَّيف لا بد من مجيئه والشتاء لا بد من انصرامه . وكذا لا تقول : إن جاء شعبان كما تقول إذا جاء شعبان . وتقول : إن جاء زيد لقيته ، فلا تقطع بمجيئه . فإن قلت إذا جاء ، قطعت بمجيئه . فلمَّا خالفت إذا إن ، فيما تقتضيه إن من الإبهام ، لم يجزوا بها في سعة الكلام . انتهى .

والبيت من قصيدة بائنة مجرورة لقيس بن الخطيم ، ووقع أيضاً في شعري

صاحب الشاهد

رويه مرفوع .

أما القصيدة المجرورة فعُدَّتْها ثمانية وثلاثون بيتاً ، أوردها محمد

ابن المبارك بن محمد بن ميمون (في منتهى الطلب ، من أشعار العرب) ،
ذكر فيها يوم بُعث ، وكان قبل الإسلام بقريب . ومطلعها :

(أتعرفُ رسماً كالطراز المذهبِ لعمرةٍ وحشاً غيرَ موقفِ راكِبِ

ديارِ التي كادت ونحْنُ على مِنى تحلُّ بنا لولا نجاء الرُكائبِ

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجِبِ) ١٦٥

إلى أن قال :

(إذ مافرزنا كان أسواً فرارنا صُدودَ الخدودِ وازورارِ المناكِبِ

صُدودَ الخدودِ والقنا متشاجرٌ ولا تبرحُ الأقدامُ عند التضاربِ

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها البيت)

قال ابن السِّيد : وروى ^(١) : « إلى أعدائنا للتقارب » ، فلا شاهد

فيه . وروى أيضاً : « وإن قصرت أسيفنا ، فنضاربٌ » بالرفع على الإقواء .

وأسواً أصله مهموز فأبدل الهمزة ألفاً ، بمعنى أقبح . يقول : لا نفرُّ في الحرب

أبداً وإنما نصدُّ بوجوهنا ونُميلُ مناكبنا عند اشتجار القنا ، أى تداخل بعضها

في بعض . وهذا لا يسمى فرارا وإنما يسمى اتقاءً . وهذا مملوحٌ في

الشُّجْعان ، أى فإن كان يقع منا فرارٌ في الحرب فهو هذا لا غير .

وأما الذى رويته مرفوع فقد وقع في شعرين أحدهما في قصيدة للأخمس

ابن شهاب التغلبي ، أوها :

لَابِنَةُ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رُقِشَ الْعُنُونُ فِي الرَّقِّ كَاتِبٌ^(١)

ثم ذكر بعض قبائل العرب ومدح قبيلته فقال :
فوارسُها من تغلبَ ابنة وائل حماة كُماة ليس فيها أشائبُ
وإن قصرت أسيافا كان وصلها (البيت)

هكذا رواه المفضلُ بأن بدل إذا ، ولكن روى المصراع الثاني كذا :

* خطانا إلى القوم الذين نضارب *

ورواه أبو تمام أيضًا بأن ، إلا أنه رواه : « إلى أعدائنا فنضارب » فيكون
نضارب خبر مبتدأ محذوف ، أى فنحن نضارب .

والقصيدة في رواية المفضل الضبي في (المفضليات) سبعة وعشرون
بيتا ، وشرحها ابن الأنباري . ورواها أبو عمرو الشيباني (في أشعار تغلب)
ثلاثين بيتا . وأوردها أبو تمام (في الحماسة) ثلاثة وعشرين بيتا . ونقلها
الأعلم الشنتمري (في حماسه) . وهذا مطلعها عنده :
فمن يك أمسى في بلادٍ مُقامه يسائل أطلالا بها ما تجاوبُ
فلابنة حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ (البيت)

وأورد منها (في مختار أشعار القبائل) سبعة أبيات لا غير .

وأما الشعر الثاني فهو من قصيدة عدتها أربعة وعشرون بيتا لرقيم أخي
بنى الصاردة^(٢) . وأوردها أبو عمرو الشيباني (في أشعار

(١) المفضليات ٣٠٤ .

(٢) في النسختين : « الصادرة » بتقديم الدال ، صوابه بتقديم الراء ، كما سيأتى في ٣٠٤

قبيلة محارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان) ، وهى عندى فى نسخة قديمة تاريخ كتابتها فى صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكاتبها أبو عبد الله الحسين بن أحمد الفزارى ، قال : نقلتها من نسخة أبي الحسن الطوسى ^(١) وقد عُرِضَتْ على ابن الأعرابى . وهذا أولها :

عَفَتْ ذِوْرَةٌ مِنْ آلِ لَيْلٍ فَعَازَبُ فَمَيْتُ الثَّقَا مِنْ أَهْلِهِ فَالذَّنَائِبُ
وهذه أسماء أماكن أربعة . إلى أن قال :

وقد علمت قيس بن عيلان أننا لنا فى محلها الذرى والنوائب
وإننا لتقرى الضيف من قمع الذرا إذا أخلفت أنواءهن الكواكب
ونحن بنو الحرب العوان نشبها وبالحرب سميننا فنحن محارب
إذا قصرت أسافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب
فذلك أفنانا وأبقى قبائلا توقوا بنا إذ قارعتنا الكتائب
نقلب بيضا بالأكف صوارما فهن لهامات الرجال عصائب

ثم ذكر حروبهم وغلبتهم فيها ، وختم القصيدة بقوله :

فتلك مساعينا لمن رام حربنا إذا ما التقت عند الحفاظ الكتائب

وأورد أبو محمد الأعرابى الأسود (فى كتاب ضالة الأديب) أربعة

أبيات من هذه القصيدة ، ولم يصرح باسم قائلها ، وهى :

تمنى دُرَيْدٌ أَنْ يَلَاقَى ثُلَّةً فقارعه من دون ذاك الكتائب
فنحن قتلنا بكره وابن أمه ونحن طعننا فى اسننه وهو هارب

(١) اسمه على بن عبد الله بن سنان ، كما فى إنباه الرواة .

ونحن بنو الحرب العوان نشبها (البيت)
إذا قصرت أسيفنا كان وصلها (البيت)

والبيتان الأولان غير مذكورين في رواية أبي عمرو الشيباني^(١) ، والظاهر
أنهما من قصيدةٍ لآخر ، لأنَّ رُقيماً قال في قصيدته :

ويوم دُرَيْدٍ قد تركناه ثاوياً به داميات في المَكْرِ جوالِبُ

وقال أبو محمد الأعرابي : سبب هذا الشعر أنَّ دريد بن الصمة هجأ
زَيْدَ بْنَ سَهْلٍ المحاربي في قصيدة قالها دريد ، حين غزا غطفان غزوة ثانية ،
فأغار على بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فهرب عياض بن ناشب الثعلبي ، ثم
غزاهم فأغار على أشجع فلم يصبهم ، فقال دريد في ذلك :

قتلنا بعبدِ الله خيرَ لِداتِهِ ذَوَابَ بنِ أَسْمَاءَ بنِ زَيْدِ بنِ قَارِبِ

وهي ثمانية عشر بيتاً ، ومنها :

تَمَنَيْتَنِي زَيْدَ بْنَ سَهْلٍ سَفَاهَةً وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَاتُحْتَوِيكَ مِقَانِبُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ جَعَدُ الْقَفَا مَتَعَكَّسٌ مِنْ الْأَقِطِ الْحَوْلِيِّ شَبْعَانُ كَانِبُ

وهذان البيتان بالرفع على الإقواء . والمتعكس : المتشئ غصون القفا .
والكانب ، بالنون : الممتلى الغليظ . وآخرها :

فليت قبوراً بالمراضين حَدَّثَتْ بِشَدَّتْنَا فِي الْحَيِّ حَيَّ مُحَارِبِ^(٢)

(١) كلمة « الشيباني » ساقطة من ش .

(٢) قال ياقوت : تنية المراض بلفظ جمع مريض ، ثنى بعد أن سمي . قال الليث : المراضان :
والديان ملتقاهما واحد ، وقال : المراضان والمريض : مواضع في ديار تميم ، بين كازمة والبقرة ، فيها
أحساء ، ليست من بلب المرض ، والميم فيها ميم مفعول ، من استراض الوادي ، إذا استنقع فيه الماء .

قال أبو محمد : ولما ذكر دريد محارباً قال بعضهم يرُدُّ عليه . وذكر الأبيات الأربعة .

وقد أورد الشريف الحسيني هبة الله (في حماسته) البيت الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة التي رواها أبو عمرو الشيباني ونسبها لسهم بن مرة المحاربي ، وهي :

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها البيت
ونحن بنو الحرب العوان نشبها البيت
فذلك أفنانا وأبقى قبائلا البيت
والله أعلم بحقيقة الحال .

فظهر ممّا ذكرنا أن البيت من ثلاث قصائد .

قال ثعلب : هذا البيت يتنازعه الأنصار ، وقريش ، وتغلب . وزعمت علماء الحجاز أنه لضرار بن الخطّاب الفهري ، أحد بني محارب من قريش . وقال ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : هو للأخنس ١٦٧ ابن شهاب . قال : هو أول العرب وصل قصر السيوف بالخطي - في قوله :

وإن قصرت أسيفنا البيت

ومنه استرق كعب بن مالك الأنصاري صلة السيوف فقال :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا فُدماً وتلحقها إذا لم تلحق

انتهى .

وهذا هو الصحيح ؛ لأنه قاله قبل أن يُخلق هؤلاء بدهر ، كما

سيأتى . ومنه تعلم خطأ جماعةٍ اعترضوا على سيبويه فى روايته البيت بالكسر ، منهم ابن هشام اللخمي ، قال (فى شرح أبيات الجمل) : روى سيبويه هذا البيت بكسر الباء من نضارب على أن يكون معطوفاً على موضع كان ، والبيت من شعر كله مرفوع . وكذلك أدخله أبو تمام (فى حماسته) فيحتمل أن يكون سيبويه رواه مُقَوًى لقيس بن الخطيم ، والصحيح أنه للأخنس بن شهاب . هذا كلامه .

واعلم أن جماعةً من الشعراء تداولوا هذا المعنى ، وقد أوردنا جملةً ممَّا قالوه فى الشاهد السادس والخمسين بعد الأربعمئة ، عند بيت كعب بن مالك الأنصارى (١) .

وزعم المبرد (فى الكامل) أن قول أئى مخزوم النهشلى :

إذا الكُماة تنحوا أن ينالهم حُدَّ الطُّبَاتِ وصلناها بأيدينا (٢)

مأخوذٌ من بيت كعب بن مالك . وليس كما زعم ، كما بينا .

ومن تبع الأخنس بن شهاب فى المعنى حناك بن سَنَّة العَبْسَى الجاهلى - وهو بكسر المهملة وتخفيف النون وآخره كاف ، وسَنَّة بفتح السين المهملة وتشديد النون - قال :

أبْنَى جَذِيمة نحنُ أَهْلُ لَوَائِكُمْ وَأَقْلَكُمْ يَوْمَ الطَّعَانِ جَبَانَا

كانت لنا كرمُ المَواطنِ عادةً نصِلُ السِوْفَ إذا قَصُرَ حُطَانَا

أوردهما الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) .

(١) الخزاعة ٦ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) فى النسختين : « تنالهم » بالناء ، وأثبت ما فى الكامل ٦٥ .

ومنهم : أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ، قال :

والسيفُ إن قصَّره صانعٌ طوَّله يوم الوغى باعى ^(١)

ومنهم : ودَّك بن ثُميل المازنى ، قال :

مقاديمُ وصَّالون فى الرُّوع خطوهم بكلِّ رقيقِ الشِّفرتين يَمَانِي

ومنهم : نهشل بن حرَّى ، قال :

فتى كان للرُّمح الأصمَّ محطماً طعاناً وللسيف القصيرُ مطيلاً ^(٢)

ومنهم : عبید الله بن الحرِّ الجُعفى ، قال :

إذا أخذت كفى بقائم مُرهِفٍ وكان قصيراً ، عاد وهو طويلُ

ومنهم : نابغة بنى الحارث بن كعب ، واسمه يزيد بن أبان ، قال :

وإذا السيوف قصُرنَ بَلَّغَهَا لنا حتَّى تناولَ ماتريدُ خطانا

ومنه قول عبد الرحمن بن سلامة الحاجب :

ويوم تقصُرُ الآجالُ فيه نُطاولُ به بأرماحٍ قصارٍ

وقال آخر :

تُطيلُ السيوفُ المَرَهَفَاتُ لدى الوغى خطانا إذا ارتدَّتْ حُطَيَّ وسيوفُ ^{١٦٨}

وقد أخذه مسلم بن الوليد وزاد فيه وأجاد :

(١) الذى فى المفضليات ٢٨٦ :

وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصر به باعى

(٢) ط : « للرمح الأسن » ، صوابه فى ش .

إِنْ قَصَّرَ السَّيْفُ لَمْ يَمْشِ الْخَطِيءُ عَدَدًا أَوْ عَرَدَ السَّيْفُ لَمْ يَهْمُمْ بِتَعْرِيدٍ ^(١)

قال ابن الأثير : (في المثل السائر ، في السرقات الشعرية) :
الضرب السادس : السَّلَخ ، وهو أَنْ يُؤْخَذَ المعنى فيزداد عليه معنى آخر . فمما
جاء منه قول الأحنس بن شهاب ، وأخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه . وأنشد
البيتين .

وأخطأ الخالدیان (في شرح ديوان مسلم) ، في زعمهما أَنَّ مسلماً
أخذه من قيس بن الخطيم .

وروى أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الحُصْرِيّ (في كتاب الجواهر ، في
الملح والنوادر) أَنَّ بعض الأمراء أُعْطِيَ سيفاً لرجل ، فقال : هو قصير .
قال : صِلْهُ بِخُطُوتِكَ . قال : الصَّيْنُ أَقْرَبُ مِنْ تِلْكَ الْخُطُوةِ !

ومثله ما رواه الخالدیان قالا : رَوَى أَنَّ الْمُهَلَّبَ نَظَرَ إِلَى سَيْفٍ مَعَ بَعْضٍ
وَلَدِهِ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ سَيْفَكَ لِقَصِيرٍ . قال : ليس بقصيرٍ من يَصِلُهُ بِخُطُوهِ .
فقلل بعضُ من حضر المجلس : تلك الخُطُوةُ أَصْعَبُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ .
وروى أَنَّ الْحِجَّاجَ سَأَلَ الْمُهَلَّبَ أَنْ يَرِيَهُ سَيْفَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ :
يَا أَبَا سَعْدٍ ، إِنَّ سَيْفَكَ لِقَصِيرٍ . قال : إِذَا كَانَ فِي يَدِي فَلَا .

وأما قيس بن الخطيم فهو شاعرٌ فارس أنصاريٌّ ، مات كافراً .
قال ابن حجر (في الإصابة) : قيس بن الخطيم الأنصاري ، ذكره

قيس بن الخطيم

(١) في النسختين : « إن قصر السيف الخطا عددا » ، وتكلمته من ديوان مسلم ١٥٩ ، وفي
شرحه : « يقول : إن قصر الرمح عن إدراك من أراد أن يقطع به لم يمش الخطا تباطؤا كمثل من يعد
خطاه ، بل يسرع هو عند ذلك » .

علی بن سعد العسکری ^(١) فی الصَّحابة ، وهو وهمٌ فقد ذکر أهل المغازی أنَّه قَدِمَ مكة فدعاه النبی ﷺ إلى الإسلام وتلا علیه القرآن فقال : إني لأسمعُ كلامًا عجيبًا ، فدعني أنظرُ في أمری هذه السنة ثم أعودُ إليك . فمات قبل الحول . وهذا هو الشاعر المشهور ، وهو من الأوس ، وله فی وقعة بُعثَ التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعارٌ كثيرة . انتهى .

والخطيم ، بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة .

وهذه نسبته : قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر - وظفر هو كعب - ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر - وهو ماء السماء - بن حارثة الغطريف .
وقيس شاعر الأوس ، وهو القائل ^(٢) :

طعنْتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةً ناثِرَ	لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءَها
ملكْتُ بها كُفًى فَأَنهَرْتُ فتَقَها	يَرى قائِماً من دونها ما وراءَها
وكنْتُ امرأً لا أسمعُ الدَّهرَ سُبَّةً	أُسبُّ بها إِلَّا كَشَفْتُ غِطاءَها
وإِنِّي في الحربِ الضُّروسِ مُوكَّلٌ	بإقدامِ نفسٍ لا أريدُ بقاءَها
إذا سَقِمتُ نَفْسي إلى ذى عداوةٍ	فإِنِّي بنصلِ السِّيفِ باغٍ دواءَها
متى يأتِ هذا الموتُ لم تَبَقْ حاجةٌ	لنَفْسي إِلَّا قد قُضِيَتْ قضاءَها

(١) في الإصابة : « على بن سعيد » .

(٢) ديوانه ٧ - ١٠ .

وقام فاعل يرى . ودون ووراء من الأضداد ، فإن كان الأول بمعنى
قُلام كان الآخر بمعنى خلف ، وإن كان الأول بمعنى خلف كان الثاني بمعنى
قُلام . وملكت بمعنى شددت وضبطت . وأنهرت : أوسعت : وقد ضمن
المصراع الصفيّ الجليّ في قوله :

تزوَّجَ جارِي وهو شَيْخٌ صَبِيَّةٌ فلم يستطع غَشِيانها حين جاءها
ولو أننى بادرْتُها لتركْتُها يرى قائمٌ من دونها ما وراءها

١٦٦

وابن عبد القيس الذى قتله هو رجلٌ من قبيلة عبد القيس . كان قتل
أباه الخطيم فأخذ ثأره منه .

ومن شعر قيس :

وما بعضُ الإقامةِ في ديارٍ يُهانُ بها الفتى إلا عِياءُ (١)
يريد المرءُ أن يُعطىَ منه ويأبى الله إلا ما يشاءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بقومٍ سيأتى بعد شدَّتِها رخاءُ
ولا يُعطى الحريصُ غنىً بحرصٍ وقد يَنمى على الجود الثراءُ
غِناءُ النفسِ ما عَمِرَتْ غِناءُ وفقر النفسِ ما عَمِرَتْ شقاءُ (٢)
وليس بنافعٍ ذا البخيلِ مالٌ ولا مُزِرٍ بصاحبهِ السَّخاءُ

(١) في ديوانه ٩٦ : « إلا عِياء » . وفي الحماسة بشرح المرزوق ١١٨٧ : « إلا بلاء » . ويقال
داء عِياء : لا دواء له . وقال المرزوق : « قوله وما بعض الإقامة ، إنما بعضها لأنه أشار إلى الإقامة التى
أوائلها تنزاح معها العلل ، ويسهل في اختيارها الانفصال والترحل ، وأواخرها تتعرض بما يعرض فيها
حتى يشق لها التلوم والتلبث » .

(٢) في الديوان :

« غنى النفس ما عمرت غنى »

وفي الحماسة :

« غنى النفس ما استغنى غنى »

وبعضُ الداء ملتَمَسٌ شفاه وداءُ الثَّوكِ ليس له شِفَاءُ

قال صاحب الأغاني : قيس بن الخطيم هذا هو صاحب المنافسات مع حسان بن ثابت . وذلك أن حسناً كان يذكر ليلي بنت الخطيم أُخْتَ قيس في شعره ، وكان قيس يذكر في شعره امرأته عمرة ، كما ذكرها في مطلع قصيدة البيت الشاهد .

وحكى المفضل قال : لما هدأت حربُ الأوس والخزرج تذكرت الخزرج قيسَ بن الخطيم ونكايته ^(١) فيهم ، فتواعدوا إلى قتله ، فخرج عشيةً من منزله يريد مالا له ، حتَّى مرَّ بأطم بنى حارثة ، فُرِمِيَ منهم بثلاثة أسهم أحدها في صدره ، فصاح صيحةً سمعها رَهْطُهُ ، فجأؤُهُ وحملوه إلى منزله فلم يروا له كفتاً إلا أبا صعصعة بن زيد بن عوف ، من بنى النجَّار . فاندسَّ إليه رجلٌ حتَّى اغتاله في منزله فضرب عنقه واشتمل [على] رأسه ، وأتى به قيساً وهو بآخر رمقٍ فآلقاه بين يديه وقال : يا قيسُ ، قد أدركتُ بئارك . فقال : عَضِضْتُ بِأُيْرَ أُيْكَ إِنْ كَانَ غَيْرَ أُنَى صعصعة . فقال : هو أبو صعصعة . وأراه الرأس ، فلم يلبث أن مات على كفره قبل قُدم النبي ﷺ المدينة .

وأما الأخنس بن شهاب فقد قال ابنُ الأنباري (في شرح الأخنس بن شهاب الفضليات) : هو الأخنس بن شهاب بن ثُمَامَةَ بن أَرْقَمَ بن حُزَابَةَ بن الحارث ابن ثُمَيْر بن أسامة بن بكر بن معاوية بن غَنَمَ بن تغلب . والأخنس شاعر جاهليٌّ قبل الإسلام بدهر . انتهى .

وأما رُقَيْمُ أَخُو بَنِي الصَّارِدَةِ ^(٢) المحاربي فالظاهر أنَّه شاعرٌ إسلاميٌّ

(١) ط : « نكاته » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٢) انظر ما مضى في ص ٢٨ .

لأن أبا عمرو الشباني قال بعد تلك القصيدة : وقال رقيم أيضا وكان سعد بن
مُعَاذِ الأنصاري خاله :

اهتَزَّ عرشُ الله ذى الجلالِ لموت خالى يومَ مات خالى
ورُقيَم (بضم الراء وفتح القاف) . والصادرة اسمه سعد بن بذاوة بن
ذهل بن خَلَف بن محارب . كذا (فى جمهرة الأنساب) .

ولم يذكرهُ ابن حجر (فى الإصابة) . فإذا لم يكن صحابيا
ولا مُحَضَّرًا يكون تابعيًا ، ويكون سعد بن معاذ خال أبيه أو خال إحدى
أمهاته . والله أعلم .

وقد أورد ابن حجر من اسمه رُقيَم من الصحابة (١) لكنَّهُ أنصاري لا
محاربى . قال : أبو ثابت ، رُقيَم بن ثابت بن ثعلبة الأنصاري الأوسى ،
استشهد بالطائف .

* * *

وأنشد بعده :

١٧٠

(إذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب)

على أن وقوع الجملة الاسمية بعد إذا شاذ .

وتقدم ما يتعلق به فى الشاهد التاسع والخمسين بعد المائة (٢) . وهذا
عجز وصلره :

* فهلا أعلنونى لمثل تفاقدا *

(١) ش : ه فى الصحابة .

(٢) الخزائن ٣ : ٢٩ .

وهو من أبياتٍ مذكورة (في الحماسة) وقد شرحناها هناك .
 وإذا ظرفٌ لأعلوني . وجملة « تفاقدوا » اعتراضٌ بينهما . يقول : هلاً
 جعلوني عُدةً لرجلٍ مثلي ، فقد بعضهم بعضاً ، وهلاً ادّخروني ليوم الحاجة إذا
 كان الخصمُ هكذا متأخراً العُجز مائل الرأس منحرفاً . وهذا تصويرٌ لحال
 المقاتل إذا انتصب في وجهه مقصوده . ورجلٌ أبزى بالزء المعجمة : يخرج
 صدره ويدخل ظهره . وأبزى هنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتل ، لأنَّ المخاتل
 ربّما انتشى فيخرج عجزه . وفسره أبو رياش بقوله : تحامل على خصمه
 ليظلمه . فجعل أبزى فعلاً ماضياً ، وإنّما المعروف بزوت الرجل ، ومنه
 اشتقاق البازي . وعليه فالخصم مرفوعٌ بفعل يفسره أبزى ، فلا شنوذ
 حينئذ . قال في القاموس : وبزى فلاناً : قهره وبطش به ^(١) كأبزى به . ويرفع
 مائل الرأس على أنّه بدلٌ من الخصم . والأنكب : المائل ، وأصله الذي
 يشتكي منكبيه ، فهو يمشي في شقٍّ . ومائل الرأس أي مصعرٌ من الكبير .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد السادس بعد الخمسمائة :

٥٠٦ (حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ
 شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا) ^(٢)

(١) ط : « وتطيش به » ، صوابه في ش والقاموس .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ٣٥٨ / ٢ : ٢٨٩ والإنصاف ٤٦١ والجمع ١ : ٢٠٧ وديوان

الهذليين ٢ : ٣٨ .

على أَنَّ جواب إذا عند الشارح المحقق محذوف لتفخيم الأمر ،
والتقدير : بلغوا أملهم ، أو أدركوا ما أحبوا ، ونحو ذلك .

وهذا هو الصواب من أقوال ثلاثة في إذا .

قال ابن السِّيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : هذا مذهب
الأصمعيّ ، ومثله يقول الراجز :

لو قَدْ حَدَاهُنَّ أَبُو الْجُودِيِّ بَرَجَزٍ مُسَحْنَفِرٍ الرَّوِّيُّ

مستويات كنوى البرني

أراد : لأسرغن .

وذهب جماعة إلى أَنَّ شلاً أثر الجواب ، إذ التقدير : شلوهم شلاً ،
فاستغنى بذكر المصدر عن ذكر الفعل لدلالته عليه . منهم أبو علي (في
التذكرة) ، قال : شلاً منتصب بجواب إذا .

ومنها : ابن الشجريّ (في أماليه) قال : البيت آخر القصيدة ،
فلا يجوز أن تنصب شلاً بأسلكوهم ، لئلا يبقى إذا بغير جواب ظاهر ولا
مقتر ، ولكن تنصبه بفعل تضره فيكون جواب إذا ، فكأنك قلت : حتّى
إذا أسلكوهم شلوهم شلاً .

ومنها : ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) قال : لم يأت بالجواب ،
لأنّ هذا البيت آخر القصيدة ، والتقدير فيه : حتّى إذا أسلكوهم شلوا شلاً ،
فخذف للعلم به توتحيّاً للإيجاز .

وهذا المذهب غير سديد في المعنى ، لأنّ الشلّ أي الطرد إنّما
كان قبل إسلاكهم في قنائة ، أي إدخالهم فيها ، وكلامهم يقتضى

أن يكون بعد ذلك ، وهو فاسد ، وإنما شلاً حال من الواو ، أى شالين ، أو من هم ، أى مشلولين . والأقيس الأول لقوله كما تطرد الجمالة ، فشبه الشل بشل الجمالة ، وهم الطاردون . وإذا كان حالاً من ضمير المفعول وجب أن يقول : كما تطرد الجمال الشرد ، وهو مع ذلك جائز لأن العرب قد توقع التشبيه على شيء والمراد غيره . والكاف فى كما فى موضع الصفة لشلاً ، وما مصدرية ، كأنه قال : شلاً كطرد .

١٧١

و (الشرد) بضمّتين : جمع شرد : وهى من الإبل التى تفرّ من الشيء إذا رآته ، فإذا طردت كان أشدّ لفرارها ، فلذلك خصّها بالذكر .

قال ابن السّيد : وقال أبو عبيدة : إذا زائدة ، فلذلك لم يؤت لها بجواب . فالمدانى مسبق بأبى عبيدة فى هذا لا أنّه قوله كما هو صريح كلام الشارح المحقق . ويؤيده ما روى أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى ترجمة أبى عبيدة من طبقات النحويين) قال : حدّثونا عن رجل عن أبى حاتم قال : أُملى علينا أبو عبيدة بيت عبد مناف بن ربيع الهذلى :

حتى إذا أسلكوهم فى قتائده البيت

قال : هذا كلام لم ينجى له خبر (١) .

وهذا البيت آخر القصيدة . قال : ومثله قول الله جل ثناؤه : ﴿ ولو أنّ قرآناً سُيِّرَ به الجبال أو قُطِعَتْ به الأرض ﴾ إلى قوله : ﴿ بل لله

(١) المراد بالخبر هنا الجواب .

الأمرُ جميعاً ﴿^(١)﴾ ، قال : فجئت إلى الأصمعي فأخبرته بذلك فقال : أخطأ ابنُ الحائك ، إنما الخبر في قوله شلاً ، كأنه قال : شلّوهم شلاً . قال : فجعلت أكتب ما يقول ، ففكر ساعة ثم قال لي : اصبر فإنّي أظنه كما قال ؛ لأنّ أبا الجوديّ الراجز أنشدني :

لو قد حداهنّ أبو الجوديّ برجزٍ مُسحقٍ الرويّ
مستوياتٍ كنوى البرنيّ

فهذا كلامٌ لم يجيء له خبر . انتهى .

وهذا النقل يخالف ما قاله ابن السّيد ، وكذلك يخالفه قول شارح أشعار هذيل السُّكريّ ^(٢) ، وهو غير أشعار الهذليين ، في شرح هذا الشعر ، قال الأصمعيّ : هذا ليس له جوابٌ ، وقد سمعت خلفاً ينشد ^(٣) عن أبي الجوديّ :

لو قد حداهنّ أبو الجودي (الأبيات)

لم يجعل له جواباً . وقال : قد يقال إنّ قوله شلاً جوابٌ ، كأنه قال : حتّى إذا أسلكوهم شلّوهم شلاً . انتهى .

فالنقل عن الأصمعيّ مضطربٌ كما ترى .

وقال في الصحاح : إذا زائدة ، أو يكون قد كفّ عن خبره لعلم السامع . انتهى .

ولا ينبغي القول بزيادة إذا لأنّها اسم ، والاسم لا يكون لغواً . وعلى تقدير القول يكون شلاً حالاً أيضاً كما قلنا .

(١) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٢) ط : « للسكري » ، صوابه في ش .

(٣) ش : « ينشدهن عن أبي الجودي » .

وقوله (أَسْلَكُوهُمْ) أَسْلَكَ لغة في سَلَكَ ، يقال أَسْلَكَتُ الشَّيْءَ في الشَّيْءِ مثل سَلَكَتُهُ فِيهِ ، بمعنى أَدْخَلْتُهُ فِيهِ ، ولهذا أُنْشِدَ صَاحِبُ الْكَشَافِ هَذَا الْبَيْتَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ^(١) .

و (قُتَائِدَة) بضم القاف بعدها مَثْنَاءُ فَوْقِيَّةٌ وَبَعْدَ الْأَلْفِ هَمْزَةٌ : بَعْدَهَا دَالٌ مَهْمَلَةٌ . قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ : هِيَ ثَنِيَّةٌ ضَبُّقَةٌ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُلُّ ثَنِيَّةٍ قُتَائِدَةٌ . وَقَالَ فِي الصَّحَاحِ : قُتَائِدَةٌ : اسْمُ عَقَبَةٍ . وَأُنْشِدَ الْبَيْتَ وَقَالَ : أَيْ أَسْلَكُوهُمْ فِي طَرِيقِ قُتَائِدَةٍ . وَقَالَ الْبَكْرِيُّ (فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَم) : قَالَ الْيَزِيدِيُّ عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ : هِيَ جَبَلٌ بَيْنَ الْمَنْصَرَفِ وَالرُّوحَاءِ . وَغَضِيَ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ لَا يَكُونُ صَرْفُهَا لِلضَّرُورَةِ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ : هَمْزَةُ قُتَائِدَةٍ أَصْلٌ لِأَنَّهَا حَشَوٌ وَلَمْ يَدُلَّ ^(٢) عَلَى زِيَادَتِهَا دَلِيلٌ . قَالَ : وَلَا تَحْمِلُهَا عَلَى حُطَائِطٍ وَجُرَائِضٍ ^(٣) لَقَلَّتْهُمَا . انْتَهَى .

وَنَقَلَ يَاقُوتُ (فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ) عَنْ الْأَزْهَرِيِّ أَنَّهَا جَبَلٌ . وَأُنْشِدَ الْبَيْتَ .

(وَالشَّلُّ) : الطَّرْدُ . وَ (الْجَمَّالَةُ) : فَاعِلٌ تَطَّرَدُ . قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ : وَالْجَمَّالَةُ : أَصْحَابُ الْجَمَالِ ، كَمَا يُقَالُ الْحَمَّارَةُ لِأَصْحَابِ الْحَمِيرِ ، وَالْبَغَّالَةُ لِأَصْحَابِ الْبَغَالِ . وَلَمْ يَقُولُوا قَرَّاسَةً وَلَا خَيْالَةً . انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ (فِي مَعَانِي النَّاءِ) : الضَّرْبُ الرَّابِعُ أَنَّ يَدُلَّ

(١) الآية ٢٧ من سورة المؤمنون .

(٢) ط : « وَلَمْ يَدْخُلْ » ، صَوَابُهُ فِي ش . وَقَدْ تَنَبَّهَ لِذَلِكَ مُصَحِّحُ بُولَاقٍ فَقَالَ : « لَعَلَّهُ لَمْ

يَدُلَّ » .

(٣) فِي النُّسخَتَيْنِ : « وَجُرَائِذُ » ، صَوَابُهُمَا مَا أُثْبِتَ .

١٧٢ لحاق التاء على الجمع ، كقولهم رَجُلٌ جَمَّالٌ ورجالٌ جَمَّالَةٌ ، وِبَعَّالٌ وِبَعَّالَةٌ ، وِحَمَّارٌ وِحَمَّارَةٌ ، وَسَيَّارٌ وَسَيَّارَةٌ . وأنشد البيت .

(والشُّرْدُ) بضمّتين كما تقدّم ، قال في الصحاح ، ويروى البيت بفتحيتين أيضًا على أنّه جمع شارد ، كَحَلَمٍ جمع خادم . وقد وُصف في هذا البيت قومٌ هزموا حتّى أُلجئُوا إلى الدخول في قتائده .

وقد استشهد أبو عليّ به على أنّ تاء التانيث قد تحيىء دالةً على عكس دلالتها في باب تمرة وتمر . قال أحد شراح أبيات الإيضاح : ألا ترى أنّ جمالة واقع على الجمع ، فإن أردت الواحد أسقطت التاء فقلت جمال . وتمر واقعة على المفرد ، فإن أردت الجمع أسقطت التاء فقلت تمر . فإن قال قائل : لعل التاء لم تلحق جمالة وأمثاله لما ذكرتم من التفرقة بين الجمع والمفرد ، ولحقته ^(١) من حيث كان صفة الجمع . ألا ترى أنّ الأصل كما تطرد الرجال الجمالة الشُّرْدُ . والجمع وإن كان لمذكّر قد تعامله العربُ معاملةً الواحدة من المؤنث ، ومن ذلك قولهم : « الرجال وأعضادها ، والنساء وأعجازها » . قيل له : الدليل على أنّ التاء في جمالة دخلت لما ذكر من الفرق ، أنّها من الصفات التي أتت على معنى النسب كدارع ولابن . ألا ترى أنّها غير مأخوذة من فعل ، كما أنّ دارعا ولابنا كذلك . وقياس الصفات التي تأتي على معنى النسب التي لا تلحقها التاء وإن جرت على مؤنث نحو حائض وطامث ، فكان ينبغي على هذا أن لا تلحق التاء ، لولا ما أريد من التفرقة بين المفرد والجمع . وإنّما أدخلوها حين أرادوا التفرقة في صفة الجماعة ولم يدخلوها

١٧١

(١) ط : « ولحقته » ، صوابه من ش

في صفة المقرد ، لأنَّ جمع التكسير وإن كان لمن يعقل قد يُعامل معاملة
الواحدة من المؤنث كما تقدّم ، فكانت بذلك ^(١) أحقّ بالتاء . إلى هنا
كلامه .

والبيت آخر قصيدة عدتها اثنا عشر بيتاً لعبد مناف بن رُبَع صاحب الشاهد
الجُرَيّ ^(٢) . وهي :

<p>(ماذا يَغِيرُ ابْتَنَى رِجْعَ عَوِيلُهُمَا كَلْتَاهُمَا أُبْطِنْتُ أَحْشَاؤُهَا قَصَبًا إِذَا تَجَرَّدَ نَوُحٌ قَامَنَا مَعَهُ مِنَ الْأَسَى أَهْلُ أَنْفِ يَوْمٍ جَاءَهُمْ لَنَعْمَ مَا أَحْسَنَ الْأُيَاثَ نَهْنَهَ إِذْ قَدَّمُوا مَائَةً وَاسْتَأْخَرَتْ مَائَةً صَابُوا بِسِتَةِ أَيْيَاتٍ وَأَرْبَعَةٍ شَلُّوا عَلَى الْقَوْمِ فَاعْتَطَوْا أَوَائِلَهُمْ فَالطَّعْنَ شَغْشَغَةً وَالضَّرَبُ هَيْقَعَةً</p>	<p>لا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا مِنْ بَطْنِ حَلْيَةٍ لَا رَطْبًا وَلَا نَقْدًا ضَرْبًا أَلِيمًا بِسِيَبٍ يَلْعَجُ الْجِلْدَا جَيْشُ الْحِمَارِ فَجَاءُوا عَارِضًا بَرْدًا أَوَّلَى الْعَدِيِّ وَبَعْدُ أَحْسَنُوا الطَّرْدَا وَفِيًّا وَزَادُوا عَلَى كِلْتَاهُمَا عَدَدَا حَتَّى كَانَ عَلَيْهِمْ جَابِئًا لِيدَا ^(٣) جَيْشُ الْحِمَارِ وَلَاقُوا عَارِضًا بَرْدًا ضَرْبَ الْمُعُولِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَضْدَا ^(٤)</p>
---	---

(١) ش : « لذلك » .

(٢) الجُرَيّ ، بضم ففتح : نسبة إلى جريب بن سعد بن هذيل كما سيأتي . وفيهم يقول
المعترض بن حيواء الظفري :

رَغَبْنَا عَنْ دِمَاءِ بَنِي جَرِيبٍ وَنَعِشُوا بِالصَّمِيمِ إِلَى الصَّمِيمِ

وانظر شرح أشعار الهذليين ٦٧٧ ، ٦٧٩ ، ٦٩٣ .

(٣) في شرح السكري ٧٦٤ : « ويروى : طافوا ، ويروى : جاءوا بستة » . وفي ش :
« صعلبوا » مع أثر تغيير ، وليس بالوجه . وفي النسختين : « جابئا » صوابه بالجيم من شرح أشعار
الهذليين .

(٤) ط : « فالطعن شفشقة » وكذا وردت في الشرح . والصواب ما أثبت من ش في
الموضعين .

وللقسَى أزاميلٌ وغمغمَةٌ حسَّ الجُنُوبُ تسوقُ الماءَ والبردا
 كأنَّهمْ تحتَ صيفيٍّ له نَحَمٌ مصرَّحٌ طَحَرَتْ أَسْنَانُهُ القَرْدَا
 حتى إذا أسلَّكُوهم في قَتائِدة (البيت)

قوله : « ماذا يَغِيرُ ابنتي ربيع » إلخ قال شارح القصيدة : غَارَ أَهْلُهُ :
 مَارَهُمْ . وابنتا ربيع هما أختا الشاعر . والعويل : رفع الصوت بالبكاء .
 لاترقدان : لا تنامان ، وَمَنْ نام فلا بُوسَى له ، فَإِنَّ الذي ينام مستريحٌ بخيرٍ في
 راحة ، قَرِيرُ العين ، وإِنَّمَا البُوسُ على من حزن لسَهَرٍ أو مرض . والبُوسُ :
 الضيق والشدة . ١٧٣

وقوله : « كلتاها » إلى آخره ، هذا مثل ، أَى كَأَنَّ في صلورها مزاميرَ
 من البكاء والحنين . « ومن بطن حلية » أَى هذا القصب الذي يُزَمَّر به أُخذ
 من بطن حلية ، بفتح المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية : اسم واد .
 والنَّقْدُ بفتح فكسر : المتأكل .

وقوله : « إذا تجرَّد نوحٌ » إلخ جمع نائحة ، أَى إذا تهبأ نساءٌ للنَّوح .
 وضرباً ، أَى وضَرْبِنَا ضَرْبًا . بِسَبْتٍ ^(١) بالكسر ، وهو الجلد المدبوغ . كَانَ
 النساء يَلْطِمْنَ خُدودهنَّ بجِلْدَةٍ . وَيَلْعَجُ : يُحْرِقُ ، يقال وَجَدَ لَاعَجَ الحزن ،
 أَى حُرَّقَتْه ، والجِلْدُ بكسر اللام لغة في سكونها ، أَرَادَ جلد وجهها .

وقوله : « من الأسي » إلخ الأسي : الحزن . وَأَنْفٌ : بلدٌ به قُتلوا
 يومئذ . وقوله : « جيش الحمار » كانوا غَزَوْا ومعهم حمارٌ يحملون

(١) ش : « بالسبت » .

عليه زادهم . والعارض : الجيش ، شَبَّهه لكثرتِه بالعارض من السَّحاب الممتلئ ماءً . والبرْد بكسر الراء : الذى فيه البرْد بفتحتين .

وقوله : « لنعم ما أحسن » إلخ وروى :

عمري لقد أحسن الأبيات نهنهً أولى الخميس

والنهنه : الرَّد . وأولى العدى : العادية ، وهى الحاملة ^(١) . والأبيات : قومٌ أُغير عليهم . وأحسنوا الطرد ، أى أحسنوا طرادهم . وأولى مفعول لنهنه . والمعنى : نعم ما أحسنوا ردَّ العدى ، وأحسنوا مطاردتهم بَعُد .

وقوله : إذ قَدَّموا مائة إلخ ، وروى أبو عبد الله :

فقدَّموا مائة وأخروا مائة كلتاها قد وفَّت وازدادتا عددًا .

وقوله : « صابوا بسنة » إلخ صابوا : وقعوا . وصابَ المطر : وقع . والجلأى ^(٢) بموحدة فهمة : الجراد . واللبد ، بفتح فكسر : المتراكب بعضه على بعض . واللبد بضم ففتح : الكثير . يقول : من كثرة ما وقع عليهم الناس كأنَّ عليهم جرادًا منقضًا .

وقوله : « شلُّوا على القوم فاعتطوا » : شلُّوا أوائل القوم . وجيش الحمار بالجرر بدل من ضمير الجمع المضاف ، وبالنصب بدل من أوائل . وقيل له جيش الحمار لأنَّه كان فى الجيش حمارٌ جاعوا عليه . ويقال إنَّما

(١) فى اللسان (عدا ٢٥٨) : « العدى أول من يحمل من الرجالة وذلك لأنهم يسرعون العدو ... ويقال رأيت عدى القوم مقبلا ، أى من حمل من الرجالة دون الفرسان » .

(٢) فى النسختين : « الحأى » بالحاء المهملة ، صوابه من شرح الهذليين واللسان (جبا) .

كان معهم حِمَارٌ يحمل بعضَ متاعهم . يقول : لَأَقْوَا جَيْشًا مثلَ العارضِ الذى فيه بَرْدٌ .

وقوله : « فالطعن شغشغة » ^(١) إلخ الشغشغة بمعجمتين : حكاية صوت الطَّعْنِ فى الأجواف والأكفال . والهيعة : حكاية صوت الضرب بالسيوف ^(٢) . والمعول بكسر الواو المشددة : الذى يبنى عَالَةً . والعالة : شجر يقطعه الرامى فيستظلُّ به من المطر . والعَضْدُ بفتحتين : ما قطع من الشجر ، والمضارع بكسر الضاد ، يقال عضد يَعْضِدُ عَضْدًا ، إذا قطع . وجعله تحت الدِّيمَةِ لأنه أسمع لصوته إذا ابتلَّ .

وقوله : « وللقسى أزاميل » : جمع أزمَلٍ ، والياء من إشباع الكسرة . وأزمَلُ كل شيءٍ : صوته . يريد أن لها أصواتًا تختلط فتصير واحدًا . والغمغة : صوتٌ لا يفهم . والجِسْ : الصوت . والجَنُوب : الرِّيح . أى لها صوتٌ كلوى الرِّيحِ الجنوب .

وقوله : « كأنهم تحت صيفي إلخ » ، أى سحاب . له نَحْمُ بفتح النون والحاء المهملة ، أى صوت ينتحم ^(٣) مثل نعيم الدابة . مصرَّح : صرَّح بالماء : صَبَّه وانكشف فصار غيمًا خالصًا ، ونَفَى عنه القَرْدَ بفتح القاف والراء المهملة ، وهو من السُّحاب : الصُّغار المتلبِّد المتراكبُ بعضُهُ

(١) ط : « شغشقة » فى هذا الموضع وتاليه ، والصواب فى ش وشرح السكرى واللسان والمقاييس (شغغ) والحيوان ٤ : ٤٠٦ .

(٢) ش : « الضرب بسيف » .

(٣) وكنا فى شرح السكرى ٦٧٥ . وفى ط : « ينحم » . وفى القاموس : « والانتحام : الاعتزام ، وقد انتحمت على كنا وكنا » . ومما يجلر ذكره أن البغدادى اعتمد اعتمادا كبيرا فى شرح هذه القصيدة على الأخذ من شرح السكرى .

على بعض . وطحرت : دفعت . والأَسْنَاء : جمع سَنَاء وهو الضوء . يقول :
 كأنهم تحت مطر صيفي مما يقع بهم ، له نَحَم ، أى صوتُ رعد . ويروى : ١٧٤
 » لهم نحم « .

وعبد مناف : شاعرٌ جاهلي من شعراء هذيل ، وهو ابن رُبْع الجُرَي ، عبد مناف بن ربيع
 بكسر الراء وسكون الموحدة . والجُرَي ، بضم الجيم وفتح الراء المهملة : نسبة
 إلى جُرَيْب كقريش ، وهو بطنٌ من هذيل ، وهو جُرَيْب بن سعد بن هذيل .
 وهذه الوقعة يقال لها : « يوم أنف » بفتح الألف وسكون النون ، وهو بلدٌ يلي
 ديارَ بنى سُليم من ديار هذيل . وقال السكري : أنف : داران ، إحداهما فوق
 الأخرى بينهما قريبٌ من ميل . ويقال أنف عاذ فيضاف ، بالعين المهملة
 والذال المعجمة ، كذا قال السكري . وبدلٍ مهملة رواها أبو عمرو .

وكانت بنو ظفر من بنى سُليم حرباً لهذيل ، فخرج المعترضُ بن حَنَوء
 الظَّفَرى يغزو بنى قرد من هذيل ^(١) ، وفي بنى سُليم رجلٌ من أنفسهم كان
 دليلَ القوم على أحواله من هذيل ، وأُمُّ امرأةٍ من بنى جُرَيْب بن سعد ، واسمه
 دُبْيَّة ، فدلَّهم فوجد بنى قرد بأنف ، وبنو سليم يومئذ مائتا رجل ، وزاملتهم
 حمار . فلما جاء دُبْيَّة بنى قرد قالوا له : أى ابنٍ أختنا ، أُنخشي علينا من
 قومك مَحْشَى ؟ قال : معاذ الله . فصدَّقوه وأطعموه ، وتحدَّثوا معه ساعةً من

(١) ش : « قرد بن هذيل » ، والصواب في ط ومعجم ما استعجم ٢٠٢ ونسب عدنان
 وقحطان للمبرد ٦ . وفي تاج العروس : « قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل » وفيه المثل
 المشهور : « أذى من قرد » . أمثال الميداني والدرة الفاخرة ١ : ٢١٣ وغيرهما من كتب الأمثال .

الليل . ثم قام كل واحد منهم إلى بيته ، ورمقه رجل من القوم وأوجس منه خيفة ، حتى إذا هدا أهل الدار فلم يسمع ركز أحد ولا حسه ، لم ير إلا إياه قد انسل من تحت لحاف أصحابه . فحضر بنى قرد لذلك ، فقعد كل رجل منهم في جوف بيته آخذاً بقاءم سيفه ، أو عجنس قوسه ومعه نبله . وحديث دُيَّة أصحابه بمكان الدارين ^(١) ، فقدّموا مائة نحو الدار العليا ، وتواعدوا طلوع القمر ، وهي ليلة خمسة وعشرين من الشهر ، والدار في سفح الجبل ، فبدا القمر للأسفلين قبل الأعلىين ، فأغار الذين بدا لهم القمر فقتلوا رجلاً من بنى قرد ، فخرجوا من بيوتهم فشدوا عليهم فهزموهم ، فلم يرع الأعلىين إلا بنو قرد يطردون أصحابهم بالسيف ، فزعموا أنهم لم ينج منهم ليلتد إلا ستون رجلاً من المائتين ، وقتل دُيَّة ، وأدرك المعترض فقتل أيضاً .

وقال عبد مناف بن ربيع هذه القصيدة ، وذكر فيها هذا اليوم .

وقد أطلت الكلام هنا لأنني لم أر من شرح البيت الشاهد كما ينبغي ، ولم يذكر أحد القصيدة ولا اليوم كان سبباً لها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الخمسمائة :

٥٠٧) فاضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا ^(٢)

(١) انظر ما سبق من قول السكري : « أنف : داران ، إحداهما فوق الأخرى » .

(٢) الكامل ٢١٧ والأغاني ١٣ : ٤٠ .

لما ذكره . قال أبو علي (في التذكرة القصيرة) : هي لا تدخل فصلاً في قول أصحابنا قبل نكرة ، فإذا كانت أقرب بمنزلة قريب لم تكن هي فصلاً ، وإذا لم تكن فصلاً كان « أو » عطفًا على عاملين . انتهى .

وفيه مسامحة ، إذ مراده على معمولي عاملين ، فهي معطوف على مفعول ترى ، وأقرب معطوف على مكان .

وقال (في إيضاح الشعر) : لا تخلو هي من أن تكون مبتدأ ، أو وصفاً ، أو فصلاً . فلا تكون مبتدأ لانتصاب ما بعده ، فبقي أن تكون وصفاً أو فصلاً . وذلك أن قوله : « رآها مكان السوق » دالٌّ على : أو رآها ، فحذفها من اللفظ للدلالة ما تقدّم عليها ، فصار التقدير : أو رآها أقرب ، أي أو رآها أقرب من السوق ، فصارت هي فصلاً بين الهاء والخبر المنتصب .

١٧٥

وقد يجوز أن تجعل هي وصفاً للهاء التي هي المفعول الأول ، كما جاز ذلك في : ﴿ تَجِلُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا ^(١) ﴾ . والأوّل أوجه ، لأنّ المحذوف لحذفه يستغنى عن وصفه .

ويجوز أن يكون أقرب ظرفاً . فإذا جعلته ظرفاً ولم تجعله وصفاً كان مبتدأً وأقرب الخبر ، والتقدير : أو هي أقرب من السوق . ومثله : ﴿ وَالرَّكِبَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ^(٢) ﴾ . انتهى .

(١) الآية ٢٠ من سورة المزمل .

(٢) الآية ٤٢ من الأنفال .

وهذا الأخير هو مراد الشارح المحقق . وأراد بالوصف التوكيد ، وهو تعبير سيوييه .

وقال أبو حيان (في تذكرته) : قال الفراء : إذا قيل منزلك بالحيرة أو أقرب منها ، ففي « أقرب » الرفع والنصب ، أى : أو منزلك أقرب من الحيرة أو مكاناً أقرب منها ، أو يكون موضع أقرب خفضاً بالنسق على الحيرة ، معناه أو بأقرب منها . وأنشد الفراء :

فأضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا

فنصب الأقرب على المحل ، وتأويله : أو هي مكاناً أقرب من خراسان . على أنه قد جَوَّزَ مجَوِّزٌ نصبَ أقرب في البيت على خبر رأى المضمر ، وقدره : أو رآها هي أقرب . انتهى .

وقوله : أقرب من خراسان سهو ، وصوابه أقرب من السوق .

ثم قال أبو حيان : وقد قال الفراء : العرب تؤثر الرفع منع أو . واحتج بقول الله تعالى : ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ^(١) . رفعت الفراء أشد ولم تحمله على العطف ، وبنته على : أو هي أشد قسوة . على أنه يجوز في النحو أو أشد قسوة بنصب أشد ، وموضعه خفض بالنسق على الحجارة ، أى كالحجارة أو كأشد قسوة . فإثما أوتر الرفع مع أو لأنها تأتي بمعنى الإباحة : إن شبهتم قلوب هؤلاء بالحجارة أصبتم ، أو بما هو أشد قسوة من الحجارة أصبتم ، وإن شبهتم قلوبهم بالحجارة وما هو أشد قسوة منها لم تخطئوا ، كما يقال : جالس الحسن أو ابن سيرين . يعنى قد أبحث أفراد أحدهما

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

بالمجالسة ، والجمع بينهما في ذلك . فلما أتت « أو » بهذا المعنى اختاروا أن لا يعربوا ما بعدها بإعراب الذى قبلها إذا أمكن الاستئناف ، ليدل بذلك على استواء الجملتين اللتين إحداهما قبلها والأخرى بعدها . ولو لم يكن استئناف اختلط الذى بعدها بالذى قبلها ، وسقط معنى الاختصاص بالإباحة . انتهى . وهذا يؤيد كون أقرب ظرفاً خبراً لـ « أو » .

والبيت آخر أبيات خمسة لعبد الله بن الزبير الأسدي ، رواها المبرّد صاحب الشاهد

(فى الكامل) وغيره ، وهى :

أرى الأمر أمسى منصيباً متشعباً (أقول لعبد الله يوم لقيته)
 عُميراً وإمّا أن تزور المهلباً تجهّز فإمّا أن تزور ابن ضائق
 ركوبك حوياً من الثلج أشهباً هما حططنا خسف نجاؤك منهما
 يد الدهر حتى يترك الطفل أشياء^(١) فما إن أرى الحجاج يُغمّد سيفه
 رآها مكان السوق أو هى أقربا فأضحى ولو كانت خراسان دونه

قوله : « أقول لعبد الله » روى صاحب الأغاني « أقول لإبراهيم » . وأورد منشأ هذه الأبيات مختصراً فقال :

لما قدم الحجاج الكوفة صعد المنبر وأعد أهلها وهلّدهم ، ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبى صفرة ، وأقسم إن وجد منهم أحداً

(١) ط : « يدى الدهر » ش : « يدا الدهر » ، والصواب ما أثبت . وفى اللسان : يد الدهر ،

أى الدهر . هنا قول أبى عبيد . وقال ابن الأعرابى : معناه لا آتية الدهر كله . قال الأعشى :

رواح العشى وسير الغنوّ يد الدهر حتى تلاق الخيلرا

١٧٦ اسْمُهُ فِي جَرِيدَةِ الْمَهْلَبِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ بِالْكَوْفَةِ قَتْلَهُ . فَجَاءَهُ عُمَيْرُ بْنُ ضَامِيٍّ
الْبَرْجُمِيِّ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنِّي شَيْخٌ لَا فَضْلَ فَيٍّ ، وَلِي ابْنٌ شَابٌّ جَلْدٌ ،
فَاقْبَلْهُ بَدْلًا مِنِّي . فَقَالَ أَبُو عَنَيْسَةَ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، هَذَا
جَاءَ إِلَى عَثْمَانَ وَهُوَ مَقْتُولٌ فَرَفْسَهُ وَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ ! فَقَالَ لَهُ
الْحِجَااجُ : فَهَلَّا يَوْمَئِذٍ بَعَثْتَ بَدْلًا ؟ يَاحْرَسُيْ أَضْرَبْتُ عُنُقَهُ ^(١) فَسَمِعَ الْحِجَااجُ
ضَوْضَاةً فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : هَذِهِ الْبَرَاكِمُ جَاءَتْ لَتَنْصُرَ عُمَيْرًا . فَقَالَ :
أَتُحْفَوُهُمْ بِرَأْسِهِ ! فَوَلُّوا هَارِيرِينَ ، فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْجِسْرِ لِلْعُبُورِ لِلْمَهْلَبِ
حَتَّى غَرِقَ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ الْأَسَدِيُّ :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتَهُ ... (الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ) .

وَالْمُنْصِبُ : اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَنْصَبَهُ أَيْ أَتَعَبَهُ . وَالْمَتَشَعَّبُ أَيْضًا : اسْمُ
فَاعِلٍ مِنْ تَشَعَّبَ ، أَيْ تَفَرَّقَ .

وَقَوْلُهُ : « تَجَهَّزْ فِيمَا » إِيْلَ أَيْ تَهَيَّأْ لِأَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ : إِمَّا يَقْتُلُكَ
الْحِجَااجُ كَمَا قَتَلَ عُمَيْرًا وَإِمَّا تَلْحُقُ الْمَهْلَبَ .

وَقَوْلُهُ : « هُمَا نُحْطِئْنَا خَسِيفٌ » إِيْلَ الْحُطَّةِ بِالضَّمِّ : الْحَالَةُ . وَالْخَسْفُ
بِفَتْحٍ الْمَعْجَمَةُ : الدَّلُّ . وَنَجَاؤُكَ ، أَيْ خِلَاصُكَ . وَالْحَوْلَى ، هُوَ مَنْ كُلُّ
ذِي حَاقِرٍ مَا اسْتَكْمَلَ سَنَةً وَدَخَلَ فِي الثَّانِيَةِ . وَالْأُنْثَى حَوْلِيَّةٌ ، وَأَرَادَ
بِهِ هُنَا الْمُهْرَ . وَالْأَشْهَبُ مِنَ الْخَيْلِ وَغَيْرِهِ : مَا غَلَبَ بَيَاضُهُ عَلَى سُوَادِهِ .
وَمِنَ الثَّلَجِ صِفَةُ أَوَّلَى الْحَوْلَى ، وَهُوَ بِالضَّمِّ جَمْعُ أَثْلَجٍ ، وَهُوَ الْفَرَحَانُ

(١) وَيُرْوَى : « أَضْرَبَا عُنُقَهُ » عَلَى إِرَادَةِ نَوْنِ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ الَّتِي تَقْلِبُ أَلِفًا فِي الْوَقْفِ ، ثُمَّ
يَجْرِي الْوَصْلُ بِجَرَى الْوَقْفِ .

النشيط . ومُرَادُهُ بهذا الفرار ، كما قرَّ سَوَّار بن المضَرَّب السَّعْدِي من الحجاج يومئذ ، وقال :

أَقَاتَلَى الحَجَّاجُ إِنْ لَمْ أُزَّرْ لَهُ دَرَابٍ وَأَتَرَكَ عِنْدَ هِنْدٍ قَوَادِيَا ^(١)
فَإِنْ كَانَ لَا يَرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطْرِئٍ مَا إِخَالُكَ رَاضِيَا
إِذَا جَاوَزْتَ دَرَبَ الْمَجِيرِينَ نَاقَتِي فَبَاسَتْ أُنَى الْحَجَّاجِ لَمَّا ثَنَانِيَا
أُيْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا

ومَمَّنْ هَرَبَ مِنْهُ : مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ الْمَازِنِيُّ ، وَقَالَ :

فَإِنْ تُنْصَفُونَا يَا لَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَادْنُوا بِيَعَادِ
فَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أَوْطِنَتْ كِبَلَادِ
فَمَاذَا تَرَى الْحَجَّاجَ يَبْلُغُ جِهَتَهُ إِذَا نَحْنُ جَاوِزْنَا خَفِيرَ زِيَادِ
فَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ابْنُ يَوْسُفَ كَمَا كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ إِيَادِ

وقوله : « فَمَا إِنْ أَرَى » إلخ إن زائدة ، والحجاج مفعول أول لأرى ، وجملة يغمد سيفه في موضع المفعول الثاني . وأغمد سيفه : أدخله في غمده بالكسر ، أى قرابه . وَيَدُ الدَّهْرِ ^(٢) ، بفتح المثناة التحتية بمعنى مدى الدهر ، بالميم بدلها . وقوله : « حَتَّى يَتَرَكَ » حَتَّى بمعنى إِلَّا .

وقوله : « فَأُضْحِي وَلَوْ كَانَتْ خِرَاسَانِ » الفاء سببية تسبب ما بعدها عن قوله : تَجَهَّزْ فَإِذَا أَنْ تَزُورَ ... البيت . وأضحى من الأفعال الناقصة

(١) دراب ، هى درابجرد : كورة بفارس .

(٢) فى النسختين : « يدى الدهر » . والوجه ما أثبت . وانظر ما سبق من الحواشى فى

واسمها ضمير عبد الله أو إبراهيم ، وجملة رآها خبرها . وقد مرَّ أنَّ الشارح المحقق استشهد بقوله :

* وكان طوى كشحاً على مستكنة ^(١) * .

على وقوع الماضي خبراً للأفعال الناقصة ، وعلى هذا تكون لو وصليّة لا جواب لها ، وعليه المعنى ، فإنه يريد أنَّ عبد الله صار كأنه رأى خراسان مكان السُّوق قريبة منه ، أو هي أقرب من السوق ، فذهب إليها من غير تأهُّب واستعداد ، لشدة خوفه من الحجاج ، وإن كانت خراسان في نفس الأمر دونه بمراحل .

١٧٧

وزعم أبو على (في إيضاح الشعر) أنَّ خير أضحى محنوف ، فتكون لو شرطية ورآها جوابها . ولا يخفى ركافة الشرطية . وهذه عبارته :

« فأما خير أضحى فمحنوف تقديره : فأضحى مشمراً أو مجلداً أو نحو ذلك ، ممّا يدلُّ عليه ما تقدّم » . انتهى .

وخراسان : ولاية واسعة تشتمل على أمهات من البلاد ، منها نيسابور ، وهرة ، ومرو ، وبلخ . واختلفت في تسميتها بذلك ، فقال دَغفل النسابة : خرج خراسان وهيطل ابنا عابر ^(٢) بن سام بن نوح عليه السلام ، لما تبلبلت الألسن ببابل ، فنزل كل واحد منهم في البلد المنسوب إليه . يريد أنَّ هيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة ، وهو ماوراء نهر جيحون . ونزل

(١) في الشاهد ٢٤٦ أول الجزء الرابع .

(٢) ش : عالم ، تحريف . وفي القاموس (عبر) : « وعاير كهاجر : ابن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام » .

خراسان في البلاد المذكورة ، فسمي كل بقعة بالذي نزل بها .

ونقل أبو عبيد البكري (في المعجم) عن الجرجاني أنه قال : معنى خُرّ : كُـل ، وآسان معناه سهل ، أي كُـل بلا تعب . وقال غيره : معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس . انتهى .

وقوله : « دونه » أي دون عبد الله . ودون بمعنى أمام . وزعم المبرد (في الكامل) أن الضمير للسفر المفهوم من المقام . وقال : يعني دون السفر . رآها مكان السوق للخوف والطاعة . وهذا كلامه ^(١) ولم يفسر من هذا الشعر غير هذا . « ومكان » ظرف ، والسوق مؤنث سماعي ، وتذكر ، وهو محل البيع والشراء ، وهي ضمير خراسان ، وأقرب أفعال تفضيل منصوب على الظرفية ، وهو وعامله خبر هي ، والألف للإطلاق .

روى صاحب الأغاني أن ناظم هذه الأبيات لما قفل من حرب الأزارقة جاء يوماً إلى الحجاج وهو بقنطرة الكوفة يُعرض عليه الجيش ، وجعل يسأل عن رجل رجل ، فمر به ابن الزبير فسأله من هو ، فأخبره ، فقال : أنت الذي تقول :

تَخَيَّرَ فإِذَا أَن تَزُورَ ابْنَ ضَايِيءَ عَمِيرًا وَإِنَّمَا أَن تَزُورَ الْمُهَلَّبَا

قال : بلى . فقال الحجاج : فامض إلى بعثك . فمضى فمات بالري .

(١) ش : « هذا كلامه » .

وتقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة ^(١) .

وهذه الوقعة وقعة الخوارج ، وكان أميرهم قَطَرِيٌّ بن الفُجاءة ، وكان ثَغْلَب على شِيرَاز وكَاذُرُون ومايلها ، في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الملك أَمْرَ أمير الكوفة أخاه ، وهو بشر بن مروان ، أَنْ يُولِيَ المهلب بن أبي صُفْرة لقتال الخوارج ، فولّاه وأَمَّه بجيش من الكوفة كبيرهم عبد الرحمن ابن مِخْنَف ، وكانوا ثمانية آلاف رجل ولحقوا بالمهلب . وبعد شهر ^(٢) مات بِشَر ، فلما تسامعوا بموته تسلّلوا من عند المهلب وجاءوا إلى الكوفة .

ثم إِنَّ عبد الملك بن مروان وَلَّى الحجاج موضع أخيه ، وأمره أَنْ يُمَدَّ المهلب ، فلما جاء الحجاجُ إلى الكوفة صَعِد المنبر وحثَّ أهل الكوفة باللّحاق إلى المهلب ، وهتّداهم وأعطاهم أرزاقهم ، وحلف أَنْ وجد أحدًا منهم بعد ثلاثة أيام ليضربن عنقه . فهابه الناس وتسارعوا في السّفر .

وقد فصلّ المبرد (في الكامل) هذه الأخبارَ والحروبَ وما قيل فيها من الأشعار ، وشرّحها .

وللحجاج خطبةٌ بليغة قالها على المنبر حين دخوله الكوفة أميرًا عليها ، ستأتى إن شاء الله مشروحة في أفعال المقاربة عند شعر عمير بن ضامئ .

١٧٨

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٢) ش : « أشهر » ، وما أثبت من ط يطابق ما في الكامل ٦٦٤ ، وفيه : « فلم يمكث براهمرمز إلا شهرًا حتى أتاه موت بشير ، فاضطرب الجند على ابن مخنف » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الخمسمائة :

٥٠٨ (فبينما نسوس الناس والأمم أمرنا

إذا نحن فيهم سوقة نتنصف ^(١))

على أن الأغلب مجيء إذا الفجائية في جواب بينا ، كما في البيت .

وقد تقرن الفاء الزائدة بإذا ، كما قال ابن عبدل ، وهو من شعراء

الحماسة :

بيناهم بالظهر قد جلسوا يوماً بحيث تُنزع الذُبُع ^(٢)

فإذا ابن هند في مواكبه تهدي به خطارة سُرُح ^(٣)

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : يوماً منصوب لأنه بدل من بينا ، ألا ترى أن معناه بين أوقات هم قد جلسوا ، وذلك التين هو اليوم الذي أبدله منه ^(٤) . وليس يعنى باليوم المقدار المعروف من طلوع الشمس إلى غروبها ، وإنما يريد الوقت مبهماً لا يخص به مقداراً من الزمان . وقد يكون برهة من الدهر تشتمل على الأيام والليالي . وزاد الفاء في قوله : « فإذا » ، وإنما أراد : بيناهم كذلك إذا ابن هند قد فعل كذا . انتهى .

(١) أمال ابن الشجرى ٢ : ١٧٥ والمغنى ٣١١ ، ٣٧١ والهمع ١ : ٣١١ والحماسة بشرح المرزوق ١٢٠٣ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوق ١٧٨٣ ومعجم البلدان (الظهر) والرواية فيها : « ينزع » بالياء . والذبح ، كزفر : نبت له أصل يفتش عنه ويخرج كالجزر ، ويقشر عنه جلد أسود ، وهو حلو يؤكل . والظهر ، بالفتح : موضع كانت به وقعة بين عمرو بن تميم وبنى حنيفة .

(٣) في الحماسة : « نهوى به » ، أى تسرع . وتهدى ، بالدال بمعنى تقدم . وهى بالدال رواية ابن جنى في التنبيه على الحماسة الورقة ٢٤١ .

(٤) وكذا في التنبيه لابن جنى . وفى ش : « أبدل منه » .

ويؤخذ منه أنَّ بينا يجوز اقتران جوابها بإذا ، وإنَّ أبدل منها ظرفُ زمانٍ آخر .

وقول الشارح المحقق : « ولا يجيء بعد إذا للمفاجأة إلاَّ الفعل الماضي » ، أراد : مع بينا وبينما ، وهو الظاهر كقوله :

* فبينما العسر إذ دارت مياسير ^(١) *

وأما مع غيرهما فلا تأتي للمفاجأة . قال أبو حيان (في الارتشاف) : وتأتي إذ للمفاجأة . قال سيبويه : بينا كذا إذ جاء زيد . فهذا لما يوافقه ويهجم عليه . انتهى . ولا تكون للمفاجأة إلاَّ بعد بينا وبينما . انتهى وكذلك قال ابن هشام (في المغنى) : تكون إذ للمفاجأة ، نصُّ عليه سيبويه ، وهى الواقعة بعد بينا وبينما .

وأجاز الرضئ مجيئها لها في غير جوابهما ، فيما يأتي قبل إيراد قوله : « بينا تعثقه الكماة ... » البيت الآتى ، فقال : وقد تجيء إذ للمفاجأة في غير جواب بينا وبينما ، كما في قولك : كنت واقفاً إذ جاءنى عمرو .

هذا كلامه ، وهذا يحتاج إلى إثباته بكلام من يؤثّق به . قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : قوله بينا نسوس الناس إلخ ، أراد بين فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً . قال أبو على : أصله بين أوقات نسوس الناس ، والعامل فى بينا ما دلَّ عليه قوله :

* إذا نحن فيهم سوقة نتصّف *

ألا ترى أنَّ معناه بين هذه الأوقات خدّمنا الناس وذللّنا ، كما

(١) لعثان بن لييد العنرى . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٥٨ . وصدّره :

• استقر الله خيرا وارضين به •

أَنَّ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصْبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (١) تأويله : قنطوا . فَوُقوع إذا هذه المكانية جواباً للشرط من أقوى دليل على قوة شبهها بالفعل . وإذا هذه منصوبة بالفعل بعدها ، وليست مضافة إليه . وكذلك إذ التي للمفاجأة في نحو قوله :

بينما الناس على عليائها إذ هووا في هوةٍ منها فغاروا
إذ منصوبة الموضع بهووا (٢) .

وقال أيضا (في سر الصناعة) : أشبع الفتحة في بينا فحدث بعدها ألف . فإن قيل : فالأم أضاف بين وقد علمنا أن هذا الظرف لا يضاف من الأسماء إلا إلى ما يدل على أكثر من الواحد ، وما عطف عليه غيره بالواو ، نحو المال بين زيد وعمرو ، وقوله : نسوس الناس جملة ، والجملة لا مذهب لها بعد هذا الظرف ؟ فالجواب : أن ههنا واسطة محذوفة ، والتقدير : بين أوقات نسوس الناس خدمننا ، أي خدمننا بين أوقات سياستنا الناس ، والجملة مما يضاف إليها أسماء الزمان ، نحو أتيتك زمن الحجاج أمير . ثم إنه حذف المضاف الذي هو أوقات ، وأولى الظرف الذي كان مضافا إلى المحذوف الجملة التي أقيمت مقام المضاف إليها ، كقوله عز وجل : ﴿ واسئَلِ الْقَرْيَةَ (٣) ﴾ أي أهلها . هكذا علقت عن أبي على في تفسير هذه اللفظة وقت القراءة عليه ، وقُل من يضبط ذلك ، إلا من كان متقنا

(١) الآية ٣٦ من سورة الروم .

(٢) بعده في إعراب الحماسة ١٧٢ : « وليست كاذ الزمانية في نحو قولك : إذ قتت » .

(٣) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

أصيلاً في هذه الصناعة . انتهى .

وهكذا كل من شرح بينا قال : الألف نشأت عن إشباع الفتحة . وزعم الفراء أنَّ أصل بينا وبينما فحذفت الميم . قال أبو علي : هذا لا يُعرف إلا بوحى أو خبر نبي . كذا نقل ابن جنى في شرح هذا البيت .

وقال زين العرب ^(١) (في أوّل شرح المصاييح) : وقول الجوهري نشأت الألف من إشباع الفتحة ففيه نظر ، وهو أنَّ الألف إنَّما تتولد من الفتحة في القافية . والحقُّ أنَّ بينا أصله بيناً بالتنوين ، والتنوين فيه للعرض عن المضاف إليه المخنوف . وهو الأوقات ، ثمَّ أُبدل الألف من التنوين في الوصل إجراءً للوصل مجرى الوقف ، فثبتت الألف ثبوتها في الوقف بدل التنوين . وأمَّا بينما فما فيه بمعنى الزمان فلا حذف فيه ، أو ما فيه زائدة [بين المضاف ^(٢)] والمضاف إليه . انتهى .

وعلى هذا فالألف بينا عوض العوض . ومثله غير معروف . ويقضى أيضاً أنَّ يكون بينا غير مضاف إلى الجملة .

وقول الشارح المحقق : « لَمَّا قُصِدَ إلى إضافة بين إلى جملة زادوا عليه ما الكافّة ، أو أشبعوا الفتحة ^(٣) » . يريد أنَّ ما والألف كفتا بين عن الإضافة إلى المفرد ، وهيّاها للإضافة إلى جملة . وهذا

(١) اسمه علي بن عبد الله بن أحمد . قال في كشف الظنون : « والذي في شرح على القارى أنه مصرى » . والمصاييح التالية هي مصاييح السنة للبقوى المتوفى سنة ٥١٦ .

(٢) تكملة ليست في إحدى النسختين .

(٣) هذه العبارة إنجازه شديد لما ورد في شرح الرضى ٢ : ١٠٦ .

شيء غريب ، والمشهور أنَّ الألف من إشباع الفتحة ، وبين مضافة إلى الجملة من غير تعرُّض لكفٍّ وتهيئة . وذهب بعضهم إلى أنَّ الألف زائدة من غير إشباع ، وهى كافَّة لبين عن الإضافة . كذا نقل ابن هشام في الألف اللينة (من المغنى) .

وقال أيضا في بحث ما الكافَّة للظروف عن الإضافة : إنَّ « ما » تكون كافَّة لبين عن الإضافة ، كقوله :

بينما نحنُ بالأراك معاً إذ أتى ركبٌ على جملة

وقيل : ما زائدة ، وبين مضافة إلى الجملة ، وقيل زائدة وبين مضافة إلى زمنٍ محذوفٍ مضافٍ إلى الجملة ، أى بين أوقات نحنُ بالأراك ، والأقوال الثلاثة فى بين مع الألف فى نحو قوله : فبيننا نسوسُ الناسَ ، البيت . انتهى .
أقول : صاحب القول الثانى لأبَدَ له من تقدير الأوقات ، فلا يباين القول الثالث . ولم يتنبه له شراحه .

وقوله : « والأقوال الثلاثة فى بين مع الألف » . فالأول تكون الألف كافَّة عن الإضافة . والثانى أنَّها زائدة وبين مضافة إلى الجملة . والثالث أنَّها زائدة وبين مضافة إلى الزمن المذكور .

ويَرُدُّ على هذا أيضاً ما ذكرنا ، والصواب أن القولين الأخيرين فيهما قولٌ واحد .

وقال زين العرب : هذه الألف عوض عن الأوقات المحذوفة ، وكذلك ما عوض عنها .

وهذا غير قوله الأول الذى جعله الحقُّ عنده .

والحاصل أنَّ فى ألف بينا خمسة أقوال :

أحدها : إشباعٌ لتهيئة بين للإضافة .
 وثانيها : أنَّها مجتلبة للكف عن الإضافة .
 وثالثها : أنَّها للعوض عن الأوقات المحذوفة .
 ورابعها : أنَّها بدلٌ من تنوين العوض .
 وخامسها : أنَّها بقيَّة ما . وهو أبعد الأقوال .
 والجيد ما ذهب إليه الشارح المحقق .

١٨٠

صاحب الشاهد

والبيتُ أوَّلُ بيتين لحُرقة بنت النعمان بن المنذر ، أوردهما أبو تمام في
 (الحماسة) ، والرواية : « بينا نسوس » بإسقاط الفاء على الحزم . والثاني :
 (فأفٌ لَدُنْيا لا يَلُومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتِ بنا وتَصَرَّفُ)
 تقول : بينا نستَخْدِمُ الناسَ وَندبِرُ أمورهم ، وطاعتنا واجبةٌ عليهم ،
 وأحكامنا نافذة ، تَقَلَّبَتِ الأمورُ وَاتَّضَعَتِ الأحوالُ ، وصرنا سُوقَةً تَخْدُمُ
 الناسَ .

و (نَسُوس) من ساسَ زَيْدٌ الأمرَ يسوسه سياسةٌ : دَبَّرَهُ وقامَ بأمره .
 والسياسة لفظة عربية خالصة ، زعم بعضهم أنَّها معرَّبٌ سِيَّ يَسَا ، وهى لفظة
 مُركَّبة من كلمتين ، أولاهما أعجمية ، والأخرى تركية . فسهُ بالفارسية ثلاثة ،
 ويسا بالمُعَلَّية الترتيب ، فكأنَّه قال : التراتيب الثلاثة .

قال : وسببه (على ما فى النجوم الزاهرة ^(١)) أن جَنْكِرخان

(١) ش : « ما هو فى النجوم الزاهرة » . وانظر النص التالى فى النجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٨ فى

الملعون ، مِلِكُ الْمُعَلِّ ، قَسَمَ ممالكه بين أولاده وأوصاهم بوصايا أن لا يخرجوا عنها ، فجعلوها قانونًا فسَمَّوها بذلك . ثم غَيَّرَها ^(١) فقالوا : سياسة .

وهذا شيء لا أَصَلَ له ؛ فإنها لفظة عَرَبِيَّةٌ متصرفَةٌ تكَلَّمَت بها العرب قبل أن يُخْلَقَ جَنْكِزخان ، فإنه كان في تاريخ السُّتَمَائَةِ ، وصاحِبَةُ هذا البيت قبله بأربعمائة سنة . نعم لو قيل أفريدون بدل جَنْكِزخان لكان له وجه ، فإنه قَسَمَ مملكته بين أولاده الثَّلاث : سَلَمَ ، وتور ، وإِيرَج ^(٢) ، ورَبَّ لهم قوانين ثلاثة .

وقولها : (والأمر أمرنا) فيه قصر إفراد ، تُرِيدُ : لا أحد يشاركنا في السُّلْطَنَةِ ولا يد فوق أيدينا . و (السُّوقَةُ) بالضم ، قال الحريري (في درة الغواص) : ومنه أيضًا توهُمهم أن السُّوقَةَ اسمٌ لأهل السُّوق . وليس كذلك ، بل السُّوقَةُ الرعيَّةُ . سُمُّوا بذلك لأنَّ الملك يسوقهم إلى إرادته . ويستوى لفظ الواحد والجماعة فيه ، فيقال : رجل سُوقٌ وقومٌ سوقة ، كما قالت الحرقة بنت النعمان : فبينا نسوق الناسَ البيت . فأما أهل السُّوق فهم السُّوقيون ، واحدهم سُوقِيٌّ ، والسُّوقُ في كلام العرب تذكر وتؤنث . انتهى

والمشهور في رواية البيت : « بينا نسوس » بدل « نسوق » .

ومثله (في لحن العامة للجوالقي) قال : يذهب عوامُ الناس

(١) في النجوم الزاهرة : « وانتشر ذلك في سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام ، وصاروا يقولون : سى يسا ، فنقلت عليهم فقالوا سياسة ، على تحاريف أولاد العرب في اللغات الأعجمية » .

(٢) في الطبرى ١ : ٢١٢ أنه كان له ثلاثة بنين ، اسم الأكبر سلم ، والثاني طوج ، والثالث أيرج . وانظر بقية الخبر فيه .

إلى أَنَّ السُّوقَةَ أهل السوق ، وذلك خطأ ، إِنَّمَا السُّوقَةُ من ليس يملك ، تاجرًا كان أو غير تاجر ، بمنزلة الرعية . وسمُّوا سوقة لأنَّ الملك يسوقهم فينساقون له ، ويصرفهم على مراده . يقال للواحد : سوقة وللاثنتين : سوقة . ورُبَّما جُمع سوقًا . قال زهير :

يطلب شأوَ امرأتين قَدَّما حَسَنًا نالا الملوك وبِذَا هذه السُّوقَا ^(١)

وأما أهل السوق فالواحد سوقِيٌّ ، والجماعة سوقِيَّون . انتهى .

ونقل الصاغاني (في العباب) هذه العبارة ، وزاد : « ويستوى فيه المذكر والمؤنث » .

و (نتنصّف) بالبناء للفاعل ، أى نَحْذُم . قال ابن السكيت : نصفهم ينصفهم وينصفهم بضم الصاد وكسرهما نصافاً ونصافة بكسرهما ، أى خدمهم . وكذلك تنصّف . والناصف : الخادم ، والجمع نصّف بفتحتين ، وكذلك المِنِصَف بفتح الميم وكسرهما : الخادم ، والجمع مناصف . وظاهر تفسير ابن الشجري إتياء بقوله : « أى نُستخدَم » ، أنه بالبناء للمفعول . ووقع في بعض نسخ مغنى اللبيب « ليس نُنصَف » بدل ننتصف ، أى نُعامل بالإنصاف . ولم أر من روى كذا .

١٨١

وقولها : « فَاُفْ لُدُنْيَا » إلخ أى تحقيراً لُدُنْيَا نعيمها يزول ، وجمالها لا يدوم ، بل تتحوّل وتقلب بأهلها . وتَقَلَّبُ وتَصَرَّفُ كلاهما مضارع والأصل : تتقلَّب وتتصرَّف ، أى تتغير . وَاُفْ بكسر الفاء وفتحها

(١) ط : « وهنا بنة السوق » ، صوابه في ش وديوان زهير ص ٥١ .

وضمها . وفيها لغات شرحها ابن جنى (فى إعراب الحماسة) .

وحُرْقَة ، بضم الحاء وفتح الراء المهملتين بعدها قاف ، وهى بنت حرقة بنت النعمان
النعمان بن المنذر اللخمي ، ملك الحيرة بظهر الكوفة . وهى امرأة شريفة
شاعرة . كذا ذكرها الأمدى (فى المؤلف والمختلف ^(١)) . وأنشد لها هذين
البيتين .

ولحرقة هذه أُمُّ اسم « حُرَيْق » مصغر اسمها . قال هانئ بن قبيصة
يوم ذى قار :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ نُسَلِّمُ الْحَلَقَةَ وَلَا حُرَيْقًا وَأُخْتَهُ حُرْقَةَ
حَتَّى يَظُلَّ الرَّئِيسُ مِنْجَدَلًا وَيَقْرَعُ السَّهْمُ طُرَّةَ الدَّرَقَةِ ^(٢)

كذا ذكرها العسكري (فى كتاب التصحيف) وأنشد لها البيتين
وقال : ولها خبر مع سعد بن أبى وقاص .

وذكرها الجاحظ (فى كتاب المحاسن والمساوى) قال : زعموا أن زياد
ابن أبيه مرَّ بالحيرة فنظر إلى ذبير هناك ، فقال لخدامه : لمن هذا ؟ قال : دير
حُرْقَة بنت النعمان بن المنذر . فقال : ميلوا بنا لنسمع كلامها . فجاءت إلى
وراء الباب فكلَّمها الخادم فقال لها : كلِّمى الأمير . قالت : أَوْجِزُ أَمْ أُطِيلُ ؟
قال : بل أَوْجِزِ . قالت : كُنَّا أَهْلَ بَيْتٍ طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَيْنَا وَمَا عَلَى
الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعَزُّ مِنَّا ، فَمَا غَابَتْ تِلْكَ الشَّمْسُ حَتَّى رَحِمْنَا عَدُوَّنَا . قال :

(١) المؤلف والمختلف ١٠٣ . وكلمة « والمختلف » ساقطة من ش . وعبرة « ملك الحيرة

بظهر الكوفة » ، ليست فى نصه . كما أن وجهها : « بظاهر الكوفة » .

(٢) ط : « يظل الرئيس » ، صوابه فى ش والتصحيف للعسكري ٣٨٢ .

فأمر لها بأوساق من شعير ، فقالت : أطعمتك يدُ شَبَعِي جاءت ،
ولا أطعمتك يدُ جوَعِي شَبِعت . فسُرَّ زيادُ بكلامها فقال لشاعرٍ معه : قَيِّدْ
هذا الكلام لا يَلُرُسْ^(١) . فقال :

سل الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قَدِمًا ولا تَسَلْ فتى ذاق طعم الخير منذ قريبٍ

ويقال إنَّ فروة بن إياس بن قبيصة انتهى إلى دَير حُرقة بنت النعمان ،
فألَّفَها وهي تبكى ، فقال لها : ما يُكيكِ ؟ قالت : ما مِن دارٍ امتلأتْ
سرورًا إلَّا امتلأتْ بعد ذلك ثُبورًا ! ثم قالت :

فبينا نسوسُ النَّاسَ والأمرُ أمرنا البيتين

قال : وقالت حُرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقَّاص : لا جَعَلَ اللهُ
لك إلى لئيم حاجة ، ولا زالت لِكريمٍ إليك حاجة ، وعَقَدَ لك المِنَنَ في أَعناقِ
الكرام ، ولا أزال بك عن كريمٍ نعمة ، ولا أزالها عنه بغيرك إلَّا جعلك سببًا
لرُدِّها عليه . انتهى .

وأورد خير سعد بن أبي وقَّاص معها بأنَّ من هذا المعافى بنُ زكريَّا (في
كتاب الجليس) بسنِّه إلى حَسَّان بن أبان قال : لَمَّا قدم سعدُ بن أبي وقَّاص
القادسيَّةَ أميرًا أُنْتُه حُرقة بنتُ النُّعْمان بن المنذر ، في جَوارٍ كلُّهن مثلُ رِيِّها ،
يطلبن صِلته . فلمَّا وقفن بين يديه قال : أَيْتَكُنَّ حُرقة ؟ قلن : هذه . قال لها :
أنت حُرقة ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك استفهامي^(٢) ؟ إنَّ الدنيا دار زوال ،
وإنَّها لا تلبث على حال ، إنَّا كنا ملوك هذا المِصر قَبْلَكَ ، يُجَبِّئُ إلينا خِراجُه^(٣) ..

(١) في المحاسن والأضداد ٨٧ : « ليرس » ، وما هنا صوابه .

(٢) تعنى سؤاله عنها مرتين .

(٣) ش : « يجيء إلينا خراجه » ، والوجه من ط .

ويطيعنا أهله زمانَ الدولة ، فلما أدبر الأمرُ وانقضى ، صاح بنا صائح الدهر
فصدع عصانا ، وشئتَ ملأنا . وكذلك الدهر يا سعد ، إنه ليس من قوم
بسرور وخبرة إلا والدهر مُعقِبُهُمْ حَسْرَةً ! ثم أنشأت تقول :

١٨٢

فبينما نسوسُ النَّاسَ والأمرُ أمرنا البيتين

فقال سعد : قاتل الله عدىَّ بنَ زيد ، كأنه ينظر إليها ^(١) حيث
يقول :

إنَّ للدهرِ صَوْلَةً فأحذرَها لا تبيتَنَّ قد أمنت السُّرورا ^(٢)
قد بيت الفتى مُعافى فِيرَا ولقد كان آمنا مسرورا ^(٣)

وأكرمها سعدٌ وأحسن جائزتها ، فلما أرادت فراقه قالت له : حتَّى
أحييك بتحية أُملاكنا بعضهم بعضًا : لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ،
ولا زال لكرمك عندك حاجة ، ولا نزع من عبيد صالح نعمة إلا جعلك سببًا
لردّها عليه ! فلما خرجت من عنده تلقاها نساء المصر فقلن لها : ما صنع
بك الأمير ؟ قالت :

حاط لى ذِمَّتى وأكرم وجهى إنما يُكرم الكريمَ الكريمُ ^(٤)
انتهى نقله من شرح أبيات المغنى للسيوطى ^(٥) .

(١) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٤٦ : « كأنه كان ينظر إليها » .

(٢) فى الديوان ٦٤ : « قد أمنت الدهورا » . وفى شرح شواهد المغنى : « قد أمنت
الشُرورا » .

(٣) فى الديوان : « قد ينام الفتى صحيحا فيردى » .

(٤) ورد هذا البيت فى النسختين منشورا ، وإنما هو بيت من بحر الخفيف . وفى شرح شواهد
المغنى للسيوطى : « إنما يُكرم الكريمَ الكريمَا » .

(٥) شرح شواهد المغنى ٢٤٦ - ٢٤٧ .

ونسب ابن الشجرى (فى أماليه) هذين البيتين إلى هند بنت النعمان ابن المنذر . ولعل حرقه يكون لقباً لهند أو أختها لها . قال : هند بنت النعمان ، لها دَيْرٌ بظاهر الكوفة باقٍ إلى اليوم . ولما كان المغيرة بن شعبة الثقفى والياً بالكوفة من قبل معاوية - وكان أحد دهاة العرب - أرسل إلى هند بنت النعمان بخطبها ، وكانت قد عميت ، فأبَتْ وقالت : والصليب ما فى رغبة لجمال ، ولا لكثرة مال ، وأتى رغبة لشيخ أعور فى عجوز عمياء ! ولكن أردت أن تفخر بنكاحى فتقول : تزوّجْتُ بنتَ النعمان بن المنذر ! فقال : صدقتِ والله . وأنشأ يقول :

أدركت ما منيتُ نفسى خالياً لله درك يا ابنة النعمان
فلقد رددت على المغيرة ذهنه إنَّ الملوك ذكيَّة الأذهان (١)
إننى لِحلفك بالصليب مصدِّق والصُّلبُ أصدق حِلْفة الرُّهبان !

وكانت بعد ذلك تدخل عليه فيكرمها ويبرها . وسأها يوماً عن حالها فأنشدت :

بيننا نسوسُ الناس والأمرُ أمرنا البيتين
وروى أنَّ المغيرة هذا أدمى ثمانين بكراً ، ومات بالكوفة وهو أميرها ، بالطَّاعون سنة خمسين . انتهى .

وأوردَ هنذا هذه إسماعيل الموصلى (فى كتاب الأوائل) قال : أوَّل امرأة أُحِبَّت امرأةٌ فى العرب هند بنتُ النعمان بن المنذر ، كانت تهوى زرقاء اليمامة ، فلما قُتلت الزرقاء ترهَّبت هند ولبستِ المسوح ، وبنت

(١) فى الأغاني : « نقيّة الأذهان » ، وفى رواية أخرى عنده : « بطية الإذعان » .

وبنت لها ديراً يعرف بدير هند إلى الآن ، وأقامت به حتى ماتت .
 كذا ذكر أبو الفرج الأصبهاني (في كتاب الأغاني الكبير) (١) . وفيه
 نظر ، فإنَّ هند بنت النعمان ماتت في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ،
 وزرقاء اليمامة من جديس ، ولهم خبر مع طَسَم ، وكانوا في زمن ملوك الطوائف ،
 وبينهما زمان طويل . فما أعلم من أين وقع لأبي الفرج هذا . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ)

تمامه :

* شَلًّا كَمَا يَطْرُدُ الْجَمَّالَةَ الشُّرْدَا *

على إن إذا فيه زائدة . وقد تقدّم الكلام عليه مفصلاً قريباً (٢) .

* * *

١٨٣

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الخمسمائة :

٥٠٩ (بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْكُمَا وَرَوْغُهُ يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيٌّ سَلْفَعُ) (٣)

على أنَّه يجوز إضافة بينا دون بينا إلى المصدر ، كما في البيت . والأعرف
 الرفع على أنَّه مبتدأ محذوف الخبر ، أي تعنقه حاصل .
 أقول : الأولى أن يقول حاصلان ، لأنَّ قوله وروغه معطوف على تعنقه .
 وقوله : يجوز إضافة بينا إلى المصدر ، يعنى إلى الأسماء المفردة

(١) الأغاني ٢ : ٣١ .

(٢) انظر الشاهد ٥٠٦ ص ٣٩ .

(٣) جمل الزجاجي ٢٩٤ والخصائص ٣ : ١٢٢ وابن عيش ٤ : ٣٤ ، ٩٩ والمغني ٣٧١ ،

٥٢٢ والممع ١ : ٢١١ والمفضليات ٢٤٨ والمهذلين ١ : ١٨ .

إذا كان فيها معنى الفعل ، حملاً على معنى حين ، كقولك : بينا قيام زيد أقبل عمرو ، أى حين قيام هذا أقبل ذاك . فإن وقع بعدها اسمُ جوهرٍ لم يكن إلا رفْعاً ، نحو : بينا زيدٌ في الدار أقبل عمرو ، لأنها ظرف زمان ، فلا تضاف إلى جثة كما لا تكون خبراً عنها .

والبيت لأبي ذؤيب الهذلي ، من قصيدته المشهورة التي رثى بها أولاده ،
صاحب الشاهد
وكانوا خمسةً وهلكوا في عام واحد ، أصابهم الطاعون ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر .

وقد تقدّم شرح بعضٍ منها في الشاهد السابع والستين (١) .

قال الإمام المازني في شرح هذه القصيدة : روى الأصمعي : « بينا تعثقه وروغه » مجروراً . وكان يقول : بينا يضاف إلى المصادر خاصة . والنحويون يخالفونه ويقولون : بينا وبيننا عبارتان للحين ، وهما مهمتان لا تضافان إلا إلى الجمل التي تبيينها . فإذا قلت بينا أنا جالس طلع زيد ، فالمعنى حين أنا جالس أو وقت أنا جالس طلع زيد . وذكر سيبويه خاصة أن إذ تقع بعدها للمفاجأة تقول : بينا نحن نسير إذ أقبل زيد . وكثير من النحويين والأصمعي ينكرون هذا ويقولون : لا حاجة إلى إذ ، ألا ترى أنك تقول : حين زيد جالس قام عمرو . وبيننا بمنزلة حين . قالوا : وأشعارهم وردت بلا إذ . ومما استشهدوا به بيت أبي ذؤيب هذا وغيره . ومما يستشهد به لسيبويه قوله (٢) :

(١) الخزانة ١ : ٤١٨ - ٤٢٤ .

(٢) هو جميل كما في الخزانة ٤ : ١٩٩ وشرح شواهد المغني ١٢٦ ، وديوان جميل ١٨٨ .

بينما نحن بالكُتَيْب ضَحَى إِذْ أَنَى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ
فَأَمَّا الْخِلَافُ الْأَوَّلُ فَمَنْ شَرَطَ الْأَزْمَنَةَ أَنْ تَضَافَ إِلَى الْجَمَلِ وَتُشْرَحَ
بِهَا . وَرَوَايَةُ النُّحَوِيِّينَ وَالنَّاسِي : « بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْكِمَاءُ » فَيَرْتَفِعُ تَعْنُقُهُ بِالْإِبْتِدَاءِ ،
وَيَكُونُ خَبَرُهُ مُضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْأَبْطَالُ حَاصِلٌ مَعَهُودٌ ، وَمَعْتَمِدٌ
مَأْلُوفٌ ، أُتِيحَ لَهُ يَوْمًا رَجُلٌ جَرِيءٌ . انْتَهَى .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ (فِي إِيضَاحِ الشَّعْرِ) : أَنَشَدَ ثَعْلَبُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَوْلَ
الشَّاعِرِ :

بَيْنَا كَذَلِكَ رَأَيْتَنِي مُتَلَفَعًا بِالْبُرْدِ فَوْقَ جُلَالَةِ سِرْدَاجٍ ^(١)

أَضَافَ بَيْنَا إِلَى الْكَافِ كَمَا يَضَافُ ^(٢) إِلَى الْمَصْدَرِ فِي قَوْلِهِ :

بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْكِمَاءُ وَرَوْغِهِ

وَكَمَا أُضِيفَتْ مِثْلُ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ :

* فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ ^(٣) *

وَلَا يَكُونُ الْكَافُ حَرْفًا لِأَنَّ الْأِسْمَ لَا يَضَافُ إِلَى الْحَرْفِ ، وَيَنْبَغِي
أَنْ يُجْعَلَ الْكَافُ بِمَنْزِلَةِ مِثْلٍ فِي أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ وَاحِدٍ ، كَمَا
أَنَّ مِثْلًا كَذَلِكَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ^(٤) ﴾ لِأَنَّ بَيْنَ
تَضَافَ إِلَى أَكْثَرٍ مِنْ وَاحِدٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْكَافُ زَائِدَةً

(١) لابن ميادة ، كما في الكامل ٢٩ ليسك والدرر اللوامع ١ : ١٧٩ .

(٢) ش : « كما تضاف » .

(٣) لحميد الأرقط ، كما في سيبويه ١ : ٢٠٣ .

(٤) الآية ١٤٠ من سورة النساء .

كزيادتها في قوله عز وجل : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(١) وذاك منجزة ، والمعنى الإضافة إلى ذاك ^(٢) . وقد أضيفت بين إلى المبهم المفرد في نحو قوله سبحانه : ﴿ عوانٌ بينَ ذلك ﴾ ^(٣) . فإن قلَّرت الإضافة إلى الفعل الذى هو رأيتنى كما أضافه الآخر إليه في قوله :

١٨٤

بيناً أنارَهم ثوى وأجذبهم إذا بُنُو صحيفٍ بالحقِّ قد وردوا

وكما أضيف إلى الجملة الاسمية في قوله :

بيناً نحنُ نطلبه أانا ^(٤) البيت

وفصلت بين المضاف والمضاف إليه بالطرف ، فهو وجه . انتهى .

وهذه القصيدة أوردها المفضل (في آخر المفضليات) . قال ابن الأنبارى (في شرحها) : وروى أبو عبيدة :

* فيما تعنقه الكماة ورؤغِه *

جعل ما زائلة صلة في الكلام ، أى بينا يقتل ويرaug إذ قُتل . وعلى هذا لا شاهد في البيت ، ويكون تعنقه مجروراً بـفى . وضمير تعنقه راجع للمستشعر في بيت قبل هذا بستة أبيات ، وهو :

(والدَّهر لا يبقى على حَدَثانه مستشعرٌ حلقَ الحديد مُقنَّع)

والدَّهر مبتدأ ، وجملة لا يبقى إلخ خبر المبتدأ . وعلى بمعنى مع ، والحدثان ، بالتحريك : مصلرٌ بمعنى الحدث والحادثة ، ومستشعر

(١) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٢) أى في * بينا كذلك ، في بيت ابن ميادة .

(٣) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٤) تمامه كما في سيويه ١ : ٨٧ مع نسبته إلى رجل من قيس عيلان :

• معلق وفضة وزناد راع •

فاعل يَنْقَى ، أى فارسٌ مستشعر ، وهو اسم فاعل من استشعر الثوب والدرع ، إذا لبسه شعاراً . والشعار بالكسر : الملبوس الذى يلى شَعْر الجسد . وروى : « متسريل » ، أى يَتَّخِذُهُ سربالاً . وحَلَقَ الحديد مفعول مستشعر ، وأراد به الدرع . والمقنَّع بفتح النون المشددة : الذى على رأسه المغفر أو بيضة الحديد ، قاله المرزوقى . وقال ابن الأنبارى : المقنَّع : اللابس المغفر . والمغفر : ثوبٌ تُغَطَّى به البيضة . والمقنَّع : الشاكُّ السلاح التامُّه . وحَلَقَ الحديد : حلق الدرع . ويروى : « سَمِيدَع » ، وهو السيد . انتهى .

وقوله : (بينا تعنَّقه) كذا فى جميع الروايات ، ووقع فى الشرح وفى جمل الزَّجَاجِى ^(١) وغيرهما : « تعانقه » بالألف . قال ابن السيد واللمخمي : هو خطأ ، والصواب تعنَّقه ، لأنَّ تعانق لا يتعدَّى إلى مفعول ، إنَّما يقال تعانق الرجلان ، والمعانقة والاعتناق . والتعنُّق هى المتعدِّية ، ومعنى الجميع الأخذ بالعنق . والاعتناق : آخر مراتب الحرب ؛ لأنَّ أوَّل الحرب الترامى بالسَّهام ، ثم المطاعنة بالرماح ، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم الاعتناق وهو أن يتخاطف الفارسان فيتساقطا ^(٢) إلى الأرض معاً . وقد ذكر ذلك زهير بن أبى سلمى فى قوله :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْعَنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقَا
أَرَادَ : أَنَّهُ يَزِيدُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ .

(١) ط : « الزجاج » ، صوابه فى ش . وقد طبع بتحقيق ابن أبى شنب بباريس ١٩٥٧ للمرة

الثانية .

(٢) ش : « فيتساقطان » .

و (الكماة) بالنصب مفعول تعنُّفه ، جمع كَمَى ، وهو الشُّجاع الذى ستر درعه بثوبه . قال أبو زيد (فى نوادره) : الكمى : الشديد الشجاع من كلِّ دابة .

وقوله : (ورؤغه) معطوف على تعنُّفه إن جرًّا وإن رفعا ، وهو بالغين المعجمة ، وهو حيدته عن الأقران يمينا وشمالا للتحفظ . قال اللخمي : ومن روي بالعين المهملة فمعناه الفرع .

وقوله : (يوما) هو بدل من بينا ، كما قاله ابن جنى فى قوله :

بيننا هُم بالظَّهر قد جلسوا يوما بحيث تُنزع الذُّبح ^(١)

وقد تقدّم بيانه قريبا فى شرح البيت الذى قبل هذا . وقال اللخمي : العامل فى يوم تعنُّفه ، ويحتمل أن يكون الروغ ، ويحتمل أن يكون أتيح ، والأول أقوى لترك تكلف التقديم . هذا كلامه . وقوله (أتيح) هو جواب بينا ، وهو العامل فيه بمعنى قُلِّرَ ، مجهول أتاح الله له الشئ أى قُدِّر له ، وهو بالحاء المهملة .

١٨٥

و (جرىء) ، بالهمز : فعيل من الجراءة . و (السِّلْفَع) كجعفر : الجريء الواسع الصدر . ويقال للمرأة إذا كانت جريئة سلفع . وقال المرزوقى : وأكثر من يوصف به النساء ، ويستعمل فيهن بغير هاء ، والمعنى : أن هذا المستشعر اللّرع حزما ، وقت معانقته للأبطال ومراوغته للشُّجعان ، قُدِّر له رجلٌ هكذا ، وقِيضَ له فارسٌ شجاع مثله ، فاقتلا حتى قتل كل واحد منهما صاحبه . ومراده أن الشجاع لا تعصمه جراته من الهلاك ، وإنَّ كلَّ مخلوق فالفناء غايته .

(١) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ٥٩ .

وأبو ذؤيب شاعرٌ إسلامي مخضرم ، تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع
والستين ^(١) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥١٠ (وكان إذا ما يَسْلُلُ السَّيْفَ يَضْرِبُ)

على أنَّ بعضهم قال : يجازى بإذا ما ، فيجزم الشرط والجزاء ، كما جزم
يُسْلِل ، وكسرة اللام لدفع التقاء الساكنين ، وَجَزَمَ يضرب ، وكسرة الباء
للروى . والرواية : « متى ما » ^(٣) .

قال شارح اللباب : قد نقل عن بعضهم أنَّه جَوَزَ الجزم بإذا مكفوفة
بما ، وأُنشد للفرزدق :

* وكان إذا ما يَسْلُلُ السَّيْفَ يَضْرِبُ *

ومن منعه قال : الرواية « متى ما يسلل » . انتهى .

ورواية « متى ما » ، هي رواية حمزة الأصهباني (في أمثاله) .

وذهب ابن يعيش (في شرح المفصل) إلى أنَّ الجزم بها في الشعر
قليل . وأُنشد هذا الشعر .

وقال أبو علي : كان القياس أنَّ تكفَّ ما إذا عن الإضافة ، كما
كفَّت حيث وإذ لَمَّا جُوزِيَ بهما ، إلَّا أنَّ الشاعر إذا ارتكب
الضرورة استجاز كثيراً مما لا يجوز في الكلام . وإنَّما جاز المجازاة بإداما في

(١) الخزائن ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٣٤ وحماسة البحرى ٢١٦ والدرة الفاخرة ٣٣٨ والأغاني ١٠ : ٢١
وديوان الفرزدق ٢٢ .

(٣) الذى في ابن يعيش والديوان : « وكان اذا ما » . لكن في الحماسة والدرة الفاخرة
والأغاني : « متى ما » .

الشعر لأنها قد ساوقت إن في الاستبهام ، إذ كان وقتها غير معلوم ، فأشبهت بجهالة وقتها ما لا يُدرى أن يكون أم لا يكون . فاعرفه . انتهى .

ونقل أبو حيان (في تذكرته) أن الصيمري ذهب إلى أنها تُكف بما مثل إذ فتجزم ، كبيت الفرزدق . قال : وقد جاء بعدها ولم تجزم ، قال :

* وإذا ما تشاء تبعث منها *

ويجوز دخول الفاء على جوابها ، قال الفرزدق :

إذا ما قيل يا حماة قوم فنحن بدعوة الداعي دُعينا

وذهب أبو علي في مثل هذا إلى أن إذا غير معمولة ، لأنه لما جاءت الفاء في جوابها صارت بمنزلة إن ، وتلك لا يعمل فيها الفعل . انتهى .

وهذا المصراع من قصيدة للفرزدق . وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد

(لعمري لقد أوفى وزاد وفاءه على كل جارٍ جارٍ آل المهلب
كما كان أوفى إذ ينادى ابن ديهب وصيرمته كالمغنم المنتهب
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان إذا ما يسئل السيف يضرب
وما كان جارٍ غير دلو تعلقت بحبلين في مستحصد القد مكرب^(١)

(١) رواية الديوان :

وما كان جاراً غير دلو تعلقت بحبله في مستحصد الحبل مكرب
والحماسة :

وما كان جاراً غير حبل تعلقت بدلو به في مستحصد القد مكرب
والأغاني : « وما كان جاراً » . وبقية إنشاده كما في الخزنة . ورواية رفع « جار » انفرد بها البغدادى ، وقيدتها في التفسير التالى بأنها اسم كان .

روى الأصهباني بسنده (في الأغاني) أن الحارث بن ظالم المري لما كان نزيلًا عند النعمان بن المنذر أخذ مصدقًا للنعمان إبلًا لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث ، فأنت الحارث فعلقت دلوها بدلوه ، ومعها بُنى لها ، فقالت : ١٨٦ يا أبا ليلى ، إني أتيك مضامة ^(١) ! فقال : إذا أورد القوم النعم فنادى بأعلى صوتك :

دعوت بالله ولم تُراعى ذلك راغيك فنعم الراعى ^(٢)
وتلك ذود الحارث الكساع ^(٣) يمشى لها بصارم قطع
* يشفي به مجامع الصداع * ^(٤)

وخرج الحارث بن ظالم في إثرها وهو يقول :
أنا أبو ليلى وسيفي المملوب ^(٥) كم قد أجزنا من حبيب محروب

(١) كنا في النسختين ، وهو سهو من البغدادى ، استمر فيه أيضا في الشرح التالى . والوجه « مضافة » كما في الأغاني . والمضاف : الخائف والمُلجأ ، والمخرج المتقل ، ومنه المضاف في الحرب في قوله طرفة :

وكرى إذا نادى المضاف محبا كسيد الغضى نهبته المتورد

ولا يقال من الضيم أضامه ، بل يقال ضامه يضيئه فهو مضيم .

(٢) ط : « ذلك داعبك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ومن تصحيحات الشنقيطى للأغاني . وفي النسختين : « فنعم الداعى » ، و الصواب من تصحيح الشنقيطى للأغاني .

(٣) الكساع من الكسع ، يقال كسعهم بالسيف يكسعهم كسعا : اتبع أدبارهم فضرهم . وفي ط : « الكساعى » ومثلها في ش مع تشديد السين ، والوجه ما أثبت من الأغاني .

(٤) مجامع الصداع هى الرأس ، وشفاؤه : أن يضرب ويطاح به .

(٥) المملوب : اسم سيف الحارث بن ظالم ، إنما سماه مملوبا لأنار كانت بمته ، أو لأنه كان نحنى من كثرة ما ضرب به . وفيه يقول الكميت :

وسيف الحارث المملوب أردى حصينا في الجبارة الردينا

وكم رددنا من سلب مسلوب وطعنة طعنتها بالمضبوب (١)

* ذاك جهيز الموت عند المكروب (٢) *

ثم قال : لا يردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذته ! ففعلت ورأت
لقوحاً لها يحلبها حبشئ ، فقالت : يا أبا ليلى ، هذه لى . قال الحبشئ :
كذبت . فقال الحارث بن ظالم : أرسلها وملك ! فضرط الحبشئ ، فقال
الحارث : « آست الحالب أعلم » فصارت مثلاً . قال أبو عبيدة : ففى ذلك
يقول الفرزدق . وأنشد الأبيات . انتهى .

وقوله : « لعمرى لقد أوفى » هو لغة فى وفى بالعهد كوعى ، وفاء : ضد
غَثر . و (الجار) : الحجير ، والمستجير ، والمجاور الذى أجرته من أن يُظلم ؛
فهو ضد . والمراد هنا الأول . وفاعل أوفى الأول ضمير سليمان بن
عبد الملك ، فإنه أجار يزيد بن المهلب من الحجاج لما هرب من حبسه وجاء
إليه ، فأرسله مع ابنه أيوب إلى أخيه الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يشفع
فيه ، فقبل شفاعته .

وفاعل « أوفى » الثانى ضمير أبى ليلى ، تنازعه هو وقام . وابن ديهث
فاعل ينادى . وصرته مبتدأ ، وكالمغنم خبره ، والمنتهب ، صفته ، حال من
ابن . والصرمة بالكسر : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين أو إلى
الخمسين ، وقيل غير ذلك . والمغنم الغنيمة . والمنتهب : اسم مفعول .

(١) فى الأغاني : « بالنصوب » .

(٢) جهيز : السريع ، ش : « جهاز » ، تحريف .

(وأبو ليلي) : كنية الحارث بن ظالم ، وهو جاهلي . والقيام هنا هو العزم على الشيء والإتيان به على أكمل هيئاته . والمعنى : قام لينصره ويأخذ بساعده . وجملة « وكان إذا ما يسئل » إلخ معطوفة على قام ، أو إنها اعتراضية أفاد بها أن شأنه كان كذا . واسم كان ضمير أبو ليلي ، والجملة الشرطية خبر كان .

وجملة « وما كان جار » إلخ حال من أبو ليلي . والجار هنا المستجير ، وهو اسم كان ، وغير دلوي خبرها . والقَد بالكسر : السَّير يقْد من جلد غير مدبوغ . والمستحصد اسم مفعول ^(١) من استُحصد الحبل إذا استحکم فتله أو رُبْطه . والمُكرب : اسم مفعول ، من أكرَب الدلو إذا شَدَّها بالكرب ، بفتحين ، وهو حبل يشد في وسط عرقوة الدلو ليلَى الماء فلا يعفن الحبل الكبير . ويقال أيضاً : كربها وكربها ، كما يقال أكرها .

والمصدَّق كمحدث : آخذ الصدقات . ومُضامة : اسم مفعول من الضَّيم ^(٢) وهو الجور . ومجامع الصداع هو الرأس ، لأنه محل الصداع . والمعلوب بالعين المهملة : اسم سيفه .

والحارث بن ظالم المرئى جاهلي ، ضُرب المثل بفتكه ، ف قيل : « أفتك الحارث بن ظالم من الحارث بن ظالم » .

فمن خبر فتكه ما رواه حمزة الأصهباني والزمخشري في أمثالهما ،

(١) كذا . والمعروف في المعاجم أنه بزنة اسم الفاعل .

(٢) هذا سهو من الغنادي ، إذ أن اسم المفعول من الضيم « مضيم » ولو قد أراد أن يجعله اسم مفعول من أضامه كان مخطئاً أيضاً ، فليس في لغتهم أضامه مزيداً بالهمزة « بل يقال ضامه من الثلاثي فحسب . وانظر ما سبق في حواشي ٧٩ .

(٦ : خزانة ج ٧)

١٨٧ أن الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر بن كلاب ، وكان جازراً للأسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر وهرب ، ف قيل له : لن تصيبه بشيء كسبى جارات له من بلي (١) ، وهو حى من قضاة ! ففعل فسمع ذلك الحارث ففكر راجعاً من مهربه ، وأتى مرعى إيلهم إذا ناقة لهن تدعى « اللفاعة » تحلب ، فقال يخاطب الإبل :
إذا سمعت حنة اللفاع (٢) فادعى أبا ليلي ولا ترتاعى

* ذلك راعيك فنعم الراعى *

فعرفه البائن فحبق خوفاً ، وأنكره المستعلي ، فقال الحارث : « است البائن أعلم » ثم استنقذهن وأموهن ، وأتى أخته سلمى وقد تبنت شرحبيل بن الأسود الملك ، فمكر بها وأخذها منها وقتله ، فضرب به المثل فى الفتك .
والبائن : الذى يكون عند يمين الحلوبة . والمستعلي على يسارها . قال الزمخشري : قولهم : « آست البائن أعلم » ، مثل يضرب لمن ولّى أمراً وصلى به ، فهو أعلم به من غيره . وقيل يضرب لكل ما ينكر وشاهد حاصر .
وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين (٣) .

* * *

(١) فى الدرة الفاخرة : « بشيء أشد عليه من جارات له من بلي » .
(٢) الحنة من الحنين ، وهو صوت الناقة إذا اشتاقت إلى ولدها . ومنه قولهم : « ما له حانة ولا آفة » أى ناقة ولا شاة .
(٣) الخزائن ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الخمسمائة ^(١) :

٥١١ (مِنْ أَيْنَ عَشْرُونَ لَهَا مِنْ أُنَى)

على أَنَّ (أُنَى) تحجّر بمن ظاهرة ، كما فى البيت ، ومقدّرة كما قدره
الشارح المحقق .

وهذا البيت من أرجوزة رواها أبو الحسن الأخفش (فى شرح نوادر أرجوزة الشاعر
أبى زيد ^(٢)) عن ثعلب ، وهى :

(لَأَجْعَلَنَّ لَابِنَةَ عَظْمٍ فَنَّا مِنْ أَيْنَ عَشْرُونَ لَهَا مِنْ أُنَى
حَتَّى يَصِيرَ مَهْرُهَا دُهِدُنًا يَا كَرَوَانَا صُلْكٌ فَاكْبَانًا
فَشَنَّ بِالسَّلْعِ فَلَمَّا شَنَّا بَلَّ الدُّنَايَى عَبَسًا مُبِنًا
إِلْبِلَى إِبْلَى تَأْخُذُهَا مُصِنًا خَافِضَ سَنٍّ وَمُشِيلاً سِنًا)

وروى أبو زيد (فى نوادره) البيت الأول والثالث فقط ، وروى :
« زيد » بدل عظم ، وقال : الدُّهُدُنَّ : الباطل . والفَنُّ : العناء . يقال فنتت
الرجل ، إِذَا عَنَيْتَهُ ، أَفْنَتْهُ فَنَّا . انتهى .

فالدُّهُدُنُّ بضم الدالين . والفن فعله من باب نصر . قال الأخفش :
روى المبرد وثعلب :

* لَأَجْعَلَنَّ لَابِنَةَ عَظْمٍ فَنَّا *

قالا : أراد عثمان ، وهذا يدلّك على أَنَّ الألف والنون فى عثمان

(١) نوادر أبى زيد ٥٠ .

(٢) فى النسختين : « ديوان أبى زيد » ، وهو سهو أو زلة قلم من البغدادى . وكتب
الشنقيطى بخطه فى هامش نسخته : « فالصواب شرح نوادر أبى زيد » .

زائدتان ، فحذفهما لما اضطرَّ ، وفتح أوَّله ليدلَّ على ما حذف . وقال ثعلب :
يريد بقوله فُتَّا ضرباً من الخصومة .

وقوله : « يا كروائا » قال الأخفش : ترك مخاطبتها ثم أقبل على وليِّها ،
كأنَّه قال يا رجلاً كروانا ، أى يا مثل الكروان بضعفه ^(١) ، إنَّما يدفع عن
نفسه بسلَّحه إذا صُلِّك أى ضُرب . والاكتنَّان : التقبُّض . وشَنَّ : صَبَّ .
والعبَس : ما تعلَّق بذنبه وما يليه من سلَّحه . والمُئِنَّ : المقيم ، يقال أبَنَّ
بالمكان ، إذا أقام به . والمُصَنَّ : المتكبر .

وقوله : « خافض سنٍّ ومشيلًا » ، أخبرني أبو العباس ثعلب عن
الباهلي عن الأصمعي أنه قال : تأويله أنَّه إذا أعطاه حقاً طلب منه جَدْعاً ،
وإذا أعطاه سِدِّيساً طلب منه بازلاً . وحكى لى من ^(٢) ناحية أخرى عن
الأصمعي ، أنه قال : إذا أخذ وليُّها ما يدعى كثر ماله واستغنى فأكل بنهم
وشره ، فذلك قوله خافض سنٍّ ومشيلًا سنا ^(٣) . ويقال شال الشيء ، إذا
ارتفع ، وأشْلته وشُلْتُ به ، إذا رفعته . وحدثنا أبو العباس ثعلب قال : حدثني
ابن الأعرابي أنه شاهد أبا عبيدة مرَّة واحدة فأخطأ في ثلاثة أحرف ، هذا
منها . وذلك أنَّه قال : شُلْتُ الحجر ، والعرب لا تقول إلَّا أشْلته وشُلْتُ به .
قال الأخفش : وقد يكون شُلْتُ به : ارتفعت به . انتهى .

١٨٨

(١) في نوادر أوى زيد : « في ضعفه » .

(٢) ط : « عن » ، صوابه في ش ونوادر أوى زيد .

(٣) كلمة « سنا » ساقطة من ش ، ثابتة في ط والنوادر .

وقد أورد ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ^(١) الأبيات الخمسة الأخيرة من قوله : « يا كروانا صُكَّ » إلخ ، وقال : هى فى مصدِّق هُجِىَ بها ، أى فى عامل الزكاة ، ثم قال : قوله : « خافض سنِّ ومُشِيلاً سَنَّا » أى تأخذ بنت لبون فتقول ^(٢) : هذه بنت مخاض ، فقد خفضها عن سنِّها التى هى فيها . وقوله : « ومُشِيلاً سَنَّا » يقول : تكون له بنتٌ مخاض فيقول : لى بنتُ لبون : فقد رفع السنَّ التى هى له إلى سنِّ أخرى أعلى منها . وتكون له ابنة لبونٍ فأخذ حِقَّةً . انتهى .

وأورد ابن السيرافى (فى شرح أبياته) الأبيات الثلاثة المتقدمة أيضاً وقال :

الرجز لمدرِك بن حُصَيْن ، وقال : قوله فَنَّا ، أى أُمراً عَجَباً . وقوله : صاحب الشاهد « من أين عِشرون لها » أى من الإبل . والدُّهُدُ : الباطل ، وكذلك الدُّهْنَر . وقوله : « يا كروانا » شَبَّه بالكروان . واكْبَانٌ : تقبُّض واجتمع وسلح من خَوْفه . وشَنَّ : فَرَّق سَلَحَه . والمِئِنُّ : الذى لصق بالدُّنَابِى وَيَس عليها . والمُصِينُ : المتكبرُّ والمُنْتَن أيضاً ، واللازم للشئ لا يفارقه أيضاً . والمُشِيل : الرافع ، يقال أَشَالَ يُشِيلُ إِشَالَةً ، إذا رفع . انتهى .

* * *

(١) إصلاح المنطق ٨٣ .

(٢) فى إصلاح المنطق : « أى يأخذ ابنه اللبون فيقول » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد الخمسمائة ^(١) :

٥١٢ (صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهْنُ وَرُقْنَه لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ سُودُ النِّوَابِ)

على أنَّ (لدن) مجرورة بمن مضمرة ، أى من لدن شَبِّ .

وأورده فى لدن أيضاً على أنَّها إن أُضيفت إلى الجملة تَمَحَّضت للزمان .

والبيت من قصيدة للقُطامى ، وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الثالث
أهت الشاعر أهت الشاعر (٢) . وهذه أبيات من أولها :

(نَأْتُكَ بِلِيلِي نِيَّةٌ لَمْ تَقَارِبْ وما حُبُّ لَيْلِي مِنْ فَوَادِي بِذَاهِبِ
مُنْعَمَةٌ تَجْلُو بِعُودِ أَرَاكَةِ ذُرَى بَرْدِ عَذْبِ شَتِيَةِ الْمُنَاصِبِ ^(٣)
كَأَنَّ فُضِيضاً مِنْ غَرِيضِ غَمَامَةٍ على ظمأٍ جادت به أُمُّ غَالِبِ
لِمَسْتَهْلِكٍ قَدْ كَادَ مِنْ شَلَّةِ الْهَوَى يَمُوتُ وَمِنْ طُولِ الْعِدَاتِ الْكُوَاذِبِ
صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهْنُ وَرُقْنَه لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ سُودُ النِّوَابِ
قُدَيْدِيمةُ التَّجْرِبِ وَالْحَلَمِ ، إِنْتَى أَرَى غَفَلَاتِ الْعَيْشِ قَبْلَ التَّجَارِبِ)

قوله : « نَأْتُكَ بِلِيلِي نِيَّةٌ » إلخ قال شارح ديوانه : أى بَعَدتْ عَنْكَ .
وَالنِّيَّةُ فاعِل نَأَتْ ، وهى الوجه الذى ينويه الإنسان ، والمراد السَّفَرَةُ . ومثلها
النَّوَى .

وقوله : « مُنْعَمَةٌ تَجْلُو » ، إلخ روى الأصمعى : « مُنَاعِمَةٌ » ، أى

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٣ والمغنى ١٥٧ وشرح شواهد ١٥٦ والعينى ٣ : ٤٢٧
والتصريح ٢ : ٤٦ والأشمونى ٢ : ٢٦٣ وديوان القطامى ٥٠ .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٧٠ - ٣٧٢ .

(٣) ورد رسم « ذرى » والذرى « فى ط بالألف فى جميع المواضع . وهما مذهبان
صحيحان . وكتابه الألف مذهب البصريين . أما الكوفيون فيستنون ما كان على فعل بضم ففتح ، أو
على فعل بكسر ففتح ، يكتبونه بالياء أو واوياً كان أو يائياً . انظر حواشى قواعد الإملاء ص ٢٤ .

غذيت غذاءً ناعماً . وتجلو ، أراد تستاك . والنّرى : الأعلى . والبرد : حبّ الغمام . شبه أسنانها في شدة بياضها بالبرد . وإنّما خصّ النّرى لأنّها صحاح لم تتكسر . وشيت : متفرّق . أراد أنّ في أسنانها فلجاً . والمناصب : حيث رُكبت الأسنان .

وقوله : « كَأَنَّ فُضِيضًا » إلخ فضيض السحابة : ماؤها إذا انفضّ منها . شبه عنوبة ريقها بماء سحابة . والغريض : الطرى . وقوله « لمستهلك » ١٨٩ إلخ اللام متعلقة بجادت ، وأراد بالمستهلك نفسه ؛ لأنّه هالك من حبّها ومعرّضها للهلاك .

وقوله : (صريع غوان) بالجر بدل من مستهلك ، ويجوز رفعه على إضمّار مبتدأ ضمير المستهلك . والصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض : يريد أنّه قد أصيب من حبّهنّ حتى لا حراك به . والغواني : جمع غانية ، وهى التى استغنت بجمالها عن الزينة ، وقيل هى التى غنيت بزوجها عن غيره ، وقيل هى التى غنيت فى بيت أبويها ولم تتزوّج ، أى أقامت . وأنشد أبو عبيدة للقول الثانى :

أزمانَ ليلي كعابٍ غير غانيةٍ وأنت أُمردٌ معروفٌ لك الغزلُ (١)

وراق بمعنى أعجب ، أى أعجبته لجماله وشبابه وأعجبته لحسنه . وقوله : (لذنّ شبّ) إلخ أى من عند وقت شبابه إلى وقت شبّه ، فدلّ على إضمّار من بدليل حتّى ، لأنّها بمعنى إلى . و (النّوائب) : الضفائر من الشعر ، جمع ذؤابة . وقد لُقّب القطاميّ صريع الغواني بهذا البيت ، وهو أوّل من لُقّب به ، وقد ذكر فى الأوّليات ، ثم لُقّب

(١) البيت لنصيب فى ديوانه ١١٦ واللسان (غنى ٣٧٥) .

به مسلم بن الوليد . قال صاحب زهر الآداب ^(١) : لُقّب مسلم صريع الغواني بقوله :

هل العيشُ إلّا أن تروح مع الصِّبا
صريع حُمياً الكأس والأعين النّجل . انتهى

قال صاحب الأغاني : الذي لُقّب مسلماً بهذا اللقب هارون الرّشيد ، لهذا البيت .

وقوله : « قُديمة التجريب » إلخ هو من أبيات سيبويه ، وجُمِلَ الزجاجي ^(٢) ، استشهد به على تصغير قدام قديمة بالهاء . ومثلها ورِيئة . وإنّما أدخلوا الهاء في تصغير وراء وقدام وإن كانتا قد جاوزتا ثلاثة أحرف ، لأنّ باب الظروف التذكير ، فلما شدّتا في باهما فرقوا بينهما وبين غيرهما ، فأدخلوا فيهما علامة التّأنيث . قاله اللّخمي .

وقديمة منصوبٌ على الظرف ، والعامل فيه راقهنّ ورقنه ، أي أعجبين وأعجبته . قديمة التجريب والحلم ، أي أمام التجريب والحلم . ثم قال : أرى غفلات العيش قبل التجارب ، يقال : إنّما يُستلذّ بالعيش أيام الغفلة وفي أيام الشباب قبل التجارب ، والتجارب إنّما هي في الكبر ، وهو وقت أن يزهد فيهنّ لسنّه وتجريبه ، وأن يزهدن فيه لشيبه . وقد يحتمل أن يكون

(١) زهر الآداب ٩٩٦ .

(٢) جمل الزجاجي ٢٥١ . وليس من أبيات سيبويه كما ذكر . هنا ، وقد تكلم سيبويه على

تصغير قدام ووراء في ٢ : ٣٥ بولاق ٣ : ٢٦٧ هارون .

العامل في قديمية محذوفاً دلّ عليه سياق الكلام ، كأنّه أراد : تظنّ طيب العيش ولذّته قدام التجربة والحلم ، أى أمام ذلك ، ليس الأمر كذلك ، إنّما يطيب العيش ويحسن قبل التجارب وفي عنفوان الشباب ، وحين الغفلة ، وأما بعد ذلك فلا . فيكون العامل فيها تظنّ المقتر . قاله اللخمي أيضاً .

وقوله : « إئننى » قال ابن السّيد : يروى بكسر الهمزة على الاستئناف ، وفتحتها ، وهو مفعول من أجله . وقد تكون إنّ مكسورة فيها معنى المفعول من أجله ، كقوله عز وجل : ﴿ وَيُصَلِّى سَعِيْرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوْرًا ﴾^(١) . وجاز ذلك لأنّ إنّ داخلة على الجمل ، والجمله قد يكون فيها معنى العلة والسبب موجوداً . كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ﴾^(٢) . ألا ترى أنّ المعنى : ولأنّ هذه أمتكم ولكون ربكم فاتقون . انتهى .

وهذه القصيدة هجؤ امرأة من بنى محارب . حكى أبو عمرو الشيباني صاحب الشاهد
أنّ القطامي نزل في بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقرأها ١٩٠
فقلت : أنا من قوم يشتون القد من الجوع . قال : ومن هؤلاء ويحك ؟
قلت : محارب . ولم تقره ، فبات عندها بأشّر ليلة^(٣) ، فقال هذه
القصيدة ، ومنها :

(١) الآية ١٢ ، ١٣ من سورة الانشقاق . وقد ضبطت « يصلّى » في ش بقلم ناسخها بضم الياء وتشديد اللام المفتوحة ، وهى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي ، ووافقهم ابن محيصن والحسن ، وقرأ الباقر يفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام . إتحاف فضلاء البشر ٤٣٦ .
(٢) الآية ٥٢ من المؤمنون ، وفي الأنبياء ٩٢ : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ .

(٣) أى بشر ليلة ، وقرىء في الكتاب العزيز : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَنَا مِنْ الْكِتَابِ الْأَشْرُّ ﴾ وهى قراءة أبى حيو . تفسير أبى حيان ٨ : ١٨٠ .

(وإِنِّي وَإِنْ كَانَ الْمَسَافِرُ نَازِلًا
فَلَا بَدَأَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرٌ مَا رَأَى
لَمُخْبِرِكَ الْأَنْبَاءَ عَنْ أُمَّ مَنْزِلِ
تَلَفَعْتُ فِي طَلٍّ وَرِيحٍ تُلْفَنِي
إِلَى حَزِينُونَ تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا
فَمَا رَاعَهَا إِلَّا بُغَامٌ مَطْيَتِي
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِي وَنَاقَتِي :
وَجُنْتُ جَنُونًا مِنْ دِلَالِثِ مُنَاحَةِ
فَسَلَّمْتُ ، وَالتَّسْلِيمَ لَيْسَ يَسْرُهَا
فَرَدَّتْ سَلَامًا كَارَهَا ثُمَّ أَعْرَضَتْ
فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ذَا بَرَائِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا
مَنْ الْمَشْتَوِينَ الْقَدِّ مِمَّا تَرَاهُمْ
فَلَمَّا بَدَأَ حَرَمَانُهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ
وَقَمْتُ إِلَى مَهْرِيَّةٍ قَدْ تَعَوَّدَتْ
ثُمَّ وَصَفَ نَاقَتَهُ بِأَيَّاتٍ وَقَالَ :

(إِلَّا إِنَّمَا نَبْرَانُ قَيْسٍ إِذَا شَتَّوَا
لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْجُبَابِحِ)

والعذيب : ماء أسفل الرُّجبة . وراسب : قريب منه .

والطل : الندى . والطرُمساء ، بالكسر : الظلمة .

والْحَيَزُونُ : العجوز . والبِغَامُ ، بالضم : صوت تختلسه النَّاقَةُ ولا تَنَمُّه .
والمَحْسُورُ : صوتٌ ضعيف .

وُثْرِيحٌ ، بالضم : تستريح . والكُورُ ، بالضم : الرجل بأداته .
والدُّلَالُث : بالكسر : الناقة . والأشاجع : عروقٌ ظاهر الكف .
والجَانِبُ : الغريب .

والنَّاضِبُ ، بالضاد المعجمة ^(١) : البعيد . ومَمَّا تَراهم ، أى كثيرًا مَمَّا
تَراهم .

ونار الحباحب بالضم : النار التى تظهر من قَرَعِ الحوافِرِ . أَرَادَ أَنَّهَا
ضعيفة لا يُشْعِلُونَهَا خوفًا من الضَّيْفِ .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة ، وهو من
شواهد سيبويه ^(٢) :

٥١٣ (فَأَصْبَحْتُ أَنَّى تَأْتِيهَا تُبَيِّنُ بِهَا
كِلَا مَرْكَبَيْهَا تَحْتَ رَجْلَيْكَ شَاجِرُ)

على أَنَّ (أَنَّى) فيه شرطية مجرورة بمن مضمرة ، أى من أَنَّى تَأْتِيهَا .

صاحب الشاهد

قال سيبويه : ومَمَّا جَاءَ بِأَنَّى من الجزاء قولٌ لبيد :

فَأَصْبَحْتُ أَنَّى تَأْتِيهَا البيت

قال الأَعلَمُ : الشاهد فيه جزم تَأْتِيهَا بِأَنَّى ؛ لِأَنَّ معناها معنى أين ومتى ،

(١) ط : « بالضاد المعجم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٤٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٨ والجمل ٢٢٧ وابن يعش ٤ : ١١٠ /

٧ : ٤٥ ودنوان لبيد ٢٢٠ .

وكلاهما للجزاء . وتبتس جزمً على جوابها .

١٩١

قال أبو الحسن الطوسي (في شرح ديوان لبید) قال الأصمعي : لم أسمع أحداً يجازي بأني ، وأظنه أراد أيّاً تأتيا ، يريد أيّ جانبى هذه الناقة أتيت وجدت مركبه تحت رجلك شاجراً . أي ينحيك ويدفعك ، لا يطمئن تحت رجلك . وقال أبو عبيدة : أننى تأتيا مجازاة ، يقول : من أيّ جانب أتيت هذه الناقة وجدت كلا مركبيها شاجراً دافعاً لك . وتبتس : يُصَيِّبُ منها بؤس . يقول : كيفما ركبت منها التيس عليك الأمر . وشاجر : ملتبس . يقال : تشاجر ما بين القوم ^(١) ، إذا اختلفوا . ويقال شجره بالرُح ، إذا دفعه به وطمعته . وقال أبو عمرو : الشاجر : المفرق بين رجله . وقد شجر بين رجله ، إذا فرق بينهما إذا ركب . انتهى .

وهذا مبنئ على إرجاع الضمائر المؤنثة إلى الناقة المفهومة من المقام .

وكذلك قال ابن سيده (في شرح أبيات الجمل) . ولم يرتضه اللّخمى في شرحها . قال : قد غلط ابن سيده شارح الأبيات في البيت وزعم أنه يصِف ناقة ، وإنما يصف داهية . ولو علم ما قبله علم الموصوف ما هو . قال لبید يصف حاله مع عمه ، ويعتب عليه ، ويذكر قبيح ما أسداه إليه :

(لى النصر منكم والولاء عليكم وما كنت فقعا أنبتته القراقر
وأنت فقير لم تبدل خليفة سوى ولم يلحق بنوك أصاغر
فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن بأنك إن قدمت رجلك ، عاثر

أبيات الشاعر

(١) ط : « شاجر ما بين القوم » ، والوجه ما أثبت من ش .

وإنَّ هَوَانَ الجَارِ للجَارِ مُؤَلِّمٌ وفاقرةٌ تَأْوِي إليها الفواقِرُ
فَأَصْبَحَتْ أَتَى تَأْتَا البيت
فإنَّ تَتَقَلَّمْ تَغَشَّ مِنْهَا مَقْدَمًا غليظًا ، وإنَّ أُخْرَتْ فَالِكِفْلِ فَاجِرُ

والفاقرة : الداهية التى تكسر فقار الظهر ، وهى التى يصف فى البيت .
شَبَّهَهَا بالدابة الشَّمُوس التى إذا ركبها رمته عن ظهرها . انتهى .

أقول : البيت الذى فيه الفاقرة غير ثابت فى رواية الطوسى ، فيجوز أن
يكون ابن سيده تبعه . على أن هذا لا يسمَّى غلطًا فإنه تمثيل ، سواء قيل
داهية ^(١) أو ناقة أو مركب . قال ابن السيد (فى شرحه) : العرب تشبّه التنشُّب
فى العظام بالركوب على المراكب الصَّعبة ، فيقولون : ركبَتْ مَنَى أمرًا عظيمًا ،
ولقد ركبَتْ مَرْكَبًا صعبًا ، وفلانٌ رَكَّابُ العظام . ونحوه قول الشاعر ^(٢) :
لئن جَدَّ أَسَابُ التَّقَاعِ بيننا لترتلحن مَنَى على ظهر شَيْم . انتهى

وروى : « تشتجر » بدل « تبشس » ، قال ابن السيد : معناه تشتبك .
ويروى : « تلتبس » ، ومعناه كمعنى تشتجر . و (شاجر) : مشتبك . وقال
اللمخى : تشتجر مأخوذ من شَجَرَ الراكبُ ، إذا خالف بين رجلَيْه فرفع رجلًا
ووضع أخرى ، وهى رِكْبَةٌ متهيئة للسقوط . ويروى : « تبشس » من بُشَّسَ الحال .
ويروى أيضًا : « تلتبس » . و (مركبها) : ناحيتها اللتين تُرَامُ منهما . وشاجر :

(١) ش : « دابة » .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٩٥ . والشيم : القنفذ . وأراد : على ذعر وخوف .

مضطرب . يقول : مَنْ ركبها فَرَّقَتْ بين رجله فهوَتْ به . ويرى :
« شاعر » ، والمعنى واحد .

يعتب عمه عامر بن مالك ملاعب الأستة ، وكان قد ضرب جازاً للبيد
بالسيف ، فغضب لبيد لذلك فقال الشعر الذى تقدّم ، يعدّد بلاءه عنده .
وفى الشعر ما يدلّ على ذلك ، وهو :

(مَنْ يَكْ عَنِّي جَاهِلًا أَوْ مَغْمَرًا فما كان بدعًا من بلائِي عامرُ
وفى كُلِّ يَوْمٍ ذِي حِفَاظٍ بِلَوْنِي فقمْتُ مَقَامًا لم يُقِمْهُ العَوَارُ)
و (كلا) مبتدأ ، والخبر شاجر . و (تحت رجليك) متعلق
بشاجر . وكلا عند سيبويه اسم مفرد . انتهى

وقوله : « رجليك » بالثنية ، وروى بالافراد . قال ابن السّيد : ويرى :
« رحلك » ، والرّحل للناقة مثل السّرج للفرس .

والكفّل بالكسر : كساء يكون وراء الرّحل ، فيركب عليه الرّديف .
يقال رحلت البعير واكتفلته ، أى جعلت عليه رَحْلاً ^(١) وكِفْلاً ، وهما
المركبان اللذان ذكرهما .

ومعنى الشعر أنّه يقول لعمّه : إِنَّكَ ركبْتَ أَمْرًا لاختلاصَ لك منه ،
فَأَنْتَ بمنزلة من ركب ناقةً صعبة لا يقدر على التّزول عنها سالمًا ، لأنّ رجله قد
اشتبكنا بركايبها ^(٢) ، وكلا مركبيها لا يستقرّ عليه ، إن ركب على مركبها
المقدّم ، وهو الرّحل ، وجده مركبًا صعبًا ، وإن ركب على مركبها المؤخّر ، وهو
الكفّل ، مال به وصرّعه .

(١) ط : « رجلا » بالجيم ، صوابه في ش .

(٢) ط : « بركايبها » ، صوابه في ش .

والفاجر : المائل غير المستقيم

وكان للبيد جازاً من بنى القَيْن قد لجأ إليه واعتصم به ، فضربه عمه بالسيف ، فغضب لذلك لبيد وقال يعدد على عمه بلاءه عنده ويُنكر فعله بجاره . وأنشد الأبيات السابقة .

وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : قوله فأصبحت أُنّى تأتها ، أى متى أُتيت هذه التى وقعت فيها تلتبس بها ، أى تلتبس بمكروها وشراً . ويروى « تبتس » ، أى لا يقربك الناس من أجلها . وكلا مركبى الحُطّة إن تقدّمت أو تأخّرت شاجر ، أى مختلف متفرّق . والشاجر : الذى قد دخل بعضه فى بعض وتغيّر نظامه . وأراد بالمركبين قادمة الرجل وآخرتة . وهذا على طريق المثل ^(١) . يقول : لا تجد فى الأمر الذى تُريد أن تعمله مركباً وطيباً ولا رأياً صحيحاً ، أى موضعك إن ركبته منه آذاك وفرق بين رجليك ولم تثبت عليه ولم تطمئن . هذا كلامه ، وهذا بحروفه هو كلام بعض فضلاء العجم (على أبيات المفصل) .

ولم يورد أبو الحسن الطوسى سبب هذه القصيدة ، وعدّها عنده ثلاثة وعشرون بيتاً .

ولنذكر ما شرح به الأبيات السابقة : قوله « من يك عني جاهلاً » ، رواه الطوسى : « من كان مني جاهلاً » . وهذا أوّل القصيدة . يقول : من كان يجهلنى فإنّ عمى عامراً يعرف بلائى . وبلاؤه : صنيعه وعمله . وعامر هو ملاعب الأُسنة . والمغمّر : المنسوب إلى الغمر ، بالضم

(١) فى النسختين : « وعلى هذا طريق المثل » ، والوجه ما أثبت .

الجهل . والبِدْع ، بالكسر : كلُّ حديثٍ أُحْدِثَ ، أى ليس عامرٌ يبدع من بلائى ، أى بأول ما عرف ذلك ^(١) .

وقوله : « وفى كل يوم » إلخ هو البيت الرابع عشر من القصيدة .
والعَوَاور : الجبناء والضُعفاء ، جمع عَوَّار بالضم والتشديد .

وبعده قوله : « لى النصر منكم » إلخ ، والرواية عند الطوسى : « لى النصر منهم والولاء عليكم » بالغيبة فى الأول والخطاب فى الثانى ، وقال : منهم ، أى من هؤلاء الملوك وأردافهم الذين ذكروا . والولاء عليكم ، يقول : يوالونى عليكم ^(٢) . والفَقْع : ضربٌ من الكُمأة ، وهو شُرْها . والقَرقر كجعفر : الأرض المُستوية . وفى المثل : « أدُل من قَعَق بقرقر » . يقول : لم أكن ذليلاً .

وقوله : « وأنت فقير » ، أى محتاج إلى . والخليفة هنا : خَلَفَ يَخلفه . يقول : أنا خَلَفْتُك . ولم يلحق بنوك ، أى لم يكبروا له .

وقوله : « فقلت ازدرج » إلخ الأحناء : جمع جنو بالكسر ، وهى الجوانب ^(٣) . وقولهم : « ازدرج أحناء طيرك » ، أى نواحيه يميناً وشمالاً ، وأمأماً وخلفاً . ويريد بالطير الخَفَّة . قاله الجوهري ، وأنشد البيت . وقالوا : أراد بذلك انظر فيما عمله ، أخطيء أنت فيه أم مصيب ؟

وقال الطوسى : ازدرج : ازجر أحناء قولك ^(٤) ، إنما هذا مثل ، يقول : ازدرج : ازجر . أحناء قولك ، أى عن يمين وشمال وعلى أى حال شئت .

(١) أى بأول شيء عرفه بلائى

(٢) هنا من التخفيف بحذف إحدى النونين نون الرفع أو نون الوقاية .

(٣) ط : « وهو الجوانب » ، صوابه فى ش .

(٤) الرواية السائرة : « أحناء طيرك » .

يقول : إن ركبتَ هذا الأمر الذى قلت لك فيه ازدجر عثرت ، أو معناه انظر ما عاقبته ^(١) .

وقوله : « فإن تتقدم » إلخ قال الطوسى : منها أى من هذه التى ذكر . يقول : إن تقدّمت تقدمت على غلظ وأمر صعب ليس يستهل عليك ، وإن أُخّرت ، يقول : إن رجعت . والكِفْل بالكسر : كساء يضعه الرجل على ظهر البعير ثم يركبه يتوقى العرق . وقال ابن الأعرابى : هو كساء يُركب به ، يدار حول سنام البعير ثم يعقد عقداً من خلفه يكتفل به الرجل فيمسكه ، ويجعل العقْد من خلف السنام ، وفاجر : مائل ، وقيل فاتح لرجليك يفرج ما بينهما . يقول : فكيف ركبتَ لم تجدها كما تريد . وإنما يريد نفسه ، أى إنك إن فقدتني لم تجد مثلى . وهذا مثل . انتهى .

وترجمة لبيد تقدّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد الخمسمائة ^(٣) :

٥١٤ (شَرِينٌ بماءِ الْبَحْرِ ثم تَرْفَعَتْ مَتَى لُجَجٌ حُضِرَ لَهْنٌ نَثِيجٌ)
على أن (متى) عند هذيل حرفُ جر بمعنى مِنْ أَوْ فِى ، أو اسمٌ بمعنى وَسَط .

(١) ط : « عقبته » ، صوابه فى ش . وفى اللسان : « وعقب كل شئ وعقباه وعقبانه وعاقبته : خاتمه » .

(٢) الخزائن ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .

(٣) الخصائص ٢ : ٨٥ والمحتسب ٢ : ١٤ والاقطصاب ٤٤٧ وابن يعيش ٢ : ٢٧٠ والمغنى ١٠٥ ، ١١١ ، ٣٣٥ ، والعينى ٣ : ٢٤٩ ، ٢٧٣ / ٤ : ٢٢٢ والتصريخ ٢ : ٢ والممع ٢ : ٣٤ والأشموقى ٢ : ٢٠٥ ، ٢٢١ وديوان الهذليين ١ : ٥١ . (٧ : الخزائن ج ٧)

قال ابن السِّيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : في قوله متى لجج قولان : قيل أراد من لجج ، كما قال صخرُ الغيّ (١) :

* متى أقطارها عَلَّقَ نفيثُ (٢) *

أراد : من أقطارها . وقيل متى بمعنى وَسَط . وحكى أبو مُعَاذٍ الهراء ، وهو من شيوخ الكوفيِّين : جعلته في مَتَى كُمَى . انتهى .

ومتى هنا فيما نقله أبو مُعَاذٍ لا تحتل غير معنى وسط ، بخلاف ما نقله الشارح المحقق عن أبي زيد ، فإنه يحتمله ويحتل معنى في ، كما قال الشارح .

وقال ابن هشام (في المغنى) : إن متى عند هذيل اسمٌ مرادف للوَسَط ، وحرَّفَ بمعنى مِن أو في . يقولون : أخرجها متى كُمَه ، أى منه . واختلف في قول بعضهم : وضعته متى كُمَى ، فقال ابن سيده : بمعنى في ، صاحب النامد وقال غيره : بمعنى وَسَط . وكذلك اختلفوا في قول أبي ذؤيب الهذلي ، يصف السحاب :

شربن بماءِ البحر ثم ترفَّعت البيت

ف قيل بمعنى مِن ، وقال ابن سيده : بمعنى وَسَط . انتهى

والباء في قوله : (بماء البحر) قيل على بابها ، وشربن مضمَّن معنى رَوَيْن . وقال جماعة : هى للتبعيض ، منهم الأصمعي ، وابن قتيبة (في أدب الكاتب) وأبو علي وغيره . وقال ابن جني (في المحتسب) :

(١) في ديوان الهذليين ٢ : ٢٢٤ وشرح السكري ٢٦٣ أن البيت لأبي المثلث . وما هنا يطابق ما في الاقتضاب .

(٢) صدره في الهذليين وشرح السكري :

• متى ما تنكروها تعرفوها •

الباء زائدة ، أى شربن ماء البحر وإن كان قد قيل إنَّ الباء هنا بمعنى فى ، والمفعول مخنوف ، معناه شربن الماء فى جملة ماء البحر . وفى هذا التأويل ضربٌ من الإطالة والبُعد .

وقال (فى سر الصناعة أيضًا) : الباء فيه زائدة ، إنَّما معناه شربن ماء البحر . هذا هو الظاهر من الحال ، والعدول عنه تعسف . وقال بعضهم : معناه شربن من ماء البحر ، فأوقع الباء موقع من . انتهى .

وسبقه الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ ^(١) ، من سورة الدهر ، قال : يشرب بها ويشربها سواءً فى المعنى ، وكأنَّ يشربُ بها يَرَوَى بها وَيَنْتَع . وأما يشربونها ^(٢) فبيِّن . وقد أنشدنى بعضهم :

شربن بماءِ البحر ثم ترفعت (البيت)

ومثله : إنَّه ليتكلَّم بكلام حسن ويتكلَّم كلامًا حسنًا . انتهى . ١٩٤

والحاصل أنَّ فى هذه الباء أربعة أقوال : أحدها أنَّها للتعدية . ثانيها : أنَّها للتبعض بمعنى من . ثالثها : أنَّها بمعنى فى . رابعها : أنَّها زائدة .

وهذا على ما فى كتب المؤلفين . وأما الثابت فى شعر أبى ذؤيب من رواية أبى بكر القارئ ^(٣) وغیره فهو :

(١) معانى الفراء ٣ : ٢١٥ . وهى الآية ٩ من سورة الدهر أو الإنسان .

(٢) هنا ما فى ش ومعانى الفراء . وفى ط : « وأما يشربها » .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى القارئ . وقد سبقت ترجمته فى حواشى

٥ : ٤١٤ والإشارة إليه فى ١ : ٢٧٥ .

(تَرَوْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَنْصَبْتُ عَلَى حَبْشِيَّاتٍ لَهْنٌ نَجِيجٌ)

قال القارئ : تَرَوْتُ يعنى الحناتم . وتَنْصَبْتُ : ارتفعت . وعلى حبشيات : على سحائب سود . ونجيج : مرٌّ سريع .

وعلى هذه الرواية لا شاهد في الموضعين .

والبيت بعد مطلع قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، عدتها تسعة وعشرون بيتًا ، وهذا مطلعها عند أبى بكر القارئ وأبى حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) :
(سَقَى أُمُّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتُمُ سَوْدٌ مَاؤُهُنَّ نَجِيجٌ)

صاحب الشاهد

قال القارئ : الحناتم : السَّحَابُ فى سواده . والحننمة : الجرّة الخضراء ، شبه السحاب بها . والحناتم : الجرار الأخضر . ونجيج : سائل . انتهى .

وقال الدّينورى : الحنم من السَّحَاب : الأخضر ، وهو الأسود . ونجيج : متدفّق .

وقال ابن السّيد : الحناتم : سحابٌ سَوْدٌ ، واحدها حنم ، وأصل الحناتم جرارٌ مُحْضَرٌ ^(١) ولكنّ العرب تجعل كلّ أخضر أسود ، وإنّما يفعلون ذلك لأنّ الخضرة إذا اشتدّت صارت سوادًا ، ولذلك قالوا لليل : أخضر . قال ذو الرّمة :

* فى ظلّ أخضرَ يدعو هامه البوم ^(٢) *

(١) فى الاقتضاب : « جرار خضر » ، وما هنا صوابه . وأنشد فى اللسان لعمر بن شاس :

رجعت إلى صدر كجرة حنم إذا قرعت صفرا من الماء صلت

(٢) ويروى : « فى ظل أغصف » . و صدره فى الديوان ٥٧٤ :

« قد أعصف النازح المجهول معسفه »

وَأُمُّ عَمْرٍو مَفْعُولٌ مَقْدَّمٌ ، وَحَنَاتِمُ فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ ، وَكُلُّ آخِرِ لَيْلَةٍ ظَرْفٌ .
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَرِيدُ أَبَدًا . وَمِثْلُهُ : لَا أَكَلِّمُكَ آخَرَ اللَّيَالِي ، أَيْ لَا أَكَلِّمُكَ
 مَا بَقِيَ عَلَى مِنَ الزَّمَنِ لَيْلَةً . وَالتَّجُّجُ وَالتَّجْجِجُ : السَّيْلُ الشَّدِيدُ ، فَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ تَجْجِجًا بِمَعْنَى تَجَّجٌ ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ ذُو تَجْجِجٍ ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ،
 وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ أَوْقَعَ الْمَصْدَرُ مَوْقِعَ اسْمِ الْفَاعِلِ مَبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى . قَالَ ابْنُ
 السَّيِّدِ .

وَجَعَلَ الْعَيْنِيُّ وَتَبِعَهُ السِّيُوطِيُّ (فِي شَرْحِ آيَاتِ الْمَغْنَى) هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ
 الْبَيْتِ الشَّاهِدِ ، وَقَالَ : أَوَّلُ الْقَصِيدَةِ :

(صَحَابُ قَلْبِهِ بَلْ لَجَّ وَهُوَ لَجُوجٌ ^(١) وَزَالَتْ بِهِ بِالْأَنْعَمِينَ حُلُوجٌ)

وَهَذَا الْبَيْتُ غَيْرُ مُوجُودٍ فِي الْقَصِيدَةِ . وَرَوَاهُ الْعَيْنِيُّ :

* صَبَا صَبُوءٌ بَلْ لَجَّ وَهُوَ لَجُوجٌ *

وَأُورِدَ بَعْدَهُ أَرْبَعَةُ آيَاتٍ أُخِرَ إِلَى قَوْلِهِ سَقَى أُمُّ عَمْرٍو ، الْبَيْتَ الَّذِي
 ذَكَرْنَاهُ مُطْلَقًا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي تِلْكَ الْقَصِيدَةِ ، وَلَا هِيَ مِنْ
 نَسْجِهَا ، وَمَا أَدْرَى مَنْ أَيْنَ أَتَى بِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : (شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ) ، النُّونُ ضَمِيرُ الْخَنَاتِمِ . وَقَالَ الْعَيْنِيُّ :
 ضَمِيرُ السُّحْبِ . مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمَ لِلْسُّحْبِ ذِكْرٌ ، وَلَا فِي الْآيَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا
 أَوَّلَ الْقَصِيدَةِ .

(١) يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ رِوَايَةِ الْأَصْمَعِيِّ ، إِذْ مُطْلَعُهَا عِنْدَهُ هُوَ الْبَيْتُ السَّادِسُ فِي تَرْتِيبِ
 الْقَصِيدَةِ مِنْ رِوَايَةِ السَّكْرِيِّ وَإِغْفَالِ مَا قَبْلَهُ ، وَهُوَ :

سَقَى أُمُّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتِمُ سَوْدَ مَاؤُهُنَّ تَجْجِجُ

قال ابن السَّيِّد : هذيلٌ كُلُّهَا تَصِفُ أَنَّ السَّحَابَ تَسْتَقِي مِنَ الْبَحْرِ ثُمَّ
تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهَذَا مَا عَلَيْهِ الْحُكَمَاءُ مِنْ أَنَّ السَّحَابَ يَنْعَقِدُ مِنَ الْبَخَارِ ،
أَعْنَى الْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ الْمُتَحَلِّلَةِ بِالْحَرَارَةِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الرُّطْبَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَخَارَ
المذكور إذا تصاعد ولم يتلطَّف بتحلِيل الحرارة أَجْزَاءَهُ الْمَائِيَّةَ حَتَّى يَصِيرَ هَوَاءً ،
فإنَّهُ إِذَا بَلَغَ الطَّبَقَةَ الرُّمُهرِيَّةَ تَكَاثَفَ فَاجْتَمَعَ سَحَابًا ، وَتَقَاطَرَ مَطَرًا ، إِنْ لَمْ
يَكُنِ الْبَرْدُ شَدِيدًا . وَ (اللَّجَجُ) : جَمْعُ لُجَّةٍ ، وَهُوَ مَعْظَمُ الْمَاءِ . وَوَصَفَهَا ١٩٥
بِخَضَرٍ لَصَفَائِهَا ؛ يُقَالُ مَاءٌ أَخْضَرٌ ، أَيْ صَافٍ . وَ (نَتِيجُ) عَلَى فَعِيلٍ
مَهْمُوزِ الْعَيْنِ : الْمَرُّ السَّرِيعُ بِصَوْتٍ ، مِنْ نَأَجَتِ الرِّيحُ تَنْجًا نَتِيجًا :
تَحَرَّكَتْ ، فَهِيَ نَوْجٌ . وَلِلرَّيْحِ نَتِيجٌ ، أَيْ مَرٌّ سَرِيعٌ . وَجُمْلَةُ « لَهْنٌ نَتِيجٌ » فِي
مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ فَاعِلٍ تَرَفَّعَتِ الْعَائِدُ عَلَى خَتَامٍ بِمَعْنَى سَحَابٍ .
وَتَرْجُمَةُ أَيْ ذُوئِبِ الْهَذَلِيِّ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ السَّابِعِ وَالسَّتِينَ مِنْ أَوَائِلِ
الْكِتَابِ (١) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْخَامِسُ عَشَرَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ (٢) :

٥١٥ (أَوْ رَاعِيانِ بُعْرَانِ شَرَدْنَ لَنَا

كَئِى لَا يُحْسِنَانِ مِنْ بُعْرَانِنَا أَثَرَا)

عَلَى أَنَّ كَيْ فِيهِ بِمَعْنَى كَيْفَ ، أَوْ أَنَّ أَصْلَهَا كَيْفَ ، فَحُذِفَتِ الْفَاءُ
لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ .

(١) الْخُرَازَنَةُ ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ . .

(٢) ابْنُ يَعْشَرَ ٤ : ١١٠ وَمَعَانِي الْفَرَّاءِ ٣ : ٢٧٤ .

وهذا البيت أنشده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ^(١) ﴾ كذا :

مِنْ طَالِيْنَ لُبَيْرَانٍ لَنَا رَفَضَتْ كَى لَا يُحْسُونُ مِنْ بُعْرَانِنَا أَثَرَا

قال : هى فى قراءة عبد الله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ، والمعنى واحد ، إِلَّا أَنَّ سَوَفَ كَثُرَتْ فى الكلام وَعُرِفَ مَوْضِعُهَا ، فَتَرَكَ مِنْهَا الْفَاءَ وَالْوَاوَ ، وَالْحَرْفَ إِذَا كَثُرَ فَرُبَّمَا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، كَمَا قِيلَ أُيْشِيْ تَقُولُ ؟ وَكَأْ قِيلَ : قَمَ لَا أَبَاكَ ، وَقَمَ لَا بَشَائِيكَ ، يَرِيدُونَ : لَا أَبَا لَكَ ، وَلَا أَبَا لَشَائِيكَ . وَقَدْ سَمِعْتُ بَيْتًا حَذَفَتِ الْفَاءَ فِيهِ مِنْ كَيْفَ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

مِنْ طَالِيْنَ لُبَيْرَانٍ لَنَا رَفَضَتْ الْبَيْتَ

أَرَادَ : كَيْفَ لَا يُحْسُونُ . وَهَذَا كَذَلِكَ . انْتَهَى وَنَقَلْتَهُ مِنْ نَسْخَةٍ صَحِيحَةٍ بِنِخْطِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ صَاحِبِ تَارِيخِ بَغْدَادَ .

وَأَنْكَرَ أَبُو عَلِيٍّ (فى البغداديات) هَذَا ، وَحَتَّمَ أَنْ تَكُونَ كَى فِيهِ بِمَعْنَى اللَّامِ ، وَهَذِهِ عِبَارَتُهُ : أَنْشَدَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ ابْنِ الْجَهْمِ عَنِ الْفَرَّاءِ :

مِنْ طَالِيْنَ لُبَيْرَانٍ لَهُمْ شَرَدَتْ كَيْمَا يُحْسُونُ مِنْ بُعْرَانِهِمْ خَبْرَا

قال الفراء : أَرَادَ كَيْفَ فَرَّخِمَ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَذَا خَطَأٌ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ وَبَسَطَهُ ، أَنَّ كَيْفَ اسْمٌ ^(١) يَمْتَنَعُ تَرْخِيمُهُ ، مِنْ غَيْرِ وَجْهِ :

أَحَدُهَا : أَنَّهُ اسْمٌ ثَلَاثَى ، وَالثَّلَاثَى لَمْ يَجِئْ مَرَّحْمًا إِلَّا مَا كَانَ ثَالِثَهُ تَاءً تَأْنِيْثَ .

(١) الكلام من هنا إلى « فَإِنْ كَيْفَ اسْمٌ » ساقط من ش .

والآخر : أنه منكور ، والمنكور لا يرثم كما لا يبنى ، والترخيم أبعد من البناء ، فإن امتنع بناؤه كان ترخيمه أشدَّ امتناعاً أيضاً ، فإنَّ كيف اسمٌ مبنيٌّ مشابه للحرّوف ، والحذف إنّما يكون في الأسماء المتمكّنة والأفعال المأخوذة منها ^(١) ولا يكون في الحروف . كذلك ينبغي أن لا يكون فيما غلب [عليه] ^(٢) شبهها وصار بذلك في حيّزها . فإن أراد بالترخيم ما يستعمله النحويّون في هذا النوع من المنادى فهو غير منادى ، وإن أراد به الحذف فهو غير سائغ .

فإن قلت : فقد قالوا : لُد ، ولُدُنْ ، فحذفوا منه وهو غير متمكّن ، فكذلك يسوغ الحذف من كيف .

فالجواب أنّه لا يسوغ الحذف من حيث حذف من لدن ، وذلك أنّ لدن لَمَّا فتح ما قبل النون منها وضُمّ ، ونصب الاسم بعدها في قولهم « لدن غلوة » ضارَع التّونين الزائد في الاسم ، لاختلاف الحركة قبلها وانتصاب الاسم بعدها ، فحسن لذلك حذفها كما يحذف الزائد .

وأيضاً فإنّ هذا الاسم يضاف في نحو قولهم : لُد الصلاة ، ويدخل عليه حرف الجر ، ويضاف إلى المضمر والمظهر . وكل ذلك توسّع فيها ليس في كيف مثله ، فيسوّغ فيه في دخول ذلك ما لا يسوغ في كيف . وأيضاً فإنّ النون شديدة المشابهة بحروف اللّين . ألا تَرَاهَا تُزاد في مواضع زيادتها وتلحق علامة الإعراب ، كما يزداد ماهو منها . وحذفها فاءً في قوله :

١٩٦

(١) كنا في النسختين ، والوجه « المأخوذة منها » .

(٢) تكملة يفتقر الكلام إليها .

* وهل يَعْمَنُ من كان في العَصْرِ الخالي ^(١) *

وفي نحو : « عَمُوا ظِلَامًا » ^(٢) . فحذفه أسهل لذلك من حذف غيره . ولو لم يكن في النون من هذه الكلمة ما ذكرنا لما كان لحمل كيف عليه مَسَاغٌ ما وُجد لغيره مجاز .

فإن قلت : فكيف وجه البيت عندك ؟ فالقول أن كى على ضريين : تكون مرّة بمعنى اللام ، وذلك في قولهم : كيمه . وتكون في معنى أن في نحو : ﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا ﴾ ^(٣) فنقول : إن كى في البيت هي التي بمعنى اللام ، فيمن قال كيمه ، دخلتها ما كأفة فممنعتها العمل الذي تعمله ، فارتفع الفعل بعدها ، لكف « ما » لها عن الدخول على الفعل ، كما كفت ربّ ومن في قولهم : ممّا أفعل ، وربّما يقوم . ونظير هذا ما أنشدناه عن أبي الحسن من قوله : إذا أنت لم تنفع فضّر فإتما يُرجى الفتى كيما يضر وينفع ^(٤)

فعلى هذا يُحمَل هذا البيت . انتهى .

وهذا كله تطويل بلا طائل ، فإن رواية الفراء الثابتة عنه : « كى لا » ، بلا النافية لا بـ ، والتصرف في الحرف بالحذف وغيره ثابت ، مع أنه خلاف الأصل ، فكونه في الاسم أولى وأحق .

ونظير حذف الفاء من كيف حذفها من سوف ، فإنهم يقولون : سوف أفعل ، والأصل سوف أفعل .

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٢٧ . و صدره :

• ألا عم صباحا أيها الطلل البالي •

(٢) لسمير بن الحارث . والبيت بتمامه كما في ٦ : ١٦٧ .

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٤) لقيس بن الخطيم في ديوانه ١٧٠ . وهو الشاهد ٦٥٦ .

وقد حذفت النون من مِنْ حرف الجر فقالوا : م الرجل ، والأصل من الرجل .

وقد حذفت مِنْ « على » الحرفية اللام والألف كما قال الشاعر ، وأنشده سيبويه في آخر كتابه :

* طفت علماء غرلة خالد ^(١) *

والأصل : على الماء .

والمراد بالترخيم في نحو هذا التخفيف بالحذف ، وهو شائع في كلامهم ، فلا وجه للترديد بين ترخيم المنادى وغيره .

على أَنَّ الفراء إنما عبّر بالحذف لا بالترخيم ، ومحصل كلامه إنكار مجيء كى مخففاً من كيف . وحمل كى في البيت على أَنَّها بمعنى اللام بمعونة ما الكاف لها عن النصب ، على تقدير صحة نقله ، فما يصنع بقول الآخر ، وقد أنشده ابن هشام (في المغني) في كى وفي كيف :

كى تجنحون إلى سليم وما ثمرت قتلاكم ولظى الهيجاء تضطرم ^(٢)

وليس بعدها ما ، والمعنى على الاستفهام . ولعله يقول إن كى موضوعة للاستفهام عن حال الشيء بمعنى كيف ، إلا أَنَّها مخففة من كيف ، كما هو مذهب جماعة ، وحكاها الشارح المحقق عن الأندلسي .

(١) للفرزدق . الشنتمري ٢ : ٤٣٠ . وصلره :

• فما سبق القيسى من سوء سيرة •

(٢) غير منسوب . وانظر المغني ١٨٢ ، ٢٠٤ وما سيذكره البغدادى ١٠٧ - ١٠٨ .

وقال ابن يعيش (في شرح المفصل) : وفي كيف لغتان قالوا : كيف وكى ، قال الشاعر :

أو راعيان لُبَّعْرانٍ لنا شَرَدَتْ كى لا يُحسَّانِ من بُعْراننا أثرا

قالوا : كى . ههنا بمعنى كيف ، استفهام . وقال قوم : أراد كيف ، وإنما حذف الفاء تخفيفاً كما قالوا : سَوُ أفعَل ، والمراد : سوف أفعَل . انتهى .

وعلى هذا الأخير اقتصر صاحب المغنى . والظاهر أنَّ هذا من قبيل ضرورة الشعر ، إذ لو كانت كى موضوعة للاستفهام لوردت في النثر ، ولتَوَثَّت في كتب اللغة كسائر الألفاظ الموضوعة .

والبيت الأول غير واضح المعنى ، وقائله غير معروف ، وما قبله مجهول .

و (البُعران) بالضم : جمع بعير ، وهو في الإبل بمنزلة الرجل في الإنسان . والنون في (شردن) للإبل ، لأنها جماعة . ورواه ابن يعيش : « شَرَدَتْ » بالتاء مع تقديم « لنا » عليه . و (يُحسَّان) بضم الياء : مضارع : أحسَّ الرجل الشيء إحساساً : علم به . و (أثرا) مفعول به . ورواية أبى على قريبة من رواية الفراء .

وقوله : « من طالين » هو جمع مجرور بمن . و « رفضت » بالفاء والضاد المعجمة ، قال في المصباح : رفضت الإبل من باب ضرب : تفرقت في المرعى . ويتعدى بالألف في الأكثر فيقال أرفضتها ، وفي لغة بنفسه .

وقائل البيت الثاني مجهول أيضاً . وزعم العيني وتبعه خدمة المغنى أنه من أبيات سيبويه ، وهذا لا أصل له ؛ فإثني قد تصفحت أبياته

مراراً فلم أجذه فيها . وتجنحون : تميلون . والسلم ، بكسر السين وفتحها :
 الصلح . وتُمرت بالبناء للمفعول . وقتلاكم : نائب الفاعل من ثارت القتيل :
 طلبت دمه وقتلتُ قاتله . والثارُ مهموز . والهيحاء : الحُرب . وتضطرم :
 تلتهب . والجملتان حالان من الواو في تجنحون .

وَأَتَعَجَّبَ من العيني في قوله : « الشاهد في كى ، فإنه بمعنى كيف
 وهو اسمٌ لا شكَّ فيه ككيف ، لدخول حرف الجرِّ (١) عليه » . انتهى .

* * *

وَأَنشُدْ بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الخمسمائة (٢) :

٥١٦ (يَا أَبَا الْأَسْوَدِ لِمَ أَسْلَمْتَنِي لَهُمُومَ طَارِقَاتٍ وَذَكَرُ)

على (أَنْ) لِمَ مركبة من اللام وما الاستفهامية ، فلما جُرَّت باللام
 حذفت الألف وسكنت الميم ، كما أَنَّ كم مركبة من الكاف وما الاستفهامية .

وهذا قول الفراء (في تفسيره) ، أورده في شرح لكنَّ من قوله تعالى :
 ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ من سورة يونس (٣) ، قال : ونرى أَنَّ قول
 العرب : كم مآلك ، أَنَّها ما وصلت من أولها بالكاف ، ثم إِنَّ الكلام كثر بكم
 حتى حذفت الألف من آخرها وسكنت ميمها ، كما قالوا : لِمَ قلت ذاك ؟
 ومعناه : لِمَ قلت ذاك ؟ ولما قُلْتَ ذاك ؟ كما قال الشاعر :

(١) ط : « حرف الجار » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

(٢) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ والإنصاف ٢١١ ، ٢٩٩ وابن يعيش ٩ : ٨٨ وشرح

شواهد الشافعية ٢٢٤ والمغنى ٢٩٩ والجمع ٢ : ١١١ .

(٣) معاني الفراء : ١ : ٤٦٦ في الآية ٤٤ من سورة يونس .

يا أبا الأسود لِمَ أَسْلَمْتَنِي (البيت)

وقال بعض العرب في كلامه - وقيل ^(١) : مَذْكَمٌ قَعْدُ فُلَانٍ ؟ - فقال : كَمْذُ أَخَذْتُ فِي حَدِيثِكَ . فَرَدُّهُ الْكَافُ فِي مَذْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَافَ فِي كَم زَائِدَةٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ فيقول : كَالْخَيْرِ ، وَكَخَيْرِ ^(٢) . وقيل لبعضهم : كَيْفَ تَصْنَعُونَ الْأَقْطَ ؟ فقال : كَهَيْئِ ^(٣) انتهى .

وقوله : « لِمَ » قلت ، بسكون الميم ، ظاهرُهُ أَنَّهُ جَائِزٌ فِي الْكَلَامِ غَيْرُ مَخْصُوصٍ بِالشَّعْرِ ، وَيُوَيِّدُهُ قول ابن السجري (في أماليه) : ومن العرب من يقول : لِمَ فَعَلْتُ ؟ بِاسْكَانِ الميم . قال ابن مقبل :

أَخْطَلُ لِمَ ذَكَرْتَ نِسَاءَ قَيْسٍ فَمَا رُوعَنَ عَنْكَ وَلَا سِينَا ^(٣)

وقال آخر :

يا أبا الأسود لِمَ خَلَيْتَنِي لَهْمُومٌ طَارِقَاتٍ وَذِكْرٌ . انتهى .

وكذا (في شرح الشافية) للشارح المحقق قال : وَأَمَّا عَلَى مَهْ وَإِلَى مَهْ وَحَتَّى مَهْ ، فـ«مَا» فِيهَا جُزْءٌ مِمَّا قَبْلَهَا ، لَكُنْ مَا قَبْلَهَا حُرُوفًا ، فَلَا تَسْتَقِيلُ ، فَيَجُوزُ لَكَ الْوَقْفُ بِالْهَاءِ ، كَمَا ذَكَرَ ، وَيَسْكُونُ الْمِيمُ أَيْضًا لَكُنْ عِلَامًا مِثْلًا كَقُلَامٍ . قال :

يا أبا الأسود لِمَ خَلَيْتَنِي (البيت) انتهى

فقول ابن هشام (في المغنى) إِنْ تَسْكِينُ الْمِيمِ بَعْدَ حَذْفِ الْأَلْفِ

(١) في معاني الفراء : « وقيل له » .

(٢) انظر اللسان (كوف ٢٢٣) .

(٣) في ديوان نعيم ٣١٢ : « فما روعن منك » .

مخصوص بالشعر ، غير صحيح . وقد تقدّم في الشاهد السادس والثلاثين بعد الأربعمائة ^(١) ، ما يتعلق بحذف ألف ما الاستفهامية .

وقوله : (أَسْلَمْتَنِي) هو من أسلم أمره لله وسلّم ، بمعنى فوّض ، أو من أسلم الأجير نفسه للمستأجر : مكّنه من نفسه ، وكذلك سلّم بالتشديد . ويجوز أن يكون من أسلمه بمعنى خذله . وروى بدله : « خَلَيْتَنِي » بمعنى تركتني . وروى أيضاً « خَلَفْتَنِي » ، قال الدماميني : معناه أخرتني ^(٢) . و (الهموم) : الأحزان . و (الطُروق) : الجيء ليلاً . وإنما جعل الهموم طارقاتٍ لأنّ أكثر ما يُعْتَرَى الإنسان في الليل ، حيث يجمع فكره ويخلو باله ، فيتذكّر ما هو فيه من الأحوال الموجهة والمصائب المؤلمة . و (ذكر) بكسر ففتح ، قال الشاطبي (في شرح الألفية) : هو جمع ذكّرى على خلاف القياس ^(٣) ، لأنّ شرط الجمع على فَعَل أن يكون مفردة فَعْلَة مكسور الفاء مؤنثاً بالتاء . وقال الدماميني : هو جمع ذكّرى وهو نقيض التّسيان . أو جمع ذكّرة بمعنى ذكّرى . وهو على الأوّل محفوظ ، وعلى الثاني مقيس . انتهى .

قال صاحب المصباح : ذكرته بلساني وبقلي ذكّرى بالتأنيث وكسر الذال ، والاسم ذكر بالضم والكسر ، نصّ عليه جماعة منهم أبو عبيدة وابن قتيبة . وأنكر الفراء الكسر في القلب ، وقال : اجعلني على ذكّرك منك بالضم لا غير . ولهذا اقتصر جماعة عليه . ويتعدّى بالألف والتضعيف ، فيقال أذكرته وذكرته ما كان ، فتذكّر . انتهى .

(١) الخزانة ٦ : ٩٩ - ١٠٢ .

(٢) كلمة « معناه » ساقطة من ش .

(٣) كلمة « على » ساقطة من ش .

والبيت مع كثرة تداوله في كتب النحو والصرف لا يعرف قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(صَرِيْعٌ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرُقْنَه لُدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ الذَّوَابِ)
على أنَّ (لدن) إذا أُضيفت إلى الجملة تَمَحَّضَتْ للزمان .
هذا هو التحقيق ، لبقاء حكم المضاف إلى الجمل على وتيرة واحدة .
وقال أبو حيان (في الارتشاف) : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف
المكان إلا لدن وحيث ، فتضاف إلى جملة الابتداء نحو :
* وتذكر نِعْمَاهُ لَدُنْ أَنْتِ يَا فَعَّ (١) *

وإلى الفعلية ، نحو :

* لَزِمْنَا لَدُنْ سَاءَلْتُمُونَا وَفَاقَكُم *

وجاءت أنَّ زائدة بعدها في قوله :

* وَلَيْتَ فَلَمْ تَقْطَعْ لَدُنْ أَنْ وَلَيْتَنَا (٢) *

قال ابن الدَّهَّان : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف المكان إلا حيث
وحدها . وَلَدُنْ شَبَّ ، على إضمار أن ، كما صَرَّحَ بآن في قوله :

* أَرَانِي لَدُنْ أَنْ غَابَ رَهْطِي (٣) * انتهى

وتقدَّم الكلام على البيت قريباً (٤) .

* * *

(١) عجزه كما في الهمع ١ : ٢١٥ :

• إلى أنت ذو فودين أبيض كالنسر •

(٢) من شواهد الهمع ١ : ٢١٥ والأشعوني ٢ : ٢٦٢ . وعجزه كما في الدرر ١ : ١٨٤ :

• قرابة ذي قرى ولا حق مسلم •

(٣) في الدرر ١ : ١٨٤ : * أَرَانِي لَدُنْ أَنْ غَابَ رَهْطِي وَإِخْوَتِي * .

(٤) انظر الشاهد ٥١٢ من هذا الجزء ص ٨٦ - ٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الخمسمائة ^(١) :

٥١٧ (فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غُلَامٌ)

على أَنَّ الجملة التى بعد لدن يجوز تصديرها بحرف مصدرى .

وهذا البيت أنشده ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، ونسبه

صاحب الشاهد كالشارح إلى عمرو بن حسان ^(٢) من بنى الحارث بن همام . وقال شارح

أبياته ابن السيرافى فى قوله : « فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي » إلخ . أَى طَلَبُ الْغِنَى فى

أَوَّلِ أَمْرِي وَحِينَ شَبَابِي ، فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن

فقيرًا . فلا تأمرنى بطلب المال وجميعه وترك فريقه ، فإننى لا أبلغ نهاية الغنى

بالمع ، ولا أفتقر بالتبدل . انتهى .

قال صاحب الصحاح : الْكُثْرُ بِالضَّمِّ مِنَ الْمَالِ : الْكَثِيرُ . يقال مَالُهُ

قُلٌّ وَلَا كُثْرٌ . وأنشد البيت .

وقال فى (قتر) : وأقتر الرجل : افتقر . وأنشده أيضاً ^(٣) .

وقال فى (عى) : وَعَيَيْتُ بِأَمْرِي ، إذا لم تهتد لوجهه . وأعيانى هو .

وأنشده أيضاً ، وقال : يقول كنت متوسطاً لم أفتقر فقراً شديداً ولا أمكننى

جمعُ المال الكثير . ويروى : « أعناني » أَى أَذَلَّنِي وَأَخْضَعْنِي . انتهى .

وهذا البيت يدل للشارح المحقق على أَنَّ لدن إذا أضيفت إلى الجملة

تكون ظرف زمان . وهذا ظاهر منه .

(١) إصلاح المنطق ٣٣ ، ١٦٧ ، ٣٦٤ وأمال ابن الشجرى ١ : ٢٢٢ .

(٢) إنما نسبه لرجل من ربيعة .

(٣) ط : « وأنشد أيضا » ، وأثبت ما فى ش .

وعمر بن حسان : شاعرٌ صحابي ، ذكره ابن حجر في الإصابة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥١٨ (طَارُوا عَلَاهُنَّ فِطْرٌ عَلَاهَا وَاشْدُوْا بِمِثْنِي حَقْبٍ حَقَّوْهَا)

على أنه قد حُكي عن قوم من العرب : لَدَاكَ ، وَإِلَاكَ ، وَعَلَاكَ ، فلم يقلبوا الألف ياءً مع المضمر في علاننَّ وعلاها ، وفي المثنى أعنى حَقَّوْهَا . وكان القياس : عليهن ، وعليها ، وحَقَّوْهَا .

قال أبو حاتم (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) : هذه لغة بني الحارث ابن كعب ، ولغتهم قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً ، يقولون : أخذت الدرهمان ، والسلامَ علام . انتهى .

وسياتي بقية الكلام عليه إن شاء الله في المثنى .

قال أبو زيد (في نوادره) : قال المفضل : أنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن :

(أَيْ قَلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا طَارُوا عَلَيْنَّ فَشُلَّ عَلَاهَا)

وَاشْدُوْا بِمِثْنِي حَقْبٍ حَقَّوْهَا نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا)

القَلُوصُ مؤنثة . علاها ، يريد عليها ، وهي لغة بني الحارث بن

(١) الإصابة ٥٨٠٧ وقال : « تقدم ذكره في ترجمة (سنبر) » . وقد ترجم ابن حجر لسنبر

في رقم ٣٥٠٩ .

(٢) نوادر أبي زيد ٥٨ ، ١٦٤ والخصائص ٢ : ٢٦٩ وابن عيش ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ وشرح

شواهد الشافية ٣٥٥ والمعنى ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ . واللسان (طبر ، علا) .

كعب . وأما « أبأها » فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال هذا أباك ، في وزن هذا قفاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : يقال أب وأبان ، مثل يد ويدان ، أراد الاثنين . والناجى : الماضى . انتهى .

وأنشد أبو زيد البيتين الأولين من الأربعة في أوائل النوادر ، ثم قال : وأما أبأها ، يعنى في البيت الرابع ، فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال : هذا أباك في وزن هذه عصاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : ولكن يقال أب وأبان ، كقولك : يد ويدان ، فأراد الاثنين . انتهى .

قال أبو الحسن الأخفش (في شرح النوادر) : قال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة عن هذه الأبيات فقال : انقُطْ عليها ، هذا من صنعة المفضل . انتهى .

وقوله : « أئى قلوصل راكب » بإضافة قلوصل إلى راكب ، وأئى استفهامية قصد بالاستفهام المدح والتعظيم ، وقد اكتسب التأنيث من قلوصل ، ولهذا أعاد الضمير عليها مؤنثا . أو فيه قلب والأصل قلوصل أئى راكب تراها . وهذا هو الظاهر . وأئى منصوب من باب الاشتغال ، ويجوز الرفع على الابتداء . والقلوصل بالفتح : الناقة الشابة .

وقوله : (طاروا عليهن) كذا في موضعين من النوادر ، ورواه الجوهري : « طاروا علاهن » كالثاني . وطاروا ، يقال طار القوم أى نفروا مسرعين . كذا في المصباح . ورواه ابن هشام (في شرح الشواهد) : « شألوا علاهن » وقال : شال الشيء شولا ، إذا ارتفع . والأمر شُل بالضم . ويتعدى بالهزمة وبالباء ، فيقال أشلته وشلت به . وقول العامة شِلته بالكسر لحن من

٢٠٠ وجهين ، والمفعول محنوف ، أى برحالهم وبرحلك . انتهى .
والظاهر أنَّ المراد ارتفعوا على إبلهم فارتفع عليها . ولا حاجة إلى ذكر
المفعول المعدى بالباء . ويؤيده رواية « طاروا » ، فإنَّ المعنى أسرعوا مُحَقِّقِينَ .
ورواية الشارح « فَطِرَ عَلَاهَا » هى رواية صاحب الصحاح . و (الْحَقَب)
بفتح الحاء المهملة والقاف ، قال فى الصحاح : هو جبل يُشَدُّ به الرَّحْلُ إلى
بطن البعير مما يلى ثِيْلَهُ ، أى ذَكَرَهُ ، كى لا يجتذبه التَّصْدِيرُ . تقول منه :
أَحَقَبْتُ البعير . انتهى .

و (المثنى) : مصدر ميمى من ثنيت الشيء ثنيا ومَثْنَى ، إذا عطفته ،
أريد به اسم المفعول ، أى المعطوف ثانيًا . و (حَقَّوْهَا) : مثنى حَقَّوْ بفتح
الحاء المهملة وسكون القاف (١) ، وهو الحَصْرُ وَمَشْدُ الإِزَارِ مثلاً . وقول أبى
زيد : إِنَّ أَبَاهَا مَثْنَى أَب حذفت النون للإضافة ، أراد أَبَاهَا وَأُمُّهَا فَثْنَى عَلَى
التغليب .

وأنشد الجوهري الأبيات (فى علا) بهذا الترتيب :
أَيَّ قُلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا فَاشْدُدْ بِمَثْنَى حَقَبِ حَقَّوْهَا
نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا طَارُوا عَلَاهُنَّ فَطِرَ عَلَاهَا

* * *

(١) ويقال أيضا حقو ، بالكسر ، كما فى اللسان والقاموس وغيرهما .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد الخمسمائة ^(١) :
 ٥١٩ (فلولا ثبُلُ عَوْضٍ في حُطْبَيَّ وأوصالي)

على أَنَّ (عَوْضًا) قد يستعمل لمجرد الزمان فيعرب .

جعل الشارح المحقق استعماله لمجرد الزمان سبباً لإعرابه ، أى الزمان المجرد عن العموم والاستغراق ، بأن يكون نكرة غير مضمَّن معنى الإضافة . فإن ضُمَّنَّها بنى على الضم كما سيأتى فى كلامه . وإن أُضيف لفظاً أعرب . فيكون له ثلاثة استعمالات ^(٢) :

الأول : ما نكر بأن قطع عن الإضافة لفظاً ومعنى ، كما فى البيت ، وفى قولهم : من ذى عَوْضٍ ، فيعرب جرّاً بإضافة شيءٍ إليه . ولم يُسمع نصبه منوناً على الظرفية .

الثانى : ما حُذف منه المضاف إليه وضُمَّنَّ معناه ، فيبنى على الضم أو أحد أخويه ^(٣) نحو : لا أفعله عوضُ ، والأصل : عوض العائضين .

والثالث : ما أُضيف لفظاً كعَوْضٍ العائضين .

هذا مقتضى كلامه ، وهو الحقُّ الذى لا ينبغي أن يُحدَّ عنه ، فإنه جمع شَمَلَهَا المتفرَّق فى كتب النحويِّين بإدخالها فى حكم ظروف الجهات .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وقد يضاف إلى العائضين أو يضاف إليه فيعرب . وأورد هذا البيت ، وقال : وعوض الظرف يبنى على الضم والفتح والكسر .

(١) مع الموامع ١ : ٢١٣ والحامسة بشرح المرزوق ٥٣٨ .

(٢) ش : ثلاث استعمالات . وهو جائز على مذهب البغداديين ، فإنهم يعتبرون لفظ الجمع . وانظر الأشمونى فى أول باب العدد .

(٣) يعنى الألف والواو .

وقال ابن هشام (في المغنى) : هو معرب إن أضيف كقولهم :
لا أفعله عوض العائضين ، مبنئ على أحد الحركات ^(١) إن لم يضاف .
فالأول يشمل ما قاله الشارح المحقق ، لكن لا بذلك الحكم . والثاني
يقتضى بناء نحو البيت على حركة ، ولا قائل به .

والعجب من ابن المُلّا فإنه شرح كلام المغنى بكلام الشارح المحقق .
وقال ابن جنّى في الكلام على هذا البيت ^(٢) من إعراب الحماسة :
وأما إعرابه فلائّه اضطرّ إليه كما يضطرّ الشاعر إلى صرف ما لا ينصرف . وهو
مبنئ على الضم والفتح . هذا كلامه

فيقال له : أى ضرورة في قولهم : أفعَلْ ذاك من ذى عَوْض ؟

وأما شراح الحماسة فالفهم من كلامهم أنه مبنئ في البيت . ولم
يتعرضوا لإعرابه بوجه . قال المرزوق : عوض اسمُ الدهر معرفة مبنى ، وكا
يبنى على الفتح قد يبنى على الضم ، والضم فيه حكاة الكوفيين . ويقال
لا أفعله عَوْضَ العائضين . وإنما يبنى لتضمّنه معنى الألف واللام . انتهى .

وقد سطرها الخطيب التبريزى (في شرحه) من غير زيادة .

وأما الأمين الطبرسى فلم يزد على قوله : عوض من أسماء الدهر .
وهذا كله مما يستغرب منه .

وقول الشارح المحقق : « وعوض في الأصل اسم للزمان والدهر » ،

(١) على أحد الحركات ، ليس من لفظ ابن هشام . والوجه « إحدى الحركات » .

(٢) في النسختين : « على هذا الكلام » ، والوجه ما أثبت .

بل الأصل مصدر عاضنى الله منه عَوْضًا بفتح فسكون ، وعَوْضًا بكسر
ففتح ، وعِياضًا بالكسر . كذا (فى العباب) . فالعوض : كل إعطاء يكون
خلفًا من شئ .

قال ابن جنى فى شرح البيت : إِنَّمَا سَمَوْا الدَّهْرَ عَوْضًا لِأَنَّهُ مِنْ
التَّعْوِيزِ ، وذلك أَنَّهُ كَلِمَا مَضَى جُزْءٌ مِنَ الدَّهْرِ خَلْفَ آخَرٍ مِنْ بُعِيدِهِ ،
فكان الثانى كالعوض من الأوّل . وقد ذكرت هذا الموضع (فى كتابى الموسوم
بكتاب التعاقب) .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقيل : بل لِأَنَّ الدَّهْرَ فى زعمهم
يَسْتَلْبِ وَيَعْوِضُ .

وقوله أيضًا : « ويقال افعَلْ ذلك من ذى عوض » ^(١) إلخ ، افعَلْ يقرأ
أمرًا وخبرًا ، والمعنى افعله فى زمانٍ ذى تعويض ، أى فى زمان يكون عوضًا من
هذا الزمان ، وهو المستقبل .

وأُنف ، يضم الألف والنون ، معناه الابتداء الجديد ، أى الإضافى
بالنسبة إلى ما قبله . والمعنى : افعله فى زمان ^(٢) ذى ابتداءٍ متجدّد ، وهو
الوقت الذى يتجدّد بانقضاء ما قبله ، كالיום واللييلة ، والأسبوع ،
والشهر ، والسنة . والفعل منه استأنف استئنافًا . ومنه حديث ابن عمر :
« إِنَّمَا الْأَمْرُ أُتِفَّ » أى يستأنف استئنافًا من غير أن يكون سبق به
سابق قضاءٍ وتقدير . وروضة أُتِفَّ ، أى مستجدّة لم تطأها الماشية

(١) يشير إلى كلام الرضى فى شرح الكافية ٢ : ١١٦ . وبقية : « كما يقال من ذى أنف » .
ولنا أفاض البغدادى فى شرح لفظ « أنف » فيما سأتى .

(٢) ش : « من زمان » .

ولم ترعَها . ومنه حديث أنى مسلم الخولاني : « ووضعها في أنف من الكلاء
وصفّو من الماء » . ورجلٌ مثناف ، أى ترعى ماشيته أنف الكلاء . وكأس
أنف : مستجدة للشرب فيها لم تستعمل ^(١) قبل هذا الوقت . وقولهم : فعله
أنفاً ، بالمد وكسر النون ، من هذا أيضاً ، وهو أول الزمان الذى أنت فيه .
ويقال أيضاً : افعلْ ذاك من ذى قَبْل ، بفتح القاف والموحدة ، وهو
اسم مصدر لأقبل إقبالا . أى فى زمان ذى إقبال . وفى فصيح ثعلب :
لا أكلمك إلى عشرين ذى قَبْل ، أى إلى عشر ليال من زمان ذى استقبال ،
أى من مستقبل الشهر .

والبيت من أبيات ثمانية للفند الزمانى ، أوردها أبو تمام (فى مختار صاحب الشاهد
أشعار القبائل) و (فى الحماسة) ، وأولها :

أبيات الشاهد

(أيا طعنة ما شيخ كبير يقن بالى
تقيم الماتم الأعلى على جهد وإعوال ^(٢)
ولولا نبل عوض فى حطبائى وأوصالى
لطاقنت صدور الخيل طعنا ليس بالآلى)

وقوله : « أيا طعنة » إلخ ، قال الإمام المرزوق : أراد : ياطعنة شيخ ،
وما زائدة ، وهذا اللفظ لفظ النداء والمعنى معنى التعجب والتفخيم ، أراد : ما
أهولها من طعنة ، ويألها من طعنة بدرت من شيخ كبير السن ، فاني القوى

(١) ش : « لم يستعمل » ، صوابه فى ط . والكأس مؤنثة .

(٢) ط : « على عهد » ، صوابه فى ش والحماسة .

بالي الجسم . واليَقَن : الشيخ الهرم . ويجوز أن يكون المنادى محذوفاً وطعنة منصوب بفعل مضمر ، كأنه أراد : يا قوم اذكروا طعنة شيخ . انتهى .

وقد بينَّ الوجهين أبو هلال العسكري (في شرح الحماسة) قال : في ندائه وجهان : أحدهما أن يعجب من فظاعتها ، فكأنه يقول : هلمّي يا طعنة فاعجبي أنت أيضاً من سعتك وهولك . والآخر : أن المنادى غير الطعنة ، كأنه قال : يا هؤلاء اشهدوا طعنة لا يطعن مثلها شيخ . وإنما قال طعنة شيخ ، لأن قبيلة بكر قالت : وما يُغنى هذا العشمة ! وذلك أن عِدَادَ زَمَانٍ في بني حنيفة ، وكانوا اعتزلوا حرب بكر وتغلب حتى كتب إليهم الحارث بن عباد يعنفهم ، فسرّحوا إليهم فئداً ، في سبعين ركباً ، وكتبوا إليهم : « إِنَّا أمددناكم بمائة فارس » . قال مؤرّج : « أمددناكم بألف رجل » . فقالت بكر : وما يُغنى هذا العشمة ؟ وكان شيخاً ، وله مائة وعشرون سنة . فقال : أما ترضون أن أكونَ لكم فئداً من أفناد حَضَن^(١) ، تلودون بي ؟! فأرسلوه في الطلائع ورجع وليس معه رحه ، فسئل عنه فقال : طعنت به رجلاً فأنفذته وأجرته إياه . قالوا : ما نراك إلا سُلَيْبته ! فقال : تقدّمون فتتظرون .

وقال مؤرّج : كان عمرو بن الرّقبان التغلبي حمل على بكر ، فمرّ على صبيّ عند أمّه ، فانتظمه برمحه ، وحمله على رأس الرمح ، وصرخت أمّه ، فقال : « تحتني أمّ الرّبع » . فحمل عليه الفند فطعنه فأنفذه . وتزعم بكر أنه طعنه وخلفه رديف له ، فانتظمهما . وهذا مشهور في بكر وتغلب ، أعنى

(١) الفند : القطعة العظيمة من الجبل . وحضن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد .

طعنة عمرو ، وطعنة الفند ، وقيل فيه شعر مصنوع قديم ، يعنى هذه الأبيات . انتهى .

وقوله : « تقيم المأتم » إلخ قال المرزوقي : هذا من وصف الطعنة ، كأنه كان تناولها رئيساً ^(١) ، فلذلك وصف المأتم بالأعلى . والمأتم أصله أن يقع على النساء يجتمعن في الخير والشر ، واشتقاقه من الأتم وهو الضم والجمع ، ومنه الأتوم وهى المرأة التى صار مَسْلُكُهَا مَسْلُكًا واحدًا . وأراد بالمأتم هنا الاجتماع للرزية ، وهو مصطلح وصف به . ويجوز أن يراد به أهل المأتم فحذف المضاف . والأعلى يُراد به الأَفْظع شأنًا . ووصف الطعنة بأنها تقيم الجمع على مجاهدة بلأى ^(٢) ، وإسراف فى الصَّيَّاح والعواء ، أى تُدِيم ذلك له . والتعويل والعولة : صوتُ الصُّلر . انتهى .

وقال التبريزي : الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

وقوله : (ولولا تَبَلَّ عَوْض) إلخ أجمعوا فى هذا الموضع على أن عوضاً اسم الدهر ، وقد شذَّ بعضهم فقال : عوضٌ : رجلٌ كان يعمل التَّبالَ جيِّدةً ، فشبه ما ناله من نوائب الزمان بإصابة تلك التبال . هذا كلامه . و (حُطْبَائِي) بالإضافة إلى ياء المتكلم . والحُطْبُيُّ بضم الحاء المهملة وضم الظاء المشالة والمعجمة بعدها موحدة مشددة وألف مقصورة ، قال القالى (فى المقصور والمملود) : هو الظَّهر . قال : ووزنه فُعْلَى ، ولم يأت على هذا الوزن إلا الاسم دون الصفة . وقال ابن ولاد (فى المقصور والمملود) : هو الصُّلْب ،

(١) كذا فى النسخين . والذى فى المرزوقي : « كان تناولها رئيساً » .

(٢) فى شرح الحماسة : « على مجاهدة وبلاء » .

يعنى ظهر الرجل . وقال أبو هلال العسكري (فى شرحه) : قال أبو الندى ^(١) : الحُطَّيى : عِرْق فى الظهر . وقال غيره : الحُطَّيى : عِرْق يتدنى من القلب ويبدو عند السرة ، ثم يتشعب فتتفرق شعبه فى الظهر ، يسميه الأطباء : الشريان العظيم ^(٢) ، وقال الصاغاني (فى العباب) : الحُطَّيى : صُلب الرجل ، ويقال إنه عِرْق فى الظهر ، ويقال إن الحُطَّيى الجسم ، وفسر بالمعاني الثلاثة هذا البيت . وقال أبو زيد : الحُطَّيى بالنون قبل الموحدة ، وأنشد البيت « فى حُطُنْبَايَ » . ورواه المرزوقي : « فى حُضْمَاتِي وَأَوْصَالِي » بضمَّتِي الخاء والضاد المعجمتين وتشديد الميم ، وقبل ياء المتكلم مثناة فوقية ، على أنه جمع خُضْمَةٍ . قال : والخُضْمَةُ : ما غلظ من الساق والذراع ، ويبدل من ميمه الباء فيقال خُضْبَةٌ . والمعنى : لولا رَمَيَات الدهر فى مفاصلى ومجامع أعضائى ، ومستغلظ عضدى وذراعى ، لكان تأثيرى ، وبلائى فى الحرب أكثر مما كان ، ولشفعت تلك الطعنة ولم أدعها وترا . انتهى .

٢٠٣

وقال أبو هلال العسكري : ويروى : « فى أعالي » ، يريد انحناء ظهره ، وتشنج جلده ، واضطراب خلقه ، وانحلال قواه .

و (الأوصال) : جمع وصل ، بكسر الواو وسكون الصاد ، وهو المَفَصِل .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة ^(٣)) : الظرف الذى هو قوله فى حُطَّنْبَايَ متعلق بنفس النبل ، لما فيها من معنى الجِدَّة والنفوذ ، كقول جرير :

(١) ط : « الندى » ، صوابه فى ش .

(٢) الشريان ، بفتح الشين وكسرها .

(٣) الورقة ٩٢ من مخطوطة أحمد الثالث .

تركت بنا لَوْحًا ولو شئت جادنا بُعَيْدَ الكرى ثلج بكرمان ناضح^(١)
 علّق بُعيد الكرى بثلج ، لما فيه من معنى البرد . ولا يجوز أن يكون
 الظرف حالًا من نبل ، لأنّ أبا الحسن منع اشتغال الحال مع لولا ، لأنّها
 ضربٌ من الخبر ، والخبر هنا محذوف البتة . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ
 محذوف ، أى هى فى حظّباى ، فيكون حظّباى متعلقًا بمحذوف . وأمّا
 حظّباى فإنّه معظم بدنه ، وهو قول أحمد بن يحيى ، وهو من قولهم : رجل
 حَظَبٌ^(٢) للجافى الغليظ . وحُظْبَى فُعْلَى كالحُرَى والثُنْرَى^(٣) . وحظّباى
 بالتاء خطأ . انتهى .

وقوله : « لطاعنت صُدور الخيل » إلخ ، هذا جواب لولا . قال
 المرزوقى : أراد بالخيل الفرسان ، أى لولا ما قدّمت من العذر لدافعت بالطعن
 أوائل الخيل طعنًا لا تقصير فيه ولا قصور . وخصّ الأوائل منهم لتقدّمه . ويجوز
 أن يريد بالصُّلور الرؤساء والأكابر . وهم يتبجّحون بمجاذبة الأشراف^(٤) .
 ألا ترى قول الآخر^(٥) :

من عهد عادٍ كان معروفًا لنا أُسرُ الملوك وقتلها وقتالها

(١) وكنا فى إعراب الحماسة بالضاد والمعجمة . وقد سبق فى ٥ : ٢٦٧ برواية « ناصح »
 بالصاد المهملة .

(٢) يقال حظب بفتح فكسر ، وبضمّتين مع تشديد الباء .

(٣) كلمة « والنرى » ساقطة من ش . وفى إعراب الحماسة لابن جنى : « النرى » بالبدال
 المهملة . لكن فى اللسان (حظب) عن ابن سيده فى الكلام على الحظى : « وعندى لها نظائر :
 بنرى من البئر ، وحزرى من الحزير ، وغلى من الغلبة » .

(٤) فى المرزوقى : « بمجاذبة العلية » . وفى ط : « بمجاربة » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

(٥) هو بشامة بن حزن ، كما فى الحماسة ٣٩٦ يشرح المرزوقى .

وكما استعملوا الصُّدور في الأمثال والجلَّة ، استعملوا الأعجاز في الأراذل
والسُّفلة ، وهذا كما قالوا : الرُّعوس والأذنان ، وكما قال :
* ومن يسوَّى بأنف الناقة الذُّبَّا * (١)

ويقال ألوتٌ في الأمر ألو ، أى قصُرت . وجعل التَّقْصِير للطَّعن على
المجاز . انتهى .

قال ابن جنِّي : لك في طعننا وجهان : إن شئت حملته على فعل آخر
دُلَّ عليه طاعت ، كأنه قال طعننا طعنًا . وإن شئت حملته على أنه مصدر
محذوف الزيادة ، أى طاعت طِعَانًا (٢) أو مطاعنة أو مُطَاعِنًا أو طِيعَانًا على
ما جاء في مصادر مثله . والآلى : فاعل من ألوت أى فُتِرَتْ وقصُرت . وهذا
من الأفعال التى لا تستعمل إلَّا فى غير الواجب ، يقال ما ألوت أفعل كذا ،
ولا يقال قد ألوت فى حاجتك ولا نحو ذلك . وهو فى الفعل بمنزلة أحد وكريب
وكَيْبِج ، ونحو ذلك . ومثله (٣) : مازلت ولن أزال ، ومثله فى أكثر الأقوال :
مارِئْتُ من موضعى ، أى ما برحت . انتهى باختصار .

والفند ، بكسر الفاء وسكون النون . وزِمَان بكسر الزاى المعجمة
وتشديد الميم . وهو شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى
والأربعين بعد المائتين (٤) .

* * *

(١) للحطيفة ، وصدوره :

• قوم هم الأنف والأذنان غيرهم •

(٢) فى النسختين : « طعاناً » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٣) الكلام من هنا إلى « ومثله » التالية ساقط من ش .

(٤) الخزنة ٣ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

وأنشد بعده :

* هل رأيت الذئب قط *

وقد تقدّم شرحه في الشاهد السادس والتسعين ^(١) على أن قط قد

٢٠٤

استعملت بدون النفي لفظاً لا معنى

أما الأول فلأنّها وقعت بعد هل الاستفهامية ، والفعل مع الاستفهام

غير منفي .

وأما الثاني فلأنّ المراد من الاستفهام النفي ، أى ما رأيت الذئب قط .

قال أبو حيان (في الارتشاف) : وقال ابن مالك : وربما استعملت

دون نفي لفظاً ومعنى ، أو لفظاً لا معنى . واستدلّ على ذلك بما ورد في

الحديث على عادته . انتهى .

أراد حديث البخارى : « قصرنا الصلّة في السّفر مع النّبي ﷺ أكثر

ما كنا قط » .

قال الكرّماني (في شرح البخارى) : فإن قلت : شرط قط أن

تستعمل بعد النفي . قلت : أولاً لا نسلم ذلك ، فقد قال المالكي ^(٢) :

استعمال قط غير مسبوق بالنفي مما خفى على الثّحّة ، وقد جاء في الحديث

بلونه ، وله نظائر . وثانياً : أنّه بمعنى أبداً على سبيل المجاز ، وثالثاً : يقال إنّ

متعلق بمحذوف منفيّ ، أى وما كنا أكثر من ذلك قط . ويجوز أن تكون

ما نافية والجملة خبر المبتدأ وأكثر منصوباً على أنّه خير كان ، والتقدير : ونحن

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ - ١١٢ .

(٢) كنا في النسختين . ولعله « المألقي » .

ما كنا قطُّ أكثرَ منا في ذلك الوقت . وجاز إعمال ما بعدها فيما قبلها إذا كانت بمعنى ليس . انتهى ^(١) .

وقال القرناطي : الذي جَوَّزه مراعاة لفظة « ما » ، في قوله : ما كنَّا قطُّ وإن كانت غير نافية . وقد تُراعى الألفاظ دون المعاني . انتهى .

وإليه جَنَحَ ابنُ هشام (في المغنى) قال : من إعطاء الشيء ^(٢) حكم المشبَّه به في لفظه دون معناه ، قول بعض الصحابة : قصرنا الصلاةَ مع رسول الله ﷺ أكثرَ ما كنا قطُّ ^(٣) . فأوقع قطُّ بعد ما المصدرية ، كما تقع بعد ما النافية . انتهى .

وقال الكَرَماني أيضًا في حديث البخاري : « فصلَّى بأطول قيامٍ وركوع وسجود رأيته قطُّ يفعلُه » ، من حديث أبي موسى في باب الذكر في الكسوف : فإن قلت : في بعض النسخ : « رأيته » بدون كلمة « ما » فما وجهه ؟ قلت : إمَّا أنَّ حرف النفي مقلِّدٌ قبل رأيته كما في قوله تعالى : ﴿ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ ^(٤) ﴾ . وإمَّا أنَّ أطول فيه معني عدم المساواة ، أو قطُّ بمعنى حَسَبَ ، أي صَلَّى في ذلك اليوم فحسب بأطول قيامٍ رأيته يفعل ، أو أنَّه بمعنى أبدًا . انتهى .

وقد استعملها الزمخشري في المستقبل ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ^(٥) ﴾ : إنَّ ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قطُّ ، فأعمل فيه « لا يبقى » ، وهو مضارع .

(١) الكلام بعده إلى « انتهى » التالية ساقط من ش .

(٢) ط : « من أعطى » ، صوابه في ش . وانظر المغنى (المسألة التاسعة من الباب الثامن)

ص ٦٨١ .

(٣) بعده في المغنى : « وآمنه » .

(٤) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٥) الآية ٣٢ من سورة لقمان .

قال أبو حيان (في تفسيره) بعد نقله كثرة استعمال الرمحشرى قطُّ ظرفا والعامل فيه غير ماض : « وهو مخالفٌ للكلام العرب » . انتهى .

وقال الحريري (في درة الغواص) : قولهم : لا أكلّمه قطُّ ، هو من أفحش الخطأ ، لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه . وذلك أنّ العرب تستعمل لفظة قطُّ فيما مضى من الزمان ، كما تستعمل لفظة أبداً فيما يُستقبل ، فيقولون : ما كلمته قطُّ ، ولا أكلّمه أبداً . والمعنى في قولهم ما كلمته قطُّ أى فيما انقطع من عمرى ، لأنّه من قططت الشيء ^(١) ، إذا قطعته . ومنه قطُّ القلم ، أى قطع طرفه . وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه ، أنّه كان إذا اعتلى قدّاً ، وإذا اعترض قطّاً . فالقدّ : قطع الشيء طولا ، والقطُّ : قطعه عرضا . انتهى .

وتبعه ابن هشام (في المغنى ، والقواعد ^(٢)) ، قال : والعامّة تقول : لأفعله قطُّ . وهو لحن .

واعترض عليه ابن جماعة (في شرح القواعد) بأنّه غير صحيح ، وغايته استعمال اللفظ في غير ما وُضع له ، فيكون مجازاً لا لحنًا . وجعله من اللحن عجيب ، إذ لا خلل في إعرابه . وليس بشيء ، لأنّ اللحن بمعنى مطلق الخطأ . وهم كثيرا ما يستعملونه بهذا المعنى . فإن قلت : إذا استعمل العربُ

(١) لفظة « الشيء » ساقطة من ش .

(٢) هو كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب ، وقد طبع عدة مرات ، منها نسخة بتحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدى . ولصديقنا وتلميذنا الدكتور على فوده بحث وتحقيق جيد في هذا الكتاب من المنتظر أن يرى النور قريبا .

لفظاً في محلٍّ مخصوص كقَطُّ بعد نفى الماضي ، وكافّة حَالاً منكّرة ؛ أو في معنًى مخصوص كالغزاة للشمس في أوّل النهار ، فهل مخالفتهم في ذلك جائزة أم لا ؟ وعلى تقدير الجواز هل يكون حقيقةً أو مجازاً ؟

وعلى الثاني أجيب بأنّ الذى يظهر من كلامهم وتخطئة من خالفهم أنّه غير جائز . فإن قيل بجوازه فالظاهر أنّه مجاز مرسل ، من استعمال المقيد في المطلق ، إلّا أنّه لا يظهر في كافّة ونحوها كالظروف التى لا تنصرف ، فإن معناها لم يتغير ، وإنّما يتغير إعرابها ، وإن وقع مثله في مكان التقصير . كذا في (شرح الدرة) لشيخنا الخفاجى .

وقول الشارح المحقق : « وقَطُّ لا يستعمل إلّا بمعنى أبداً » ظاهره أنّ أبداً ظرف للماضى ، ولم أره بهذا المعنى . الموجود في الصحاح والعياب والقاموس : الأبد : الدهر ، والأبد : الدائم . بل قال الرّماني كما في المصباح : الأبد : الدهر الطويل الذى ليس بمحلول . فإذا قلت : لا أكلمه أبداً ، فالأبد من لدن تكلمت إلى آخر عمرك .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : وممّا يستعمل ظرفاً في المستقبل أبداً . تقول : ما أصحبك أبداً ، ولا تقول ما صحبتك أبداً . وجعله السّمين ظرفاً مطلقاً ، قال : أبداً ظرف زمان يقع للقليل والكثير ، ماضياً كان أو مستقبلاً . تقول : ما فعلته أبداً . وقال الراغب : هو عبارة عن مدّة الزمان الممتدّ الذى لا يتجزأ كما يتجزأ^(١) الزمان . وذلك أنّه يقال زمان كذا ، ولا يقال أبد كذا . انتهى .

* * *

(١) ط : « كما يجزأ » وأثبت ما في ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى العشرين بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٢٠ (ولولا دِفَاعِي عن عِفَاقِي ومَشْهَدِي

هَوْتُ بعِفَاقٍ عَوْضُ عَنقَاءُ مُغْرَبُ)

على أَنَّ (عوضًا) المبنى قد يستعمل للمضى ومع الإثبات لفظًا . فإنَّ هَوْتُ ماضٍ مثبت ، وهو عامل في عوض ، لكنَّه منفيٌّ معنًى ، لكونه جواب لولا . ومن المعلوم أنَّ جوابها ينتفى لثبوت شرطها ، نحو : لولا زيد لأكرمته ، فالإكرام منتفٍ لوجود زيد . وأمَّا عوض في البيت المتقدم في قوله : « ولولا نبل عوض » ، فقد استعملت في الإثبات لخروجها عن الظرفية . ولهذا جرَّت ، وكان عاملها اسمًا .

وكذلك قال أبو حيان (في الارتشاف) : وربما جاءت عوض للمضى بمعنى قط ، قال :

* فلم أرَ عامًّا عوضُ أكثرَ هالكًا ^(٢) *

وقال أبو زيد أيضًا (في نوادره) : تقول ما رأيت مثله عوض .

(١) لم أجد له تخریجا . والبغدادی يقول أنه لم ير هذا البيت إلا في هذا الشرح ، كما سيأتي .

(٢) عجزه كما في تصحيح العسكري ٢٩٠ والدرر اللوامع ١ : ١٨٣ واللسان (عوض)

وما سيأتي في ص ١٤٣ :

* ووجه غلام يسترى وغلّامه *

وجاء في اللسان : « يسترى » مصحفا ، والوجه ما ورد في كتاب التصحيح ، حيث أورده العسكرى في سياق تفسير المسترة في قول الأعشى :

فقد أطى الكاعب المسترة في خلدتها وأشيع القمارا

قال : وأنشدنا أبو بكر :

ولكنكم غنم تسترى ويترك سائرهما للذهب

استريت الشيء : اخترت سرائه . وأنشد البيت .

ومنه تعلم سقوط قول الجوهري في الصحاح : لا يجوز أن تقول عوضُ ما فارقتك .

وقد تبع صاحب الصحاح جماعة منهم الزمخشري ، قال (في المفصل) : وقطَّ وعوض ، وهما إزمانِي المضى والاستقبال على سبيل الاستفراق ، ولا يستعملان إلا في موضع النفي .

ومنهم صاحب اللباب ، وعبارته عبارة المفصل بعينها .

وهذا البيت لم أراه إلا في هذا الشرح ، ولم أقف على قائله ولا على شعره .

وعِفَاق بكسر العين المهملة بعدها فاء : اسم جماعة ، منهم عِفَاق بن المُسَيِّح ، بضم الميم وفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ، ابن بشر بن أسماء بن عوف بن رياح بن ربيعة بن غوث بن شَمَخ بن فزارة الفزاري . وكان عِفَاق على شرطة الخميس مع عليّ بن أبي طالب . وكانوا يُعرضون يوم الخميس ، أو يُجمعون يوم الخميس .

من اسمه عِفَاق

والمشهور من اسمه عِفَاق هو عِفَاق بن مُرَيّ - بضم الميم وفتح الراء وتشديد الياء - ابن سلمة بن قُشَيْر القُشَيْرِي . كان جاور باهلة في سنة قحط ، فأخذه الأحدب بن عمرو بن جابر بن عَمَّار ^(١) ابن عبد العزّي الباهلي ، فشواه وأكله . وله يقول الشاعر ^(٢) :

عِفَاق بن مري

إِنَّ عِفَاقًا أَكَلْتَهُ بَاهِلَةً تَمْشُوا عِظَامَهُ وَكَاهِلَهُ

* وَتَرَكُوا أُمَّ عِفَاقٍ تَأْكُلُهُ *

(١) في جمهرة ابن حزم ٢٤٥ : « عمارة » .

(٢) الرجز ورد بلون نسبة أيضا في جمهرة ابن حزم واللسان (عفق) .

وعَيرَ الفرزدقَ كَفْهَمَ عن باهلة حين لم يثأروا به ، فقال :
 إِذَا عَامَرْتُ خُصْمِي عِفَاقَ تَقَلَّدْتُ بِأَعْنَاقِهَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ الْعِمَامِ (١)
 وقال غيره :

فلو كان البكاء يردُّ شيئاً بكيتُ على بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقٍ
 على المرأَيْنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعَا لَشَأْنُهُمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقٍ (٢)

وهذا من شواهد النحويين ، أورده أبو علي (في المسائل المنثورة)
 وقال : « على المرأين » بدل من قوله : « على بجير » .

وأورده صاحب اللباب على أنَّ أَوْ بمعنى الواو ، في قوله : « أَوْ عِفَاقٍ »
 ولولا أنها بمعنى الواو لقليل على المرء . والمشهد : مصدر شهدت المجلس ، أى
 حضرته . وهوت قال صاحب المصباح : هَوَى يَهْوِي من باب ضرب أَيْضًا
 هُويًا بضم الهاء لا غير ، إذا ارتفع . قال الشاعر (٣) :
 * يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُويًّا الْأَجْدَلِ (٤) *

و (هوت) العقاب تهوى هُويًا بفتح الهاء وضمها : انقضت على
 صيد أَوْ غيره مالم تُرْغِه ، فإذا أَرَاغَتْه قيل أهُوت له بالألف . والإراغة : ذهاب
 الصيد هكذا وهكذا وهى تتبعه . وهوى يهوى من باب ضرب أَيْضًا هُويًا بضم

(١) ديوان الفرزدق ٧٩٨ .

(٢) في اللسان (عفا) :

هما المرعان إذ ذهباً جميعاً لَشَأْنُهُمَا بِحَزْنٍ وَاحْتِرَاقٍ

(٣) هو أبو كبير الهذلي . ديوان الهذليين ٢ : ٩٤ وشرح السكري ١٠٧٤ .

(٤) صلره :

• وإذا رميت به الفجاج رأيته •

الهاء وفتحها ، وزاد ابن القوطية هَوَاءً بالمد : سقط من أعلى إلى أسفل . قاله أبو زيد وغيره . قال الشاعر ^(١) :

* هَوَى الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرَّشَاءُ ^(٢) *

وهَوَى يَهْوِي : مات أو سقط في مَهْوَاةٍ من شَرَفٍ ، هَوِيًا وَهَوِيًا ، وهَوَاءً بالمد . والمَهْوَاة بالفتح : ما بين الجبلين ، وقيل الحفرة . والهَوَاة بالضم : الحفرة ، وقيل الوهدة العميقة . انتهى .

و (عنقاء) : مؤنث أعنتى ، وهى الطويلة العنق . قال الصاغاني (فى العباب) : العنقاء : الداهية ، يقال حُلِّقَتْ به عنقاءٌ مُغْرِبٌ ، وطارَتْ به العنقاء . وأصل العنقاء طائرٌ عظيمٌ معروفٌ الاسم ، مجهول الجسم . وقال أبو حاتم (فى كتاب الطير) : وأما العنقاء المُغْرِبَةُ فالداهية ، وليست من الطير التى علمناها . يقال : ضَرَبَتْ عليه العنقاءُ المُغْرِبَةُ ، إذا أصابه بلاء . وقال ابن دريد : عنقاءٌ مغربٌ كلمةٌ لا أصلٌ لها ، يقال إنَّها طائرٌ عظيم لا يُرى إلا فى الدُّهُور ، ثم كثر حتَّى سَمُوا الداهيةَ عنقاءً مُغْرِبً . قال : ولولا سليمانُ الخليفةُ حُلِّقَتْ به من يدِ الحجاجِ عنقاءٌ مغربٌ ^(٣) . اهـ

و (مُغْرِبٌ) : اسم فاعل من أغرب الرجل فى البلاد ، إذا بُعِدَ فيها بإمعان ، وهو وصف عنقاء . وإنَّما جاز لأنَّه على النسبة أى ذات إغراب . وقال الصاغاني فى هذه المادة : وعنقاء مغربٌ بلا هاء . والعنقاء المغرب : الداهية ، وأصلها طائرٌ معروفٌ الاسم مجهول الجسم ، ويقال لهذا الطائر

(١) هو زهير بن أبى سلمى . ديوانه ٦٧ .

(٢) صدره :

• فشج بها الأماعر وهى تهوى •

(٣) اللسان (عنق ١٤٩) وشرح سقط الزند ٥٥٣ .

بالفارسية « سيمَرغ » ، هكذا يكتبونه موصولاً ، والأصل أن يكتب : « سى مرغ » مفصلاً ، ومعناه ثلاثون طائراً . يقال حَلَّقَتْ به عنقاء مغرب ، ٢٠٧ وطارَتْ به العنقاء المغرب . أنشد أبو مالك :

وقالوا : الفتى ابنُ الأشعرية حَلَّقَتْ به المغربُ العنقاءُ إن لم يسدِّدِ

وقال : العنقاء المغرب فى هذا البيت هى رأس الأكمة . وأنكر أن يكون طائراً . والذي قال العنقاء المغرب طائر قال : هى التى أغرَبَتْ فى البلاد فَنَات ولم تُحَسَّ ولم تُر . وحذفت هاء التانيث كما قالوا : لِحْيَةٌ ناصِل ، وناقَة ضامر ، وامرأة عاشق ، ذهبوا بها إلى النسب ، أى ذات نُصول ، وذات ضُمُر ، وذات عِشْق . وأغرب فى البلاد : أمعن فيها . وأغرب الرجل فى منطقته ، إذا لم يُبق شيئاً إلا تكلم به . وأغرب الفرس فى جريه ، وهو غاية الإكثار منه . وأغرب الرجل ، إذا بالغ فى الضحك حتى تبدو غروب أسنانه . انتهى .

وكذلك أجاب الزمخشري (فى أمثاله) عن تذكير الوصف قال : ومُغْرِب كقولهم : لحية ناصل ، وناقَة ضامر ، على مذهبي الخليل وسيبويه .

وبهذا يُجاب ابن هشام فى سؤاله عن صحّة الوصف بمغرب فإنه قال فى بعض تعليقاته : لِيُنْظَر فى عنقاء مغرب ، لم ذكّر الوصف وعنقاء فعلاء ، وفعلاء مؤنث دائما . ويسقط جوابُ عبد الله الدنوشريّ بأنّه إنّما لم تطابق الصفةُ الموصوفَ فى التانيث اعتباراً بالمعنى ، إذ هى بمعنى الطائر . ووجه السقوط أنّ العنقاء أكثر استعمالها بمعنى الداهية ، وهى مؤنثة لفظاً ومعنى .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : ذكر الفارسي أنه يقال
 عنقاء مغرب ، على الصفة وعلى الإضافة ، حكاه (في التذكرة) . وقال غيره :
 من جعل مغرباً صفة لعنقاء فهي التي لها إغرابٌ ^(١) في الطيران . ويقالُ
 مغربةً ، ذكره أبو حاتم وصاحب العين . ومن أضاف العنقاء إلى المغرب
 فالمغرب الرجل الذي يأتي بالغرائب ، يقال أغرب الرجل ، إذا أتى بالغرائب .
 انتهى .

فتأمل معنى الإضافة .

وفي القاموس : والعنقاء المغرب بالضم ، وعنقاء مغربٌ ومُغربةٌ ومغربٌ
 مضافة ، طائر معروف الاسم لا الجسم ، أو طائر عظيم يُبعد في طيرانه ، أو
 من الألفاظ الدالة على غير معنى ، والداهية ، ورأس الأكمة . انتهى .

فالمغرب ومغرب وصفٌ للعنقاء ، وعنقاء ، تعريفاً وتنكيراً ، بالتأويل
 المذكور . ومغربة وصفٌ لعنقاء منكراً ، والوصف مطابق . وأما عنقاء مغرب
 بإضافة عنقاء إلى مغرب ، فالظاهر أنه من إضافة الموصوف إلى الصفة .
 وينبغي أن يكون هذا بفتح الميم ، فإنه نقل صاحب (حياة الحيوان) عن
 بعضهم أن العنقاء طائر عند مغرب الشمس أبيض ، له بيضٌ كالجبال . وعلى
 هذا لا إشكال ، وتكون الإضافة من قبيل شهيد كربلاء . وأما قوله : « من
 الألفاظ الدالة على غير معنى » ، وهي عبارة الدميري أيضاً ، فقد عسر فهمه
 على بعض الفضلاء ، لأن الجمع بين قوله « الدالة » وقوله على « غير معنى » ،

(١) ط : « غرب » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

كالجمع بين الضبِّ والتُّون . فلو قال من الألفاظ التي لا معنى لها كان واضحاً وأجيب بأنَّ في عبارته صفة مخدوفة ، أى على غير معنى خارجي . وقال الرَّمْشَرِي (في أمثاله) عند قولهم : « طارت به عَنقَاء مغرب » : زعموا أنَّها طائر كان على عهد حَنْظَلَة بن صفوان الجَمِيرِي ، نبيُّ أهل الرُّس ، عظيمُ العنق . وقيل كان في عنقه بياض ، ولذلك سَمِيَ عَنقَاء . وكان أحسن طائر خلقه الله ، فاخطف غلاماً فأغرب به ، ولذلك سَمِيَ الْمُغْرِب ، فدعا عليه حَنْظَلَة فَرُمِيَ بصاعقة . انتهى .

٢٠٨

وقال الذَّمِيرِي (في حياة الحيوان) : هو طائر غريبٌ تبيضُ بيضاً كالجبال ، وتبعد في طيرانها ، سَمِيَتْ بذلك لأنَّه كان في عنقها بياض كالطُّوق .

وقال القزويني : إِنَّه أعظم الطَّير جَنَّةً ، وأكبرها خَلِقةً ، تخطف الفيل كما تخطف الحداة الفأر ، وكانت قديماً بين الناس فتأذوا منها إلى أن سَلَبَتْ يوماً عروماً بِحَلِيها ، فدعا عليها حَنْظَلَة النُّبِي فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط ، وراء خط الاستواء ، وهي جزيرة لا يصل إليها الناس ، وفيها حيوان كثير كالفيل والكركد (١) والجاموس والبيْر والسَّبَاع ، وجوارح الطير . وعند طيرانها يُسمع لأجنحتها دويٌّ كدويِّ الرعد القاصف والسَّيل ، وتعيش ألفي سنة ، وتزواج إذا مضى لها خمسُمائة عام .

وقال العكبري (في شرح المقامات) : كان لأهل الرُّس جبلٌ

(١) وكذا في حياة الحيوان ٢ : ٢٢٩ عن القزويني . وصححها الشنقيطي بخطه « الكركدن » . وضبط صاحب القاموس الكركدن ، بتشديد الدال وتخفيف النون وقال : « والعامَّة تشدد النون » . ونحوه في اللسان عن ابن الأعرابي .

شاخ^(١) ، فيه طيور شتى منها العنقاء ، وهى طائر عظيم الخلق ، طويل العنق ، ووجهه وجه إنسان ، من أحسن الطير شكلاً . وكانت تأكل الطير ، فجاءت مرة فأخذت صبيًا ثم جارية ، فاشتكوها لنييهم حنظلة بن صفوان ، فدعا عليها حنظلة فذهبت وانقطع نسلها . وقيل أصابتها صاعقة فاحترقت . وكان حنظلة فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ^(٢) . وسميت العنقاء لطول عنقها .

وقيل : إنها كانت فى زمن موسى . وقيل : إن النبی الذى دعا عليها خالد بن سنان . وفى المثل : « كالعنقاء تسمع بها ولا تُرى » ، كالفول . والمراد عدم رؤيتها بعد الانقراض المذكور .

وسميت مُعْرِبًا بزنة اسم الفاعل من أغرب ، لأنها كانت تحيىء بالغرائب . وقد وقع استعمالها فى هذا المثل بدون الوصف ، ومنه يُعلم جواز استعمالها بدون الوصف . كقول الشاعر :

لَمَّا رَأَيْتَ بَنَى الرِّمَانِ وَمَا بِهِمْ خِلٌّ وَفِيَّ لِلشَّدَائِدِ أَصْطَفَى
فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ : الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفَى

وكان القاضى الفاضل ينشد كثيرًا :

(١) فى حياة الحيوان : « جبل يقال له نخ ، صاعد فى السماء قدر ميل » .
(٢) إلى هنا ينتهى نقل الديميرى عن شرح المقامات للعكرى . وبعده فى الديميرى : « وذكر غيره أن الجبل يقال له فتح . وسميت عنقاء لطول عنقها » . ويبدو أن البغدادى ينقل هنا عن شرح العكرى للمقامات غير متقيد بنقل الديميرى عنه .

وَإِذَا السَّعَادَةُ أَحْرَسَتْكَ عَيُونُهَا نَمَّ فَالْخَوَافُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ (١)
وَاصْطَدَّ بِهَا الْعَنْقَاءُ فَهِيَ جِبَالَةٌ وَاقْتَدَّ بِهَا الْجُوزَاءُ فَهِيَ عِنَانُ
وَقَالَ غِيو :

الْجُلُّ وَالْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ ثَالِثَةٌ أَسْمَاءُ أَشْيَاءٍ لَمْ تُوجَدْ وَلَمْ تَكُنْ (٢)
وَبِهِ يَضْمَحَلُّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَيْسَ بِتَرْكِيبٍ صَحِيحٍ ،
لَعْدَمِ وَصْفِ الْعَنْقَاءِ .

وَقَالَ : ظَاهِرُ كَلَامِهِمْ انْخِصَارُ الاسْتِعْمَالِ فِيْمَا ذَكَرَ ، فَلَا يُقَالُ الْعَنْقَاءُ
بِلا وَصْفٍ ، وَلَا يُوصَفُ بِغَيْرِ مَا ذَكَرَ ، وَلَا يُقَالُ أَيْضًا عَنْقَاءٌ مَنْكَرًا
بِلا وَصْفٍ . هَذَا كَلَامُهُ .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْوَصْفَ لَيْسَ بِلَازِمٍ ، عَرَفْتُ أَوْ نُكِّرْتُ . وَأَمَّا عَدَمُ
الْوَصْفِ بِغَيْرِ الْإِعْرَابِ فَلَأَنَّهَا لَا يَعْلَمُ مِنْ حَالِهَا غَيْرَ هَذَا ، لَكُونِهَا مَجْهُولَةٌ عِنْدَ
النَّاسِ . وَلَوْ عَرَفَ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهَا غَيْرُ الْإِعْرَابِ لَوُصِفَتْ بِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَذَكَرَ الدَّمِيرِيُّ أَنَّ الْعِقَابَ تَسْمَى عَنْقَاءً مَغْرِبَ لَأَنَّهَا تَأْتِي مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ . وَهَذَا فَسَّرَ قَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِيِّ :

٢٠٩

أَرَى الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنَّ تُصَادَا فَعَانِدُ مِنْ تُطِيقُ لَهُ عَنَادَا (٣)

* * *

(١) كُنَّا فِي النُّسَخَتَيْنِ ، وَالْوَجْهَ : « لَاحِظْتُكَ عَيُونُهَا » كَمَا فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ لِلدَّمِيرِيِّ .
(٢) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « الْجُودُ وَالْغُولُ » . وَفِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ فِي رِسْمِ (الْعَنْقَاءُ) : « الْجُودُ
وَالْعَنْقَاءُ ثَالِثَةٌ » لَكِنْ فِي رِسْمِ (الْغُولُ) : « الْغُولُ وَالْخُلُّ وَالْعَنْقَاءُ » . فَوَجْهُهُ هُنَا مَا أَثْبَتَ .
(٣) شُرُوحُ سَقَطِ الزُّنْدِ ٥٥٣ .

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِي وَالْعَشْرُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمِائَةِ ^(١) :

٥٢١ (رَضِيعَتِي لِبَابٍ نَذَى أُمِّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمِ دَاخٍ عَوْضُ لَا تَنْفَرُقُ)

على أَنَّ أَكْثَرَ مَا تُسْتَعْمَلُ ^(٢) (عَوْضُ) مَعَ الْقِسْمِ ، أَيْ تَكُونُ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ جَوَابِ الْقِسْمِ ، فَعَوْضُ مُتَعَلِّقٌ بِنَتْفَرُقُ ، أَيْ لَا نَتْفَرُقُ أَبَدًا .

فَإِنْ قُلْتُ : لَا النَّافِيَةُ مَعَ جَوَابِ الْقِسْمِ لَهَا الصَّلَرُ ، تَمْنَعُ مِنْ عَمَلِ مَا بَعْدَهَا فِيمَا قَبْلَهَا ، فَكَيْفَ تَعَلَّقَ عَوْضٌ بِمَا بَعْدَ لَا الْوَاقِعِ جَوَابًا لَتَقَاسَمَا ؟

قُلْتُ : أَجَازَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي آخِرِ النَّوْعِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْجِهَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْبَابِ الْخَامِسِ (مِنَ الْمَغْنَى) : قَالَ : وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مِيتٌ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ^(٣) ﴾ فَإِنَّ ^(٤) إِذَا ظَرَفَ لِأُخْرَجَ ، وَإِنَّمَا جَازُ تَقْدِيمِ الظَّرَفِ عَلَى لَامِ الْقِسْمِ لِتَوْسُّعِهِمْ فِي الظَّرُوفِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : « عَوْضُ لَا تَنْفَرُقُ » ، أَيْ لَا تَنْفَرُقُ أَبَدًا . وَلَا النَّافِيَةُ لَهَا الصَّلَرُ فِي جَوَابِ الْقِسْمِ .
انتهى .

وظَاهِرُ كَلَامِ الشَّارِحِ هُنَا جَوَازُهُ ، لَكِنَّهُ شَرَطَ - عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى حُرُوفِ الْقِسْمِ مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ - لَجَوَازِ تَقْدُّمِهِ ، أَنَّ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الْقِسْمِيَّةُ ^(٥)

(١) جَمَلُ الزَّجَاجِيِّ ٨٧ وَالْخَصَائِصُ ١ : ٢٦٥ وَالْاِقْتَضَابُ ٣٩٠ وَالْإِنْصَافُ ٤٠١ وَابْنُ بَيْشَاشٍ ٤ : ١٠٧ ، ١٠٨ وَالْمَغْنَى ١٥٠ ، ٢٠٩ ، ٥٩١ وَالْمَعْمَرُ ١ : ٢١٣ وَدِيَوَانُ الْأَعْشَى ١٥٠ .

(٢) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « مَا يَسْتَعْمَلُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ .

(٣) الْآيَةُ ٦٦ مِنْ مَرْيَمَ .

(٤) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « أَنْ » ، وَالْوَجْهُ هُنَا مَا أَثْبَتَ مِنَ الْمَغْنَى ٥٩٠ .

(٥) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى كَلِمَةِ « الْقِسْمِيَّةِ » التَّالِيَةِ سَاقِطٌ مِنْ ش .

ولأجل إفادة عوض فائدة القسم قد يقدّم على عامله قائماً مقام الجملة القسمية ، وإن كان عامله مقترناً بحرف يمنع عمله فيما تقدّمه ، كنون التوكيد ، وما . يقال : عوض لآتينك ^(١) لغرض سدّه مسدّد القسم ^(٢) . هذا كلامه .

واعترض الدمامينى كلام ابن هشام بأنّه نصّ فى فصل إذا ، على أنّ التوسّع فى الظرف بالتقديم فى مثل قوله :

* ونحن عن فضلك ما استغنىنا ^(٣) *

خاصّ بالشعر ، فكيف ساغ له تخرج الآية على ذلك ؟

وقال ابن هشام فى الكلام على عوض : قيل إنّها ظرف لتنفّر . واستشكله الدمامينى هناك بأنّ لا مانعة من العمل . ثم نقل كلام الشارح المحقق فى حروف القسم وقال : فيمكن أن يكون لا تنفّر جواب قسم محذوف ، وعوض سدّ مسدّه . لكنه خلاف الظاهر ، لأنّ جملة القسم مذكورة . وأجاز التعلّق ابن يعيش (فى شرح المفصل) من غير شرط ، قال : أكثر استعمال عوض فى القسم ، تقول : عوض لا أفارقك ، أى لا أفارقك أبداً ، وقوله عوض لا تنفّر ، أى لا تنفّر أبداً . انتهى .

وكذلك أجاز ابن جنى وشارح اللباب وغيره . وهو الصحيح ،

(١) فى شرح الرضى ٢ : ٣١٧ : يقال عوض لآتينك وعوض ما آتيك .

(٢) وكنا فى شرح الرضى . وفى ش : « لغرض سدّه مسدّد القسم » .

(٣) لعامر بن الأكوخ فى السيرة ٧٥٦ وشرح شواهد المغنى ١٠٠ من مقطوعة أولها :

« والله لولا الله ما اهتدينا » .

وانظر المغنى ٩٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٧ ، ٥٣٩ ، ٦٩٤ .

ويؤيده قول الكرماني (في شرح أبيات الموشح) : اعلم أنه إذا كان معمول جواب القسم ظرفاً ، أو جاراً ومجروراً ، جاز تقديمه عليه كقوله : عوض لانتفرق . وإلا فلا يجوز في : والله لأضربن زيدا ، أن يقال : والله زيدا لأضربن .

وجعل الشارح المحقق عوض ظرفاً في نحو البيت هو الصحيح . وزعم بعضهم أن عوض فيه اسم صنم ، قسم ، وجمله لا تنتفرق جوابه .

قال ابن هشام (في المعنى) : واختلف في قول الأعشى :
رضيحي لبان ثدى أم البيت

ف قيل ظرف لنتفرق . وقال ابن الكلبي : قسم ، وهو اسم صنم كان لبكر بن وائل ، بدليل قوله :

حلفت بمائراتٍ حولَ عوضٍ وأنصابٍ تُركنَ لدى السُّعَيْرِ (١)

والسُّعَيْرُ : اسم صنم كان لعنزة . انتهى »

٢١٠

ولو كان كما زعم لم يتجه بناؤه في البيت . انتهى كلام ابن هشام .

ووجهه أن الشاعر حلف بالدماء المائرات ، أي الجاريات على وجه الأرض حول عوض . ومن عادة المشركين كانوا يذبحون ذبائح لأصنامهم ، فلولا أن عوضاً صنم لما ذُبح له شيء ، ولما حُلف بالدماء التي حوله تعظيماً له . ويدل أيضاً على كونه صنماً ذكره مع السُّعَيْر ، وهو بالتصغير كما في القاموس

(١) البيت لرشيد بن رميض ، كما في اللسان (سمر) . وقد ضبط السعير في اللسان بالقلم بفتح السين وكسر العين ، والصواب أنه بالتصغير كما في معجم البلدان . وقال صاحب التاج : « وغلط من ضبطه كأمر . نص عليه صاحب العباب » .

وغیره ، خلافاً لما یؤهمه كلام الصحاح .

والبيت قائله رُشيد بن رُميْض ، بالتصغير فيهما ، العنزى . كذا فى صاحب الشاهد
العباب للصاغاني . وزاد بعده :

(أَجُوبُ الْأَرْضَ دَهْرًا إِثْرَ عَمْرٍو وَلَا يُلْقَى بِسَاحَتِهِ بَعِيرِي)

وقال : البيت مُسَانِد .

وما نقله ابن هشام عن ابن الكلبي مسطوراً كذلك فى الصحاح فى
عوض . وقد راجعت كتاب الأصنام لابن الكلبي ، وهو أبو المنذر هشام بن
محمد بن السائب الكلبي ، فلم أر فيه ذِكْرَ عوض ولا ذِكْرَ صنماً لبكر بن
وائل ، مع أنه ذكر أصنام القبائل وسبب عبادتها ، وكيف أزالها النبي ﷺ -
- وهو كتابٌ جيّد فى بابه ، جمع فيه فأوعى . وكذا لم أر له ذِكْرًا (فى كتاب
أَيْمَان العرب) تأليف أنى إِسْحَاق إبراهيم ^(١) بن عبد الله التَّجِيمِيّ ، جمع فيه
الفاظ أَيْمَانهم بأصنامهم وغيرها . وهو أيضاً كتابٌ لعباداتهم ^(٢) جيّد فى
بابه .

والمذكور فى كتاب الأصنام إنّما هو السُّعَيْر وحده لا مع عوض ،
قال : وكان لعنزة صنم يقال له سُعَيْر ، فخرج ابن أنى حُلَاس ^(٣) الكلبي على

(١) ط : « ابن اسحاق بن إبراهيم » ش : « ابن اسحاق إبراهيم » وإنما هو أبو اسحاق إبراهيم
ابن عبد الله ، كما فى معجم الأدباء ١ : ١٩٨ وبغية الوعاة ١٨١ . وكان معاصراً لكافور الإخشيدى
وله معه قصة مشهورة . ونسبته إلى التجريم ، بفتح النون والجيم ، أو بفتحها وكسر الجيم ، مع فتح
الراء فيهما ، وهى بليغة مشهورة دون سراف مما بلى البصرة ، وكتابه « أيمان العرب » مطبوع
بتحقيق محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٣ .

(٢) ط : « لمعايراتهم » ش : « لعباراتهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصنام ٤١ : « فخرج جعفر بن أنى حُلَاس » . وفى معجم البلدان : « جعفر بن
حُلَاس » .

ناقته ، فمرّت به وقد عتّرت عنده عنزة ^(١) فنفرت ناقته منه فأنشد يقول :

نفرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير تزوره أبنا يقدم ^(٢)
وجموع يذكر مهطعين جنابه ما إن يحير إليهم بتكلم

قال أبو المنذر : يقدم ويذكر ابنا عنزة . فرأى بنى هؤلاء يطوفون حول
السعير . انتهى .

وذكر ابن السّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وفى أبيات الجمل)
وتبعه اللخمي وغيره كالصاغاني ، أن عوضا كان صنما لبكر بن وائل . ولم
يسنده إلى أحد ، وقال : أصله أن يكون ظرفا ، ثم كثر حتى أجروه مجرى
ما يقسم به وأحلوه محله . وقال الصاغاني : قال الليث : عوض كلمة تجرى
مجرى القسم ، وبعض الناس يقول : هو الدهر والزمان . يقول الرجل
لصاحبه : عوض لا يكون ذاك أبدا . فلو كان عوض اسما للزمان لجرى
بالتنوين ، ولكنه حرف يراد به القسم ، كما أن أجل ونعم ونحوها مما لم يتمكن
فى التصريف حمل على غير الإعراب . انتهى .

والقول بأنه حرف لا اسم وإه جدا . وقول ابن هشام لم يتجه بناؤه فى
البيت ، يريد أنه فيه مبنى على الضم بناء الظروف المقطوعة عن الإضافة . ولو
كان اسما للضم كما زعم لأعرب كما أعرب فى قوله :

(١) فى الأصنام : « وقد عتّرت عنزة عنده » . وفى معجم البلدان : « وقد عتّرت عنزة
عنده » . وفى ش مع أثر تصحيح : « وقد عتّرت عنده عنزة » . وما أثبت من ط يقارب ما فى
الأصنام ، ويتلاءم مع نص الشعر .

(٢) أى أبناء يقدم ، بوصل همزة القطع . وفى معجم البلدان : « يزوره » .

* حلفت بمائثرات حول عوض *

وكان الواجب حينئذ جرّه يواو القسم ، لأنه عند هذا القائل مُقسّم به . وجملة لا تتفرق جوابه ، والإعراب منتفٍ ، فينتفى كونه اسماً ويثبت (١) ظرفيته للجواب ، والجوابُ إنما هو لتقاسما .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : روى قول الأعشى « عوضُ لا تتفرق » بالفتح والضم ، أى لا تتفرق أبداً . وذهب الكوفيون إلى أن عوض ههنا قسم ، وأن لا تتفرق إنما هو جوابه . وليس الأمر عندنا كذلك ، وإنما قوله لا تتفرق جوابُ تقاسما ، كقوله تعالى : ﴿ تَقَاسَمُوا بِاللّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ ﴾ (٢) . أى تحالفا على ذلك . انتهى .

وكذلك قال العسكري (فى كتاب التصحيف) : إنه ظرف ، قال قرأت على أبى بكر بن دريد :

فلم أرَ عاماً عوضٌ أكثرَ هالكاً ووجهَ غلامٍ يُسترى وغلّامه (٣)

عوض اسم معرفة ، وهو اسمٌ للدهر يضم ويفتح . والبصريون يقولونه بالضم . ومثله قول الأعشى : « عوض لا تتفرق » ... البيت ، أى لا تتفرق الدهر .

وبما ذكرنا من وجوب إعرابه يعرف ضعفُ الوجوه الثلاثة التى قالها ابن السّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجمل) . وتبعه اللخمي ،

(١) ش : « وثبت » بنقطتين فوق التاء ونقطتين تحتها لتقرأ بالتاء والياء معا .

(٢) الآية ٤٩ من سورة النمل .

(٣) سبق فى ص ١٢٩ . ويسترى ، هى رواية العسكري فى التصحيف ص ٢٩٠ . وفى

النسختين : « يشترى » تصحيف .

قال : من جعل عوض اسم صنم جاز في إعرابه ثلاثة أوجه :
أحدها أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ، كأنه قال : عوض قسمنا الذي
نقسم به .

وجاز أن يكون في موضع نصب على أن تقدر فيه حرف الجر وتحذفه ،
كقولك : يمين الله لأفعلن .

ويجوز أن يكون في موضع خفض على إضمار حرف القسم . وهو
أضعف الوجوه . ومن اعتقد هذا لزمه أن يجعل الباء في قوله بأسحم بمعنى
في . انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون ^(١) تقدم أبيات من أولها في
الشاهد الرابع بعد المائتين ^(٢) من باب الحال ، وتقدم أيضاً بعضها من أولها
في الشاهد السابع والثمانين بعد الثلاثمائة ^(٣) من باب الضمير .

وهذه أبيات مما يليها ، وهو أول المدح :

أبيات الشاهد

(لعمري لقد لاحت عيون كثيرة) إلى ضوء نار في يفاع تحرق
نُسب لمقرووين يصطليانها ويات على النار الندى والحلق
رضيعي لبان ندى أم تقاسما بأسحم داچ عوض لانتفرق
ترى الجوديجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهنلوانى رونق
يداه يذا صديق ، فكف ميدة وكف إذا ماضن بالمال تنفق

(١) ش : « لأعشى ميمون » ، وإنما الأعشى لقب له .

(٢) الخزاعة ٣ : ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(٣) الخزاعة ٥ : ٢٩١ - ٢٩٧ .

وَأَمَّا إِذَا مَا الْمَحْلُ سَرَّحَ مَا لَهُمْ ولاح لهم وجه العشيات سَمَلَقُ (١)
 نفى الذَّمَّ عن آلِ المَحْلَقِ جَفَنَةً كجايبة الشيخ العراقي تَفَهَّقُ
 ترى القومَ فيها شارعين ودونهم من القوم ولدان من التَّسَلِ دَرَدَقُ
 يروح فتى صديق ويغدو عليهم بملء جفانٍ من سَدِيفِ تَدَفَّقُ ()

وبقى بعد هذا أكثر من ثلاثين بيتاً (٢) .

روى شارح ديوانه محمد بن حبيب ، وصاحب الأغاني ، والرياشى وغيرهم : أنَّ الأَعشى كان يُوافي سُوقَ عُكَاظٍ فى كُلِّ سنة ، وكان المَحْلَقُ المملوح واسمه عبد العزى بن حَنَم (٣) بن شَدَاد ، من بنى عامر بن صعصعة ، مثنائاً مُمِلِّقاً ، فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ، ما يمنحك من التعرُّض لهذا الشاعر فما رأيتُ أَحَدًا مدَّحه إِلَّا رفعه ، ولا هجأ أَحَدًا إِلَّا وضعه ، وهو رجل مفوَّه مجلود الشعر ، وأنت رجلٌ كما علمتْ خاملُ الذكر ، ذو بَنَاتٍ ، فإن سبقتَ الناسَ إليه فدعوته إلى الضيافة رجوتُ لك حسنَ العاقبة . قال : ويحك ما عندنا إِلَّا ناقةٌ نعيش بها . قالت : إنَّ الله يُخلفها عليك . قال : لابدُّ له من شراب . قالت : إنَّ عِنْدِي ذخيرةً لى ، ولعلِّى ٢١٢ أجمعها ، فتلقهُ قبل أن تُسَبِّقَ إليه . ففعل وخرج إلى الأَعشى . فوجد ابنه يقود

(١) لم يرد هنا ولا فى ديوان الأَعشى ١٥٠ بيت يكون فيه جواب «أما» صريحا . وجوابها مفهوم من سياق الشعر بعده ، أى فإنه يكون يادى الكرم . أو نحو ذلك .

(٢) يعنى بعد ما ذكره فى الخزانة من قبل وبعد ما ذكره هنا . والقصيدة عدة أبياتها اثنان وستون بيتا .

(٣) فى الأغاني ٨ : ٧٧ : « عبد العزيز بن خيثم » تحريف . وما فى الخزانة يطابق ما فى القاموس (حلق) .

ناقته ، فأخذ زمامها منه ، فقال الأعشى : من هذا الذى غلبنا على خِطامناقتنا ؟ قيل : المحلق . قال : شريف كريم . وقال لابنه : خلّه يقتادها . فاقْتادها إلى منزله فنحر له ناقته ، وكشف له عن سَنامها وكَبِدها ^(١) ، ووجد امرأته قد خبزت خبزًا وأخرجت نِخَى سمن ، وجاءت بوطب لبن ، فلما أكل الأعشى وأصحابه ، وكان فى عصاية قيسية ، قدّم إليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما أخذ الشراب سأل عن حاله وعياله ، فعرف البؤس فى كلامه ، وأحاطت به بنائه يَغْمِزُه ويمسّخُه فقال : ما هذه الجوارى حولي ؟ قال : بنات أخيك ، وهنّ ثمان ^(٢) . قال : أما والله لئن بقيتُ لهنّ لا أدعُ شريدتهنّ قليلة ^(٣) . وخرج ولم يقل فيه شيئاً . ووافى المحلق عكاظ فإذا هو بسرحة قد اجتمع الناسُ عليها ، وإذا الأعشى يقول :

* لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة *

إلى آخر القصيدة . فسلم عليه المحلق فقال : مرحباً بسيد قومه : ونادى : يا معاشر العرب ، هل فيكم مذكر يزوّج ابنه بيناتِ هذا الشريف الكريم ؟ فما قام من مقعدة حتّى تُخطِبُ بناته جميعاً .

وقوله : « لعمرى لقد لاحت » إلخ اللام لام ابتداء تفيد التأكيد ، وعمرى مبتدأ وحذف خبره وجوباً ، أى عمرى قسمى . ومعنى لاحت :

(١) فى الأغاني : « وكشط له عن سنامها وكبدها » .

(٢) ط : « وهى ثمان » ، وما أثبت من ش مع أثر تصحيح يطابق ما فى الأغاني . وفى الأغاني : « وهن ثمان شريدتهن قليلة » بسقوط ما بعدها من كلام إلى كلمة « قليلة » .

(٣) ط : « لأدع شريدتهن قليلة » ش : « لأدع شريدتهن قليلة » ، والوجه ما أثبت .

نظرت وتشوّفت إلى هذه النار . حكى الفراء لُحِت الشيء ، إذا أبصرته .
وأنشد :

وأحمر من ضَرْبِ دارِ الملوك تلوح على وَجْهِهِ جَعْفَرًا (١)

كذا (فى شرح أبيات الجمل لابن السّيد) . واليَفَاع ، بالفتح :
الموضع العالى . وجعل النار فى يَفَاعٍ لأنّه أشهر لها ، لأنّها إذا كانت فى اليفاع
أصابها الرياح فاشتعلت . وهذه النَّارُ نارُ الضّيفاء ، كانوا يوقدونّها على الأماكن
المرتفعة لتكون أشهر ، وربّما يوقدونّها بالمندلى الرّطب - وهو عطر يُنسَب إلى
مَنَدَل ، وهو بلد من بلاد الهند - ونحوه ممّا يتبخّر به ليَهْتَدَى إليها العميان .
وأشعارهم ناطقة بذلك .

ونيران العرب (على ما فى الأوائل لإسماعيل الموصلى) اثنتا عشرة نارًا :

إحداها : هذه ، وهى نار القَرَى ، وهى نار توقد لاستدلال الأضياف
بها على المنزل . وأوّل من أوقد النار بالمزدلفة حتّى يراها من دَفَع من عرفة قصي
بن كلاب .

الثانية : نار الاستمطار ، كانت العرب فى الجاهلية الأولى إذا احتبس
عنهم المطرُ يجمعون البقر ، ويَعْقِدُون فى أذنانها وعراقيبها السِّلَع والعُشَر ،
ويَصْعَلُون بها فى الجبل الوعر ، ويُشْعَلُون فيها النار . ويزعمون أنّ ذلك من
أسباب المطر .

الثالثة : نار التحالف ، كانوا إذا أرادوا الحلف أوقدوا نارًا وعَقَدُوا

(١) رواية السيوطى عن ابن برى فى الأشباه والنظائر ٤ : ٨٧ : « وأصفر » . ثم ساق تخرّيج

ابن برى لروايته « تلوح » و « يلوح » أيضا . وقد نقل الرواية وتخرّيج ابن برى صاحب التاج فى
(لوح) عن السيوطى .

جَلَفَهُمْ عِنْدَهَا ، وَدَعَا بِالْحَرَمَانِ وَالْمَنْعِ مِنْ خَيْرِهَا عَلَى مَنْ يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَيَحُلُّ الْعَقْدَ .

الرابعة : نار الطُّرْدِ ، كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه .

الخامسة : نار الأهبة للحرب ، كانوا إذا أرادوا حرباً وتوقعوا جيشاً أوقدوا نارا على جبلهم ليلبغ الخبر فيأتونهم .

السادسة : نار الصَّيْدِ ، وهى نار توقد للطَّيَّاء لتعشى إذا نظرت . ويطلب بها أيضاً بيضُ النعام .

السابعة : نار الأسد ، وهى نار يوقدونها إذا خافوه . وهو إذا رأى النار استهأها ، فشغلته عن السَّابِلة . وقال بعضهم : إذا رأى الأسد النار حدث له فِكْرٌ يصطُّه عن إرادته . والضَّفْدَع إذا رأى النار تحير وترك النقيق .

٢١٣

الثامنة : نار السَّليم ، توقد للمللوغ إذا سهر ، وللمجروح إذا نُزِفَ ، وللمضروب بالسيَّاط ، ولن عضه الكلبُ الكلب ، لئلا يناموا فيشتدُّ بهم الأمر ويؤدَّى إلى الهلاك .

التاسعة : نار الفداء ، وذلك أنَّ الملوك إذا سَبَّوا القبيلة خرجت إليهم السَّادة للفداء . فكبرها أن يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن ، وفي الظُّلْمة يخفى قدر ما يحبسون ^(١) لأنفسهم من الصفى ^(٢) ، فيوقدون النار ليعرضن .

(١) ش : « قد ما يحبسون » .

(٢) الصفى : ما يختاره الرئيس لنفسه من المغنم ، والمراد هنا ما يختار من السبايا . ومنه

حديث عائشة « كانت صفيَّة من الصفايا » ، تعنى صفيَّة بنت حى ، كانت من غنيمة خيبر .

العاشرة : نار الوسم . قُرِبَ بعض اللصوص إبلاً للبيع فقبل له :
ما نارك (١) ؟ وكان أغار عليها من كل وجه . وإنما سئل عن ذلك لأنهم
يَعْرِفُونَ مِيسَمَ كُلِّ قَوْمٍ ، وَكِرَمَ إِبْلِهِمْ مِنْ لُؤْمِهَا . فقال :

تَسَأَلْنِى الْبَاعَةَ أَيْنَ نَارُهَا إِذْ زَعَزَعْتُهَا فَسَمَتِ أَبْصَارُهَا (٢)
كُلُّ نَجَارٍ إِبِلٍ نَجَارُهَا وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا

الحادية عشرة : نار الحرثين ، كانت فى بلاد عيس . فإذا كان الليل
فهى نارٌ تسطع ، وفى النهار دُخانٌ يرتفع . وربما نَكَرَ منها عنق (٣) فأحرق من
مَرَّ بِهَا . فحفر لها خالد بن سنان فدفنها ، فكانت معجزةً له .

الثانية عشرة : نار السَّعَالِى ، وهو شئ يقع للمتغرب والمتقفر . قال
أبو المضرب (٤) عُيَيْدُ بْنُ أَيُّوبَ :

وَلِلَّهِ دَرُّ الْغَوْلِ أَيْ رَفِيقَةٌ لِصَاحِبِ دُرٍّ خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ (٥)
أَرْنَتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَوَالِىَ نِيرَانًا تُبَوِّحُ وَتَزْهَرُ

(١) فى الحيوان ٤ : ٤٩١ : قرب بعض اللصوص إبلاً من الهواشة ، وقد أغار عليها من كل
جانب وجمعها من قبائل فقربها إلى بعض الأسواق فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ .

(٢) الرجز فى الحيوان ٤ : ٤٩٢ وأمثال الميداني ٢ : ٧٤ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٠
ونهاية الأرب ١ : ١١٢ .

(٣) ط : « بلر منها عنق » ، صوابه فى ش . وفى الحيوان ٤ : ٤٧٦ : « وربما ندرت منها
العنق » . ندرت : ظهرت وبلدت . والعنق : القطعة أو الطائفة ، والعنق يذكر ويؤنث .

(٤) كذا فى النسختين ، وفى اللآلئ ٣٨٣ عن القالى : « أبو المطراد » وقال : « والمحفوظ فى
كنيته أبو المطراب بالبلاء » . وقد وردت « أبو المطراب » فى الحيوان ٤ : ٤٨٢ / ٥ : ١٢٣ والشعراء
٧٨٤ واللى ٣٨٤ .

(٥) فى اللآلئ : « خائف يتستر » وبذلك ينتفى الإقواء بين البيتين فقط . لكنهما من أبيات
سنة فى الحيوان ٦ : ١٦٥ ، خمسة منها رويها مكسور .

وأما نار الحُبَابِجِ (١) فكلّ نارٍ لا أصل لها ، مثل ما ينقذح (٢) من نعال الدواب وغيرها .

وأما نار اليراعة فهي طائرٌ صغير إذا طار بالليل حسبته شهابا ، وضرب من الفَرَّاش إذا طار بالليل حسبته شرّاراً .

وأوّل من أورى نازها أبو حُبَابِجِ بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، فقالوا : نار أئى حُبَابِجِ .

ومن حديثه ما ذكر عن ابن الكلبي قال : كان أبو حُبَابِجِ رجلاً من العرب في سالف الدهر ، بخيلاً لا تُوقد له نارٌ بليل ، مخافة أن يُقتبس منها ، فإن أوقدها ثم أبصرها مستضيئاً أطفاها . فضربت العربُ به المثل في البخل والخلف فقالوا : « أخلف من نار أئى حبابج » .

وقال ابن الشجری (في أماليه) : حُبَابِجِ : رجل كان لا ينتفع بماله ، لبخله ، فنسب إليه كلُّ نار لا يُنتفع بها ، فقيل لِمَا تقدّحه حوافرُ الخيل على الصفا : نار الحُبَابِجِ . قال النابغة في وصف السيوف :

* وَيُوقِدُنَ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِجِ (٣) *

وجعل الكميت اسمه كنيةً للضرورة في قوله :

(١) ويقال لها أيضاً « نار أئى الحبابج » كما في الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٢) ط : « ما يقتدح » .

(٣) صدره كما في ديوانه ٧ من مجموع خمسة دواوين :

• تقدّ السلوق المضاعف نسجه •

يرى الرائونَ بالشُّفَرَاتِ منها كَنَارُ أَى الحُبَابِ وَالظُّبِينَا ^(١)

وقال القطامى :

أَلَا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَوْا

لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الحُبَابِ ^(٢) . انتهى

وهذا هو التحقيق ، لا ماذكره الموصلى تبعاً للعسكرى (فى أوائله) .

٢١٤ وزاد الصفدى (فى شرح لامية العجم) : نَارَ الغدر ، قال : كانوا إذا غدر الرجلُ بجاره أَوْقَلَوْا له نَارًا بَمْنَى أَيَّامِ الْحَجِّ ثم صاحوا : هذه غَدْرَةُ فلان ! وعدَّ نَارَ المزدلفة ، التى أَوَّلُ من أوقدها قصي ، قسماً مستقلاً . وجعل عِدَّةَ النيرانِ أربع عشرة نَارًا .

وقال ابن قتيبة (فى أبيات المعاني) فى نار التحالف : كانوا يحلفون بالنار ، وكانت لهم نَارٌ يقالُ إِنَّهَا كانت بأُشْرَافِ اليمن ^(٣) لها سَدَنَةٌ ، فإذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع يَتَّهِمُ . وكان اسمها : هَوْلَةٌ وَالْمَهْوَلَةُ . وكان سادنها إذا اتَّخَذَ رجلٌ هَيْبَةً من الحلف بها ، ولها قِيمٌ يطرح فيها المِلح

(١) أنشده فى التهذيب واللسان (شفر) بعد أن ذكر أن شفرات السيوف حروف حدها . وهو فى ديوان الكميت ٢ : ١٢٦ عن التهذيب ١١ : ٣٥١ . وعجزه فى جميعها :

• وقود أَى حباب والظيينا •

(٢) ديوانه ٥٣ وأملأ ابن الشجرى ٢ : ٦٠ وغمر القلوب ٤٦٣ والمخصص ١١ : ٢٨ وأمثال الميدانى ٢ : ٨٦ واللسان (حبب) . وفى الحيوان ٤ : ٤٨٧ : « إذا اشتوت » . وقيس ثوثت باعتبار القبيلة . ويروى : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء ، وقد سبقت فى ص ٩٠ . وهى الرواية الجيدة .

(٣) ط : « بأشواف » ، وأثبت ما فى المعاني الكبير ٤٣٤ . وفى ش : « بأسواق » . والمراد بالأشرف الأعلى .

والكبريت ، فإذا وقع فيها استشاطت وتنقضت ^(١) فيقول : هذه النار قد تهْدُنتك . فإن كان مُرِيْبًا نَكَلَ ، وإن كان بريئًا حَلَفَ . قال الكميت :

هُمُ خَوْفُونَا بِالْعَمَى هَوَّةَ الرَّدَى كَمَا شَبَّ نَارَ الْخَالِفِينَ الْمَهُولُ ^(٢)

وقال الكميت ، وذكر امرأة :

فَقَدْ صَرْتُ عَمَّا لَهَا بِالْمَشِيِّ سِبَ زَوْلًا لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ ^(٣)

كَهَوْلَةٍ مَا أَوْقَدَ الْمُخْلِفُونَ لَدَى الْخَالِفِينَ وَمَا زَوْلُوا ^(٤)

وقال أوس :

إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ الشُّسُ صَدَّ بَوَجْهِهِ كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمَهُولِ حَالْفُ ^(٥)

وقال أيضًا في نار الأهبة : كانوا إذا أرادوا حرباً أو توقَّعوا جيشاً وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليلاً على جبل ، لتجتمع إليهم عشائرهم ، فإذا جئوا وأعجلوا أوقدوا نارين .

وقال الفرزدق :

ضَرَبُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ وَأَوْقَدُوا نَارَيْنَ أَشْرَقَتَا عَلَى الثَّيْرَانِ ^(٦) . انتهى

(١) تنقضت ، بالقاف : صوت .

(٢) الهاشميات ٦٩ ونهاية الأرب ١ : ١١١ . وقبله في الهاشميات :

وما ضرب الأمثال في الجور قتلنا لأجور من حكامنا المنتمل

وأراد بالعمى البصيرة والجهل . وفي نهاية الأرب : « هم خوفوني » .

(٣) ديوان الكميت ٢ : ١٤ واللسان (زول) والتهذيب ١٣ : ٢٥١ والزول : المعجب .

وزول أزول مبالغة ، أى عجب عجب . وفي النسختين : « زوالا » ، صوابه من اللسان والتهذيب

والمعاني الكبير ٤٣٥ . قال ابن قتيبة : « يقول : صرت في أعين النساء كذلك » .

(٤) المعاني الكبير ٤٣٥ والحيوان ٤ : ٤٧١ والتهذيب واللسان (هول) والبيان ٣ : ٧

وأيمن العرب للنجهمى ٣١ .

(٥) ديوان أوس بن حجر ٦٩ واللسان والتهذيب والمقاييس (هول) والبيان ٣ : ٧ وأيمن

العرب للنجهمى ٣١ .

(٦) ديوان الفرزدق ٨٨٣ والحيوان ٤ : ٤٧٥ .

وقوله : « تحرق » روى بالبناء للمفعول ، وروى بالبناء للمعلوم والمفعول محذوف ، أى الخطب .

وقوله : « تشب لمقروين » إلخ أى تُوقد . والمقروور : الذى أصابه القُر ، وهو البرد . والاصطلاء : افتعال من صَلَّى النارَ وصَلَّى بها ، من باب تعب : وَجَدَ حَرَّهَا . والصَّلاء ككتاب : حَرَّ النار . وقوله : « وبات على النار » إلخ بات له معنيان ، أشهرهما ما قاله الفراء ، بات الرجل إذا سمر الليل كله فى طاعة أو معصية . وهو المراد هنا . والثاني بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواء كان فى ليل أو نهار . والندى : الجود والكرم . والمخلَّق هو المملوح ، واسمه عبد العزى ، من بنى عامر بن صعصعة كما تقدم . وهو جاهلى . كذا فى أنساب ياقوت وغيره .

المخلق

وقال العسكري (فى التصحيح) : المخلَّق الذى مدَّحه الأعشى مفتوح اللام ، هو اسمه ، وهو المخلَّق بن جزء ، من بنى عامر بن صعصعة . والمخلَّق الضنى ولأه الحكم بن أيوب الثقفى سَفَوَان بفتح اللام أيضاً ، قال فيه بعض الشعراء (١) :

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي ونُصْحى إِذَا ما بِعَتَى بالمخلَّق

وذكر أحمد بن حباب الحميرى ، أَنَّ فى جُعْفَى فى مَرَّان منهم « المخلَّق » بخاء معجمة ولام مكسورة . انتهى .

وقد خالف الجمهور فى قوله إن المخلَّق اسمه . قالوا : إنَّ اسمه

(١) هو أبو نيرة بن الحصين ، وكان الحكم بن أيوب قد أخذه بذنب العطرق . الحيوان ١ :

٢١٥ عبد العزى بن حنم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد ، وهو أبو بكر ، ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وسمى محلقاً لأن فرسه عضه فصار موضع عضه كالحلقة ، فقليل له المحلق ^(١) .

وقال ابن السيد (فى أبيات الجمل) : وسمى المحلق لأن بعيراً عضه فى وجهه فصار فيه كالحلقة . وقيل : بل كوى نفسه بكية شبه الحلقة . وزاد اللخمي : لأنه كان يأتي موضع الحلاق بمنى .

وحكى الموصلى أنه أصابه داء فاكتوى على حلقه فسمى المحلق . وروى أبو عبيدة : المحلق ، بكسر اللام . وروى الأصهباني بفتحها . وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح) ^(٢) .

وقال الجوهري : المحلق بكسر اللام : اسم رجل من بنى أوى بكر بن كلاب ، من بنى عامر . انتهى .

وكسر اللام خلاف الصحيح . وهذا قول الأمير ابن ماكولا ، نقله عن النسابة حسن ، ابن أخى اللبن . قال الأمير : وحنم بحاء مهملة مفتوحة بعدها نون ساكنة ثم مثناة فوقية . والمحلق كان سيّداً فى الجاهلية ، وهو الذى مدحه الأعشى .

وقال الكلبي (فى جمهرة الأنساب) : المحلق هو عبد العزى بن حنم

(١) الكلام بعده إلى كلمة « فى شرح » ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهى سقط ش الذى لم يبيض له ، بل الكلام فيها متصل إلى مبدأ قوله : « وقال

الجوهري » . وفى المطبوعة بعد كلمة « فى شرح » يياض بقدر سطرين .

ابن شداد بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أوى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان سيِّداً وذا بأس فى الجاهلية ، وله يقول الأعشى :

* وبات على النار التندى والمخلَّق *

وله حديث . وكان الأعشى نزل به فأمرته أمه فنحز للأعشى ناقة ولم يكن له غيرها . انتهى .

قال ابن السِّيد ^(١) : لَمَّا كان من شأن المتحالفين أن يتحالفوا على النار ، جعل التندى والمخلَّق كمتحالفين اجتمعوا على نار . وذكر المقرورين لأنَّ المقرورَ يُعْظَم النار ويُسْعِلُها لشدة حاجته .

وقد أخذ أبو تمام الطائى هذا المعنى وأوضحه فقال فى مدحه الحسن ابن وهب :

قد أثقَبَ الحسنُ بن وهب فى الندى ناراً جَلَّتْ إنسانَ عينِ المجتلى
موسومةٌ للمهتدى ، مأدومةٌ للمُجتدى ، مظلومةٌ للمصطفى ^(٢)
ما أنت حين تُعَدُّ ناراً مثلها إلا كتالى سورةٍ لم تُنزل . اهـ

وقال اللخمي : كان الناس يستحسنون هذا البيت للأعشى ، حتى قال الخطيئة :

(١) فى الاقتضاب ٣٩١ . وقد تصرف البغدادى بعض التصرف فى النقل .

(٢) فى الديوان ٢٣٣ :

مأروثة للمجتلى ، موسومة للمهتدى ، مظلومة للمصطفى
مأروثة : موقدة مذكاة .

متى تَأْتَهُ تَعْشَوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقِدٍ
فَسَقَطَ بَيْتُ الْأَعَشَى . انتهى .

وهذا مأخوذٌ من الأوائل للعسكري والموصلي .

وأورد صاحبُ الكشف هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَجِدْ عَلَى
النَّارِ هُدًى ^(١) ﴾ ، واستشهد به على أنَّ معنى الاستعلاء فيها أنَّ أهل النار
يستعملون المكانَ القريبَ منها ، كما قال سيويه في مررت بزيد : إنَّه لصوقٌ في
مكان يقرب من زيد . أو لأنَّ ^(٢) المصطلين بها إذا تكتنفوها قيامًا وقعودًا كانوا
مشرفين عليها .

وكذلك أورد ابن هشام (في المغنى) قال : أحد معاني على
الاستعلاء ، إمَّا على المجرور وهو الغالب ، نحو : ﴿ عليها وعلى الفلِّكِ
تَحْمَلُونَ ^(٣) ﴾ أو على ما يقرب منه نحو : ﴿ أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ أى
هاديًا ، وقوله :

* وبات على النار الندى والمخلق *

وأورده في الباء الموحدة أيضًا وقال : أقول إنَّ كلاً من الإلصاق
والاستعلاء إنما يكون حقيقياً إذا كان مُفضياً إلى نفس المجرور ، كما مسكت
بزيد ، وصعدت على السطح . فإنَّ أفضى إلى ما يقرب منه فمجازيٌّ ،
كمررت بزيد ، في تأويل الجمهور ^(٤) ، وكقوله :

٢١٦

(١) الآية ١٠ من سورة طه .

(٢) ش : « ولأن » وما أثبت من ط يطابق ما في الكشف ٢ : ٢١ وفيه : « أو لأن »

المصطلين بها والمستمتعين بها .. إلخ .

(٣) الآية ٢٢ من المؤمنون وكذا ٨٠ من غافر . وحذف واو « عليها » للاقتباس ، وهو أمر

جائز . انظر حواشي الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص لكتابه ص ٤٩ .

(٤) في المغنى ص ١٠٠ : « في تأويل الجماعة » .

* وبات على النار التدى والحلق *.

وقوله : (رضيعى لبنان) إلخ هو مثنى رضيع ، قالوا : رضيع الإنسان ^(١) : مُراضِعه . قال التبريزى (فى شرح ديوان أبى تمام) : إذا كانت المفاعلة بين اثنين جاء كل واحد منهما على فعيل كما جاء على مفاعل ، كقعيد للذى يقاعدك وتقاعده ، ونديم بمعنى مُنادم ، ورضيع وجليس ، بمعنى مراضع ومجالس . انتهى .

وإليه أشار الجوهري بقوله : « وهذا رضيعى كما تقول أكيلى » . وكذلك قال صاحب المصباح : راضعته مراضعة ، وهو رضيعى . وفى (عمدة الحفاظ للسمين) : وفلان رضيع فلان أى رضيعٌ معه . وأنشد هذا البيت ونسبه للنابغة . وهو سهو .

وفعيل هذا لا يعمل النصب . قال الشارح المحقق فى أبنية المبالغة : « وأما الفعيل بمعنى الفاعل ، كالجليس ، فليس للمبالغة ، فلا يعمل اتفاقاً ^(٢) » . فإضافة رضيعى إلى لبنان ليس من الإضافة إلى المفعول به المصرح ^(٣) ، بل هو مفعولٌ على التوسّع بحذف حرف الجر ، لأنه يقال رضيعه بلبان أمه ، فحذف الباء فانتصب لبنان وأضيف إليه الوصف .

و (تدى) بالجر بدل من لبنان ، وعلى رواية النصب بدل أيضاً بتقدير مضافٍ مجرور فيهما ، أى لبنان تدى ، فلما حذف المضاف انتصب . أو هو منصوب على نزع الخافض ، أى من تدى أم . ولا يجوز الإبدال على محل

(١) ط : « الأسنان » ، صوابه فى ش .

(٢) شرح الرضى ٢ : ١٨٨ .

(٣) أى الصريح . وفى ش : « المسرح » ، غريب .

لبان^(١) لأن شرطه كالعطف على المحل إمكان ظهور ذلك المحل في الفصيح .
لا يجوز مثلاً : مررت بزيد وعمراً ، خلافاً لابن جنى ، لأنه لا يجوز : مررت
زيداً . فأمّا قوله :

* تَمْشُونَ الدِيَارَ وَلَمْ تُعْجُوا^(٢) *

فضرورة .

وغفل بعض من شرح (دُرّة الغواص) عن عدم عمل فعل المذكر ؛
فقال في شرحه : وثدى منصوب برضيعي ، ولا حاجة لتقدير من كما قيل ، لأن
رضيع متعدي بنفسه . هذا كلامه ، مع أنه قال رضيع لا يكون إلا بمعنى
مراضع .

ولا مانع عندى أن يكون هنا بمعنى راضع ، وتكون المشاركة من
التثنية ، بل هذا هو الجيد ، إذ لو كان رضيع هنا بمعنى مُراضع لما ثنى ،
ولكان المناسب أن يقول :

* رضيع التدى من ثدى أم تقاسما *

وعليه يسهل إعراب البيت ، فيكون رضيعي مضافاً إلى مفعوله لأنه
ماض ، واسم الفاعل الماضى تجب إضافته إلى ما يجيء بعده ممّا يكون في
المعنى مفعولاً ، فيكون « ثدى أم » بدلاً من لبان بتقدير مضاف مجرور ،
والأصل رضيعي لبان لبان ثدى أم ، أو يكون بدلاً من لبان على المحل ، على

(١) ش : « على المحل » .

(٢) من الشواهد النحوية المشهورة . وهو لجرير ، وسيأتي في ٦٧١ بولاق . وعجزه :

« كلامكم على إذن حرام » .

قول من لا يشترط المحرز الطالب لذلك المحل . وفعل قد وضع بالاشتراك تارةً لفاعل وتارةً لمفاعل ، والقرينة تعين ، وهى هنا التثنية .

وقال الأندلسى (فى شرح المفصل) : رضيع فعيل للمبالغة . وعليه فيكون عاملاً عمل فعله .

وقد ذهب ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجمل) إلى ما ذكرنا ، قال : لك أن تجعل الرضيع بمعنى الراضع ، كقولهم قدير بمعنى قادر ، فيكون متعدياً إلى مفعول واحد . وإن شئت جعلته بمعنى مرضع كقولهم : رُبُّ عَقِيدٍ ، بمعنى مُعَقَّد ، فيتعدى إلى مفعولين . ومن ٢١٧ خفض ثدى أم جعله بدلاً من لبان ^(١) ، ومن نصبه أبدله من موضعه ، لأنه فى موضع نصب . ولابد من تقدير مضاف فى كلا الوجهين ، كأنه قال : لبان ثدى أم . وإنما لزم تقدير مضاف لأنه لا يخلو من أن يكون بدل كل أو بدل بعض أو بدل اشتال ، فلا يجوز الثانى ، لأنَّ الثدى ليس بعض اللبان ؛ ولا الثالث ، لأنَّ الأوَّل يشتمل على الثانى ^(٢) ، وذلك لا يصح هاهنا . وقد ذهب قوم إلى أنَّ الثانى ، هو المشتمل على الأوَّل ، وذلك غلط ، فلم يبق إلا أن يكون بدل كل ^(٣) . والثدى ليس اللبان ، فوجب أن يقدر لبان ثدى . ويجوز أن يكون ثدى أم مفعولاً سقط منه حرف الجر ، كقولك : اخترت زيداً الرجال . انتهى .

(١) فى الاقتضاب ٣٩٢ : « من لفظ اللبان » .

(٢) فى الاقتضاب : « لأن معنى قولنا بدل اشتال أن يكون الأوَّل يشتمل على الثانى » .

(٣) الاقتضاب : « أن يكون بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة » ، فى هذا الموضع

وتعقُّبه اللَّخْمَى بأنَّه قيل : إنَّ اسمَ الفاعل هنا بمعنى المضى ، فلا يعمل عند البصريين ، وإن انتصاب ثدى إنَّما هو على التمييز ، لأنَّه يحسن فيه إدخال من المقدَّرة في التمييز . ويحتمل أن يكون منصوبًا بإضمار فعلٍ دلَّ عليه رضيع ، والتقدير : رَضِعَا ثدى أم ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ^(١) ﴾ . وهذا إنَّما يكون على أن تجعل رضيعي خبرًا لبات لا حالًا . انتهى كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم (في أبيات المفصل) : ثدى بدل من محلَّ لبان ، في تقدير : رضيعين لبانا ثدى أم ، وهو بدل اشتغال . وقيل ثدى أم منصوب على إضمار رضيعا ، بدلالة رضيعي .

وتبعه الكَرَمَانِي (في شرح أبيات الموشح) . وفيه أنَّ الوصف ماضٍ ، وأنَّ بدل الاشتغال لابدَّ له من ضمير .

والجيد في نصب رضيعي أن يكون على المدح .

وجوز ابنُ السَّيِّد واللخمي غيرَ هذا : أن يكونَ حالًا من الندى والمخلق ، ويكون قوله « على النار » خبر بات . وأن يكون خبر بات وعلى النار حالًا . وأن يكونا خبرين .

أقول : أمَّا الأول ففيه مع ضعف مجيء الحال من المبتدأ المنسوخ فسادُ المعنى ، لأنَّه يقتضى أن يكونا غير رضيعين في غير بياتهما على النار ، وجودة المعنى تقتضى أنَّهما رضيعان مُدَّ ولدا .

وأما الأخيران ففيهما قبح التَّضمين الذي هو من عيوب الشعر ، وهو توقُّف البيت على الآخر . ويردُّ هذا أيضًا على جعله حالًا من الندى والمخلق ،

(١) الآية ٩٦ من الأنعام . وفي ط : « وجعل » ، وهذه قراءة عاصم وحزمة والكسائي . والباقون : « وجاعل » . إتحاف فضلاء البشر ٢١٤ .

وعلى جعله بدلًا من مقرورين ، وعلى جعله صفة له .

حكى هذه الثلاثة بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) .
وجوّز هذه الثلاثة شارح أبيات الموشح ، مع تجويز كونه خبرًا لبات . قال :
وعلى هذه الأوجه خبر بات قوله تقاسما .

وهذا تعسف ؛ فإنَّ تقاسما جواب مقلّر نشأ من قوله : وبات على النار
الندى والمخلق ، والخبر هو على النار .

و (اللبان) بكسر اللام ، قال الأندلسى : هو لبن آدمى . قيل
ولا يقال له لبن إنما اللبن لسائر الحيوانات . وليس بصحيح ، لأنه قد جاء فى
الخبر : « اللبْنُ لِلْفَحْلِ » أى للزوج . نعم اللبان فى بنى آدم أكثر . انتهى .
وكذلك قال ابن السّيد : روى عن رسول الله - ﷺ - « أنَّ لبن
الفحل محرّم » كما اتفق عليه الفقهاء . وفسّروه بأنَّ الرجل تكون له امرأة تُرضع
لبنه ، فكل من أرضعته حرّمته عليه وعلى ولده . والصحيح أنّه يقال : اللبان
للمرأة خاصّة ، واللبن عام .

وقال الحريرى (فى درة الغواص) تبعًا لابن قتيبة (فى أدب الكاتب) :
يقولون لرضيع الإنسان : قد ارتضع بلبنه ، وصوابه ارتضع يلبانه ، لأنَّ اللبن
المشروب ، واللّبان مصدر لابنه أى شاركه فى شرب اللبن . وهذا هو معنى
كلامهم الذى نَحَوّا إليه . وإليه أشار الأعشى فى قوله :

* رضيعى لبانِ ندى أمِّ تقاسما *

البيت . انتهى .

وقد تقدم الكلام على اللبان في الشاهد الثالث والتسعين بعد الثلاثمائة (١) .

وقد أخذ معنى هذا المصراع وبسطه الكميث ، في مدح مخلد بن يزيد ، وقال :

تري الندى ومخلداً حليفين كانا معاً في مهده رضيعين

* تنازعا فيه لبان الثديين *

وفيه لطف بلاغة لجعلهما أخوين من جنس واحد .

و (تقاسما) : تفاعلا من القسم ، أى أقسم كل منهما لا يفارق أحدهما الآخر . وروى بدله (تحالفا) من الحلف وهو اليمين . والباء في قوله : (بأسحم) داخله على المقسم به . وقد اختلف في معناه : قال ابن السيد : فيه سبعة أقوال :

أحدها : هو الرماد ، وكانوا يحلفون به . قال الشاعر (٢) :

حلفت بالملح والرماد وبالد رِ نُسْلِم الحلقه
حتى يظل الجوادُ منعفراً وتخصب النبيل غرة الدرقة (٣)

ثانيها : هو الليل .

ثالثها : هو الرجم .

رابعها : هو الدم ، لأنهم كانوا يغمسون أيديهم فيه إذا تحالفوا .

حكى هذه الأقوال الأربعة يعقوب ، وحكى غيره ، وهو الخامس أنه

(١) الخزانة ٥ : ٣٣٢ .

(٢) البيتان أنشدتهما الجاحظ في البيان ٣ : ٨ مسبقين بقوله « وقال الأول » . وأنشدتهما ابن منظور في اللسان (حلق) شاهدا على فتح لام الحلقة المستعملة في حلقة القوم .

(٣) وكنا في البيان . لكنها وردت معرفة في اللسان برواية : « ويخصب القيل عروة

الدرقة » .

حلّمه الثدى . وقيل ، وهو السادس : زُق الخمر . وقيل وهو السابع : دماء
الذبائح التى كانت تُذْبَح للأصنام . وجعله أسحَم لأنّ الدم إذا بَيس اسودَّ .
وَأَبْعَدُ هذه الأقوال قول من قال إِنَّهُ الرماد ، لأنّ الرماد لا يُوصَفُ بأنّه
أسحَم ولا داج ، وإنّما يوصفُ بأنّه أَوْرق . انتهى .
وقال أحمد بن فارس : الأسحَم : الأسود . والأسحَم فى قول
الأعشى :

* بِأَسْحَمِ دَاج *

هو الليل ، وفى قول النابغة :

* بِأَسْحَمِ دَانٍ ^(١) *

هو السحاب ، وقول زهير :

* بِأَسْحَمِ مَنُود ^(٢) *

هو القرن . ويقال بِأَسْحَمِ دَاج ، أى فى الرحم . انتهى .

وقال الحريرى (فى الدرة) : عَنِ الْأَسْحَمِ الدَّاجِى ظِلْمَةُ الرِّحْمِ
المشار إليها فى قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ
فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ^(٣) 》 . وقيل بل عَنِ به الليل . وعلى كلا هذين التفسيرين

(١) البيت بتمامه فى ديوان النابغة لابن السكيت ٧٣ :

عفا آيه ربح الجنوب مع الصبا

وأسحَم دَانِ مَزْنُهُ مَتَصُوبٌ

وكنا فى اللسان (سحَم) . وانظر المقاييس (سحَم) . وفيهما : « بِأَسْحَمِ دَانِ » .

(٢) وكنا فى المقاييس (سحَم) ، وهو بتمامه فى الديوان ٢٢٩ واللسان (سحَم) :

نَجَاءٌ مَجْدٌ لَيْسَ فِيهِ وَتِيرَةٌ

وتذنيبها عنه بِأَسْحَمِ مَنُود

(٣) الآية ٦ من سورة الزمر .

فمعنى تقاسما فيهما أى تحالفا . وقد قيل إنَّ المراد بلفظة تقاسما اقتسما ، وإنَّ المراد بالأسحُم الداجى الدمُ . وقيل المراد بالأسحُم اللبنُ لاعتراض السُّمرة فيه ، وبالداجى الدائم . انتهى .

ولا وجه لتفسير تقاسمًا ، باقتسما ، على تفسير الأسحُم بأحد المعنيين الأخيرين . وكيف يصحَّ تفسير الداجى بالدائم مع أنَّه من الدُّجىة وهو الظلام . وقال الجوهري : قيل هو الدم ، وقيل الرحم ، وقيل سواد حلمة الثدي ، وقيل زُقُ الخمر .

وقوله : (عوض) هو ظرفٌ مقطوع عن الإضافة متعلق بما بعده . وجملة (لا نتفرق) جواب القسم ، وجاء به على حكاية لفظ المتحالفين الذى نطقا به عند التحالف ، ولو جاء به على لفظ الإخبار عنهما لقال لايفترقان . وزعم ابن السَّيِّد ، وتبعه اللخمي ، أنَّه يجوز مع كون عوض ظرفاً أن يكون عوض مقسماً به ، والباء فى أسحُم بمعنى فى . وهذا فاسد ، لأنَّه كان يجب حينئذٍ إعرابه وجزؤه بحرف القسم .

قال الأندلسي : لا يجوز أن يكون عوض اسم صنم ، لتقدُّم المقسم به قبله ، ولبنائه ، وأيضاً لا يجوز حذف حرف القسم عند ذِكر الفعل .

وعليه اقتصر الخوارزمي ، نقله عنه ابن المستوفى قال : عنى بأسحُم داج الليل ، وهو ليس بالمقسم به ، إنَّما هو ظرف بمنزلة أن تقول : تقاسمًا فى ليل داج يكون تألفهما فيه واستئناسُ كلِّ منهما بصاحبه أكثر . وقال صاحب العين : عوض كلمة تجرى مجرى القسم ، فعوض على هذا القول معناه حلِّفا بالذَّهر لا نتفرَّق ، فحذف حرف القسم ونصب المقسم به ، كما فى قولك : الله لأفعلن . هذا كلامه .

وفيه أنَّ حرف القسم لا يحذف مع ذكر الفعل .

وقال ابن السَّيِّد : ومن اعتقد أنَّ عوض اسم صنم لزمه أن يجعل الباءَ في قوله بأَسْحَم بمعنى في . ويعنى ^(١) بالأسحَم الليل أو الرحم . ولا يجوز أن تكون الباء في هذا الوجه للقسم ، لأنَّ القسم لم يقع بالأسحَم ، إنما وقع بعوض ، الذى هو الصنم . انتهى .
ويُعرف وجهُ ردِّه ممَّا ذكرنا .

وقوله : « وأما إذا ما الحل » إلخ المخل : انقطاع المطر ويُس الأرض من الكلاء . وسرَّح مآلهم ، أى أطلقها وفرَّقها . والمال عند العرب : الإبل والبقر والغنم . والسَّمْلَق ، كجعفر : القاعُ الصَّفَصَف .

وقوله : « نفى الذَّم » إلخ هو جواب إذا . والجفنة ، بالفتح : قَصْعة الطعام فاعل نفى . والجابية بالجيم ، قال الجوهري : هى الحوض الذى يُجنى فيه الماء للإبل . وأنشد البيت . وتفَهَّق ، قال المبرد (فى أول الكامل) : من قولهم : فَهَقَّ الغدير يفَهَّق ، إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضعُ مزيد . قال الأعشى :

نفى الذم عن رَهط المخلِّق جفنة البيت

هكذا ينشده أهل البصرة ، وتأويله عندهم أنَّ العراقيَّ إذا تمكَّن من الماء ملاً جابيته ، لأنَّه حضريُّ فلا يعرف مواضع الماء ولا محالَّه . وسمعت أعرابيةً تُنشد « كجابية السَّيِّح » بإهمال الطرفين ، تريد النهر الذى يجرى على جابيته ،

(١) ط : « يعنى » ..

فماؤها لا ينقطع ، لأنَّ النهر يَمُدُّه . انتهى .

وقال ابن السَّيِّد (في حاشيته على الكامل) : كان الأحمر يقول :
الشيخ تصحيف ، وإنَّما هو السَّيِّح بالسَّين والحاء غير معجمتين ، وهو الماء
الجارى على وجه الأرض يذهب وبمجيء . والجاية : الحوض ، وجمعه الجوائى .
وكلُّ ما يُحَبَس فيه الماء فهو جاية . وقيل أراد بالشيخ العراقى كسرى ،
وحكاه أبو عبيد في كلام ذكره عن الأصمعى في شرح الحديث . ونخصَّ
بالشيخ على تأويل المبرد ، لأنَّه قد جَرَّب الأمور وقاسى الخير والشر ، وهو
يأخذ بالحزم فى أحواله . انتهى .

« ودرِّق » بدالين بينهما راء : الأطفال ، يقال : ولِدانٌ درِّق ،
وَدَرَّاق . كذا فى العباب .

والسَّدِيف : شحم السَّنَام . وَتَدَفَّقَ أَصله تتدفق بتاءين .

والأعشى شاعر جاهلى قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين
من أوائل الكتاب ^(١) .

وقد روى صاحب الأغانى سببَ هذه القصيدة على غير ما ذكرناه
أيضًا .

وقد روى عن التَّوْفَلَّى ^(٢) أَنَّ المَحَلَّقَ كانت له أخوات ثلاث ، لم يرغب
أحدٌ فيهن لفقرهنَّ ومحموله . والتزويجُ إنما كان لهنَّ لا لبناته . والله أعلم .

* * *

(١) الخزاعة ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٢) هو على بن محمد التوفلى . الأغانى ٨ : ٧٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٢٢ (لقد رأيتُ عجبًا مُذْ أُمَسَا)

على أن (أُمَس) غير منصرف ، مجرور بالفتحة ، والألف للإطلاق .
وهذا نصٌ سيبويه في باب تغيير الأسماء المبهمة إذا صارت أعلامًا خاصة (٢) ، أوردته بطوله لكثرة فوائده :

وسألته رحمه الله ، يعنى الخليل ، عن أُمَس اسم رجل فقال :
مصرف ، لأنَّ أُمَس ههنا ليس على الجر (٣) ولكنه لما كثر في كلامهم وكان ٢٢٠
من الظروف تركوه على حالٍ واحدة ، كما فعلوا ذلك بأنَّ وكسروه كما كسروا
غاق ، إذ (٤) كانت الحركة تدخله لغير إعراب ، كما أنَّ حركة غاق لغير
إعراب . فإذا صار اسمًا لرجل انصرف ، لأنه قد نقلته إلى غير ذلك الموضع ،
كما أنَّك إذا سميت بغاق صرفته . فهذا يجرى مجرى هذا ، كما جرى ذا
مجرى لا .

واعلم أنَّ بنى تميم يقولون في موضع الرفع : ذهب أُمَسُ بما فيه ،
وما رأيتُه مُذْ أُمَسُ ، فلا يصرفون في الرفع ، لأنَّهم عدلوه عن الأصل الذى هو
عليه في الكلام ، لا عمَّا ينبغى له أن يكون عليه في القياس . ألا ترى أنَّ أهلَ

(١) في كتابه ٢ : ٤٤ . وانظر نوادر أبنى زيد ٥٧ والجمل ٢٩١ وأمالى ابن الشجرى ٢ :
٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٠٦ ، ١٠٧ والشنور ٩٩ والعينى ٤ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٢٦٦ ، ٣١٦
والجمع ١ : ٢٠٩ .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٢ و ٣ : ٢٨٠ من نسختي .

(٣) في سيبويه : « لأنَّ أُمَس ليس هاهنا على الحد » ، أى ليس على حد الأسماء المبهمة .

(٤) كنا في ش وسيبويه . وفي ط : « إذا » .

الحجاز يكسرونه في كل موضع ، وينو تميم يكسرونه في أكثر المواضع في الجر والنصب . فلما عدلوه عن أصله في الكلام ومجراه ، تركوا صرفه كما تركوا صرف آخر حين فارقت أخواتها في حذف الألف واللام منها ، وكما تركوا صرف سحر ظرفاً . لأنه إذا كان مجروراً أو مرفوعاً أو منصوباً غير ظرف لم يكن بمنزلة إلا وفيه الألف واللام ؛ أو يكون نكرة إذا أخرجت منه . فلما صار معرفة في الظروف بغير ألف ولام ، خالف التعريف في هذه المواضع ، وصار معدولاً عندهم كما عدلت آخر ، فترك صرفه في هذا الموضع كما ترك صرف أمس في الرفع . وإن سميت رجلاً بأمس في هذا القول صرفته ، لأنه لا بُدَّ لك من أن تصرفه في الجر والنصب ، لأنه في الجر والنصب مكسورٌ في لغتهم ، فإذا انصرف في هذين الموضعين انصرف في الرفع ، لأنك تدخله في الرفع وقد جرى له الصِّرف في القياس في الجر والنصب ، لأنك لم تعدله عن أصله في الكلام مخالفاً للقياس . ولا يكون أبداً في الكلام اسمٌ منصرفٌ في الجر والنصب ولا ينصرف في الرفع . وكذلك سحر اسم رجل تصرفه ، وهو في الرجل أقوى لا يقع ظرفاً ، ولو وقع اسمٌ شيء فكان ظرفاً صرفته وكان كأمس لو كان أمس منصوباً غير ظرف مكسور كما كان . وقد فتح قومٌ أمس في مُدْ لَمَّا رفعوا وكانت في الجر هي التي تُرْفَع ، شبهوها بها . قال :

لقد رأيتُ عجباً مُدْ أَمْسَا عجائزاً مثل الأفاعي حَمْسَا

وهذا قليل .

انتهى كلام سيبويه ، ونقلته من نسخة معتمدة مقروءة على مشايخ

جَلَّة ، عليها خطوطُ إجازاتهم ، منهم زيد بن الحسن بن زيد الكندي إمام عصره عربيَّةٌ وحديثًا ، وتاريخُ إجازته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وهي نسخة ابن ولَّاد تلميذ ثعلب والمبرد ، وتوفي بمصر في سنة ثمان وتسعين ومائتين .

فما اعترض به الشارح المحقق على الزجاجي ، في زعمه أنَّ أُمس في البيت مبنية على الفتح ، حقٌّ لا شبهة فيه (١) .

وقد غلَّطه شراحه ، منهم ابن هشام اللخمي (في شرح أبيات الجمل) قال : مذ أُمسا جازًّا ومجورور ، ومُذ هنا حرفُ جر ، وهي بمنزلة في ، كأنه قال : لقد رأيت عجبًا في أُمس ، والعامل فيها رأيت ، والفتحة فتحة إعراب ، وهي علامة الخفض كما تكون فيما لا ينصرف . وقد غلط أبو القاسم فيها وزعم أنَّها في البيت مبنية على الفتح ، وإنَّما هي في البيت على لغة بعض بني تميم . وليس في العرب من يبنها على الفتح وهي مخفوضة بمذ ، ولكنَّها لا تنصرف عندهم للتعريف والعدل . وإنَّما دخل عليه الوهم من قول

٢٢١

(١) في ش حاشية بخط ناسخها هنا نصها :

« قوله : فما اعترض به الشارح المحقق .. الخ . قلت : ليس بحق ، ولم ينفرد به الزجاجي . وقد أقره عليه جملة من الشروح ، وردوا من رد عليه . قال الخفاف : وقد أخذ على أبي القاسم (في الأصل : ابن القاسم) ذكر بنائها على الفتح ، وقيل إنَّما هو إعرابه إعراب ما لا ينصرف . وليس كذلك ، فقد حكى الثلاثة الأوجه في المنتخب لأبي إسحاق الزجاج (في الأصل : الزجاجي) الذي نقل أبو القاسم منه . انتهى . قلت : نقل الأوجه الثلاثة المروى في الذخائر وأقرها ، وقال : إن البناء على الفتحة لغة لبعض تميم . وذكر الثعلبي في شرح جمل الجرجاني مثله . ومثله في شرح شواهد الجمل للأعلم وابن السيد البطليوسي . فتأمله . فعدم ذكر سيبويه له لا يدل على نفيه ، إذ ليس في كلام سيبويه ما يدل على نفيه . والله أعلم » .

سيبويه : وقد فتح قومٌ أمس مع مذ لما رفعوا وكانت في الجر هي التي ترفع ، شبهوها بها . وأنشد البيت على ذلك . فتوهم أنه لما ذكر الفتح الذي هو لقبُ البناء أنه أراد أن أمس مبنئ . ولو تأمل لبان له العذر في ذكر الفتح هنا ، إذ لا يمكن أن تسمى الحركة التي يحدثها عامل الجر نصباً ، لأنها ليست للنصب ، إنما هي للجر . وسوى بين عمل الجار والناصب دلالة على ضعف الجار فيما لا ينصرف ، ولم يسمها جرّاً استقلالاً لها ، لأنها لما ضُمَّت إلى النصب صارت كأنها غير جرّ البتة . ألا تراه قال : وجميع ما لا ينصرف إذا أُدخلت عليه الألف واللام انجرّ وهو لم يزل مجروراً ، إلا أنه جعل الجر المحمول على النصب غير جرّ . وإلا فالعوامل في المنصرف وغير المنصرف واحدة . فاعلم ذلك . انتهى كلام اللخمي

وقال النحاس : قال سيبويه : قد فتح قومٌ أمس في مذ إلخ . هذا من كلام سيبويه مشكّل يحتاج إلى الشرح . وشرحه عليّ بن سليمان قال : أهل الحجاز على ما حكاه النحويون ، يكسرون أمس في الرفع والنصب والخفض ، وبنو تميم يرفعونه في موضع الرفع بلا تنوين ، يجعلونه بمنزلة ما لا ينصرف . وذلك أنه ليس سبيل الظرف أن يرفع لأنّ الأخبار ليست عنه ، فلما أخبروا عنه زادوه فضلةً فأخرجوه من البناء إلى ما لا ينصرف ، فلما اضطر الشاعر أجراه في الخفض مجراه في الرفع ، وقدر مذ هذه الخافضة ، وفتحته لأنه لا ينصرف . انتهى .

وقال الأعمى : الشاهد فيه إعراب أمس ومنعها من الانصراف ، لأنها اسمٌ لليوم الماضي قبل يومك معلول عن الألف واللام . ونظير جرّها بعد مذ ههنا رفعها في موضع الرفع إذا قالوا : ذهب أمسُ بما فيه ، وما رأيته مذ

أَمْسُ ، وهى لغةٌ لبعض بنى تميم . فلَمَّا رُفِعَتْ بعد مذ لأنَّ مذ يرتفع ما بعدها إذا كان منقطعاً ماضياً ، جاز للشاعر أن يخفضه بعدها على لغة من جَرَّ بها فى ما مضى وانقطع ، لأنَّ مذ هذه الخافضة لأَمْس هى الرافعة له فى لغة من يرفع . وقد بُيِّنَتْ هذا وكشفت حقيقته فى كتاب التُّكْتُ . انتهى .

٢٢٢

وليس فى كلام سيبويه ما يدلُّ على أنَّه ضرورة . فتأمَّل .

وأما ما وهَّم به الشارح المحقق الزمخشريُّ ، فقد يُمنع بأن يكون الزمخشريُّ ذهب إلى ما حكاه الكِسائى عن بعض بنى تميم ، بأنَّهم يمنعون صرف أَمْس رفْعاً ونصباً وجراً . ونقله أبو حيان (فى الارتشاف) . ويؤيِّده قول أئى زيد (فى النوادر) : قوله مذ أَمْساً ذهب بها إلى لغة بنى تميم ، يقولون : ذهب أَمْسُ بما فيه . وقال الجرمى (فيما كتبه على النوادر) : جعل مذ من حروف الجر ولم يصرف أَمْس ، فتح آخره فى موضع الجر ، وهو الوجه فى أَمْس (١) .

وأبو زيد من مشايخ سيبويه ، وإذا نقل عنه فى كتابه قال : « حَدَّثَنِى الثقة » .

والشارح مسبوق بالتوهم ، قال أبو حيان : اختلف النحاة فى إعراب أَمْس مطلقاً إعراب مالا ينصرف عند بعض تميم ، فذهب إلى إثبات ذلك ابن الباذش ، وهو قول ابن عصفور وابن مالك . وقال الأستاذ أبو على : هذا

(١) فى النوادر ٥٧ : ولم يصرف أَمْس ، ففتح آخره وهو فى موضع الجر . والرفع الوجه فى

غلط ، وإثما بنو تميم يعربونه في الرفع ، وبينون في النصب والجر . انتهى .
 والبيتان من رجز في نوادر أبي زيد سمعه من العرب ، وأنشد بعدهما :
 (يَا أَكْلَنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسًا لَا تَرُكُ اللَّهُ لَهْنٌ ضِرْسًا)
 وقال : الهمس : أَنْ تَأْكُلَ الشَّيْءَ وَأَنْتَ تَخْفِيهِ .

وقوله « عجائزا » نونه لضرورة الشعر ، قيل بيان لقوله عجبا ، وقيل بدّل منه . وهو جمع عجوز . قال ابن السكيت : العجوز : المرأة الكبيرة ، ولا تقل عجوزة ، والعامّة تقول . ومثل صفة لعجائز ، وكذا قوله خمسا . والسَّعَالَى : جمع سِيعَلَاءَ بالكسر ، ويقال أيضا سِيعَلَاءَ بالمد والقصر ، وهى أنثى الغول ، وقيل ساحرة الجن . وروى أبو زيد وسيبويه بدله : « مثل الأفاعى » جمع أفعى ، وهى حيّة يقال هى رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس ، لا تزال مستديرة على نفسها ، لا ينفع منها ترياق ولا رقية . يقال هذه أفعى بالتنوين لأنه اسم وليس بصفة . كذا فى المصباح .

والرَّحْلُ : المأوى والمنزل ، وروى أيضا : « يَا أَكْلَنَ مَا فِي عِكْمِهِنَّ »
 والعِكم : العِذْل بكسر أولهما

وجملة « لا ترك الله » إلخ دعائية . وزاد ابن السّيد (فى آيات الجمل)
 بعد هذا :

* ولا لقين الدهر إلا تعسا *

وقال : التعس : السُّقُوط على القفا . وزاد ابن هشام اللخمي :
(فيها عَجُوزٌ لا تُساوِي فلَسًا لا تَأْكُل الزُّبْدَةَ إِلَّا نَهْسًا)

والبيت الشاهد من أبيات سيبويه الخمسين التي ما عرف قائلها . وقال صاحب الشاهد
ابن المستوفى : وجدت هذه الأبيات الثمانية في كتاب نحو قديم ، للعجاج
أبى ربيعة . وأراه بعيدًا من نمطه .

وقوله : « لا تَأْكُل الزُّبْدَةَ إِلَّا نَهْسًا » ، أى لا أَسْنَنَ لها ، فهى تنهسها .
وهو إغراق وإفراط . والنَّهْس : أخذ اللحم بمقدّم الأسنان . انتهى .

* * *

وأُشْد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٢٣ (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مَنْ لَا أَفْضَلَكَ فِي حَسَبٍ
عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي)

على أَنَّ أَصْل (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) : اللَّهُ إِلَهٌ عَمَّكَ ، فحذف لام الجر
لكثرة الاستعمال ، وقدر لام التعريف ، فبقى لاه ابن عمك ، فبُنِيَ لتضمُّن
الحرف .

وصريحه أَنَّ كسرة الهاء كسرة بناء ، وظاهر كلام المفصّل أَنَّها كسرة
إعراب ، قال : وتضمّر ، أى باء القسم ، كما تضمّر اللام فى : لاه أبوك ؛ فإنَّ
المضمّر يبقى معناه وأثره ، بخلاف المحذوف فَإِنَّه يبقى معناه ولا يبقى
أثره . كذا حققه السيّد عند قول الكشف فى تفسير : ﴿ يَجْعَلُونَ

(١) مجالس العلماء للزجاجى ٧١ والخصائص ٢ : ٢٨٨ وابن الشجرى ٢ : ١٣ ، ٢٦٩
والإنصاف ٣٩٤ وابن يعيش ٨ : ٦/٥٣ : ١٠٤ والمقرب ٤٢ والمغنى ١٤٧ والعينى ٣ : ٢٨٦
والنصرى ٢ : ١٥ والأشعرى ٢ : ٢٣٣ والمفضليات ١٦٠ ، ١٦٢ .

أَصَابِعَهُمْ ^(١) ؛ لِأَنَّ الْمَحذُوفَ بَاقٍ مَعْنَاهُ ^(٢) وَإِنْ سَقَطَ لَفْظُهُ .

قال ابن يعيش (في شرحه) : اعلم أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَاهُ أَبُوكَ ، وَلَاهُ ابْنُ عَمِّكَ ، يَرِيدُونَ : اللَّهُ أَبُوكَ وَلِلَّهِ ابْنُ عَمِّكَ . قال الشاعر :

لاهُ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ البيت

أَيُّ اللَّهِ ابْنُ عَمِّكَ ، فَحُذِفَتْ لَامُ الْجَرِّ وَلَامُ التَّعْرِيفِ ، وَبَقِيََتِ اللَّامُ الْأَصْلِيَّةُ . هذا رأى سيبويه . وأنكر ذلك المبرد ، وكان يزعم أَنَّ الْمَحذُوفَ لَامُ التَّعْرِيفِ وَاللَّامُ الْأَصْلِيَّةُ ، وَالْبَاقِيَةُ هِيَ لَامُ الْجَرِّ وَإِنَّمَا فَتَحَتْ لِثَلَاثَةِ تَرْجَعِ الْأَلْفُ إِلَى الْيَاءِ ، مَعَ أَنَّ أَصْلَ لَامِ الْجَرِّ ، الْفَتْحُ . وَرَبَّمَا قَالُوا ، لَهَيَّ أَبُوكَ ، فَقَلَّبُوا اللَّامَ إِلَى مَوْضِعِ الْعَيْنِ وَسَكَّنُوا ؛ لِأَنَّ الْعَيْنَ كَانَتْ سَاكِنَةً وَهِيَ الْأَلْفُ ، وَبَنُوهُ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّهُمْ حَذَفُوا مِنْهُ لَامَ التَّعْرِيفِ وَتَضَمَّنَ مَعْنَاهَا ، فُبْنِيَ لِذَلِكَ كَمَا بَنِيَ أُمْسُ وَالْآنَ ، وَفَتْحَ آخِرَهُ تَخْفِيفًا لَمَّا دَخَلَهُ مِنَ الْحَذْفِ وَالتَّغْيِيرِ . انتهى .

وقال الأندلسي (في شرحه أيضًا) عند قوله « وتضمّر كما تضمّر اللام » إلخ : هذا هو الوجه الثالث ، وهو أَنَّ تَحْذِفَ الْحَرْفَ لَفْظًا وَتَقْدَّرَهُ مَعْنَى فَيَبْقَى عَمَلُهُ ، كَمَا تَضْمُرُ رَبَّ .

٢٢٣

وقال ابن السّيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : قوله لاه أراد : لله ، حذف لام الجر واللام الأولى من الله ^(٣) . وكان المبرد يرى أَنَّهُ حَذَفَ

(١) الآية ١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « باق بمعناه » ، صوابه في ش والكشاف .

(٣) في النسختين : « من الله » ، صوابه من الاقتضاب ٤٤٢ .

اللامين من الله ^(١) وأبقى لام الجر وفتحها . وحجته أنَّ حرف الجر لا يجوز أن يحذف . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : قوله لاه ابن عمك أصله الله ، فحذف لام الجر وأعملها محذوفة ، كما فى قوله ، الله لأفعلن ، وأتبعها فى الحذف لام التعريف ، فبقى لاه بوزن عال . ولا يجوز أن تكون اللام فى لاه لام الجر ^(٢) وفتحت لجاورتها للألف ، كما زعم بعض النحويين ، لأنهم قالوا : لَهَى أبوك ، بمعنى لله أبوك ، ففتحوا اللام ولا مانع لها من الكسر فى لَهَى لو كانت الجارة ، وإنما يفتحون لام الجر مع المضمرة فى نحو : لك ولنا ، وفتحوها فى الاستغاثة إذا دخلت على الاسم المستغاث به ، لأنه أشبه الضمير من حيث كان منادى ، والمنادى محلُّ محلِّ الكاف من نحو : أدعوك . فإن قيل : فكيف يتصل الاسم بالاسم فى قوله لاه ابن عمك بغير واسطة وإنما يتصل الاسم بالاسم فى نحو : لله زيد ولأخيك ثوب ، بواسطة اللام ؟ فالجواب : أنَّ اللام أوصلت الاسم بالاسم وهى مقدرّة كما تحمّلت الجرّ وهى مقدرة . انتهى .

فهؤلاء كلهم صرّحوا بأنَّ الكسرة إعراب ، وأن لاه مجرور باللام المضمرة .

وكأنه ، والله أعلم ، اختصر كلامه من أمالى ابن الشجرى فوقع فيما وقع ^(٣) . وهذه عبارة ابن الشجرى ^(٤) :

(١) ط : « من الله » ، صوابه فى ش والاقضاب .

(٢) ط : « الجار » ، صوابه فى ش وأملى ابن الشجرى ٢ : ١٤ .

(٣) البغدادى يشير هنا إلى نص الرضى الذى سبق فى أول الشاهد .

(٤) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ .

أقول : إنَّ الاسم الذى هو لاه على هذا القول تام ، وهو أن يكون أصله كيه على وزن جَبَل ، فصارت ياءُ ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . ومن قال : لَهَى أبوك فهو مقلوب من لاه ، فقدّمت لامه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه فَلَغ . وكان أصله بعد تقديم لامه على عينه : لِلْهَى ، فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف ، وضَمَّنوه معنى لام التعريف فبنّوه ، كما ضمّنوا معناها أمسى فوجب بناؤه ، وحركوا الياء لسكون الهاء قبلها ، واختاروا لها الفتحة لخصتها . انتهى .

وقول الشارح المحقق ، كما هو أحد مذهبى سيبويه فى الله ، وهو أنه من لاه يَلِيه ، قال ابن الشجرى : أصل هذا الاسم الذى هو الله تعالى مسمّاه إله فى أحد قولى سيبويه بوزن فِعال ، ثم لاه بوزن عال . ولَمَّا حذفوا فاء عَوْضُوا منها لام التعريف ، فصادت وهى ساكنة اللام التى هى عين وهى متحركة ، فادغمت فيها . إلى أن قال : وهذا قول يونس بن حبيب ، وأبى الحسن الأخفش ، وعلى بن حمزة الكسائى ، ويحيى بن زباد الفراء ، وقطرب بن المستنير . وقال بعد وفاقه لهذه الجماعة : وجائز أن يكون أصله لاه ، وأصل لاه كيه على وزن جبل ^(١) ، ثم أدخل عليه الألف واللام فقليل الله . واستدل على ذلك بقول العرب : لَهَى أبوك ، يريد لاه أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فَعَلَ ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد للأعشى ^(٢) :

كحلفَةٍ من أنى رياح يسمعها لاهُ الكُبَارِ

(١) الذى فى الأمالى : « على وزن فعل » .

(٢) ط : « وأنشد الأعشى » ، صوابه فى ش وأملى ابن الشجرى .

ولذى الإصبع العنوّنى :

لاه ابن عمك لأفضلت في حسب (البيت)

انتهى كلام سيويه . هذا كلامه (١) .

وأقول : هذان البيتان ليسا بموجودين في كتاب سيويه كما نبهنا سابقاً في الشاهد الخامس والعشرين بعد المائة (٢) .

وقد تكلم أبو على الفارسي على قولهم : لهي أبوك (في التذكرة ٢٢٤ القصرية) ، (وفي إيضاح الشعر) فلا بأس بنقل كلامه لمزيد الفائدة والإيضاح :

قال (في التذكرة) : لهي أبوك مقلوب من لاه ، على القول الذى لاه فيه فعل ، أى بفتحتين ، لا على القول الذى لاه فيه عالٍ محذوفة الفاء وهى همزة إله . ومن إشكال هذه المسألة مخالفة وزنها لوزن ما قلبت منه ، لأن الأصل فعل أى بفتحتين ، وهى فلع أى بسكون اللام . ومن إشكالها أيضاً أن المقلوب منه مُعرب وهو لاه ، والمقلوب مبنى على الفتح وهى هـى . وإنما جعلنا هـى هو المقلوب لأنه أقل تمكناً وأكثر تغييراً ، بدليل أن اسم الله تعالى معرب متصرف في الخبر والنداء ، أى ليس هو مبنياً ؛ ودخول جميع العوامل عليه ، وهى أبوك مبنى لا يزول عن هذا الموضع ، فهو بهذا أكثر تغييراً وأقل تمكناً . ولا يخرج لاه في كلامهم مع ما قد ذكرنا من الدليل على أنه الأصل أنه ليس له أصل اشتق منه ، إذ كان في كلامهم ما العين فيه ياء كثير . فأما مخالفة

(١) الذى في أمالى ابن الشجرى : « انتهى كلامه ، أى كلام سيويه » .

(٢) الخزائن ٢ : ٢٦٨ .

وزن لى الأصل الذى قلبت منه فقد جاء مثله ، قالوا فوق ، فعين الفعل منه ساكنة ، وقال امرؤ القيس :

* وثبلى وفقاها كعراقيب ^(١) *

فقلب العين إلى موضع اللام وحرك اللام كما سكن اللام فى لى ، وذلك لأن المقلوب بناء مستأنف ، فجاء أن يأتى مخالفا لما قلب منه . يدلك على أنه بناء مستأنف قوهم : قسى ، هى مقلوب من قووس ، وهم لا يتكلمون بقووس البتة ، فتركهم الكلام بالأصل يدلك على أن المقلوب مبنى بناء مستأنفا ، لأنه لو لم يكن مستأنفا وكان هو المقلوب منه لكان المقلوب منه متكلفا به ، وإذا ثبت أنه بناء مستأنف لم ينكر أن يأتى على غير وزن المقلوب منه ، كما أنه لما أن كانت أبنيته مستأنفة لم ينكر أن تحيى على وزن الواحد . وأما وجه بنائه فهو أنه تضمن معنى حرف التعريف كما تضمن أمسى ذلك . ألا ترى أنه فى معنى لله أبوك ، وليس فيه حرف التعريف . وحرك بالفتح كراهة للكسر مع الياء . ولا يحكم بأن لاه مبنى وأنت تجد سبيلا إلى الحكم له بالإعراب . ألا ترى أنه اسم متمكن منصرف ، فلا يحكم له بالبناء إلا بدليل ، كما لم يحكم للهى إلا بدليل ، وهو الفتح . انتهى .

(١) فى النسختين : « وتبكى وفقاها » ، والصواب ما أثبت من اللسان (فوق ، فقا) وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ، فى ترجمة (أنى عمرو بن العلاء) من أبيات منسوبة لامرئ القيس بن عابس الكندى ، وتروى أيضا للفند الزماني . ورواها ابن قتيبة فى الشعراء ٨٥ بدون نسبة . والبيت بتمامه :

ونبلى وفقاها كـ عراقيب قطا طحل

وكتب ناسخ ش بخطه : « قوله وتبكى إلخ كنا بخط المؤلف ، وهو تحريف ، والصواب الذى لا محيد عنه :

ونبلى وفقاها كـ عراقيب قطا طحل

والبيت لامرئ القيس بن عابس ، بالباء الموحدة ، الكندى الصحاني .

وصريح كلامه أخيراً يردُّ ما زعمه الشارح من بناء لاه .

وقال (في إيضاح الشعر) : تحذف حروف المعاني مع الأسماء على ضروب :

أحدها : أن يحذف الحرف ويضمَّن الاسم معناه ، وهذا يوجب بناء الاسم ، نحو أينَ وخمسةَ عشرَ ، وأمس في قول الحجازيين ومن بناه ، ولَهَى أبوك .

والآخر : أن يعدل الاسم عن اسم فيه حرف ، فهذا المعدول لا يجب بناؤه ، لأنه لم يتضمَّن الحرف فيلزم البناء ، كما تضمَّن الأول ، لأنَّ الحرف يراد في ذلك البناء الذي وقع العدل عنه . وإذا كان هناك مراداً لم يتضمَّن هناك الاسم . ألا ترى أنَّه محال أن يراد ثمَّ ^(١) ، فيعدل هذا عنه ويتضمَّن معناه ، لأنَّك إذا ثبتَّ الحرف في موضعين فلا يكون حينئذ عدلاً . ألا ترى أنَّ العدل إنما هو أن تلفظ ببناءٍ وتريد الآخر ، فلا بدَّ من أن يكون البناء المعدول غير المعدول ومخالفاً له . ولا شيء يقع فيه الخلاف بين سحر المعدول والمعدل عنه إلا إرادة لام التعريف في المعدول عنه وتعرَّى المعدول منه . فلو ضمَّنَّته معناه لكان بمنزلة إثباته ، ولو أثبتَّته لم يكن عدلاً . فإذا كان كذلك لم يجوز أن يتضمَّنَّه وإذا لم يتضمَّنَّه لم يجوز أن يُبنى كما بنى أمس .

٢٣٥

والضرب الثالث : أن تحذف الحرف في اللفظ ويكون مراداً فيه . وإنَّما تحذفه من اللفظ اختصاراً واستخفافاً . فهذا يجري مجرى الثبات . فمن هذا القسم الحذف في جميع الظروف ، حُذفت اختصاراً ، لأنَّ في ذكر الأسماء

(١) ط : « تم » ، صوابه في ش .

التي هي ظروف دلالة على إرادتها . ألا ترى أنك إذا قلت جلستُ خلفك وقدمت اليوم ، علم أن هذا لا يكون شيئاً من أقسام المفعولات إلا الظرف . فلما كان كذلك كان حذفها بمنزلة إثباتها ، لقيام الدلالة عليها . فإذا كنيت رددت في التي كانت محذوفة للاختصار ، والدلالة القائمة عليها ، لأن الضمير لا يتميز ولا ينفصل كما كان ذلك في المظهر . ألا ترى أن الهاء في كناية الظرف كالهاء في كناية المفعول به . فإذا رددت الحرف الذي كنت حذفته فوصلته به دل على أنه من بين المفعولات ظرف . فقد علمت برّدك له في الإضمار أنك لم تضمّن الاسم معنى الحرف فتبينه ، وأنه مراد في حال الحذف ، لأن في ظهور الاسم دلالة عليه ، فحذفته لذلك . فهذا يشبه قولهم : الله لأفعلن ، في أنهم مع حذفهم ذلك يجرى عندهم مجرى غير المحذوف ، إلا أنه لما حذف في الظرف واستغنى عنه وصل الفعل إليه فانصب . والجاء إذا حذفوه على هذا الحد الذي ذكرته لك من أن الدلالة قائمة على حذفه ، يجرى على ضربين : أحدهما : أن يوصل الفعل كباب الظروف ، واخترت الرجال زيّدا . والآخر : أن يوصل الفعل ولكن يكون الحرف كالمثبت في اللفظ ، فيجرون به كما يجرون به وهو مثبت ، وذلك قولهم : الله ، وكما قام لنا من الدلالة على حذفهم له في « وبلد^(١) » ، وكما ذهب إليه سيبويه في :

* ونارٍ توقد بالليل نارا^(٢) *

(١) إشارة إلى ما أنشده سيبويه في ١ : ٤٦٥ (٣ : ٦٢٨ من نسختي) من قول الراجز :

• وبلد تحسبه مكسوحا •

(٢) إشارة إلى قول أبي ذؤاد . سيبويه ٢ : ٣٣ :

أكل امرئ تحسبن امرأ ونار توقد بالليل نارا

وكما ذهب بعض المتقدمين من البصريين في قوله : ﴿ واختلاف الليل ^(١) ﴾ إلى أنه على ذلك . ولو قال قائل في إنشاد من أنشد :
* ولا مستنكر أن تعقرا ^(٢) * .

إلى هذا الوجه لكان قياس هذا القول . فأما تركهم الرد في حال الإضمار في نحو :

ويوم شهدناه سليماً وعامراً قليل سوي الطعني التهال نوافلة

فمنهم من يقول : إنما فعل ذلك لأن الإضمار لا يكون إلا بعد مذكور ، فيعلم أنه إضمار ذلك . وهذا إذا أنشعوا فيه فجعلوا نصبه نصب الفعل . فإما المفعول به لم يلزم أن يكون عليه دلالة كما كان في حال كونه ظرفاً . فأما قولهم : لَهَى أبوك ، فإنه تكون هذه اللام الثانية في الاسم إلا التي هي فاء الفعل . والدليل على ذلك أنها لا تخلو من أن تكون الجارة ، أو المعرفة ، أو التي هي فاء . فلا يجوز أن تكون المعرفة لأن تلك يتضمنها الاسم ، وإذا تضمنها الاسم لم تظهر . ألا ترى أن الواو في خمسة عشر لا تثبت ، واللام في أمس في قول من بنى لا تظهر . فلما كان الاسم هنا مبنياً أيضاً على الفتح ، ولم يكن فيه معنى يوجب بناءه على تضمنه لمعنى حرف التعريف ، وجب أيضاً أن لا يظهر كما لم يظهر أيضاً فيما ذكرت لك . فإذا لم يجز ظهور حرف التعريف لم تخل المحذوفة من أحد أمرين : إما أن تكون الجارة ، أو التي هي فاء

(١) من الآية ١٦٤ من البقرة و ١٩٠ من آل عمران و ٥ من الجاثية .

(٢) هو قول النابتة الجعدي . سيويه ٢ : ٣٢ :

فليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

(٣) سيويه ١ : ٩٠ وابن الشجري ١ : ٦ والكامل ٢١ .

الفعل . فلا يجوز أن تكون الجارة لأنها مفتوحة وتلك مكسورة مع المظهرة ، فلا يجوز إذا أن تكون إياها للفتح . فإن قال قائل : ما تُنكر أن تكون الجارة وإنما فتحت لأنها جاورت الألف ، والألف يُفتح ما قبلها ؟ قيل له : الدلالة على أنها في قولهم لاه أبوك هي الفاء وليست الجارة ، أنها لو كانت الجارة في لاهِ وفتحت لمجارة الألف لوجب أن تكسر في لاهى ولا تفتح ، لزوال المعنى الذى أوجب فتحه ، وهو مجاورة الألف . فعلمت أن الفتح لم يكن لمجارة الألف .

فإن قال : ترك في القلب كما كان في غير القلب ، فذلك دعوى لا دلالة عليها ، ولا يستقيم في القلب ذلك . ألا تراهم قالوا جاء في قلب وجه ، وفقاً في فوق . فإذا كانوا قد خصّوه بأبنية لا تكون في المقلوب عنه دل على أنه ليس يجب أن يكون كالمقلوب عنه . على أن ادعاء فتح هذه اللام مع أنها الجارة ، لا يسوغ في اللغة التى هى أشيع وأفشى . ولم تفتح^(١) في هذه اللغة الشائعة إلا مع المنادى ، وذلك لمضارعة المضمر . فإذا لم يجوز ذلك ثبت أنها فاء الفعل ، وإذا ثبت ذلك ثبت أن الجارة مضمرة ، لا بد من ذلك . ألا ترى أنك إن لم تضمّر يتصل الاسم الثانى بالأول ، لأنه ليس إياه . فالمعنى إذا : لله أبوك .

ومما يدل على فساد قول من قال إن هذه اللام هى الجارة أنها إذا كانت إياها كانت في تقدير الانفصال من الاسم ، من حيث كان العامل في تقدير الانفصال عن المعمول فيه ، فإذا كان كذلك فقد ابتدأ الاسم أوله ساكن . وذلك ممّا قد رفضوه ولم يستعملوه . ألا ترى أنهم لم يخففوا الهمزة إذا

(١) ط : هـ ولم يفتح هـ ، وأثبت ما في ش .

كانت أول كلمة من حيث كان تخفيفها تقريباً من الساكن . فإذا رفضوا التقريب من الساكن في الابتداء - فإن يرفضوا فيه الابتداء بالساكن نفسه أولى .

ويدل على فساد ذلك أنهم لم يخرموا [أول] ^(١) متفاعلين كما خرموا أول فعولن ومفاعلين ونحو ذلك ، مما يتوالى في أوله متحرركات ^(٢) لأن متفاعلين يسكن ثانيه للزحاف ، فيلزم لو خرموه كما خرم فعولن الابتداء بالساكن ^(٣) . وعلى هذا قال الخليل : لو لفظت بالدال من قد ، والباء من اضرب لقلت أد ، وإب ، فاجتلبت همزة الوصل . وقال أبو عثمان : لو أعللت الفاء من عدة وزنة ونحوهما ولم تحذفها للزمك أن تجتلب همزة الوصل فيها فتقول : إعادة ^(٤) . ومن زعم أن الهمزة في أنا كان الأصل فيها ألفاً ^(٥) ثم أبدل منها همزة فقد جهل ما ذكرناه من مذاهب العرب ومقاييس النحويين . فأما أمسي فقد جوزت العرب فيه ضربين : ضمها قوم معنى الحرف فبنوها في كل حال ، وعادها آخرون فلم يصرفوه ، فهولاء جعلوه بمنزلة سحر في باب العدل وأنهم لم يضمّنوه الحرف . فأما أخر والعدل فيه فله موضع آخر يذكر فيه إن شاء الله تعالى .

انتهى كلامي على ، ولتعلق جميعه بهذا الباب سقناه برمته ، ليكون كالتيمة له ، وبالله التوفيق .

والبيت من قصيدة لذي الإصبع العلواني ، وهو شاعر جاهلي ، صاحب الشاهد

(١) التكملة من ش .

(٢) ش : « متحركان » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) ش : « لو خرمه كما خرم » فقط .

(٤) ش : « ايعدة » ، والوجه ما في ط .

(٥) ط : « ألف » ، صوابه في ش .

وتقدمت ترجمته في الشاهد الخامس والثمانين بعد الثلاثمائة (١) . وعدّتها في رواية الفضل (في الفضليات) ثمانية عشر بيتاً ، وفي رواية ابن الأنباري في شرحها عن أبي عكرمة ، ورواية أبي علي القالي في أماليه ، ستة وثلاثون بيتاً . واقتصرنا على رواية الفضل . قالها في ابن عيمّ له كان ينافسه ويُعاديّه ، وهي :

(لى ابن عُمّ على ما كان من مُخلق
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا
يا عمرو ، ألا تدع شتمى ومنقصتى
لا ابن عمك لأفضلت في حسب
ولا تقوت عيالى يوم مسغبة
إننى لعمرك ما بانى بذى غلق
ولا لسانى على الأدنى بمنطليق
عفّ يؤوس إذا ما خفت من بلد
عنى إليك فما أُمى براعية
كل امرئ راجع يوماً لشيئته
إننى أبى أبى ذو مُحافظة
وأنتم معشر زبد على مائة
فإن عرفتم سبيل الرشد فانطلقوا
ماذا على وإن كنتم ذوى كرم

مختلفان فأقلبه ويقلينى
فخالنى دونه وخلته دونى
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى
عنّى ولا أنت ديان فتخزونى
ولا بنفسك في العراء تكفينى
عن الصديق ولا خيرى بمنون
بالفاحشات ، ولا فتكى بمأمون
هوناً فلسْتُ بوقاف على الهون
ترعى المخاض وما رأيت بمغبون
وإن تخالق أخلاقاً إلى حين
وابن أبى أبى من أبين
فأجمعوا أمركم كلاً فكيدونى
وإن جهلتم سبيل الرشد فأتونى
أن لا أحبكم إن لم تحبونى (٢)

٢٢٧

(١) الخزائن ٥ : ٢٨٤ .

(٢) ش : : إذ لم تحبونى .

لو تشربون دمي لم يَرَوْ شارِبكم ولا دماؤكمُ جمعاً تروني
الله يعلمني والله يعلمكم والله يميزكم عني ويجزيني
قد كنتُ أوتيكم نصحي وأمنحكم وددي على مُثبِت في الصلر مكنون
لا يُخرج الكره مني غير مأية ولا ألين لمن لا يتغني ليني)

ومن رواية أبي عكرمة :

(فإن تُردَّ عَرْضَ الدُّنيا بمنقَصتي فإن ذلك مما ليس يُشجيني
ولا يرى في غير الصبر منقصة وما سواه فإن الله يكفيني
لولا أياصرُ قُربى لست تحفظها ورهبةُ الله فيمن لا يعاديني
إذن برئتكَ برّياً لا انجبار له إني رأيتك لا تنفكُ ثبريني
إن الذي يقبضُ الدُّنيا ويبسطُها إن كان أغناكَ عني سوف يُغنيني
ياعمرو ، لو لنت لي ألفيتني بشرا سمحاً كريماً أجازي من يجازيني^(١)
والله لو كرهتُ كفى مصاحبتي لقلت إذ كرهتُ قُربى لها ييني)

وقوله : « لي ابن عم ، علم من هذا ، أنهما اثنان . فقوله مختلفان خبر مبتدأ مضمّر ، أي نحن .

وقوله : « من خلق » أي من تخالق . وكان تامّة أي ثبت ، ومن بيان

لما .

ومطلع القصيدة على رواية أبي عكرمة والقالّي :

(يا مَنْ لقلبٍ شديد الهمّ محزون أمسى تذكّر رِياً أم هارون

(١) ط : « لو كنت لي » ، صوابه في ش . وفي المفضليات ١٦٤ : « يسراً » .

أَمْسى تَذَكُّرُهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَحَطْتُ وَالدَّهْرُ ذُو غُلْظَةٍ حِينًا وَذُو لِينٍ
فَإِنْ يَكُنْ حُبُّهَا أَمْسى لَنَا شَجَنًا فَأَصْبَحَ الْوَأَى مِنْهَا لَا يَوَاتِينِي
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمِلَ الدَّهْرُ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا وَرِيًّا لَا تُعَاصِينِي
تَرْمِي الْوَشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوَدِّ مَكْنُونٍ
وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خَلْقٍ إِلَى آخِرِهِ
وَالشَّجَنُ : الْحَزَنُ . وَالْوَأَى : الْوَعْدُ . وَغَنِينَا : أَقْمَنَا .

وقوله أَرْزَى بَنَا ، إلخ قال ابن الأنباري : يقال أَرْزَى بِهِ ، إِذَا قَصَرَ ^(١) ،
وَزَرَى عَلَيْهِ إِذَا عَابَهُ . وقوله : « شَالَتْ نَعَامَتُنَا » أَي تَفَرَّقَ أَمْرُنَا وَاخْتَلَفَ .
يَقَالُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْقَوْمِ : شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ، وَزَفَّ رَأْلُهُمْ . وَالرَّأْلُ : فَرْخُ
النَّعَامِ . وَقِيلَ يُقَالُ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ، إِذَا جَلَوْا عَنِ الْمَوْضِعِ . وَالْمَعْنَى : تَنَافَرْنَا
فَصَرْتُ لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيَّ ، وَيُقَالُ أَلْقَوْا عَصَاهُمْ ، إِذَا سَكَنُوا
وَاطْمَأْنَنُوا . انْتَهَى .

وقال الزمخشري (فِي الْمُسْتَقْصَى) : شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ، أَي تَفَرَّقُوا
وَذَهَبُوا . لِأَنَّ النِّعَامَةَ مَوْصُوفَةٌ بِالْخِفَّةِ وَسُرْعَةِ الذَّهَابِ وَالْهَرَبِ . وَيُقَالُ أَيْضًا
خَفَّتْ نَعَامَتُهُمْ وَزَفَّ رَأْلُهُمْ . وَقِيلَ : النِّعَامَةُ : جَمَاعَةُ الْقَوْمِ . وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ مَعَ
أَيَّاتٍ أُخْرَى .

وقوله : « يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي » إلخ قال ابن الأنباري : قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ : الْعَرَبُ تَقُولُ : الْعَطَشُ فِي الرَّأْسِ . وَأَنْشَدَ قَوْلَ الرَّاجِزِ :
قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي مَرَّوِي هَامِيهَا وَمُذْهَبُ الْغَلِيلِ مِنْ أَوَامِيهَا
« إِذَا جَعَلْتُ الدَّلْوَ فِي خِطَامِهَا »

(١) ط : « قصد » ، صوابه فِي ش .

الغليل : شدة العطش . والأوام : حرَّ تجده في أجوافها . وأنشد أيضاً :

* ستعلم إن متنا صدى أينما الصدى (١) *

صدى أى عَطَشًا . والمعنى : إن لا تدع شتى اضربك على هامتك حيث تَعْطَش . ويقال إن الرجل إذا قُتل فلم يُدرَك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح : اسقوني اسقوني ! حتى يُقتل قاتله . وأنشد في ذلك :
فإن تك هامة بهراً تزقو فقد أزييت بالمروين هاما (٢) . انتهى

قال الشريف المرتضى (في أماليه) بعد نقل هذا : وهذا باطل لا أصل له . ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب .

وقوله : (لاه ابن عمك) إلخ أصله : لله ابن عمك ، فحذف لام الجر مع لام التعريف وبقي عمله شنودا ، وهو خبر مقدم ، وابن عمك مبتدأ مؤخر ، واللام المحذوفة للتعجب (٣) .

ونقل الشريف المرتضى عن ابن دريد أنه قال : أقسم وأراد : لله ابن عمك ، فتكون اللام للقسم ، وجملة لا أفضلت جوابه .

وهذا غير صحيح ، لأنه يبقى قوله ابن عمك ضائعا .

وقال ابن هشام (في المغنى) : أصله لله در ابن عمك . وهذا تكلف لأنه إجحاف مستغنى عنه بجعل اللام للتعجب ، ويكون جملة لا أفضلت إلخ

(١) لطرفة في معلقته . وصدده :

• كريم يروى نفسه في حياته •

(٢) لعبد الله بن حازم السلمي ، في الأمالي ٣ : ٣١ والمخصص ٨ : ١٦٢ والحيوان ٢ :

٢٩٩ .

(٣) ما بعدها إلى • للتعجب • التالية في آخر الصفحة ساقط من ش .

بيانًا وتفسيرًا لجهة التعجب من كمال صفاته ، المقتضى للتعجب منها .

وقال ابن الأنباري : وروى : « لاه ابن عمك » بالخفض ، وهو قسم ،
المعنى : رَبَّ ابن عمك بخفض رَبِّ ، فيكون على هذا رَبَّ تابعًا للفظ الجلالة
بالوصفية ، ويكون جملة لا أفضلت إلخ جواب القسم ، واللام المضمة
للقسم ، ولاء مقسم به .

وقد أورد الشارح المحقق هذا البيت (في عن) من حروف الجر ، على
أنها هنا في بابها من المجاوزة ، وأفضلت مضمّن لمعنى تجاوزت في الفضل .
وأورده ابن هشام (في المغنى) على أنَّ عن فيه بمعنى على ، قال : لأنَّ
المعنى المعروف : أفضلت عليه .

وهذا قول ابن السكيت (في إصلاح المنطق) ، وتبعه ابن قتيبة وغيره .

٢٢٩

قال ابن السيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : ذهب يعقوب بن
السكيت ، ومن كتابه نقل ابن قتيبة هذه الأبواب ، إلى أنَّ عن ههنا بمعنى
على . وإنّما قال ذلك لأنه جعل أفضلت من قولهم أفضلت على الرجل ، إذا
أوليته فضلا . وأفضلت هذه تتعدى بعلی ، لأنّها بمعنى الإناعام . ومعناه إنَّك لم
تعم علىَّ بأنَّ شرّفتني فتعتدَّ (١) بذلك علىَّ . وقد يجوز أن يكون من قولهم :
أعطى وأفضل ، إذا زاد على الواجب . وأفضل هذه أيضًا تتعدى بعلی ، يقال

(١) ط : « فتعتدى » ، صوابه في ش والاعتضاب ٤٤٢ .

أفضل على كذا ، أى زاد عليه فضلة . وقد يجوز أن يكون من قولهم : أفضل الرجل إذا صار ذا فضل في نفسه ، فيكون معناه ليس لك فضل تنفرد به عني وتحوزه دوني . فتكون عن هنا واقعة موقعها غير مبدلة من على . انتهى .

ومنه أخذ ما نقله ابن الملاء بقوله : قيل ضمن أفضل معنى انفرد ، فعدي بعن ، لأنه إذا أفضل عليه في الحسب أى زاد فقد انفرد عنه بتلك الزيادة . وقيل هي على بابها ، لأنه إذا كان أفضل وكان فوقه في الحسب فقد زاد عنه وصار في حيز ، فكأنه يقول : مازاد قلرك عن قلدي ، ولا ارتفع شأنك عن شأني . انتهى .

هذا وقد روى صاحب الأغاني (١) :

لا إله ابن عمك لأفضلت في حسب شيئا

وعليها لا يكون في البيت عن ، فلا يأتي هذا البحث .

وعلى تلك كان الظاهر أن يقول « عنه » بضمير الغائب ، لكنه التفت من الغيبة إلى التكلم .

قال ابن السيد : ويعنى باین العم المذكور نفسه ، فلذلك رد الإخبار بلفظ المتكلم ولم يُخرجهُ بلفظ الغيبة ، لئلا يتوهم أنه يعنى نفسه . ولو جاء بالكلام على لفظ الغيبة لكان أحسن ، ولكنه أراد تأكيد البيان ورفع الإشكال .

و (الحسب) : ما يعده الإنسان من مآثر نفسه .

و (الديان) : القيم بالأمر المجازي به ، وهو فعال من الدين وهو الجزء . وفي القاموس : الديان : القهار ، والقاضي ، والحاكم ، والمجازي الذي لا يُضيع عملاً ، بل يجزي بالخير والشر .

و (تمزوني) بالخاء والزاي المعجمتين : مضارع خزاه خَزَوْا بالفتح :
 ساسه وقهره وملكه . وأما الخَزَى بالكسر وهو الهوان والذلُّ فالفعل منه
 كرضى . وأخزاه الله : فضحه . قال الدماميني : يحتمل الرفع والنصب في
 فتحزوني ^(١) كما يحتملُهما نحو : ما تأتينا فتحدثنا ، أى ولا أنت مالكي فأنت
 تسوسنى ، أو ليس لك ملك فسياسة . وعلى تقدير النصب فالفتحة مقدره
 كما في قوله :

* أَيْىَ اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأَمْ وَلَا أَبِ ^(٢) *

وليس بضرورة . وقد قرئ في الشواذ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي
 يَبِيدُهُ عُقْلَةُ النِّكَاحِ ^(٣) ﴾ ، بإسكان الواو من يعفو الذى . انتهى .

وقال ابن السِّيد : وقوله لا أفضلت ، معناه لم تُفضل . والعرب تقرن
 لا بالفعل الماضى فينبوب ذلك مناب لم إذا قرنت بالفعل المستقبل . فمن
 ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ^(٤) ﴾ . معناه : لم يصدق ولم
 يُصلِّ . ومنه قول أبى خراش :

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيْ عِيدٍ لَكَ لَا أَلْمَا

ومعنى البيت : لله ابن عمك الذى سبائك فى الحسب ، ومائلك فى

(١) ش : « تمزوني » .

(٢) لعامر بن الطفيل فى ديوانه ١٠ . وصدره كما فى الديوان والخزانة ٣ : ٢٥٧ بولاق
 وتفسير أبى حيان ٢ : ٢٣٧ :

« فما سودتنى عامر عن ورائة » .

(٣) الآية ٢٣٧ من البقرة . وهذه قراءة الحسن ، كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه ١٥
 وتفسير أبى حيان . وقال أبو حيان : « وقرأ الحسن : أو يعفو بتسكين الواو ، فتسقط فى الوصل
 لالتقاءها ساكنة مع الساكن بعدها » .

(٤) الآية ٣١ من القيامة .

الشرف ، فليس لك فضل عليه فتفتخر به ، ولا أنت مالك أمره فتسوسه وتصرفه على حكمك .

وقوله : « ولا تقوتُ على » إلخ تقوت : تعطى القوت . والمسغبة :

المجاعة . والعزاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى : الضيق والشدة . ٢٣٠

وقوله : « إني لعمرك » إلخ الممنون : المقطوع ، أو من المنّة .

وقوله : « عفّ يؤوس » إلخ أى أعف عما ليس لى ، لست بذى طمع ، آيس مما فى أيدى غيرى فلا تتبعه نفسى . والهون ، بالضم : الذل .

وقوله : « فما أُمى براعية » أى لست بابن أمة . عرّض به وكان ابن أمة . وإنما خصّ رعية المخاض لأنها أشد من رعية غيرها ، ولا يُمتهن فيها إلا من لم يُبال به .

وقوله : « إني أبى » إلخ قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : كسرة النون من أبين حركة التقاء الساكنين ، وهما الياء والنون ، وكسرت النون على أصل التقاء الساكنين إذا التقيا . ولم تفتح كما تفتح نون الجمع ، لأن الشاعر اضطرّ إلى ذلك لئلا يختلف حركة حرف الروى فى سائر الأبيات .

وقوله : « وأنتم معشر » إلخ زيّد : زيادة . وأجمع أمره ، بألف ، قال تعالى : ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ (١) .

وقوله : « لا يُخرج الكره » هو فاعل يُخرج ، يقول : إذا أُكرهْتُ على الشيء لم يكن عندى إلا الإباء له ، لا أُعطى على القسر شيئا . والمأبىة : مصدر ، كالإباء .

النكرة والمعرفة

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٢٤ (أَطْبَىٰ كَانَ أُمِّكَ أَمْ حِمَارُ)

على أنَّ الضمير المستتر في كان نكرة ، لأنَّه عاد على نكرة غير مختصة بشيء ، وهو ظبي .

وقد تكلم الشارح المحقق عليه في باب الأفعال الناقصة ، وسيأتى إن شاء الله الكلام عليه هناك .

ولنشرح هنا الشعر ونعيِّن قائله فنقول :

هو من أبيات أوردها أبو تمام (في كتاب مختار أشعار القبائل) ، صاحب الشاهد ونسبها لثروان بن فزارة بن عبد يغوث العامري ، وهي :

أبيات الشاهد

(وكائن قد رأيت من أهل دارٍ	دعاهم رائد لهم فساروا
فأصبح عهدهم كمَقْصَرٍ قرن	فلا عين تُحَسُّ ولا آثارُ
لقد بذلتُ أهلاً بعدَ أهل	فلا عجبٌ بذاك ولا سُخَّارُ
فإنَّك لا يضرُّك بعدَ عامٍ	أَطْبَىٰ كَانَ أُمِّكَ أَمْ حِمَارُ
فقد لحق الأسافلُ بالأعلى	وماج اللؤمُ واختلط النجارُ
وعاد العبدُ مثلُ أَى قُبَيْسٍ	وسيق مع المُعلَّهَجَةِ العِشَارُ)

(١) في كتابه ١ : ٢٣ والمقتضب ٤ : ٩٣ وابن عيش ٧ : ٩١ ، ٩٤ والمغنى ٥٩٠ وشرح

شواهد للسيوطي ٣١٠ .

وقوله : « وكائن » هى خبرية بمعنى كم الخبرية . والرائد : الذى يُرسل فى طلب الكلاء .

وقوله : « فأصبح عهدهم » إلخ العهد بالفتح : المنزل الذى لا يزال القوم إذا بُعدوا عنه رجعوا إليه ؛ وكذلك المعهد . وقوله : « كمقصّ قرن » قال أبو تمام : أى كمقطع قرن . يريد : خلت ديارهم . وقيل : مقصّ قرن : جبل مشرف على عرفات أيضًا . وليس يريد . انتهى .

قال أبو محمد الأعرانى : مقصّ : موضع تقتصّ فيه الأرض ، أى لا يوجد لهم ولعهدهم أثر ، كما لا يوجد أثر من يمشى على صخرة . وقرن : جبل . انتهى . وتُحسّ بالبناء للمفعول ، من أحسّ الرجل الشئ إحساسًا ، أى علم به . والأثار بالفتح ، هو الأثر . ويقال أثارة أيضًا بالهاء .

وقوله : « لقد بدلت أهلك » إلخ بالبناء للمفعول . والسُخار بضم السين ٢٣١ وكسرهما : اسم للسُّخريّة والاستهزاء .

وقوله : « فإنك لا يضرك » هذه رواية أنى عبيدة . ورواه مؤرّج السّدوسى (فى أمثاله) : « فإنك لا يضورك » يقال ضاره يضوره ويضويه بمعنى . وروى : « حول » بدل عام . ولم أر رواية « فإنك لا تبالي » لأحد إلا للنحوين . وقوله : (أظبي كان) إلخ هذه هى الرواية المشهورة التى رواها سيبويه فمنّ دونه من النحاة . وقال أبو محمد الأسود الأعرانى (فى ردّه على ابن السيرافى فى شرح أبيات سيبويه) : كيف يكون الظبي والحمار أميين وهما ذكرا الحيوان ؟ حتّى إن المثل يُضرب بالحمار فيقال :

« من ينك العير ينك نياكا »

والصواب ما أنشدناه أبو الندى :

* أطبى ناك أمك أم حمار *

وإنما قلبت اللفظة تخرُّجا^(١) فيما أرى ، ثم استشهد به النحويون على ظاهره . وهذه الأبيات قطعة طريفة أكتبها أبو الندى ، وذكر أنها لثروان بن فزارة بن عبد يغوث بن ربيعة بن عمرو بن عامر . انتهى .

أقول^(٢) : يدفع ما توقَّف فيه بأن أم هنا معناه الأصل . وهذا معنى شائع لا ينبغي العدول عنه ، فإن الأم في اللغة تطلق^(٣) على أصل كل شيء ، سواء كان في الحيوان أو في غيره .

وقال الأعلام : وصف في البيت تغير الزمان وأطراح مراعاة الأنساب . ويتَّصل به ما بيَّنه ، وهو قوله :

* فقد لحقَّ الأسافل بالأعلى *

فيقول : لا تبالي بعد قيامك بنفسك ، واستغنائك عن أبويك ، من انتسبت إليه من شريف أو ضيع . وضرب المثل بالطبى والحمار ، وجعلهما أمين ، وهما ذكران ، لأنه مثل لا حقيقة ، وقصد قصد الجنسين ولم يحقق أبوة . وذكر الحول لذكر الطبى والحمار^(٤) لأنهما يستغنيان بأنفسهما بعد الحول ، فضرب المثل بذكره للإنسان لما أراد من استغنائه بنفسه . انتهى .

وقوله : « وماج اللوم » إلخ ماج يموج^(٥) . واللوم : دناءة النفس

(١) ط : « تخرجا » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « وقال » ، صوابه في ط .

(٣) ش : « يطلق » .

(٤) ش : « تذكر الطبى والحمار » ، صوابه في ط .

(٥) ش : « ماج تموج » .

والآباء . والتجار بكسر النون وضمها بعدها جيم : الأصل : أى ذهب السوؤد وغلب على الناس اللؤم والدناءة ، واشتبه الأصل والنسب ، حتى لو بقوا على هذه الحالة سنة لا يبالى إنساناً أهجيناً كان أو غير هجين .

وقوله : « مثل أئى قيس » هو مصغر أبو قابوس ، وهو كنية النعمان ابن المنذر ملك الحيرة . وقابوس : معرب كاووس ، اسم ملك من ملوك الفرس القديمة . وقال أبو محمد الأعراى : الذى أنشدناه أبو الندى :

* وعادَ الفندُ مثلَ أئى قيس *

ورواية الناس : « العبد » . وذكر أبو الندى أنه تصحيف . والفند بكسر الفاء وسكون النون : قطعة من الجبل طويلاً ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قيس : جبل بمكة ، سُمى برجل من مذحج حدّاد ، لأنه أول من بنى فيه . وفى القاموس : « الملهج كمزعر : الأحمق اللئيم ، والهجين . وحكم الجوهريّ بزيادة هائه غلط » . والهجين : اللئيم ، وعربى ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمّه . وفسر هجين : غير كريم ، كالبرذون . والعشار بالكسر : جمع عشير ، وهو القريب والصديق ، أو جمع عشاء ، والعشاء من التوق : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية ، أو هى كالتفساء . وقال أبو محمد الأعراى : الفند كناية عن الرجل الوضيع . وأبو قيس : الرجل الشريف . والمُلهجة : الفاسدة النسب ، أى تزوّجت هذه الملهجة ومهرت مهر الشريفة .

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ نَحَبْتُ مَطِيَّتِي مَسَافَةً أَرْبَاعِ ثُرُوحٍ وَتَغْتَدِي

ونسبه صاحب الجمهرة ، وابن حجر (في الإصابة) عنه كذا : ثروان
بن فزارة بن عبد يغوث بن زهير الصّتم بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة .

والصّتم بفتح الصاد وسكون التاء المثناة الفوقية : لقب زهير ، ويقال له
زهير الأكبر .

صاحب الشاهد

ونسب سيبويه هذا البيت لخداش بن زهير . وزهير هذا هو زهير الصّتم
المذكور ، وهو أخو عبد يغوث جدّ ثروان الصحاني . قال المرزباني : هو
جاهلي . وأورده ابن حجر (في الإصابة) في قسم المخضرمين الذين أدركوا
زمن النبي - ﷺ - ولم يجتمعوا به . قال : خداش بن زهير العامري ، شهد
حُنيناً مع المشركين ، وله في ذلك شعر يقول فيه :

يَا شِدَّةَ مَا شَكَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

ثم أسلم خداش بعد ذلك بزمان ، ووفد ولده سمساع على عبد الملك
يتنازعون في العِرافة ، فنظر إليه عبد الملك فقال : قد وليتك العِرافة . فقام قومه
وهم يقولون : فَلَجَ ابْنُ خَدَاشٍ ^(١) ! فسمعهم عبد الملك فقال : كَلَّا وَاللَّهِ
لَا يَهْجُونَا أَبُوكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَنَسُودُكَ فِي الْإِسْلَامِ . وذكر البيت المتقدم . والمراد
بقوله « سَخِينَة » قريش . وذكر المرزباني أنّه جاهلي ، وأنّ البيت الذي قاله في
قريش كان في حرب الفجار . وهذا أصَوَّب . انتهى .

(١) فلج : غلب وفلّز . وفي الإصابة ٢٣٢٣ : « فلج » ، صوابه هنا .

ونسب العسكري (في كتاب التصحيف) البيت الشاهد ثرارة
ابن قروان ^(١) من بنى عامر بن صعصعة ، وقال : الفاء في قروان مفتوحة .
ولم أر زرارة هذا في الأقسام الأربعة من الإصابة ، ولا في جمهرة
الأنساب لابن الكلبي . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وقد تقدم شرحه في الشاهد الخامس والخمسين ^(٢) :
(ولقد أمر على اللّيم يسبني)

على أنّه يجوز وصف المعرفة باللام الجنسية بالنكرة كما هنا ، فإنّ جملة
يسبني نكرة وقعت وصفاً للّيم .

وفيه أنّهم قالوا : الجُمْل لا تتّصف بتعريف ولا تنكير . وقالوا أيضاً :
إنّ الجملة بعد المعرفة باللام الجنسية يحتمل أن تكون حالاً منه وأن تكون
وصفاً له . ومثلوا بهذا البيت . منهم ابن هشام (في المغني) وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الخمسمائة ^(٣) :
٥٢٥ (أَرِيفُ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزُلُّ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ)

(١) في النسختين : « قروان » بالزاي المعجمة في الموضعين ، صوابه من التصحيف للعسكري
٤١٥ . ومادة (فرا) ليست في المعاجم . وأما قروان بالراء المهملة فقد ذكر في القاموس واللسان .
وقال ابن منظور : « فروة وقروان : اسمان » .

(٢) الخزائنة ١ : ٣٥٧ .

(٣) الخصائص ٢ : ٣٦١ / ٣ : ١٣١ وابن يعيش ٨ : ٥ ، ١١٠ ، ١٤٨ / ٩ : ١٨ ،
٥٢ والمغني ١٧١ ، ٣٤٢ ، والمعنى ١ : ٢ / ٨٠ : ٣١٤ والتصريح ١ : ٢٦ والممع ١ : ١٤٣ وديوان
الناطقة ٢٧ من مجموع خمسة دواوين .

على أن (قد) كلمة مستقلة يصلح الوقف عليها .

وهذا الفصل قد أخذه الشارح المحقق من سر الصناعة لابن جنى ،
وهذه عبارته فيه ، قال :

وذهب الخليل إلى أن حرف التعريف بمنزلة قد في الأفعال ، وأن الهمزة
واللام جميعاً للتعريف . وحكى عنه أنه كان يسميها أل ، كقولنا قد ، وأنه لم
يكن يقول الألف واللام كما لا تقول في قد القاف والدال . ويقوى هذا
المذهب قطع أل في أنصاف الآيات ، نحو قول عبيد :

يا خليلي أربعا واستخبرا ال سَمَزِل الدارس من أهل الحلال
مثل سَخِ البرد عَفَى بَعْدَكَ ال قَطُر مَغْنَاهُ وتَأْوِب الشَّمَال

وهذه قطعة لعبيد مشهورة ، عددها بضعة عشر بيتاً ، يطرد جميعها
على هذا القطع الذي تراه ، إلا بيتاً واحداً من جملتها . ولو كانت اللام وحدها
حرفاً للتعريف لما تجاوز فصلها من الكلمة التي عَرَفَتْها ، لاسيما واللام ساكنة ،
والساكن لا يُنَوَّى به الانفصال . ويقوى ذلك أيضاً قول الآخر (١) :

عَجَل لنا هذا وألحقنا بِذال الشَّحِمِ إِنَّا قد أَجْمَنَاهُ بَجَل

فأفراده أل ، وإعادته إيّاها في البيت الثاني يدل من مذهبهم على قوة
اعتقادهم لقطعها ، فصار قطعهم أل وهم يريدون الاسم بعدها ، كقطع
النابغة قد وهو يريد الفعل بعدها . وذلك قوله :

أَفَدَ التَّرْحُلُ غير أن رَكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَانَ قَدَ

(١) هو ذو الرمة ، وليس في ديوانه ولا ملحقاته . وانظر سيبويه ٣ : ٣٢٥ من نسختي .

ألا نرى أنَّ التقدير فيه : وكأنَّ قد زالت ، فقطعُ قد من الفعل كقطع
 أل من الاسم . وعلى هذا أيضًا قالوا في التذكُّر : قام ال ، إذا نويت بعده
 كلامًا ، أى الحارث والعباس ، فجرى هذا مجرى قولك في التذكر : قدى ،
 أى قد انقطع ، أو قد قام ، أو قد استخرج ، ونحو ذلك . وإذا كان أل عند
 الخليل حرفًا واحدًا فقد كان ينبغي أن تكون همزته مقطوعة ثابتة ، كقاف قد
 وباء بل ، إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف عُرف موضعه ، فحذفت همزته
 كما حذفوا : لم يك ولم أذر ولم أُبل . ويؤكد هذا القول عندك أيضًا أنهم قد
 أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل البتة ، وذلك نحو قول الله عز
 وجل : ﴿ اللَّهُ أَذْنُ لَكُمْ ^(١) ﴾ و : ﴿ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيْنِ ^(٢) ﴾ ونحو
 قولهم فى القسم : أفاً لله ، ولاها الله ذا . ولم نر همزة الوصل ثبتت فى نحو
 هذا ، فهذا كله يؤكد أن همزة أل ليست بهمزة وصل ، وأنها مع اللام كقد
 وهل ونحوهما . انتهى كلامه .

ثم أخذ فى تأييد المذهب بكون اللام هى المعرفة ، ونقض مذهب
 الخليل فقال : وأما ما يدلُّ على أنَّ اللام وحدها هى حرف التعريف وأنَّ الهمزة
 إنما دخلت عليها لسكونها فهو جرُّ الجارِّ إلى ما بعد حرف التعريف ، وذلك
 نحو قولهم : عجبت من الرجل ، ومررت بالغلام ، فنفوذ الجرِّ بحرفه إلى ما بعد
 التعريف يدلُّ على أنَّ حرف التعريف غير فاصلٍ عندهم بين الجارِّ والمجرور .
 وإنما كان كذلك ^(٣) لأنَّه فى نهاية اللطافة والاتصال بما عرَّفه . وإنما كان

(١) الآية ٥٩ من يونس .

(٢) الآية ١٤٤ من الأنعام .

(٣) ط : ذلك .

كذلك لأنه على حرف واحد ولا سيما وهو ساكن ^(١) .

ولو كان حرف التعريف عندهم حرفين كقد وهل لما جاز الفصل به بين الجار والمجرور ، لأنَّ قد وهل كلمتان بائنتان قائمتان بأنفسهما . ألا ترى أنَّ أصحابنا أنكروا على الكسائي وغيره في قراءته : ﴿ ثُمَّ لَيَقْطَعُ ^(٢) ﴾ بسكون اللام . وكذلك : ﴿ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ^(٣) ﴾ ؛ لأنَّ ثُمَّ قائمة بنفسها ، لأنها على أكثر من حرف واحد ، وليست كواو العطف وفائه ، لأنَّ تينك ضعيفتان متصلتان بما بعدهما ، فلطفتنا عن نيّة فصلهما وقيامهما بأنفسهما . وكذلك لو كان حرف التعريف في نية الانفصال لما جاز نفوذ الجرّ إلى ما بعد حرف التعريف . وهذا يدلُّ على شدة امتزاج حرف التعريف بما عرّفه . وإنّما كان كذلك لقلّته وضعفه عن قيامه بنفسه ، ولو كان حرفين لما لحقته هذه القلّة ، ولا تجاوز حرف الجرّ إلى ما بعده .

٢٣٤

ودليل آخر يدلُّ على شدة اتصال حرف التعريف بما دخل عليه ، وهو أنّه قد حدث بدخوله معنى فيما عرّفه لم يكن قبل دخوله ، وهو معنى التعريف ، فصار المعروف كأنه غير ذلك المنكور وشيء سواه . ألا ترى إلى إجازتهم الجمع بين رجل والرجل ، قافيتين في شعر واحد ، من غير استتكراف ولا اعتقاد إبطاء . فهذا يدلُّك على أنَّ حرف التعريف كأنه مبنئ مع ما عرّفه ، كما أنَّ ياء التحقير مبنية مع ما حقّره ، وكما أنَّ ألف التفسير مبنية

(١) في النسختين : « ولا سيما ساكن » . وانظر ابن يعيش ٩ : ١٨ س ٢ حيث أرى أن ابن

يعيش إنما يلخص كلام ابن جني .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

(٣) الآية ٢٩ من الحج .

مع ما كسرتَه . فكما جاز أن يجمع بين رَجُلِكُمْ وَرَجُلَيْكُمْ ^(١) قافيتين ، وبين درهمكم ودرهمكم ، كذلك جاز أيضًا أن يجمع بين رجل والرجل ، لأن النكرة شيء سوى المعرفة ، كما أن المكبر غير المصغر ، وكما أن الواحد غير الجميع . فهذا أيضًا دليل قوي يدل على أن حرف التعريف مبنى مع ما عرفه ، أو كالمبنى معه . ويزيدك تأنيسا بهذا أن حرف التعريف نقيض التنوين ، لأن التنوين دليل التذكير ، كما أن هذا الحرف دليل التعريف . فكما أن التنوين في آخر الاسم واحد ، فكذلك حرف التعريف من أوله ينبغى أن يكون حرفا واحدا . فأما ما يحتج به الخليل من انفصاله عنه بالوقوف عليه عند التذکر ، فإن ذلك لا يدل على أنه في نية الانفصال منه ، لأن لقايل أن يقول : إنه حرف واحد ، ولكن الهمزة لما دخلت على اللام فكثرت اللفظ بها ، أشبهت اللام بدخول الهمزة عليها من جهة اللفظ لا المعنى ، ما كان من الحروف على حرفين ، نحو : هل ، ولو ، ومن ، وقد ، فجاز فصلها في بعض المواضع . وهذا الشبه اللفظي موجود في كثير من كلامهم . ألا ترى أن أحمد وبابه مما ضارِع الفعل لفظًا ، إنما روعيت به مشابة اللفظ ، فمُنِع ما يختص بالأسماء وهو التنوين . ومن الشبه اللفظي ما حكى سيبويه من صرفهم جَنَدًا وَذَلَدًا ^(٢) ، وذلك أنه لما فقد الألف التي في جنادل وذلادل من اللفظ ، أشبهها الآحاد ، نحو : عَلِيطٌ وَخُرَيْزٌ ، فصُرُفا كما صرفا ، وإن كان الجميع من وراء الإحاطة بالعلم أنه لا يراد هنا إلا الجمع ، فغلب شبه اللفظ بالواحد ، وإن كانت الدلالة قد قامت من طريق المعنى على إرادة الجمع . وهذا الشبه

(١) في النسختين : « ورجليكم » ، صوابه ما أثبت ، فإنه المعبر عن التصغير ، كما أن ما بعده

تمثيل جمع التكسير .

(٢) مخفف الذلادل ، وهي أسافل القميص الطويل .

اللفظي أكثر من أن أضبطه لك . فكذلك جاز أن تشبه اللام لما دخلت
الهمزة عليها فكثرتها في اللفظ ، بما جاء من الحروف على حرفين : نحو بل ،
وقد ، ولن . وكما جاز الوقوف عليها مع التذكّر ، لما ذكرناه من مشابقتها قد
وبل ، كذلك جاز أيضاً قطعها في المصراع الأول ومجىء ما تعرّف به في
المصراع الثاني ، نحو ما أنشدناه لعبيد .

وأما قوله سبحانه : ﴿ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ ﴾ وقوله : ﴿ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ ،
فإنما جاز احتمالهم لقطع همزة الوصل ، مخافة التباس الاستفهام بالخبر . وأيضاً
فقد يقطعون في المصراع الأول بعض الكلمة وما هو منها أصل ، ويأتون بالبقية
في أول المصراع الثاني . فإذا جاز ذلك في أنفُس الكلم ولم يدلّ على انفصال
بعض الكلمة من بعض ، فغير منكر أيضاً أن يُفصل لأم المعرفة في المصراع
الأول ولا يدلّ ذلك على أنها عندهم في نية الانفصال ، كما لم يكن ذلك فيما
هو من أصل الكلمة . قال :

٢٣٥

يا نفسُ أَكَلًا واضْطِجَا عَا نَفْسُ لَسْتُ بِخَالِدِهِ (١)

وهو كثير . ومنه قول الأعشى :

حَلَّ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادُوا لِي وَحَلَّتْ غُلُوبَةٌ بِالسُّخَالِ (٢)

وإذا جاز قطع همزة الوصل التي لا اختلاف بينهم فيها ، نحو ما أنشده
أبو الحسن :

أَلَا لَا أَرَى إِثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةً عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَتْنِي وَمِنْ جُحْمِلِ (٣)

(١) نسبه ابن يعيش ٩ : ١٨ - ١٩ إلى كثير . وليس في ديوانه .

(٢) ديوان الأعشى ٣ . والبال في كل من درنا وبادول تقال بالفتح وبالضم أيضاً ، وهما

موضعان .

(٣) لجميل في ديوانه ١٨١ . وانظر معجم شواهد العربية .

فأنَّ يجوز قطع الهمزة التي هي مختلف في أمرها ، وهي مفتوحة أيضًا
مشابهة لما لا يكون من الهمز إلا قطعًا ، نحو همزة أحمر ، أولى وأجلر . إلى
آخر ما ذكر ، فإنه أطال وأطاب بضعفني ما نقلنا .

وقد أوردته ^(١) الشارح المحقق في الجواز ، وفي كأن من الحروف
المشبهة بالفعل أيضًا ، على أن الفعل بعد قد مخوف ، أي كأن قد زالت .

وقد أورد ابن هشام على أن الفعل يجوز حذفه بعدها لقرينة ، وفي
التنوين أيضًا على أن دال قد لحقها تنوين الترم ، قال : تنوين الترم ، وهو
اللاحق للقوافي المطلقة بدلًا من حرف الإطلاق ^(٢) ، وهو الألف والواو
والياء ، وذلك في إنشاد بنى تميم . وظاهر قولهم أنه تنوين محصل للترم ^(٣) .
وقد صرح بذلك ابن يعيش . والذي صرح به سيبويه وغيره من المحققين أنه
جاء به لقطع الترم ، وأن الترم ، وهو التغنى ، يحصل بأحرف الإطلاق ،
لقبولها لمد الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنموا جاءوا بالنون في مكانها .
ولا يختص هذا التنوين بالاسم ، بدليل قوله : وكان قدن ^(٤) البيت . انتهى .

والبيت من قصيدة للنابغة الذبياني ، وهو من أوائل القصيدة ، وهي :
(أَمِنْ آلِ مِيَّةَ رَائِحٍ أَوْ مَغْتَدَى عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ)
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحَلَتْنَا غَدًا وَبِذَاكَ تَنْعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ
لَا مَرْحَبًا بِغَيْدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحْيَةِ فِي غَدٍ

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(١) ط : « أورد » ، صوابه في ش .

(٢) في النسختين : « حروف الإطلاق » ، صوابه في المغني ٣٧٨ في حرف النون .

(٣) ش : « المترنم » .

(٤) ش : « وكان قد » .

أُرف الترحل البيت

قال شارح ديوانه : قوله : « أَمِنْ آل مِية » يخاطب نفسه كالمستثبت ، والنون من أَمِنْ متحركة بفتحة همزة آل الملقاة عليها لتحذف تخفيفاً . قال الأصمعي : تقديره أَمِنْ آل مِية أنت رائح أو مغتد^(١) . ورائح : من راح يروح رواحا . ومغتد : من اغتدى ، أى ذهب وقت الغداة ، وهو ضدُّ الرواح . وعجلان : من العجلة ، نصبه على الحال . وذا : حال من ضمير عجلان ، وقيل بدل منه . والزاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم وردّ تحية . وتنعاب الغراب : صياحه . والبوارح : جمع بارح ، وهو ماؤلاًك مياسره ، يمرُّ من ميامنك إلى مياسرك . والعرب تتطير بالبارح وتفاءل بالساخ .

و (أُرِف) من باب فرح ، أى دنا . وروى بدله : « أفد » وهو مثله وزناً ومعنى . و (الترحُّل) : الرحيل . وغير منصوب على الاستثناء المنقطع . و (الرُّكَّاب) الإبل ، واحدها راحلة من غير لفظها . ولمّا جازمةً بمعنى لم . وتزل بضم الزاى ، من زال يزول زوالاً ، أى فارق . والباء للمعية . و (الرّحال) : جمع رحل ، وهو ما يستصحبه الإنسان من الأثاث . و (كَأَنَّ) مخففة من الثقيلة . قال الشارح المحقق في بابها : الأفصح عند تخفيفها إلغاؤها ، وإذا لم تعملها لفظاً ففيها ضمير شأن مقدر ، فاسمها ضمير الشأن ، والجملة المحذوفة بعد قد خبرها . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله في كَأَنَّ .

٢٣٦

ونقل ابن الملا (في شرح المغنى) عن ابن جنى (في الخصائص) ،

(١) ش : « مغتدى » .

أنَّهُ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ قَدْ هُنَا بِمَعْنَى حَسْبَى ، أَيْ وَكَأَنَّ ذَلِكَ حَسْبَى ، فَقَدَى
وَحَلَهُ هُوَ الْخَبَرُ . هَذَا كَلَامُهُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ (١) :

٥٢٦ (يَا خَلِيلِي أَرْبَعًا وَاسْتَخِيرَا الدَّارَ مِنْ أَهْلِ الْجَلَالِ)

عَلَى أَنَّ الْخَلِيلَ اسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّ حَرْفَ التَّعْرِيفِ أَلْ لَا اللَّامُ وَحْدَهَا ،
بِفَصْلِ الشَّاعِرِ إِيَّاهَا مِنَ الْمَعْرِفِ بِهَا . وَلَوْ كَانَتْ اللَّامُ وَحْدَهَا حَرْفَ تَعْرِيفٍ لَمَا
جَازَ فَصْلُهَا مِنَ الْمَعْرِفِ ، لَا سِيمَا وَاللَّامُ سَاكِنَةٌ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ وَنَقْضُهُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ .

قَالَ ابْنُ جَنَى (فِي الْمَنْصَفِ) ، وَهُوَ شَرْحُ (تَصْرِيفِ الْمَازِي الْمُسَمَّى
بِالْمُلُوكِيِّ) : قَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ جَمِيعًا لِلتَّعْرِيفِ بِمَنْزِلَةٍ قَدْ فِي
الْأَفْعَالِ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْهَمْزَةُ لَمَّا كَثُرَتْ فِي الْكَلَامِ وَعُرفَ مَوْضِعُهَا ، وَالْهَمْزَةُ
مُسْتَقْلَةٌ (٢) حَذَفَتْ فِي الْوَصْلِ لَضَرْبٍ مِنَ التَّخْفِيفِ . قَالُوا : وَالِدَلِيلِ عَلَى
ذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا اضْطُرَّ فَصَّلَهَا مِنَ الْكَلِمَةِ كَمَا تَفْصِلُ قَدْ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :
عَجَّلْ لَنَا هَذَا وَالْحَقِيقَا بِذَا الِ الشَّحْمِ إِنَّا قَدْ مَلَلْنَاهُ بَجَلٍ (٣)

فَقَطَعَهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَدَّهَا فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ بَعْدَ . لِأَنَّهَا مَرَّتْ

(١) الخصائص ٢ : ٢٥٥ والمنصف ١ : ٦٦ وابن يعيش ٩ : ١٧٠ وديوان عبيد بن

الأبرص ٥٨ .

(٢) ط : « مستقلة » ، صوابها في ش والمنصف ١ : ٦٥ .

(٣) سبق الكلام عليه في ١٩٨ .

في البيت الأول ، فكأنَّها لَمَّا تباعدت أنسيها ولم يعتدَّ بها ^(١) . وهذا أحد ما يدلُّ عندى على أنَّ ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيتٌ كامل وليس بنصف بيت على ما يذهب إليه أبو الحسن الأخفش ^(٢) . ألا ترى أنَّه ردَّ أَل في أوَّل البيت الثاني . لأنَّ الأوَّل بيتٌ كامل قد قام بنفسه وتمَّت أجزاءه ، فاحتاج في ابتداء البيت الثاني أن يعرف الكلمة التي في أوله ، فلم يعتدَّ بالحرف الذى كان فصله لأنَّهما ليسا في بيتٍ واحد . ولو كان هذان البيتان بيتًا واحدًا كما يقول من يخالف لما احتاج إلى ردِّ حرف التعريف . ألا ترى أنَّ عبيدًا لَمَّا جاء بقصيدة طويلة الأبيات وجعل آخر المصراع الأول أَل لم يُعد الحرف في أوَّل المصراع الثاني ، لَمَّا كانا مصراعين ، ولم يكن كلُّ واحد منهما بيتًا قائمًا برأسه . وذلك قوله :

يا خليلي اربعا واستخيرا ال حَمَزَل الدَّارِسَ مِنْ أَهْلِ الْجَلالِ
فطرَد هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتًا على هذا الطَّرز ^(٣) إلا بيتًا واحدًا وهو :

فانتحينا الحارث الأعرج في جحفل كالليل خطَّارِ العوالِ
فهذا ما عندى في هذا . وقد كان أبو عليٍّ يحتجُّ أيضًا على أنى الحسن بشيءٍ غير هذا . انتهى .

وقال ابن جنى (في باب التطوُّع بما لا يلزم ، من الخصائص) قال :

(١) في المنصف ١ : ٦٦ : « أو لم يعتدَّ بها » .

(٢) المنصف : « على ما ذهب » .

(٣) المنصف : « تطرد هذه القصيدة ، وهي بضعة عشر بيتًا على هذا الطراز » .

وهو أمرٌ قد جاء في الشعر القديم والمولّد جميعاً ، مجيئاً واسعاً ^(١) . وهو أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه ، ليدلّ بذلك على غزارة ^(٢) وسعة ما عنده . وأورد قصائد إلى أن قال : وعلى ذلك ما أنشدنا أبو بكر محمد بن علي ^(٣) عن أبي إسحاق ^(٤) لعبيد ، من قوله :

٢٣٦

(يا خليلي اربعا واستخيرا ال	سمنزل الدارس من أهل الجلال
مثل سحقي البرد عفى بعدك ال	قطر مغناه وتأويب الشمال
ولقد يغنى به جيرانك ال	ممسكو منك بأسباب الوصال
ثم أودى ودهم إذ أزمعوا ال	بين والأيام حال بعد حال
فانصرف عنهم بعس كالوأي ال	جأب ذى العانة أو شاة الرمال
نحن قذنا من أهاضيب الملا ال	خيل في الأرسان أمثال السعال
شربا يعسفن من مجهولة ال	أرض وعثا من سهول أو رمال
فانتجنا الحارث الأعرج في	جحفل كالليل خطار العوال
ثم عُجناهنّ خوَصا كالقطا ال	قاربات الماء من أين الكلال
نحو قوص يوم جالت جولة ال	خيل قبا عن يمين أو شمال
كم رئيس يقلم الألف على ال	سأبح الأجرد ذى العقب الطوال ^(٥)

(١) ط : « مجيا واسعا » بالتسهيل والإدغام ، وأثبت ما في ش والخصائص ٢ : ٢٣٤ .

(٢) في الخصائص : « على غزوه » .

(٣) يبدو أنه محمد بن علي بن إسماعيل الملقب بميرمان ، وهو أستاذ أبي علي الفارسي وأبي

سعيد السيرافي .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج . وهو من شيوخ ميرمان

السابق . البغية ٧٥ .

(٥) ط : « الأجود » ، صوابه في ش . والأجرد : القصير الشعر ، كما سيأتي في تفسير

البغدادي .

قد أباحت جمعه أسيافنا الـ بيضُ في الرّوعة من حيّ جلالٍ ^(١)
ولنا دارٌ ورثناها عن الـ أقدمِ القُدُموس من عمٍّ وخال
منزلٌ دَمَنَ آباؤنا الـ حُورثونا المجدَ في أوّلَى الليالي ^(٢)
ما لنا فيها حصونٌ غير ما الـ محفريات الخيل تعلو بالرجال
في روائى عُدُمليّ شاخ الـ أنف فيه إرثٌ مجد وجمال
فأتبعنا دأب أولانا الأولى الـ مُوقدى الحرب ومروى بالحبال ^(٣)

وقال القصيدة ^(٤) كلّها على أنّ آخر مصراع كلّ بيت منها منتهٍ إلى لام التعريف ، غير بيت واحد ، وهو قوله : « فانتجعنا الحارث » إلى آخره ، فسار هذا البيت الذي نقضَ القصيدة أنْ تَمْضَى ^(٥) على ترتيب واحد هو الجزء . وذلك أنّه دلّ على أنّ هذا الشاعر إنّما تساند إلى ما في طبعه ، ولم يتجشّم إلّا ما في نهضته ووضعه ، من غير اغتصاب [له] ^(٦) ولا استكراه الجأ إليه ^(٧) ، إذ لو كان ذلك على خلاف ماحدّدناه وأنّه إنّما صنع الشعر صنعا لكان قَمِيناً أن لا ينقض ذلك بيت واحد يُوهيه ، ويُقدح فيه . وهذا واضح . انتهى .

وقوله : (يا خليلي) مثني خليل . و (اربعا) بألف التثنية من ربيع

(١) ط : « الأبيض » ، صوابه في ش .

(٢) في النسختين : « منزل في دمنة » ، صوابه من الخصائص ٢ : ٢٥٧ والديوان واللسان (دمن) . دمن القوم المنزل : سودوه وأثروا فيه بالدمن وغيره ، وهو بكسر النال : البحر .

(٣) كنا ، وفي الخصائص والديوان : « وصوف بالحبال » ، أي : ومنهم موف بالحبال .

(٤) في الخصائص ٢ : ٢٥٨ : « فقاد القصيدة » .

(٥) في النسختين : « أن يمضي » : صوابه في ش .

(٦) التكملة من ش والخصائص .

(٧) ش : « أجاء إليه » وفي الخصائص : « أجاءه إليه » .

زَيْدٌ بِالْمَكَانِ يَرْبَعُ بَفَتْحِ الْبَاءِ فِيهِمَا ، إِذَا اِطْمَأَنَّ وَأَقَامَ بِهِ . و (استخيرا) أَمْرٌ
مُسْنَدٌ إِلَى أَلْفِ التَّثْنِيَةِ . و (الْجَلَال) : جَمْعُ حَالٍّ بِمَعْنَى نَازِلٍ . وَفِي
الْقَامُوسِ : الْجَلَالُ : جَمْعُ حِلَّةٍ بِكَسْرِ الْمَهْمَلَةِ فِيهِمَا ، وَهَمَّ الْقَوْمُ النُّزُولَ ،
وَجَمَاعَةُ بِيُوتِ النَّاسِ ، أَوْ مَائَةُ بَيْتٍ ، وَالْمَجْلِسُ ، وَالْمَجْتَمَعُ .

وقوله : « مثل سَحَقِ الْبَرْدِ » إلخ السَّحَقُ بِالْفَتْحِ : الثَّوْبُ الْبَالِي ، وَقَدْ
سَحَقَ كَكْرَمٍ سُحُوقَةً بِالضَّمِّ ، كَأَسَحَقَ . وَالثَّرْدُ بِالضَّمِّ : ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ : فَهُوَ مِنْ
قَبِيلِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ . وَعَنَى تَعْفِيَةً : غَطَّاهُ تَغْطِيَةً وَحَمَاهُ .
وَالْقَطَرُ ، أَيْ الْمَطَرُ ، فَاعِلُهُ . وَمَغْنَاهُ مَفْعُولُهُ . وَالْمَغْنَى : الْمَنْزِلُ الَّذِي غَنِيَ بِهِ
أَهْلُهُ ثُمَّ ظَعَنُوا ، أَوْ عَامٌّ مِنْ غَنَى بِالْمَكَانِ كَرَضَى ، إِذَا أَقَامَ فِيهِ . وَالتَّأْوَيْبُ :
الرجوع ؛ والمراد تَرَدُّدُ هُبُوبِهَا . وَالشَّمَالُ : الرِّيحُ الْمَعْرُوفَةُ .

٢٣٨

وقوله : « وَلَقَدْ يَغْنَى » هُوَ مِنْ غَنَى الْمَذْكُورِ . وَالْمَسْكُورُ أَصْلُهُ
الْمَسْكُونُ ، حَذَفَتْ نُونُهُ تَخْفِيفًا . قَالَ ابْنُ جَنَى (فِي الْمَنْصَفِ) : قَوْلُهُ
الْمَسْكُورُ أَرَادَ الْمَسْكُونُ ، وَلَكِنَّهُ حَذَفَ النُّونَ لَطَوِيلَ الْاسْمِ لَا لِلْإِضَافَةِ .
وَعِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ الْحَافِظُ عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ
التَّعْرِيفِ مِنْهُ فِي الْمَصْرَاعِ الْأَوَّلِ ، وَبَقِيَّةُ الْكَلِمَةِ فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي ، وَالْمَصْرَاعُ
كَثِيرًا مَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَكَادُ يَكُونُ بَيِّنًا كَامِلًا ^(١) ، وَكَثِيرًا مَا تَقْطَعُ هَمْزَةُ
الْوَصْلِ فِي أَوَّلِ الْمَصْرَاعِ الثَّانِي نَحْوَ قَوْلِهِ :

(١) ش فقط : « بيتا كاملا » . وفي حواشي ش بخط الناسخ « قوله بيتا كلاما كذا بخط
المؤلف رحمه الله ، والصواب بيتا كاملا » .

لتسمعن وشيكاً في دياركم : الله أكبر ، يائارات عُثانا (١)

وقد أجاز أبو الحسن الحرم في أول المصراع الثاني ، بخلاف قول الخليل ، وجاء ذلك في الشعر كقول امرئ القيس :

وعين لها حدره بذرة شقت مآقيهما من دبر

فلما كان أول المسكو في المصراع الأول وباقيه في المصراع الثاني ، وهما كاليتين ، ازدادت الكلمة طولاً ، وازداد حذف النون جوازاً . وليس الحافظو كذلك (٢) . فهذا فصل في لطف ، وكلا الاسمين إنما وجب فيه الحذف لطوله .

وقوله : « ثم أودى » أى هلك . وأزمعوا : من أزمعت الأمر وعليه : أجمعت أو ثبت عليه . وقوله « والأيام حال » أى ذات حال وتغير .

وقوله : « بعنسي كالوأي » العنسي بالفتح : الناقة الصلبة . والوأي بفتح الواو والهمزة بعدها ألف مقصورة : الحمار الوحشي . والجأب ، بفتح الجيم وسكون الهمزة : الحمار الغليظ . والعانة بالنون : الأتان ، وهو المراء هنا ، والقطيع من حمر الوحش ، والشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثى ، أو تكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحمر الوحش ، والمرأة ، الجمع شاء . كذا في القاموس .

وأهاضيبي الملا : اسم مكان . وأهاضيبي : جمع هضاب جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، أو جبل خلق من صخرة

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ٤١٠ . وقبلة :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحاً وقرآنا

(٢) بعده في النصف : « لأن الكلمة بكماها في المصراع الأول ، فلم تطل طول

المسكو .

واحدة ، أو الجَبَل . قال أبو عبيد البكري (في المعجم) : الملا : بفتح الميم والقصر : موضعٌ من أرض كلب ، وموضع في ديار طى . والسعال : جمع سِعالَة ، وهى أنثى الغول .

وقوله : شُرِّبَا إلخ ، هو جمع شازب : الضامر اليابس . والعسْف : الأخذ على غير الطريق . ووُعْثًا مفعول يعسفن ، جمع أوعث بمعنى وَعْث . والوَعْث بالفتح : الطريق العسرة كالوَعْث بكسر العين . وقوله : من سهول أو رمال ، بيان لقوله رُعْثًا .

وقوله : « فانتجعنا الحارث » إلخ من انتجع فلانا أى أتاه طالبا معروفا . وهُنا تهكُّم وسُخرية . والحارث الأعرج هو من ملوك الشام ، وأمه مارية ذات القرطين . والجَحْفَل بفتح الجيم : الجيش الكثير . والحَطَّار : المضطرب . والعوالى : الرُماح ، جمع عالية ، والعالية : أعلى القناة ، أو النصف الذى يلي السَّنان .

وقوله : « ثم عجناهن » يقال عاج رأس البعير أى عطفه بالزمام . والخُوص بالضم : جمع أخوص ، وخوصاء ، وهى الغائرة العينين . والقاربات ، من القَرَب بفتحيتين ، وهو سير الليل لورد الغد . والأين : الإعياء . والكلال بمعناه أيضًا .

وقوله : « نحو قوص » بالضم : موضع ^(١) . وقُبًا : جمع أقب ، وصف من القَبِّ بفتحيتين ، وهو دقة الخصر وضمور البطن .

وقوله : « كم رئيس يقدِّم الألف » الرئيس : سيّد القوم وكبيرهم .

(١) في معجم البلدان : « نحو قرص » ، وقال : « بالضم بلفظ القرص من الخبز : تل بأرض غسان في شعر عبيد بن الأبرص ، وأما قوص ، فهو خطأ ، لأنها مدينة كبيرة كانت قصبة صعيد مصر » .

والسابع : الفرس الحسن الجرى . والأجرد : القصير الشعر . والعقب ، بفتح المهملة وسكون القاف : الجرى بعد الجرى . والطوال بالضم بمعنى الطويل ، وجمعه مفعول أباحت ، وأسيفنا فاعله .

والقدموس بالضم : القديم ، والسين زائدة .

والمورثونا المجد : جمع مورث ، ونا ضمير المتكلم مع الغير ، والمجد بالنصب مفعول .

وقوله : « مالنا فيها » أى فى تلك الدار . والمفردات ، بفتح الراء : التى أفردت عن غيرها ، وما زائدة ، والخیل بدل من المفردات .

وقوله : « فى روائى » إلخ جمع رابية ، وهى ماعلا من الأرض . والعُدْمَلَى بضم العين وسكون الدال المهملتين ، وضم الميم وكسر اللام ، قال صاحب القاموس : العُدْمَلُ والعُدْمَلَى والعُدَامِلُ والعُدَامَلَى مضمومات : كُلُّ مَسْنٍ قديمٍ ، والضَّخْمُ القديمُ من الشجر ومن الضَّبَاب . والإرث بالكسر : الأصل .

وقوله : « فاتبعنا دأب أولانا » إلخ أى دأب عشيرتنا الأولى ، أى آبائنا الأقدمين . والأولى الثانية بدل من الأولى ^(١) ، وهى اسم إشارة بمعنى أولئك ^(٢) . والموقدين صفة له ، أو بدل وحذفت نونه للإضافة .

وعبيد هو عبيد بن الأبرص الأسدى ، بفتح العين وكسر الموحدة ، وهو

(١) كنا . ووجه كتابتها « الألى » باعتبارها اسم موصول صفة لأولانا .

(٢) الوجه هنا أيضا أن تكون اسم موصول لا اسم إشارة . لأن آل لا تدخل على أسماء

الإشارة .

شاعرٌ جاهلٌ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد السادس عشر بعد المائة ^(١) .

وقوله في البيت الآخر : « عَجَّلْ لَنَا هَذَا وَالحَقْنَا » البيت ، هو من أبيات سيبويه . وهذا نصُّه في المسألة : وزعم الخليل أَنَّ الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرفٌ واحد كقَد وَأَنْ ، ليست واحدة منهما منفصلة من الأخرى كانفصال أَلِف الاستفهام في قوله : أَزِيدُ ، ولكن الألف كألف ايم في ايم الله ، وهي موصولة كما أَنَّ أَلِف ايم موصولة . إلى أَنْ قال : وقال الخليل : وممَّا يدلُّك على أَنَّ تلك مفصولة من الرَّجُل ولم يُبَيَّنْ عليها ^(٢) وَأَنَّ الألف واللام فيها ^(٣) بمنزلة قد ، قول الشاعر :

دَعْ ذَا وَعَجَّلْ ذَا وَالحَقْنَا بِذَالِ بالشَّحْمِ إِنَّا قَدْ مَلَّلْنَاهُ بِجَلِّ ^(٤)

قال : هي ههنا كقول الرجل وهو يتذكَّر قدى ، ثم يقول قد فعل . ولا يُفَعَّلُ مثْلُ هذا علمناه بشيءٍ ممَّا كان من الحروف الموصولة . ويقول الرجل أَلَى ، ثم يتذكَّر . فقد سمعناهم يقولون ذلك ، ولولا أَنَّ الألف واللام بمنزلة قد وسوف ، لكانتا بناءً بنى عليه الاسم لا يُفَارِقُهُ ^(٥) ، ولكنهما جميعاً بمنزلة هل ، وقد ، وسوف ^(٦) ، يدخلان للتعريف ^(٧) . انتهى نصُّه .

وقال الأعلم : الشاهد في قوله بذال ، وأراد : بذال الشَّحْمِ ، ففصل

(١) الخزائن ٢ : ٢١٥ - ٢١٩ .

(٢) في النسختين : « عليهما » ، صوابه من سيبويه ٢ : ٦٤ .

(٣) في النسختين : « فهما » ، صوابه في سيبويه .

(٤) سبق الكلام عليه في حواشى ٢٠٥ .

(٥) في النسختين : « لكانتا بنى على الاسم لا تفارقه » ، صوابه وتكملته من سيبويه .

(٦) بعده في كل من النسختين : « وهل » ، وهو تكرار لم يرد في سيبويه .

(٧) في سيبويه : « تدخلان للتعريف وتخرجان » ، وفي إحدى مخطوطاته : « يدخلان

للتعريف » فقط ، كما هنا .

لام التعريف من الشحم لما احتاج إليه من إقامة القافية (١) ثم أعادها في الشحم لما استأنف ذكره بإعادة حرف الجر . ومعنى بجل حَسْب ، يقال بَجَلَى كَذَا ، أَيْ حَسَبِي (٢) . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت غُفْل لم يُحَلَّ قائله . وقال العيني (٣) : قائله غيلان بن حُرَيْث الرُّبَعِي الرَّاكِز .

وقوله : « وَالْحَقْنَا » في رواية سيبويه : « وَالزَّقْنَا » ، وضبطَ بعضُ شراح أبياته « بِخَلَّ » بالخاء المعجمة ، أراد به الخَلَّ المعهود . والباء فيه حرف جر . وهذا أقرب إلى المعنى . انتهى . ولم أرَ ما ذكره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الخمسمائة (٤) :
 (وَبِالنَّسْرِ عِنْدَمَا) ٥٢٧

٢٤٠

هو قطعة من بيت وهو :
 (أَمَّا وَالِدَمَاءِ الْمَائِرَاتِ تَخَالُهَا عَلَى قَنَةِ الْعُزَى وَبِالنَّسْرِ عِنْدَمَا)

على أَنَّ لام التعريف قد تزداد في العلم .

قال ابن الشجري (في أماليه) : نَسَرَّ : الصَّنَمَ الذي كان قومُ نوح يعبدونه ، وقد ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ وَلَا تَذَرْنَّ وُدَّ وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَعْوَتَ

(١) ط : « من إقامته القامة » ، صوابه في الشتمرى وفي ش مع أثر تصحيح .

(٢) في الشتمرى : « أَيْ حَسَبِي رَكْفَانِي » .

(٣) العيني ١ : ٥١٠ .

(٤) النصف ٣ : ١٣٤ وأمالي ابن الشجري ١ : ١٥٤ / ٢ : ٣٤١ والإنصاف ٣١٨

والعيني ١ : ٥٠٠ واللسان (أبل ٦) .

وَيُعَوِّقُ وَيَسْرًا ^(١) . وأدخل فيه الشاعر الألف واللام زيادة للضرورة في قوله :
« وبالنسر عندمَا » البيت . انتهى .

وقال ابن جنى (في سر الصناعة) : أنشدنا أبو علي هذا البيت
وقال : اللام في النسر زائدة . وهو كما قال ، لأنَّ نسرًا بمنزلة عمرو .

وقال ابن جنى قبل هذا : وأما اللات والعزى فذهب أبو الحسن إلى أنَّ اللام فيهما زائدة . والذي يدلُّ على مسحة مذهبه أنَّ اللات والعزى علمان ، بمنزلة يغوث ويغوث ونسر ومناة ، وغير ذلك من أسماء الأصنام . فهذه كلها أعلام وغير محتاجة في تعرفها إلى اللام ، وليست من باب الحارث والعباس ، التي نُقلت فصارت أعلامًا وأقرت فيها ^(٢) لَامُ التعريف ، على ضربٍ من توهم روائح الصفة فيها ، فتحمّل على ذلك . فوجب أن تكون فيها زائدة ، ويؤكد زيادتها فيها أيضًا لزومها إياها كلزوم لام الآن والذي وبابه . فإن قلت : فقد حكى أبو زيد : لقيته فينة والفينة ، وقالوا للشمس : إلهة والإلهة . وليست فينة ، ولا إلهة ، بصفتين فيجوز تعريفهما وفيهما اللام كالحارث والعباس . فالجواب : أن فينة والفينة والإلهة والإلهة ، ممّا اعتقب عليه تعريفان : أحدهما بالألف واللام ، والآخر بالوضع والعلمية ، ولم نسمعهم يقولون : لات وعزى بغير لام ^(٣) ، فدلّ لزوم اللام على زيادتها ، وأنَّ ماهى فيه ليس مما اعتقب فيه تعريفان . انتهى .

(١) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٢) ط : « وفيها » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) في حواشي المطبوعة : « قوله وعزى بغير لام . بل وقد قال أبو سفيان : ولا عزى لكم .

وقال خالد بن الوليد : كفرانك يا عزى . ١ هـ من هامش الأصل . »

أقول : أما النص الأول فقد ورد في إمتاع الأسماع ١ : ١٥٨ وفيه أن عمر بن الخطاب قال حين سمع كلمة أبي سفيان : « لنا العزى ولا عزى لكم » قال : « الله مولانا ولا مولى لكم » . وأما نص خالد بن الوليد فقد ورد هنا محرفا ، والصواب أن خالد بن الوليد لما بعثه رسول =

ومحصله أنَّ اللام في النسر زائدة بعد وضع العلمية ، وأنَّ اللام في اللات والعزى زائدة فيهما عند وضع العلمية ، وأنَّ اللام في الفينة والإلاهة للتعريف ، وليست زائدة . ولهذا لم ينشد الشارح المحقق البيت بتمامه لتعين الزائد الطارىء للضرورة من الزائد غير المنفك إلا في ضرورة ، كقوله (١) :

عزَاى شُدَى شُدَّة لا تَكْذِبى على خالِدٍ وألقى الخمارَ وشمْرِى (٢)

صاحب الشاهد وبیت الشاهد أول أبيات ثلاثة لعمرو بن عبد الجِنّ ، وبعده :

(وما سَبَّحَ الرهبانُ في كُلِّ ليلة أَيْلَ الأَيْلِينَ المسيحَ بنَ مريمَا أَيْات الشاهد

لقد هَزَّ مَنى عامراً يومَ لعلج حُسَاماً إذا ماهُزَّ بالكفِّ صَمَما

كذا أنشد هذه الأبيات أبو على (في التذكرة القصرية) عن ابن الأعرابي ، وابن الأنباري (في مسائل الخلاف) ، وابن الشجري (في أماليه) .

وقوله : (ألا والدماء (٣)) إلخ ، ألا : كلمة يستفتح بها الكلام ،

= الله ﷻ ، إلى العزى ، وهى سمرة كانت لغطفان يعبدونها ، وكانوا بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدة ، قام خالد يهدم هنا البيت ، وأحرق تلك السمرة وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانه أنى رأيت الله قد أهانك

وانظر ما سأتى في حواشى ص ٢٣٦ .

(١) البيت لدية بن حرمى الشيباني ثم السلمى ، وكان سادنا للعزى . الأصنام لابن الكلبي

. ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ش وكنا أصل الأصنام : « عزى » ، وهى صحيحة مع الحرم ، وأثبت ما فى ط وهامش نسخة الخزنة الزكية من الأصنام . وفى الأصنام : « على خالد ألقى الخمر » .

(٣) كنا وردت « ألا » هنا ، مع أن نص الشاهد هنا : « أما والدماء » . ط : « ألا ودماء » ، صوابه فى ش .

التنبيه ، والواو للقسم والدماء مقسم به ^(١) ، والبيت الثالث جواب القسم .
 و (المائرات) المتردّدات ، من مار الدم على وجه الأرض يمور ، إذا تردّد .
 ويروى : « أما ودماء مائرات » بدون لام . و (تخالها) : تظنّها . وعندما المفعول
 الثانى . و (وقته العزى) : أعلاها . وقته الجبل ، بالضم : أعلاه . والعندم :
 البقم . والعندم : دم الأخوين . رواه أبو على (فى الحجّة) :
 * أما ودماء لا تزال كأنّها *

وقال : انتصاب عندم بأحد شيئين : أحدهما : ما فى كان من معنى
 الفعل ، والآخر : أن يجعل على قنة العزى مستقرّا فيكون الحال عنه . فإن
 نصبت بالأوّل فنو الحال الضمير الذى فى كأنّها ، وإن نصبته عن المستقرّ
 فنو الحال الذّكر الذى فى المستقرّ ، والمعنى على حذف المضاف ، كأنّه مثل
 عندم . انتهى .

وقوله : « وما سبّح » إلخ الواو عاطفة على الدماء ، وما مصدرية وسبّح
 بمعنى نَزّه ، والرهبان فاعله ، وأيّل مفعوله ، وفى كل ليلة متعلق بسبّح .
 وروى : « فى كل يبعة » أى وتسبيح الرهبان ^(٢) أيّيل الأييلين . واليعة بكسر
 الباء : متعبّد المنصارى . وأيّل الأييلين : راهب الرهبان ، قال ابن فارس ،
 والصاغاني (فى العباب) : الأيّل : راهب النّصارى ، وكانوا يسمّون عيسى
 عليه السلام أيّيل الأييلين ، ومعناه راهب الراهبين . وعيسى : بدل أو عطف

(١) ش : « مقسم بها » .

(٢) ط : « وسبح الرهبان » ، صوابه فى ش .

بيان له . والأبيل يفتح الهمزة وكسر الموحدة ، كأمير : الرَّاهِب ، سَمِي به
لتأمله عن النساء وترك غشيانهن . والفعل منه أَبَلَ يَأْبُلُ إبالة ، ككتب كتابة ،
إذا تنسك وترهب .

وأورده الجواليقي (في المعربات) قال : الأبيل : الراهب ، فارسي
معرب ، قال الشاعر ^(١) وهو جاهلي :
وما سَبَّحَ الرُّهْبَانُ في كل يَبعة البيت
وقال الآخر ^(٢) :

* وما صَلَّكَ ناقوسَ النَّصارَى أبيلها ^(٣) *

وقالوا : أبَيْلِي . قال :
وما أبَيْلِي على هَيْكَل بَنَاهُ وصلَّب فيه وصاراً ^(٤)

قال أبو عبيدة : أبَيْلِي : صاحب أبيل ، وهي عصا الناقوس . انتهى .
والأبَيْلِي [هو] ^(٥) بتقديم المشاة التحتية الساكنة وتأخير الموحدة
المفتوحة ، ويجوز ضمها ، ويجوز إبدال الألف هاء فيقال هَيْبَلِي ، ويجوز إبدال
الياء التحتية ألفا فيقال آبَلِي . وقد جمع صاحبُ القاموس هذه اللغات فقال :

(١) هو عمرو بن عبد الجن . كما سيأتي ، وكما في حواشي العرب ٣٠ ومعجم الشعراء
للمرزباني ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٢٣ .

(٣) صدره في الديوان :

* فإني ورب الساجدين عشية *

(٤) البيت للأعشى في ديوانه ٤٠ ، وكنا وردت الرواية في اللسان (أبِل ٦) . وفي
العرب : * وما أبيلي * وكنا في التعليق التالي : * أبيل : صاحب أبيل * . ولا يستقيم وزن البيت بهذه
الصورة ، كما أنه يتجافى مع التقييد التالي للبغدادى .
(٥) التكملة من ش .

الأبيل كأبيل : العصا ، والحزبن بالسريانية ، ورئيس النصارى ، أو الراهب ،
أو صاحب الناقوس ، كالأبيلي بضم الباء وفتحها ، والهيبلي والآبلي بضم
الباء ، والأبيل بضم الباء وفتحها . انتهى .

وقوله : « وما أبيلي على هيكل » ، هو من قصيدة للأعشى ميمون .
قال الصاغاني (في العباب) : قيل أراد أبيلي كأبيري ، فلما اضطرَّ قَدَم الياء
كما قالوا أيتق ، والأصل أنوق . قال عدي بن زيد العبادي :
إِنِّي وَاللَّهِ فَأَقْبَلُ حِلْفَتِي بِأَبِيلٍ كُلَّمَا صَلَّى جَاؤُ
وقال ابن دريد : الأبيل : ضارب الناقوس . وأنشد :

* وما صَكَ نَاقوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا * انتهى

ونقل العيني عن ابن الأثير أنه رَوَى أيضًا :

* أَبِيلُ الْأَبِيلَيْنِ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ *

على النَّسَب .

وقوله : « هَزَّ مَنِيَّ عَامِر » إلخ هذا من قبيل التجريد ، يريد أن عامرًا
وجدني حُسَامًا في ذلك اليوم . وَرَوَى الصَّاغَانِيُّ (في العباب) : « لَقَدْ ذَاقَ
مَنِيَّ » . وَلَعَلَّ كَجَعْفَرٍ : موضع ، قال ابن ولَّاد : لَعَلَّ من آخر السَّوَادِ إِلَى
الْبَرِّ ، ما بين البصرة والكوفة . وقال غيره : لَعَلَّ : بيطن فلج ، وهي لبكر
واثل ، وقيل هي من الجزيرة . كَذَا فِي مَعْجَم مَا اسْتَعْجَمَ لِلْبَكْرِ . وَصَمَّمُ :
مضى ، يقال صَمَّمُ الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا جَدَّ فِيهِ .

صاحب الشاهد

عمرو بن
عبد الجن

٢٤٢

والأبيات لعمرو بن عبد الجن . كذا قال الصاغاني في العباب وغيره .
وفي جمهرة الأنساب لابن الكلبي أنه تنوخى . وهو عمرو بن عبد الجن بن
عائذ الله بن أسعد بن سعد بن كثير بن غالب بن جرم . وأسد بن ناعصة بن
عمرو بن عبد الجن ، كان فارساً في الجاهلية . قال : ورأيت رجلاً من بنى
عبد الجن بالكوفة شجاعاً ، قُطعت رجله فجُعِلت له من فضة . وتنوخ :
قبيلة من قبائل اليمن .

(تنمة)

العزى فى الأصل : تأنيث الأعز ، وقد يكون الأعز بمعنى العزيز ،
والعزى بمعنى العزيرة . قال فى الصحاح : العزى : اسم صنم كان لقريش
وبنى كنانة ، ويقال العزى : سمرة كانت لطفان يعبدونها ، وكانوا بنوا عليها
عليها بيتاً وأقاموا لها سدة ، فبعث إليها رسول الله - ﷺ - خالد بن الوليد
فهدم البيت وأحرق السمرة وهو يقول :

يا عَزَّ كُفْرانِك لا سُبْحانِك إني رأيتُ الله قد أهانِك

ولا بأس بإيراد شيء من أخبار الأصنام وسبب اتخاذ العرب لها ،
وكيف أزالها النبي - ﷺ .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (فى كتاب
الأصنام) : حدثنى أنى وغيره (١) أن إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما
وسلم - لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثيرة حتى ملثوا مكة ونفوا من
كان فيها من العماليق ، فضاقت (٢) عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب

(١) بعده فى الأصنام ٦ : « وقد أثبت حديثهم جميعاً » .

(٢) فى الأصنام : « ضاقت » ، وهو الوجه .

بعضُهم بعضًا ، فتفسَّحوا في البلاد واتماسي المعاش . وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة ، أنَّه كان لا يظعن من مكة ظاعنٌ إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم ، تعظيمًا للحرم ، فحيثما حلُّوا وضعوه وطاقوا به كطوافهم بالكعبة ، صباةً بها وحبا^(١) ، وهم على إرث أبيهم إسماعيل : من تعظيم الكعبة ، والحج ، والاعتمار .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحَبُّوا ونَسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبَدُوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كان عليه عليه الأُمم من قبلهم ، كقوم نوح ، وفيهم بقايا على دين أبيهم إسماعيل ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكان أول من غيَّر دين إسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسَيَّب السائبة ووصل الوصيلة ، وبَحَرَ البحيرة وحمى الحامية : عمرو بن ربيعة ، وهى لُحَيّ ، بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذى تلى أمر الكعبة^(٢) . فلما بلغ عمرو ابن لُحَيّ نازعَه فى الولاية ، وقاتل جرهما بينى إسماعيل ونفاهم من بلاد مكة ، وتولَّى حجابة البيت .

ثم إنَّه مرض مرضًا شديدًا ، ف قيل له : إنَّ بالبلقاء من الشام حَمَّة^(٣) إنَّ أتيتها برأت . فأَناها فاستحَمَّ بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ، ونستنصر بها على العلو . فسأهم أن يُعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .

وحَدَّث الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، أنَّ إسافًا رجلٌ من

(١) فى الأصنام: « وحبا بالحرم » .

(٢) هو الحارث بن مضاض الجرهمى .

(٣) الحمة : عين ماء فيها ماء جار يستشفى بها الأعداء والمرضى .

جرهم يقال له إساف بن يعلى ، ونائلة بنت زيد من جرهم ، وكان يتعشّقها في أرض اليمن ، فأقبلوا حجّاجا فدخلوا الكعبة ، فوجدوا غفلة من الناس وخلوة من البيت ، ففجر بها في البيت ، فمُسخا فوجدوها مسيخين ، فوضعوهما موضعهما فعبدتُهما خزاعة وقريش ، ومن حجّ البيت من العرب .

٢٤٣

وكان أول من اتخذ تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم ، سمّوها بأسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين إسماعيل - هذيل بن مدركة ، اتخذوا سِوَاعًا فكان لهم برهاط من أرض ينبع ، وكانت سدنته بنى ليحيان . واتخذت كلب : وُدًا بلومة الجندل ، واتخذت مذحج وأهل جرش : يغوث ، واتخذت خيوان : يعوق ، فكان بقرية لهم يقال لها خيوان من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة .

واتخذت حمير : نَسْرًا فعبدوه بأرض يقال لها بَلَحَع^(١) ، ولم أسمع حمير سمّت به أحدًا^(٢) ، ولم أسمع له ذكرًا في أشعارها ولا أشعار العرب^(٣) . وأظن ذلك كان لانتقال حمير أيام تبّع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية . وكان لحمير أيضًا بيت بصنعاء يقال له : رثام ، بهمزة بعد الراء

(١) هنا ما في ط والأصنام ١١ ومعجم البلدان . وفي ش : « بكخع » بالكاف ، تحريف .

(٢) قال ياقوت : « يعنى قالوا : عبد نسر » .

(٣) قال ياقوت ، تعليقًا على ذلك : قلت : وقد ذكره الأخطل فقال :

أما ودماء مائرات تخالها	على قنة العزى وبالنسر عندما
وما سبّح الرحمن في كل بيعة	أبيل الأيلين المسيح بن مريم
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع	حساما إذا ما هز بالكف صمما

المكسورة ، يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح ، وكانوا فيما يذكرون يُكَلِّمون منه . فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه إلى العراق ^(١) قديم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة ، فأمره بهدم رثام . وتهود تبع وأهل اليمن ، فمن ثم لم أسمع بذكر رثام ولا نسر في شيء من الأشعار ولا الأسماء ، ولم تحفظ العرب من أشعارها إلا ما كان قبيل الإسلام .

قال أبو المنذر : ولم أسمع في رثام وحده شعرا ، وقد سمعت في البقية .

هذه الخمسة الأصنام التى كان يعبدها قوم نوح ، وذكرها الله في كتابه : ﴿ ولا تذرْنَّ وُدًّا ولا سُواعًا ولا يغوثَ ويعوقَ ونسراً ﴾ ^(٢) . فلما صنع هذا عمرو بن لُحَيٍّ دانت العرب للأصنام ، فكان أقدمها مناة . وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة . وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعًا تعظمه وتذبح حوله ، وكان أشدَّ إعظامًا له الأوسُ والخزرج ^(٣) . وكان أولاد معدٍّ على بقية من دين إسماعيل ، وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه .

ومناة هى التى ذكرها الله : ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ^(٤) . وكانت

(١) هذا ما في ش والأصنام . وفي ط : « من العراق » ، ولها وجه إذا روعي أن تبعًا قد سار إلى العراق ، وانصرف أيضًا من العراق .

(٢) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٣) بدله في الأصنام : « ولم يكن أحد أشدَّ إعظامًا له من الأوس والخزرج » .

(٤) الآية ٢٠ من سورة النجم .

لهذيل وخزاعة . وقريش ^(١) وجميعُ العرب تعظمها ، إلى أن خرج رسول الله - ﷺ - من المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وهو عامُ الفتح ^(٢) . فلما سار من المدينة أربع ليالٍ أو خمس ليالٍ بعث عليًّا فهدمها وأخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبي - ﷺ - وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما ، أحدهما اسمه مخذم ^(٣) والآخر رسوب ^(٤) ، فوهبهما لعليٍّ ، فيقال إنَّ ذا الفقار سيفٌ عليٌّ أحدهما ، ويقال إنَّ عليًّا وجدَّهما في الفلس ^(٥) : صنم لطيَّ حين بعثه النبي - ﷺ - فهدمه .

ثم اتَّخذوا اللات بالطائف ، وكانت صخرةً مربَّعة ، وكان يهودى يُلْتُ عندها السَّويق ، وكان سدنتها من ثقيف ، وكانوا بَنَوْا عليها بناء ، وكانت قريشُ وسائر العرب تعظمها . وسَمَّت زَيْدَ اللات وتيم اللات ، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم . فلم تزل كذلك حتَّى أُسَلِّمَتْ ثقيف ، فبعث رسول الله - ﷺ - المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتَّخذوا العُزَّى وسَمَّى بها عبدُ العزى بن كعب ، وكان الذى اتَّخذها ظالم بن أسعد ، وكانت بوايٍ من نخلة الشامية عن يمين المصعد إلى

(١) في الأصنام : « وكانت قريش » .

(٢) في الأصنام : « وهو عام فتح الله عليه » .

(٣) ط : « مخزم » ، صوابه في ش . وفي الأصنام ومعجم البلدان : « أحدهما يسمى مخذما » .

(٤) المخذم ، أصل معناه السريع القطع . والرسوب : الذى يمضى فى الضريبة ويغيب فيها ، من الرسوب ، وهو الذهب سفلًا . وبعده فى الأصنام : وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره فقال :

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلا سيوف : مخذم ورسوب

(٥) ضبط فى الأصنام بالفتح ، وفى معجم البلدان بالضم ، وفى القاموس بالكسر .

العراق من مكة فوق ذات عرق بتسعة أميال ، فبنى عليها بيتاً ^(١) ، وكانوا يسمعون فيه الصّوت ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانت تطوف بالكعبة وتقول : « واللّات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، فإِنَّهِنَّ الغرائقُ العُلى ، وإنَّ شفاعتهنَّ لثرتجى » . وكانوا يقولون : بناتُ الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهنَّ يشفعنَّ إليه . فلمَّا بعث الله رسوله أنزل عليه : ﴿ أفرأيتم اللّات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذّكر وله الأنثى ^(٢) ﴾ الآية . وحمت لها قريشُ شِعْباً من وادى حُرّاض يقال له سَقَام ^(٣) ، يضاھون به حرم الكعبة . وكان لها مَنْحَرٌ ينحرون فيه هداياها ، يقال له « الغَيْب » ، وكانت قريشٌ تخصُّها بالإعظام ، فلذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان قد تألَّه في الجاهلية وترك عبادة الأصنام :

تركتُ اللّات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجُلْدُ الصَّبورُ
فلا العزى أدِينُ ولا ابتغيها ولا صنمى بنى غنم أزور ^(٤)
ولا هُبَلاً أزورُ ، وكان ربّاً لنا فى الدَّهرِ إذْ حِلْمى صغِيرُ

وكان سدنة العزى بنى شيبان ، من بنى سليم ، وكان آخر من سدنها دُبْيَّة ^(٥) ، فلم تزل كذلك حتَّى بعث الله نبينا ﷺ - فعاب

(١) فى الأصنام : « فبنى عليها بُسّاً ، يريد بيتاً » . البس بضم الباء .

(٢) الآيات ١٩ - ٢١ من سورة النجم .

(٣) ش : « سعام » ، صوابه فى ط ومعجم البلدان فى رسمه ، وذكر أنه بضم السين ، وفى شعر أبى خراش المذلى :

أمسى سقام خلاء لا أنيس به إلا السباع ومر الريح بالغرف

(٤) كذا فى النسختين . وفى هامش ش حاشية بخط ناسخها : « هكنا بخط المؤلف : ولا

ابتغيها ، وصوابه : « ولا ابتيها » ، أى كما فى الأصنام .

(٥) فى الأصنام : « دبية بن حرمى السلمى » .

الأصنام ونهاهم عن عبادتها ، ونزل القرآن فيها ، فاشتد ذلك على قريش ، فلما كان يوم الفتح دعا خالد بن الوليد فقال : انطلق إلى شجرة بطن نخلة ^(١) فاعضدها . فانطلق فقتل دُبْيَةَ .

وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما بعث النبي خالد بن الوليد قال له : « ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات ، فاعضد الأولى » . فأتاها فعضدها ، فلما جاء إليه عليه الصلاة والسلام فقال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال : « فاعضد الثانية » . فعضدها ثم أتى النبي عليه السلام فقال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال : « فاعضد الثالثة » . فأتاها فإذا بحبشية نافذة شعرها ، واضعة نديها على عاتقها ، تصرف بأنيابها ، وخلفها دُبْيَةُ السلمى ، فلما نظر إلى خالد قال :

عُرَايَ شُدَى شُدَى لَا تُكْذِبْنِي عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْخِمَارَ وَشَمَرِي ^(٢)
فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَقْتُلِي الْيَوْمَ خَالِدًا تَبُونُ بِذُلٍّ عَاجِلًا وَتَنْصَرِي

فقال خالد [رضى الله عنه] :

يَا عُرَايَ كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

(١) فى الأصنام : « شجرة بطن نخلة » .

(٢) فى الأصنام : « دية بن حرمى الشيباني ثم السلمى » .

(٣) فى ش وأصل الأصنام : « عزى » وأثبت ما فى ط .

وقد صححها أحمد زكى إلى « أعزاء » مستندا إلى ما ورد فى حاشية نسخه من كتاب

الأصنام ، وكتب فى ذلك تحقيقا مسهبا ، فارجع إليه . وفى سيرة ابن هشام ٨٢٩ :

أيا عز شدى شدة لا ثوى لها على خالد ألقى القناع وشمرى

أيا عز إن لم تقتلى المرء خالدا فبوى بإثم عاجل أو تنصرى

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا حُممة ^(١) ، ثم عضد الشجرة وقتل دُبَّية ،
ثم أتى النبي - ﷺ - فأخبروه فقال : « تلك العزى ولا عزى بعدها
للعرب » ^(٢) .

قال أبو المنذر : ولم تكن قريش ومن بمكة يعظمون شيئا من الأصنام
إعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة . فأما العزى فكانت تخصها دون غيرها
بالزيارة والهدية ، وكانت ثقيف تخص اللات ، وكانت الأوس والخزرج تخص
مناة ، وكلهم كان معظما للعزى ، ولم يكونوا يرون في الخمسة الأصنام التي
رفعها ^(٣) عمرو بن لحي كراهم في هذه .

وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وكان أعظمها عندهم
« هُبَل » ^(٤) ، وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان ، مكسور
اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدا من الذهب . وكان أول من
نصبه خزيمة بن مدركة ، وكان يقال له ^(٥) هُبَل خزيمة ، وكان قدامة سبعة
أقدح ^(٦) مكتوب في أولها : صريح ، والآخر : ملصق . فإذا شكوا في مولود
أهدوا له هدية ، ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج : صريح الحقوه ، وإن كان
ملصقا دفعوه . وقدحًا على الميت ، وقدحًا على النكاح ، وثلاثة لم تُفسر لى .

(١) الحممة : واحدة الحمم ، وهى الفحم البارد ، والرماد ، وكل ما احترق من النار .

(٢) بعده في الأصنام : « أما إنها لن تعبد بعد اليوم » .

(٣) في الأصنام ٢٧ : « دفعها » بالدال . ورفعها : نصبها للعبادة .

(٤) ط : « وكان أعظمها هبل عندهم » ، وأثبت ما فى ش والأصنام .

(٥) ط فقط : « لها » ، تحريف .

(٦) وكنا في الأصنام ، وهو جمع قدح بالكسر . وقدح الميسر يجمع على أقدح وقدح
وأقداح ، وجمع الجمع أقدح .

فإذا اختصموا في أمرٍ أو أرادوا سفرًا أو عملاً ، أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه .

وكان لهم « إساف ونائلة » ، لَمَّا مُسَخَا حجرين وُضعا عند الكعبة لِيَتَعَطَّ الناس بهما ، فلما طال مكثهما وعُبدت الأصنامُ عُبدًا معها ، وكان أحدهما يلصق الكعبة والآخر في موضع زمزم ، فنقلت قريش الذي كان يلصق الكعبة إلى الآخر . وكانوا ينحرون وينحون عندهما ، فلما ظهر رسول الله - ﷺ - يوم فتح مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة ، فجعل يطعن بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً ﴾^(١) ، ثم أمر فكفت على وجوهها ، ثم أخرجت من المسجد فحرقت ، فقال في ذلك راشد بن عبد الله السلمي :

قالت لهم إلى الحديث فقلت لا يأتى الإله عليك والإسلام
أو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح حين تُكسر الأصنام
لرأيت نور الله أضحى ساطعاً والشرك يغشى وجهه الإظلام

وكان لهم أيضاً مناف ، وسمت به عبد مناف ، ولا أدري أين كان ولا من نصبه .

ولم تكن الحيض من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسح بها ، إنما كانت تقف ناحية منها . وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به ،

(١) الآية ٨١ من سورة الاسراء .

وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . فلما بعث الله نبيه وأتاهم بتوحيد الله وعبادته قالوا : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ^(١) 〉 ، يعنون الأصنام . واستهترت العرب في عبادتها ، فممنهم من اتخذ بيتًا ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن لم يقلد عليه ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره مما استحسَنَ ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ، وسموها الأنصاب . فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان . وسموا طوافهم التَّوَارَ : فكان الرجل إذا سافر منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها ربا ، وجعل ثلاث أثافي لِقَدْرِهِ ^(٢) ، وإذا ارتحل غيَّره ^(٣) ، فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك ، فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلِّها ويتقربون إليها ، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها ^(٤) . وكانت بنو مُلَيْح من خُزَاعَةَ يعبدون الجنَّ ، وفيهم نزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ^(٥) 〉 .

وكان من تلك الأصنام « ذو الخلصة » ، وتقدَّم شرحه في أوائل الكتاب في الشاهد السابع والعشرين ^(٦) .

وكان للمالك ومِلْكَانَ ابْنَى كِنَانَةَ بساحل جُدَّة صنم يقال له سعد ، وكان صخرة طويلة ، فأقبل رجل منهم يابِل ليقفها عليه يتبرك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نفرت فذهبت في كل وجه ، فتناول حجرا فرماه به وقال :

(١) الآية ٥ من سورة ص .

(٢) ط : « الثلاث أثافي » ، وأثبت ما في ش والأصنام ٣٣ .

(٣) في الأصنام ٣٣ : « وإذا ارتحل تركه » .

(٤) بعده في الأصنام : « يحجونها ويعتبرون إليها » .

(٥) الآية ١٩٤ من الأعراف .

(٦) الخزانة ١ : ١٨٩ - ١٩١ .

لا بارك الله فيك ، إنها ، أنفرت على إيلي ! ثم انصرف وهو يقول :
أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعو لعي ولا رشيد^(١) ٢٤٦

وكان للوس ، ثم لبني مُنهب بن دوس ، صنم يقال له « ذو الكُفَيْن »^(٢) ، فلما أسلموا بعث النبي - ﷺ - الطفيل بن عمرو اللّوسى فحرّقه وهو يقول :

يا ذا الكُفَيْن لست من عبادكا ميلادُنا أكبر من ميلادِكا

* إني حشوت النار في فؤادكا *

وكان لبني الحارث بن يشكر من الأزد صنم يقال له : « ذو الشرى » .
وكان لقضاة ولخم وجُذام وعاملة وغطفان ، صنم في مشارف الشام يقال له « الأقيصر » .

وكان لمزينة صنم يقال له « نُهم » ، وبه سمّت عبد نُهم^(٥) ، وكان سادنه خزاعي بن عبد نُهم من مزينة ، فلما سمع بالنبي - ﷺ - ثار إلى الصنم فكسّره وأنشأ يقول :

(١) في الأصنام ٣٧ : « لا يدعى لعي ولا رشد » ، وما هنا يطابق ما في سيرة ابن هشام ٥٣ جوتجن .

(٢) في القاموس (كفف) : « وذو الكفين : صنم كان للوس » . وعلق عليه في تاج العروس بقوله : « وذو الكفين كزير : صنم للوس بن نصر . ومنه قوله :

* يا ذا الكفين لست من عبادكا *

ونقل السهلي فيه التشديد . وقال : « أنه خفف للضرورة » . وانظر الروض الأنف ١ :

. ٢٣٥

(٣) ط : « عبدتهم » ، صوابه في ش .

ذهبت إلى نُهْم لأذبح عنده عَتِيرَةَ نُسْلِكَ كَالذِي كُنْتُ أَفْعُلُ
فقلت لنفسى حينَ راجعتُ عقلها أهذا إلهُ أبكم ليس يَعْقِلُ
أَيُّتُ فِدِينِي الْيَوْمَ دِينُ مُحَمَّد إله السماء الماجدُ المتفضلُ

ثم لحق بالنبي - ﷺ - فأسلم ، وضمن ^(١) إسلام قومه مزينة .

وكان لأزد السراة صنم يقال له « عائم » بالهمزة .

وكان لعنزة صنمٌ يقال له « سُعِير » ، وتقدم شرحه قريباً ^(٢) .

وكان لخلولان صنمٌ يقال له « عُمَيَانِس » ، يَقْسِمُونَ له من أنعامهم
وَحُرُوثِهِمْ قَسَمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى بِزَعْمِهِمْ ، فما دخل في حقَّ الله من حقِّ
عُمَيَانِس رُدُّوه عليه ، وما دخل في حقِّ الصنم من حقِّ الله الذي سَمَّوه له
تركوه . وفيهم نزل فيما بلغنا : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا ^(٣) ﴾ الآية .

وكان لبنى الحارث كعبةٌ بَنَجْرَانِ يَعْظُمُونَهَا .

وكان أبرهة الأشرم بَنَى بَيْتًا بِصَنْعَاءَ ^(٤) ، سَمَّاهَا « الْقَلِيس » بفتح
القاف وكسر اللام ، وضبطه صاحب القاموس بضم القاف وفتح اللام
المشددة ، بناها بالترخام وجيّد الخشب المذهب ، وكتب إلى ملك الحبشة :
إِنِّي قد بنيت لك كنيسةً لم يبن مثلها أحد ، ولست تاركاً العربَ حتَّى أَصْرِفَ

(١) في الأصنام : « وضمن له » . وفي الإصابة ٢٢٤٤ : « وباعه على مزينة لما .

(٢) في الشاهد ٥٢١ من هذا الجزء .

(٣) الآية ١٣٦ من الأنعام .

(٤) المراد بالبيت الكنيسة . والذي في الأصنام : « بيتا بصنعاء كنيسة سماها القليس » .

حَجَّهم عن الكعبة . فبلغ ذلك بعضَ نساءِ الشَّهْر ، فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يخرجَا حتَّى يتغَوَّطَا فيها . ففعلا ، فلما بلغه ذلك غضب وخرج بالفيْل والحبيشة ، فكان من أمره ما كان .

قال أبو المنذر : المعمول من خشبٍ أو ذهبٍ أو فضة صورة إنسانٍ فهو صنم . وإذا كان من حجارة فهو وثَن .

هذا ملخص ما ذكره من الأصنام ، وبقي عليه « عَوْض » وتقدَّم شرحه قبل هذا بستة شواهد ^(١) . و « اليعبوب » ، وهو صنمٌ لجديلة طى ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد فتبدَّلوا اليعبوب بعده ، قال عبيد :

فَتَبَدَّلُوا الْيَعْبُوبَ بَعْدَ إلهِهِمْ صَنَمًا فَقَرُّوا يَاجْدِيلَ وَأَعْدَبُوا ^(٢)
أَي لَا تَأْكُلُوا عَلَى ذَلِكَ وَلَا تَشْرَبُوا .

و « باجِر » بالموحدة وبالجم ، قال ابن دريد : هو صنمٌ كان للأزد في الجاهلية ومَن جاورهم من طى وقضاة ، كانوا يعبدونه . وهو بفتح الجيم ، وربما قالوا بكسرها .

* * *

وأنشد بعده :

٢٤٧

(لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبُرْدُ بُرْدُهُ)

على أن أَل في (البرد) عوضٌ عن الضمير المضاف إليه ، والتقدير :
« ويردى برده » . وتماه :

(١) في الشاهد ٥٢١ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) يقال قر بالمكان بكسر القاف ويقر بفتحها ، والأولى أعلى .

* ولم يُلهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعٌ *

وهو من شعرٍ في الحماسة ، وتقدّم شرحه في الشاهد الثالث والتسعين
بعد المائتين (١) .

* * *

باب العلم

أُنشد فيه ^(١) :

٥٢٧ (سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلُنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُودُ)

على أَنَّ (سُبْحَانَ) أكثر ما يستعمل مضافاً ، وإذا قطع فقد جاء منوناً في الشعر ، كما في البيت ، فلا يكون سُبْحَانَ علماً معرّفاً بالعلمية ^(٢) بل تعريفه إمّا بالإضافة لفظاً كسُبْحَانَ اللَّهِ ، أو تقديرًا كما في قوله :

* سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاخِرِ ^(٣) *

أى سُبْحَانَ اللَّهِ . وإمّا باللام ، وهو قليل كقوله :

* سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ ^(٤) *

وإذا قطع عن الإضافة في الشعر نَوْنٌ وتُصَبُّ على المفعولية المطلقة كسائر المصادر . فسُبْحَانَ عنده إمّا معرف بالإضافة أو باللام ، وإمّا منكر في الشعر ، ولا علمية .

وقريبٌ منه قول الطَّبَّيِّ ^(٥) (في حاشية الكشف) : لا يستعمل

(١) علق مصحح طبعة بولاق على هذا الشاهد بأن البغدادى لم يضع له رقما. وقال : « فلعله سهو منه » ، وفي الحق أن البغدادى لم يضع له رقما لأنه سبق ترقيمه في الجزء الثالث ص ٣٨٨ ورقمه الأصيل هو ٢٤٣ . وقد سبق أيضا تخريجى لهذا الشاهد في ٣ : ٣٨٨ .

(٢) ط : « معروفا بالعلمية » ، صوابه في ش .

(٣) للأعشى ، كما سبق في ٣ : ٣٩٧ وكما سيأتى .

(٤) انظر الشاهد ٥٢٨ .

(٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطَّبَّيِّ المتوفى سنة ٧٤٣ كما في الدرر الكامنة . ومن حاشيته نسخة بالمكتبة التيمورية باسم « فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب » .

سبحان علماً إلا شاذاً ، وأكثر استعماله مضافاً . فليس بعلم ؛ لأن الأعلام لاتضاف .

وقد رد ابن هشام (فى الجامع الصغير) ، بعين ما رد به الشارح المحقق ، إلا أنه قال : لملازمته للإضافة .

هذا محصله ، وهو مخالف لكلام سيويه فمن بعده . والباعث له على المخالفة ما ذكره . قال س فى باب ماينتصب من المصادر على إضمار الفعل المتروك إظهاره :

زعم أبو الخطاب أن سبحان الله كقولك : براءة الله من السوء ، كأنه يقول : أبرأ براءة الله من السوء ^(١) . وزعم أن مثله قول الأعشى :

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر

أى براءة منه . وأما التنوين فى سبحان فإنما ترك صرفه لأنه صار عندهم معرفة ، وانتصابه كانتصاب الحمد لله . وزعم أن قول الشاعر ^(٢) :

سلامك ربنا فى كل فجر برئنا ما تغنثك الذموم ^(٣)

على قوله برأئتك ^(٤) ربنا من كل سوء . فكل هذا ينتصب انتصاب حمداً وشكراً ، إلا أن هذا ينصرف وذلك لا ينصرف . ونظير سبحان الله فى البناء من المصادر والمجرى ، لا فى المعنى : غفران ، لأن بعض العرب يقول :

(١) انظر سيويه ١ : ٢٣٤ من نسختى .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت كما سيأتى . وانظر ديوانه ٥٤ .

(٣) تغنثك ، أى تغنثك ، بحذف إحدى التاءين ، أى تعلق بك .

(٤) فى سيويه : « براءةك » .

غفرانك لا كُفرانك ، يريد : استغفارًا لا كفرًا . وقد جاء سبحانه منونًا مفردًا في الشعر ، قال الشاعر :

* سبحانه ثم سبحانه نعوذ به *

شبهوه بقولهم : حِجْرًا ، وسَلَامًا . انتهى كلامُ سيبويه .

وقوله : « سبحانه من علقمة الفاخر » قال الأعلم : الشاهد فيه نصب سبحانه على المصدر ، ولزومها النَّصَب من أَجْلِ قَلَّةِ التَّمَكُّن . وحُذِفَ التَّنْوِينُ منها لأنها وضعت عَلَمًا للكلمة ، فجرت في المنع من الصرف مجرى عثمان ونحوه ، ومعناها البراءة والتنزيه .

٢٤٨

وقوله : « سلامك ربنا » إلخ قال الأعلم : الشاهد في نصب سلامك على المصدر الموضوع بدلًا من اللفظ بالفعل ، ومعناه البراءة والتنزيه ، وهو بمنزلة سبحانه في المعنى وقلة التمكن . ونصب بريئا على الحال المؤكدة ، والتقدير : أُبرئكَ بريئًا ^(١) لأنَّ معنى سلامك كمعنى أُبرئكَ ، ومعنى تَعَثَّكَ : تَعَلَّقَ بك ، وهى بالثاء المثناة . والدُّموم : جمع ذَم . أى لاتلحقك صفة ذم .

والبيت لأمية بن أبي الصلت .

وقوله : (سبحانه ثم سبحانه ^(٢)) إلخ قال الأعلم : الشاهد قوله سبحانه ، وتنكيه وتنوينه ضرورة ، والمعروف فيه أنه يضاف إلى ما بعده ، أو يجعل مفردًا معرفة كما تقدّم في بيت الأعشى . ووجه تنكيه وتنوينه

(١) ش : « أُبرأتكَ بريئا » ، وما في ط يطابق ما في الشنتمري ١ : ١٦٤ .

(٢) ط : « سبحانه سبحانه » بإسقاط « ثم » وهى ثابتة في ش .

أن يشبه ببراءة لأنه في معناها . والجُودى والجُمد بضمّتين : جبالان . انتهى .
وقال ابن خلف : قوله : سُبْحَانًا فيه وجهان : يجوز أن يكون نكرة
فصرفه ، ويجوز أن يكون صرفه للضرورة . انتهى .

وهذا من كلام أبى على (فى التذكرة القصريّة) قال : سُبْحَانًا يحتمل
وجهين : أحدهما أن يكون هو الذى كان يضيفه فى سبحانه . ويجوز أن يكون
معرفة فى الأصل ثم نكّر ، كزيد من الزيدى . وجاز أفراد سُبْحَان وإن لم
يستعمل ذلك فى الكلام ، فجاء فى الشُّعر كما استعمل العَلَم ، فى قوله :
* سُبْحَانٌ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاخِر * انتهى .

ويكون تنوينه على الأوّل ضرورة . وإلى الثانى ذهب ابن الشجرى (فى
أماليه) ، قال : سُبْحَانٌ فى قول الأعشى :

* سُبْحَانٌ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاخِرِ *

لم يصرفه لأن فيه الألف والنون زائدين ، وأنه علمٌ للتسبيح . فإن نكّره
صرفته ، كما قال أمية :

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ الْبَيْت . اهـ

وقد تقدم فى الشاهد الرابع والستين بعد الأربعمائة ^(٢) النقل عن تذكرة
أبى على ما يتعلق بتتوين سُبْحَانٌ بأبسط من هذا ، فارجع إليه .

(١) : « زائنان » ، وما أثبت من ش يطابق ما فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٥٠ .

(٢) انظر ما سبق فى ٦ : ٢٨٦ .

وقال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : سبحان علم عندنا واقع على التَّسْبِيح ، وهو مصدر معناه البراءة والتنزيه ، وليس منه فعل وإنَّما هو واقع موقع التَّسْبِيح الذى هو المصدر فى الحقيقة ، جُعل علماً على هذا الموضع ، فهو معرفة لذلك ولا ينصرف ، للتعريف وزيادة الألف والنون . قال الأعشى :

* سبحان من علقمة الفاخر *

فلم ينونه لما ذكرنا من أنَّه لا ينصرف . فإن أضفته قلت سبحان الله ، فيصير معرفة بالإضافة ، وابترز منه تعريف العلمية كما قلنا فى الإضافة ، نحو : زيدكم وعمركم ، يكون بعد سلب العلمية . فأما قوله :

* سبحانه ثم سبحاننا نعوذ به *

ففى تنوين سبحاننا هنا وجهان : أحدهما أن يكون ضرورةً كما يُصرف ما لا ينصرف فى الشعر ، من نحو أحمد وعمر .

والوجه الثانى : أن يكون أراد النكرة . انتهى .

وقد حمل صاحب (الكشف) قول الزمخشري : « سبحان علم للتسبيح » على أنَّه علمٌ مطلقاً سواء أُضيف أو لم يضيف . وكذا قال الفنارى (فى حاشية ديباجة المطول) : إنَّه علمٌ ، أُضيف أو لم يضيف ، وهو غير منصرف للألف والنون مع العلمية .

وهذه طريقة ابن مالك ، وتبعه الشارح المحقق ، وهى أنَّ العلم يجوز أن يضاف مع بقائه على علميته من غير قصد تنكير . ولا يرد بهذا على الشارح المحقق هنا كما زعمه بعض مشايخنا ، لأنَّه قد نقل أنَّه يعرف باللام تارة وينكر تارة .

وأما قوله : إنه ممنوعٌ من الصرف مع الإضافة أيضًا ، فلعله مفرّع على القول بأنه إذا لم تُزل إحدى العلتين فهو غير منصرف وإن كان مضافاً . ٢٤٩

وهذه عبارة صاحب الكشف : قوله « سبحان علم للتسيح » ، الظاهر من إطلاقه ههنا وفي المفصل أنه علم للتسيح ، أى التنزيه البليغ لا التسيح بمعنى قول سبحان الله مطلقاً ، مضافاً كان أم لا ، خلاف مانص عليه الشيخ ابن الحاجب أن ذلك في غير حال الإضافة . والوجه ما ذهب إليه العلامة ، لأنه إذا ثبتت العلة بدليها فالإضافة لاتنافيها ، وليست من باب زيد المعارك لتكون شاذة ، بل من باب حاتم طيء وعنترة عبس ، ولهذا لم يضاف إلا إلى اسم من أسمائه تعالى . ولو لم يحمل على ما ذكرت لم يكن لقوله سبحان علم للتسيح في هذا الموضع معنى . وأما دلالته على التنزيه البليغ فمن الاشتقاق ، أعنى من التسيح ، وهو الإبعاد في الأرض . ثم ما يعطيه نقله إلى التفعيل ، ثم العلول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة ، لا سيما وهو علم يشار به إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ، وما فيه من قيامه مقام المصدر مع الفعل . ولهذا لم يجز استعماله إلا فيه تعالت أسماؤه ^(١) وعظم كبريائه . وكأنه قيل : ما أبعد الذى له هذه القدرة عن جميع النقائص ، فلا يكون اصطفاؤه لعبده الخسيس به إلا حكمةً وصواباً . فالتنزيه لا ينافى التعجب كما توهم واعتراض وجعله مُداراً . والتعجب ههنا هو الوجه ، بخلافه في قوله : ﴿ سبحانك هذا بهتانٌ عظيم ^(٢) ﴾ . فافهم . انتهى .

وقد تضمن كلامه جواب من استشكل العلمية بأمرين :

(١) ط : « تعال أسماؤه » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

(٢) الآية ١٦ من سورة النور .

أحدهما : أنَّ مدلول التسييح لفظ ، لأنَّه مصدرٌ سَبَّحَ إذا قال سبحان الله ، ومدلول سبحانه التنزيه لا اللفظ ، فلا يصلح جعل سبحان الذى مدلوله معنًى على ما مدلوله لفظ .

وثانيهما : ما ذكره البهلوان (فى حاشية الكشاف) من أنَّه قد تقرر أنَّ العلم لا تجوز إضافته إلَّا بعد تنكيه ، وطريق تنكير العلم أن يؤوَّل بواحد من الأُمَّة المسماة به . وعلم الجنس مسمَّاهُ شَيْءٌ واحد لا متعدّد ، فلا يصلح تنكيه .

وقول صاحب الكشف : وليست من باب زيد المearك ، أى من إضافة العلم إلى ماهو متَّصف به معنًى ، قصَّد به ردُّ كلام الطيِّبى .

وأشار أبو السعود (فى تفسيره) لردِّهما بقوله : وحيث كان المسمًى معنًى لاعينا ، وجنسًا لا شخصا ، لم تكن إضافته من قبيل ما فى زيد المearك أو حاتم طي . وإثما فعل هذا لأنَّ نحو زيد المearك لا يكون إلَّا فى علم الشخص دون علم الجنس .

قال صاحب اللباب : طريق تنكير العلم أن يُتأوَّل بواحدٍ من الأُمَّة المسماة به ، نحو هذا زيد ورأيت زيدا آخر . أو يكون صاحبه قد اشتهر بمعنًى من المعانى فيجعل بمنزلة الجنس الدالُّ على ذلك المعنى ، نحو قولهم : لكلِّ فرعونٍ موسى .

قال شارحه : قوله وطريق تنكير العلم ، أى من أعلام الأشخاص لا من أعلام الأجناس ، فإنَّه لا ينكَّر بالطريق الأوَّل ، لأنَّ من شرطه أن يوجد الاشتراك فى التسمية ، والمسمًى بعلم الجنس واحد لا تعدّد فيه ، اللهم إلَّا أن يوجد اسمٌ مشترك أُطلق بحسب الاشتراك على نوعين مختلفين ثم وَرَدَ

الاستعمال فيه مرادًا به واحد من المسمَّى به .

وأما بالطريق الثاني فلا شبهة في إمكان تنكيرها ، مثل أن يقال :
فَرَسْتُ كُلَّ أُسَامِيَةٍ ، أى بالغ في الشجاعة .

وقوله : « وزيدًا آخر » تأويله المسمَّى بزید ، وحينئذ يصير اسم جنسي متواطئًا يدخل فيه كل من سمي به .

وقوله : لكل فرعون موسى ، أى لكل ظالم مُبْطِلٍ عادلٍ محقٍّ . ويجوز أن ٢٥٠
يبقى العلم في هذا على حاله ، ويكون المضاف محذوفًا ، أى لِمِثْلِ كُلِّ فرعونٍ
مِثْلُ موسى . وليس المراد هنا مسمَّى بموسى ، ولا مسمَّى بفرعون . انتهى .
ويمكن تصوير تنكير العلم الجنسي بطريق آخر ، وهو أن يجردَ عن
ملاحظة التعيين ، ويُراد به مطلقُ الماهية في ضمن أى فردٍ من أفرادهِ .
والحاصل أن القول بالعلمية مطلقًا أضيف أو لم يُضَفْ صعب .

ولله درُّ الشارح المحقق ، تفصَّى عن الأمورِ بسلوكه طريقةً وسطى
لا يردُّ عليها ما ذكر ، وإن كانت مخالفةً للجمهور .

بقى بحثٌ في عامل سبحان ، هل يجوز أن يقدر فعلٌ أمرٌ ؟ فيه نزاعٌ .
ذكر السيّد (في شرح المفتاح) في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ
مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) أن قوله وسبحان
بتقدير الأمر ، تنزيهاً له تعالى في مقام المكاملة عن المكان والجهد ، أى وسبحه
تسبيحاً . انتهى .

(١) الآية ٨ من سورة النمل .

وقال القاضى ، فى ﴿ فسُبِّحَانَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ ^(١) : إخباراً فى معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الأوقات .

وقال بعض من كتب عليه : لم يجعله أمراً ابتداءً ، لأنَّ سبحان الله على ما بيّن فى النحو لزماً طريقة واحدة ، لا ينصبه فعلٌ أمر

وجوّز الأمرين أبو شامة فى : ﴿ سبحان الذى أسرى ﴾ ^(٢) ، قال : إن فعله المحذوف إمّا فعل أمر أو خبر ، أى سَبَّحُوا أو سُبِّحَ الذى أسرى بعبدته ، على أن يكون ابتداءً ثناءً من الله على نفسه ، كقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لورقة بن نوفل الصحابى ، قالها لكفار مكة حين رآهم يُعَذِّبُونَ بلالاً على إسلامه ، تقدّم شرحها مع ترجمته فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائتين ^(٣) . وقبله :

سُبِّحَانَ ذَى الْعَرْشِ لَا شَيْءَ يَعَادِلُهُ رَبُّ الْبَرِّيَّةِ فَرَدَّ وَاحِدٌ صَمَدٌ

وقوله : (نَعُوذُ بِهِ) يريد كلاًّ رأينا أحداً يعبدُ غير الله عُدْنَا بعظمته وسَبَّخْنَا حتّى يعصمنا من الضلال . وروى الرّياشى : (نعوذُ له) بالبدال المهملة وباللام ، أى نعاوده مرّة بعد مرّة .

و (الجودى) : جبل بالموصل ، وقيل بالجزيرة . و (الجُمْد) بضم الجيم والميم : جبلٌ أيضاً بين مكة والبصرة . ومفعول سَبَّحَ محذوف ، أى سَبَّحَهُ الجودى .

(١) الآية ١٧ من سورة الروم .

(٢) الآية الأولى من الاسراء .

(٣) الخزاعة ٣ : ٣٨٨ - ٣٩٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٢٨ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ)

على أن (سبحان) جاء معرّفاً باللام فلا يكون علماً ، فلا يأتي فيه ما زعمه بعضهم من أنه علّم ولو أضيف . وذا بمعنى صاحب منصوب لأنه تابع للهم ^(٢) على المحل .

وهذا الرجز أنشده ابن مالك (في شرح الكافية) ، قال في نظمها :

سُبْحَانِ فِي غَيْرِ اخْتِيَارٍ أَفْرِدَا مُلَابِسَ التَّنْوِينِ أَوْ مَجْرَدَا
وَشَذُّ قَوْلٍ رَاجِزٍ رَبَّانِي سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ ^(٣)

وقال في الشرح : من الملتزم الإضافة سبحان ، وهو اسم بمعنى التسييح وليس بعلم ، لأنه لو كان علماً لم يضاف إلى اسم واحد كسائر الأعلام . وأخلّى من الإضافة لفظاً للضرورة ، منونا وغير منون . فالتنوين كقول الشاعر :

سبحانه ثم سبحانا نعوذُ به

وغير المنون كقول الآخر :

* سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاخِرِ *

وزعم الزمخشري وأبو علي أن الشاعر ترك تنوين سبحان لأنه علّم على التسييح ، فلا ينصرف للعلمية وزيادة الألف والنون .

(١) أمالي ابن الشجري ١ : ٣٤٨ والجمع ١ : ١١٩٠ ويس ١ : ١٢٥ .

(٢) في السختين : « تابع لا اللهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الكافية الشافية لابن مالك ص ٥٢ .

وليس الأمر كما زعما ، بل ترك التنوين لأنه مضاف إلى محنوف مقدر الثبوت ، كما قال الراجز :

* خالط من سلمى خياشيم وفا ^(١) *

أراد : وفاها . وشذ دخول الألف واللام على سبحان والإضافة إليه ، فيما أنشده ابن الشجري ، من قول الراجز :

* سبحانك اللهم ذا السبحان *

انتهى .

وأورده أبو حيان أيضا (في الارتشاف) كما يأتي بعد هذا ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(سبحان من علقمة الفاخر)

على أنهم استدلوا به على علمية (سبحان) بمنعه من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون كعثمان . وردّه الشارح المحقق بأنه من قبيل المضاف ، أى سبحان الله ، حذف المضاف إليه وأبقى المضاف على حاله من التجرد عن التنوين .

والشارح المحقق مسبوق بهذا الرد ، نقله أبو حيان (في الارتشاف) قال فيه : معنى سبحان الله براءة من السوء . ويستعمل مفردا منونا وغير منون . فإذا قلت سبحان فهو ممنوع من الصرف عند سيوبه للعلمية وزيادة

(١) للعجاج ، كما سبق في ٣ : ٤٤٢ .

(٢) هو الشاهد ٢٣٥ في الخزانة ٣ : ٣٩٧ .

الألف والنون . وقيل : هو مضاف في التقدير ، ترك على هيئته حين كان مضافاً في اللفظ . وهو اسم وضع موضع المصدر الذى هو التسييح ، وأصله الإضافة ثم استعمل مقطوعاً عنها منوناً في الشعر وغير منون . وقيل وضع نكرة جارية مجرى المصادر ، فعرف بالإضافة وبأل . قال :

* سبحانك اللهم ذا السبحان * انتهى

ومن حكى ماردّه الشارح ، ابن الحاجب (فى شرح المفصل) قال :
والذى يدل عليه أنه علم قول الشاعر :

قد قلت لما جاءنى فخزه سبحان من علقمة الفاخر

ولولا أنه علم لوجب صرفه ، لأن الألف والنون فى غير الصفات إنما تمنع مع العلمية ، ولا يستعمل سبحان علماً إلا شاذاً . وأكثر استعماله مضافاً . وإذا كان مضافاً فليس بعلم ، لأن الأعلام لا تضاف وهى أعلام ، لأنها معرفة ، والمعرفة لا تضاف . وقيل : إن سبحان فى البيت حذف المضاف إليه وهو مراد للعلم به . انتهى .

وزعم الراغب أن سبحان فى هذا البيت مضاف إلى « علقمة » ومن زائدة .

وهو ضعيف لغة وصناعة .

أما الأول فلأن العرب لا تستعمله مضافاً إلا إلى الله ، أو إلى ضميره ، أو إلى الرب ، ولم يسمع إضافته إلى غيره .

وأما صناعة فلأن من لا تزاد فى الواجب عند البصريين .

و (سبحان) هنا للتعجب ، ومن داخلة على المتعجب منه . والأصل

فيه أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجبٍ منه .

وصاحب الصحاح ، وتبعه صاحب العباب ، نظرا إلى ظاهره فقال :
العرب تقول سبحان من كذا ، إذا تعجبت منه . قال الأعشى يذكر علقمة
ابن عُلَالة :

أقول لَمَّا جاءني فخرُهُ سبحانَ من علقمة الفاجرِ

يقول : العجب منه إذ يفخر . وإنما لم يتون لأنه معرفة عندهم ، وفيه
شبه التأنيث . انتهى .

ولا يخفى ضعفه . ووجود الزيادة تغنى عن شبه التأنيث .

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، هجا بها علقمة بن عُلَالة
الصحاني ، وفضل علو الله عامر بن الطفيل عليه .

صاحب الشاهد

٢٥٢

وقد تقدم شرحها وسببها في الشاهد الخامس والثلاثين بعد
المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سلمى خياشيم وفا)

على أن أصله وفاها ، حذف المضاف إليه وبقي المضاف على حاله .
وتقدم شرحه في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين (٢) .

* * *

(١) الخزاعة ٣ : ٣٩٧ - ٤٠٣ .

(٢) الخزاعة ٣ : ٤٤٢ .

وأنشد بعده :

ولأنت أجزاً من أسامة إذ دُعيت نزالٍ ولُجَّ في الدُعرِ
تقدّم شرحه في الشاهد السابع والستين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(كأنَّ فَعْلَةً لم تَمَلَّأْ مواكِبُها ديارَ بكرٍ ولم تَخْلَعْ ولم تَهَبِ)
وقد تقدّم شرح هذا أيضاً في الشاهد السادس والثمانين بعد
الأربعمائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدٍ مُباركاً شديداً بأحناءِ الخلافةِ كاهله)
وتقدّم شرحه أيضاً في الشاهد التاسع عشر بعد المائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(علا زِيدُنا يومَ الثَّقا رأسَ زِيدِكم بأبيضَ ماضى الشُّفرتينِ يَمَانِي)
وهذا أيضاً تقدّم شرحه في الشاهد الثامن عشر بعد المائة (٤) .

* * *

(١) الخزائن ٦ : ٣١٦ - ٣٢٧ .

(٢) الخزائن ٦ : ٤٤٧ - ٤٦٥ .

(٣) الخزائن ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٤) انظر ما سبق في ١ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الخمسمائة (١) :

٥٢٩ (سَكَنُوا شُبَيْثًا وَالْأَحْصَى وَأَصْبَحَتْ

نَزَلَتْ مَنَازِلُهُمْ بَنُو ذُبْيَانٍ
وَإِذَا فَلَانٌ مَاتَ عَنْ أَكْرَوْمَةٍ
رَقَعُوا مَعَاوَزَ فَقْدِهِ بِفُلَانٍ)

على أنَّ (فلانا) يجوز أن يأتي في غير الحكاية ، خلافاً للمصنّف وابن السّراج ، كما في البيت الثاني ؛ فإنَّ فلاناً الأوّل وقع فاعلاً لفعل يفسّره ما بعده ، وفلاناً الثاني جُرّ بالباء ، وهما وقعاً في غير حكاية .

والمصنّف ذهب إلى هذا (في شرح المفصّل) قال في آخر شرح العلم : ولم يثبت استعمال فلانٍ إلّا حكاية ، لأنّه اسمُ اللفظ الذي هو علم ، لا اسمٌ مدلول العلم ، فلذلك لا يقال جاءني فلان ، ولكن يقال قال زيد جاءني فلان . قال الله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢) ، فهو إذن اسمُ الاسم . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيتان للمرار الفقعسي ، قد سقط من بينهما بيت .

روى القالي (في أماليه) عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمّه الأصمعيّ قال : بينا أنا بجمي ضربة إذ وقف عليّ غلامٌ من بني أسد في أطمار ، ما ظننته يجمع بين كلمتين ، فقلت : ما اسمك ؟ فقال : حُرَيْقِص . فقلت : أمّا كفى أهلك أن سموك حُرْقوصاً حتّى حَقَرُوا اسمك ؟ فقال : إنَّ السَّقَطَ يُحْرِقُ الحَرْجَةَ ! فعجبت من جوابه ، واتّصل الكلامُ بيننا فقلت : أنشدنا شيئاً من أشعار قومك . قال : نعم ، أنشدك لمّارنا ؟ قلت : افعل . فقال :

٢٥٣

(١) أمال القالي ١ : ٦٦ ومعجم البلدان (شيبث) .

(٢) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة الفرقان .

سكنوا شَيْبًا والأحصَّ وأصبحت نزلت منازلهم بنو ذبيان
 وإذا يقال أتيتم لم يبرحوا حتى تقيم الحرب سوق طعان^(١)
 وإذا فلان مات عن أكرومة رقعوا معاوز فقلده بفلان^(٢) (

قال : فكادت الأرض أن تسوخ لي لحسن إنشاده وجودة الشعر .
 فانشدت الرشيد هذه الأبيات فقال : وددت يا أصمعي أن لو رأيت هذا
 الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب : انتهى .

وحسبى ضريّة ، بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء المهملة وتشديد المثناة
 التحتيّة : تُسبب هذا الحمى إلى ضريّة بنت ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ،
 وهو أكبر الأحماء من ضريّة إلى المدينة ، وهى أرض كثيرة العشب . وأول من
 حماه فى الإسلام عمر بن الخطاب لإبل الصدقة وظهر الغزاة ، وكان حماه ستة
 أميال من كل ناحية من نواحي ضريّة ، وضريّة فى أوسط الحمى .

والحرقوص بالقاف وبالمهملات ، كعصفور : دويبة كالبغروث ، ربّما
 نبت له جناحان فطار .

والسقط قال القالى : هو ما يسقط من الزند إذا قدح . وقال
 أبو عبيدة : فى سقط النار وسقط الولد ثلاث لغات^(٣) : الضم والفتح
 والكسر . وزناد العرب من خشب ، وأكثر ما يكون من المرخ والغفار ،
 ولذلك قال الأعشى .

(١) فى الأمال : « حتى تقيم الخيل » .

(٢) فى الأمال : « معاوز فقره » .

(٣) ط : « ثلاثة لغات » ، صوابه فى ش وأمالى القالى .

زنادك خيرُ زناد المُلُو كِ صادفَ منهم مَرَحٌ عَفَارًا
وإنَّما يؤخذُ عودٌ قدرَ شبرٍ فيحدُّ طرفه ، فيجعلُ ذلكَ المَحدُّ في ذلكَ
الثَّقبِ وقد وُضِعَ بينَ رجليه ، فيديره ويفتله فيورى نارًا . فالأعلى زند والأسفل
زندة .

والخرجة بفتح الحاء والراء المهملتين بعدهما جيم ، قال القالى : هو
الشجر الملتف ، وجمعه حراج . قال العجاج :
عَيْنَ حَيًّا كَالْحِرَاجِ نَعْمُهُ يَكُونُ أَقْصَى شَلِّهِ مُخْرَجُهُ

يقول : عاين هذا الجيش الذى أتانا حيا . ويعنى بالحى قومه بنى
سعد . والثَّعم : الإبل . وأقصى : أبعد . وشله : طرده . ومُخْرَجُهُ : مبركه
حيث يجتمع بعضه إلى بعض . والمعنى أن الناس إذا فوجئوا بالغارة وطردوا
إبلهم وقاموا هم يقاتلون ، فإن انهزموا كانوا قد نَجَّوا بها . يقول : فهؤلاء من
عَزَّهم ومنعتهم لا يطردها ، ولكن يكون أقصى طردهم أن ينيخوها فى مبركها
ثم يقاتلوا عنها . انتهى .

وقوله : (سكنوا شَيْبًا) هو بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة وآخره
ثاءً مثلثة : اسم ماء لبني تغلب . قال الجعدي وذكر كليبا لما طعنه
جسَّاس :

فقال لجسَّاس أغثنى بشربة من الماء وامتنها على وأنعم
فقال : تجاوزت الأحصَّ وماءه وبطنَ شَيْبٍ وهو ذو مترسِّم
[مترسِّم ^(١)] أى موضع الماء لمن طلبه ^(٢) . وقال عمرو بن الأهتم :
فقال لجسَّاس أغثنى بشربة وإلا فنيء من لقيت مكانى

(١) التكملة من ش .

(٢) ظ : « لما طلبه » ، صوابه فى ش .

فقال : تجاوزت الأحصَّ وماءه ووطنَ شُبَيْث وهو غير دِفانٍ
 كذا في المعجم للبكري . قال السُّكْرَى : يقال ماء دَفَن ومِياة دِفان ،
 أى مندفة قد درس مواضعها . والأحصَّ بمهملتين قال البكري (في
 معجمه) : هو على وزن أَفْعَل ، وإِدْ لبنى تغلب ، كانت فيه بعضُ وقائهم
 مع إخوتهم بكر . قال مهلهل :
 وادى الأحصَّ لقد سَقَاكَ من العِدَى فيضَ الدُّموع بأهله الدُّعسُ
 والدَّعس من منازل بكر . وقال جرير :
 سادت همومى بالأحصَّ وِسَادى هِيَاهُ من بلد الأحصَّ بِلَادى
 وبالأحصَّ قَتَلَ جَسَّاسُ بن مرة ، كُلَيْبَ بن ربيعة . انتهى .
 وقوله : « تجاوزت الأحصَّ وشُبَيْثًا » ، صار مثلاً يضرب لطالب الشئ
 بعد فوته ، أورده الزمخشري (في أمثاله) قال : هما ماءَان . وأصله أَنَّ جَسَّاسَ
 ابن مُرَّة لما ركب ليلحق كُلَيْبًا أُرْدَفَ خلفه عمرو بن الحارث بن ذهل بن
 شيبان ، فلما طعنه وبه رمق قال له :
 أَغْنَيْنى يَا جَسَّاسُ منك بشِريَّة تَعُوذُها فضلاً علىَّ وأنعم ^(١)
 فقال له جَسَّاسُ : تجاوزت الأحصَّ وشُبَيْثًا . أراد : إنك تباعدت عن
 موضع سُقْيَاكَ ! ثم نزل عمرو فحسب أنَّه يسقيه ، فلما علم أنَّ نزوله
 للإجهاز عليه قال :
 المستجير بعمرو عند كُربتِه كالمستجير من الرَّمضاء بالنار . اهـ

(١) ش : « عليك » تحريف . وفي معجم البلدان (الأحص) :

« تفضل بها طولا على وأنعم » .

وفي جمهرة المسكرى ١ : ٢٧٩ :

« تمن بها فضلا على وأنعم » .

و (أَصْبَحَتْ نَزَلَتْ) إلخ بنو ذبيان اسم أصبحت ، وجملة نزلت خبرها ، وتقدم من الشارح أنه يجوز وقوع الماضي خبراً للأفعال الناقصة .

وقوله : (وإذا يقال أُنْتِم) إلخ هذا البيت هو الذى أعجب الأصمعى والرشيد ، لدلالته على كمال الشجاعة . وأُنْتِم بالبناء للمفعول يستعمل فى المكروه ، أى دُهِيتُم بمعنى العلو . وَبَرِحَ الشَّيْءُ ، من باب تعب ، بَرَّاحاً : زال من مكانه . وروى « الخيل » بدل الحرب . والطَّعان : المطاعنة بالرمح .

وقوله : (عن أكرومة) عن متعلقة بحال محذوفة ، أى منصرفاً عن أكرومة بضم الهمزة ، أى عن ذكر جميل وَمَنْقُيَّة كريمة . والأكرومة من الكرم ، كالأعجوبة من العَجَب . وقوله : (رَقَعُوا مَعَاوِزَ) إلخ رَقَعُوا بالقاف ، من رَقَعَت الثوب رَقْعاً من باب نفع ، إذا جعلت مكان القطع خِرْقَةً ، واسمها رُقْعَةٌ ، و (المعاوز) قال القالى : هى الثياب الخُلُقَان . وفى الصحاح : المِعْوِزَةُ والمِعْوِز بكسر أولهما : الثوب الخلق الذى يبتذل ^(١) ، والجمع معاوز . و (الفقد) : مصذر فقدته فقداً من باب ضرب ، إذا عَدِمْتَهُ . يقول : إذا مات منهم سيّد أقاموا موضعه سيّداً آخر .

والمرار الفقعىّ الأسديّ هو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، بفتح الميم وتشديد الراء الأولى . وينسب تارة إلى فقعىس وهو أحد آبائه

المرار للفقعى

(١) ط : « الثوب الخلق أى يبتذل » ، صوابه من ش والصحاح (عوز) .

الأقرين ، وتارة إلى أسد بن خزيمه بن مدركة، وهو جدّه الأعلى . وتقدمت ترجمته في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) .

والموجود في نسخ الشرح : « المزار العنسي » ، وهو تحريف وتصحيف من الفقعي ، إذ ليس من الشعراء المزار العنسي ، وكأنه حرّف بالنظر إلى قوله نزلت منازلهم بنو ذبيان ، فإنّ عبساً وذبيان أخوان أبوا قبيلتين ، وهما ابنا بعض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويدلّ ٢٥٥ أيضاً لما قلنا حكاية الأصمعي إذ وقف على غلام من بني أسد ، وفيها « أنشدك لمزارنا » . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الخمسمائة :
 ٥٣٠ (أخذتُ بعين المال حتى نهكتُهُ وبالدين حتى ما أكاد أدانُ
 وحتى سألْتُ القرضَ عند ذوي الغنى ورَدَ فلانٌ حاجتي وفلانُ)
 لما تقدّم قبله ، فإن (فلاناً) فاعل ردّ ، وهو في غير حكاية .

روى أبو الفرج الاصبهاني (في الأغاني (٢)) بسنده قال :
 مرّ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بمَعْن بن أوس المزني وقد كُفّ بصره ، فقال له : يامعن كيف حالك ؟ فقال : ضعف بصرى وكثر عيالي ، وغلبني الدين . قال : وم ديتك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فبعث بها

(١) الخزائن ٤ : ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٢) الأغاني ١٠ : ١٥٧ .

إليه ، ثم مرَّ به من الغد فقال : كيف أصبحت يامعن ؟ قال :

أُخِذْتُ بعينِ المالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ البيتَيْنِ

قال له عُبيد الله : الله المستعان ، إنا بعثنا إليك لقمةً فما لُكِّها حَتَّى
انْتَزَعْتَ من يديك ، فَأَيُّ شَيْءٍ لِلأهلِ والقِربةِ والجيرانِ ، وبعث إليه بعشرة
آلاف درهمٍ أُخرى ، فقال معنٌ يمدحه :

إِنَّكَ فرَعٌ من قريشٍ وإِنَّمَا يَمِجُّ التَّدْيِ منها البحورُ الفوارِغُ
ثَوًّا قَادَةً للناسِ بطحاءِ مكة لَهُمْ وسقاياتُ الحجيجِ الدوافِعُ
فلما دُعُوا للموتِ لم تَبِكْ منهم على حادثِ الدهرِ العيونُ الدوامُ

قوله : (أُخِذْتُ بعينِ المالِ) إلخ يقال أخذ الخنظام وأخذ به ، على
زيادة الباءِ ، أو أُخِذْتُ مضمَّن معنى تصرَّفت . وعين المال هنا : نَقْدُهُ ، فَإِنَّ
العَيْنَ له معانٍ منها النقد . وَحَتَّى هنا بمعنى الغاية . و (نَهَكْتُهُ) : أَتْلَفْتُهُ
وَمَزَقْتُهُ ، وهو من نَهَكْتُهُ الحُمَى ، إِذَا جَهَدْتَهُ وَأَضْنَيْتَهُ وَنَقَصْتِ لَحْمَهُ ، جاء من
باب نفع ومن باب فرح ، أو من باب نهكت الثوب من باب نفع : لَبِسْتُهُ
حَتَّى خَلَقْتُ . يقول : تَصَرَّفْتُ بالمالِ النقدِ وأسرفت فيه إلى أن فَنِيَّ .

قوله : (وبِالَّذِينَ) معطوف على قوله بعينِ المالِ ، أَى وَأَخِذْتُ الدينَ
من هنا ومن هنا حَتَّى ما بَقِيَ من يُقْرَضُنِي . و (أَكَادَ) بفتح الهمزة بمعنى
أَقْرَبُ . قال في المصباح : كَادَ يفعل كذا يكاد ، من باب تعب : قَارَبَ

الفعل . قال ابنُ الأنباريّ : قال اللغويون : كدتُ أفعلُ معناه عند العرب قاربتُ الفعل ولم أفعل ، وما كدتُ أفعلُ معناه فعلتُ بعد إبطاء . قال الأزهرى : وهو كذلك ، وشاهده قوله تعالى : ﴿ وما كادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) . وقد يكون ما كدتُ أفعلُ بمعنى ما قاربت . انتهى .

وهذا الأخير هو المراد هنا .

و (أدان) : مجهول دِنْتَه بمعنى أقرضته ، قال صاحب المصباح ^(٢) : قال جماعة : يُستعمل دان لازماً ومتعدياً ، فيقال دِنْتَه إذا أقرضته فهو مدين ومديون ، واسم الفاعل دائن فيكون الدائن من يأخذ الدَّين على كونه لازماً ، ومن يعطيه على كونه متعدياً . وقال ابن القطّاع : دِنْتَه أقرضته ، ودِنْتَه استقرضت منه . وقال ابن قتيبة : لا يستعمل دانٌ إلّا لازماً فيمن يأخذ الدين . وقال ابن السكيت أيضاً : دان الرجلُ إذا استقرض ، فهو دائن . وكذلك قال ثعلب ، ونقله الأزهرى أيضاً . وعلى هذا فلا يقال منه مدين ولا مديون ، لأنَّ اسم المفعول إنَّما يكون من فعل متعدٍّ ، وهذا الفعل لازم ، فإذا أردتُ التَّعدى قلتُ أدنْتَه ودائنته . قاله أبو زيد ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وثعلب . انتهى .

وقوله : (وحتى سألتُ القرضَ) إلخ سألتُ هنا بمعنى طلبت ، والقرض بفتح القاف وكسرهما ، وهو ما تعطيه غيرك من المال تُتَقَضَّاه . والفرق بينه وبين

(١) الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٢) كتب مصحح طبعه بولاق : « قوله قال صاحب المصباح ، إلخ قد تصرف في عبارته بتقديم وتأخير وبعض حذف ، كما يظهر بالوقوف عليه » .

الَّذِينَ أَنَّ الدِّينَ أَعْمُ مِنْهُ ، يكون ثمن مبيع وغيره ، والقرض خاصٌّ بالنَّقد من غير ربح .

وقوله : (وردَّ فلان) إلخ معطوف على سألت ، قال أبو هلال العسكري (في كتاب الفروق في اللغة) : الفرق بين الفقر والحاجة أَنَّ الحاجة هي القصور عن المبلغ المطلوب ، ولهذا يقال : الثوب يحتاج إلى خرقه ، وفلان يحتاج إلى عقل ، وذلك إذا كان قاصراً غير تامٍّ . والفقر خلاف الغنى . فأما قولهم مفتقر إلى عقل فهو استعارة ، ومحتاج إلى عقل حقيقة . والفرق بين النقص والحاجة : أَنَّ النقص سبب الحاجة ، والمحتاج يحتاج لنقصه ، والنقص أعمُّ من الحاجة ، لأنَّه يستعمل فيما يحتاج وفيما لا يحتاج .

وقوله : « فما لُكِنَها » من لأك اللقمة يلوکها لوکًا ، إذا مَضَعَهَا .

وقوله : « إِنَّكَ فرع من قريش » إلخ هو مخروم ، ويروى : « وإنك » بالواو فلا خرم . والفرع مستعار من فروع الشجرة ، وهي أغصانها . وفي الصحاح : هو فرعُ قومِه للشَّريف منهم . وَمَجَّ الماء من فيه : رمى به . والنَّدَى : أصل المطر ، ويطلق لمعانٍ ، يقال أصابه نَدَى مِن طُلٍّ ومن عَرَقٍ ، وندى الخير وندى الشر ، وندى الصوت . والندى : ما أَصَابَ من بلل . وبعضهم يقول : ما سقط آخر الليل نَدَى ، وأما الذى يسقط أوله فهو السَّدَى بالقصر أيضًا . وضمير منها لقريش . وشبَّه أجوادهم وكرمَاءهم بالبحور . والفوارع : جمع فارع ، وهو العالى .

وقوله : « تَوَوُّوا قَادَةَ لِلنَّاسِ » إلخ ثوى هنا متعدِّدٌ بمعنى سكنوا ونزلوا . قال صاحب المصباح : ثوى بالمكان وفيه ، أى أقام ، وربما تعدَّى بنفسه . وقادة : جمع قائد ، من قاد الأمير الجيش والناسَ قيادةً . وبطحاء مكة مفعول ثووا ، ولهم خبر مقدم ، واللواحق مبتدأ مؤخر : جمع دافع ، يقال شاةٌ أو ناقةٌ دافَعٌ ودافعةٌ ومِدْفَاعٌ ، وهى التى تدفع اللبأ فى ضرعها قُبيل التَّناج . وفى بمعنى مع . والسَّقاية بالكسر : الموضع يُتخذ لسقى الناس . والحَجيج : جمع حَاجٍ .

وقوله : « فَلَمَّا دُعُوا لِّلْمَوْتِ » بالبناء للمفعول . يصفهم بالشجاعة ، يقول : إن طلبوا للحرب لم تدمع لهم عينٌ خوفاً من القتل .

وعبيد الله بن العباس هو ابن عمِّ رسول الله - ﷺ وهو أخو عبد الله بن العباس خَبَرِ هذه الأُمَّة . قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) (١) : ابن العباس أجداد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد : عبيد الله بن العباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص .

فمن جود عبيد الله بن العباس أنه أوَّل من فَطَرَ جيرانه ، وأوَّل من وُضِعَ الموائد على الطُّرُق ، وأوَّل من حَيَّا (٢) على طعامه ، وأوَّل من أَنهيه . وفيه يقول شاعر المدينة :

وَفِي السَّنَةِ الشَّهْبَاءِ أَطْعَمَتْ حَامِضًا	وَحُلُّوْا ، وَلَحْمًا تَامِكًا وَمَمْرَعًا
وَأَنْتَ رِيْعٌ لِّلْيَتَامَى وَعِصْمَةٌ	إِذَا الْمَحُلُّ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ تَطَلَّعًا
أَبُوكَ أَبُو الْفَضْلِ الَّذِي كَانَ رَحْمَةً	وَعَيْشًا وَنُورًا لِلْخَلَائِقِ أَجْمَعًا

(١) العقد ١ : ٣٣٩ - ٣٤٣ .

(٢) ط : من حى ، صوابه فى ش والعقد .

ومن جوده : أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسَ ، إِنَّ لِي عِنْدَكَ يَدًا وَقَدْ احْتَجَجْتُ إِلَيْهَا . فَصَعَّدَ فِيهِ بَصْرَهُ وَصَوَّبَهُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا يَدُكَ عِنْدُنَا ؟ قَالَ : رَأَيْتُكَ وَأَقْفًا بِزَمْزِمَ وَغَلَامُكَ يَمْتَحِنُ لَكَ مِنْ مَائِهَا ، وَالشَّمْسُ قَدْ صَهَرَتْكَ ، فَظَلَّلْتُكَ بِطَرْفِ كِسَائِي حَتَّى شَرِبْتَ . قَالَ : إِنِّي لَأَذْكُرُ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ خَاطِرِي وَفِكْرِي . ثُمَّ قَالَ لَقِيْمُهُ : مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَائَتَا دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . قَالَ : ادْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَمَا أَرَاهَا تَفِي بِحَقِّ يَدِهِ عِنْدُنَا . قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدٌ غَيْرُكَ لَكَانَ فِيهِ مَا كَفَاهُ ، فَكَيْفَ وَقَدْ وَلَدَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدًا - ﷺ - ثُمَّ شَفَعَ (١) بِكَ وَبَأْيِكَ !

ومن جوده أَيْضًا : أَنَّ مَعَاوِيَةَ حَبَسَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ صِلَاتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِ حَالُهُ ، فَقِيلَ : لَوْ وَجَّهْتَ إِلَى ابْنِ عَمَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ قَدِيمٌ بَنَحْوٍ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : وَأَيْنَ تَقَعُ أَلْفُ أَلْفٍ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَهُ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ ، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ ! ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولِهِ بَكْتَابَ ذَكَرَ فِيهِ حَبَسَ مَعَاوِيَةَ عَنْهُ صِلَاتِهِ ، وَضَيَّقَ حَالَهُ ، وَأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا قَرَأَ عُبَيْدُ اللَّهِ كِتَابَهُ - وَكَانَ مِنْ أَرْقِ النَّاسِ قَلْبًا وَالْيَنِّهِمْ عَطْفًا - انْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا مَعَاوِيَةُ مِمَّا اجْتَرَحْتَ يَدَاكَ مِنَ الْإِثْمِ حِينَ أَصْبَحْتَ لَيْلَى الْمَهَادِ ، رَفِيعَ الْعِمَادِ ، وَالْحُسَيْنُ

(١) فِي الْعَقْدِ : « ثُمَّ شَفَعَهُ » .

يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال : ثم قال لَقَهْرَمَانِهِ : احمل إلى الحسين نصف ما أميلكه من فضة وذهب ، وثوب ودابة ، وأخبره أنني شاطرته مالى ، فإن أقتعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك ذللتك على أمر تقيم به حالك . فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال : إنا لله ، حملت والله على ابن عمى ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله . فأخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك فى الإسلام .

ومن جوده : أن معاوية أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا التبريز حللا كثيرة ، ومِسْكَ ، وآنية من ذهب وفضة ، ووجهها مع حاجيه ، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها فقال : هل فى نفسك منها شىء ؟ فقال : نعم ، والله إن فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام ! فضحك عبيد الله وقال : فثأنك بها فهى لك . قال : جُعِلْتُ فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد على . قال : فاختتمها بخاتمك وادفعها إلى الخازن ، فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلا . فقال الحاجب : والله لهذه الجيلة فى الكرم أكثر من الكرم ، ولوددت أنى لا أموت حتى أراك مكانه ! يعنى معاوية . فظن عبيد الله أنها مكيدة منه ، قال : دع عنك هذا الكلام فإنما قوم نفى بما وعدنا ، ولا ننقض ما أكدنا .

ومن جوده أيضا : أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدق ،

فَأُيِّنِي نُبِّتَ أَنَّ عبيدَ الله بن عباس أُعْطِيَ سائِلًا ألفَ درهمٍ واعتذَرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال : أين ^(١) أنت منه في الحَسَبِ أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال : أَمَّا الحَسَبُ في الرجلِ فمروءته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنتَ حسيبًا . فَأَعْطَاهُ أَلْفِي درهمٍ واعتذرَ إليه من ضيقِ الحالِ ، فقال له السائلُ : إن لم تكن عبيدَ الله بن عباس فأنت خير منه ، وإن كنت هو فأنت اليوم خيرٌ منك أُمس . فَأَعْطَاهُ أَلْفًا أُخْرَى فقال السائلُ : هذه هِزَةٌ كريمٍ حسيبٍ ، والله لقد نَقَرْتُ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَفْرَغَتْهَا فِي قَلْبِكَ فَمَا أَخْطَأْتُ إِلَّا بِاعْتِرَاضِ الشُّكِّ مِنْ جَوَانِحِي ^(٢) .

٢٥٨

ومن جوده أيضًا : أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فقال : يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّهُ وُلِدَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ ، وَإِنِّي سَمَّيْتُهُ بِاسْمِكَ تَبَرُّكًا مِنِّي بِهِ ، وَإِنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ . فقال عبيد الله : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْهَبَةِ وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْرُ عَلَى الْمَصِيئَةِ . ثُمَّ دَعَا بَوَكِيلَهُ وَقَالَ : انْطَلِقِ السَّاعَةَ فَاشْتَرِي لِلْمَوْلُودِ جَارِيَةً تَحْضُنُهُ ، وَادْفَعِي إِلَيْهِ مَائَتِي دِينَارًا لِلنَّفَقَةِ عَلَى تَرْبِيَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْأَنْصَارِيِّ : عُدْ إِلَيْنَا بَعْدَ أَيَّامٍ فَإِنَّكَ جِئْتَنَا فِي الْعَيْشِ يُبَسِّسُ ، وَفِي الْمَالِ قَلَّةٌ . قَالَ الْأَنْصَارِيُّ : لَوْ سَبَقَتْ حَاتِمًا يَوْمَ وَاحِدٍ مَا ذَكَرْتُهُ الْعَرَبُ أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَكَ فَصَرْتَ لَهُ تَالِيَا ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ عَفْوَكَ أَكْثَرَ مِنْ مَجْهُودِهِ ، وَطَلَّ كَرَمُكَ أَكْثَرَ مِنْ وَابِلِهِ .

مع بن أوس

وَأَمَّا مَعْنَى بَنِ أَوْسِ الْمَزْنِيِّ فَهُوَ ابْنُ لُؤْسِ بْنِ نَصْرِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَسْعَدَ

(١) ط : « قال قال » والثانية منها مقحمة .

(٢) وكذا في نسخة من نسخ العقد . وفي سائر النسخ : « بين جواني » .

ابن أسحم بن ربيعة بن عِدَاءِ بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عِدَاءِ بن عثمان
ابن عمرو بن أَدَّ بن طابخة بن الياس بن مضر .

ومزينة بالتصغير ، هي أم عمرو بن أَدَّ بن طابخة . كذا في جمهرة
الأنساب للكلبي .

وأسحم بالمهملتين . وعِدَاءُ في الموضعين بالكسر والمد والتخفيف .
وروى في الأول عدى بتشديد الياء .

ومعْنُ شاعر مجيدٌ فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، أورده بن
حجر في المخضرمين من الإصابة ، وله مدائح في أصحاب النبي - ﷺ -
وعُمِّرَ إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .

وكان معاوية يفضل مُزينة في الشعر ويقول : كان أشعرُ الجاهلية منهم ،
وهو زهير ^(١) ، وكان أشعرُ الإسلام منهم ، وهو كعب بن زهير .

روى صاحب الأغاني أنَّ معن بن أوس كان مثنائًا ، وكان يحسن
صُحبة بناته وتربيتهنَّ ، فولد لبعض عشيرته بنتٌ فكرهاها وأظهر جزعًا من
ذلك ، فقال معن :

رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَفِيهِنَّ لَا تَكْذِبُ نِسَاءً صَوَالِحُ
وَفِيهِنَّ وَالْأَيَّامُ يَعْتَرْنَ بِالْفَتَى نَوَادِبُ لَا يَمْلَأْنَهُ وَنَوَائِحُ

والبيت الثاني من أبيات مغنى اللبيب على أنَّ فيه الاعتراض بين المبتدأ
والخير .

(١) ش : هو ، بلون واو ، في هذا الموضع وتاليه .

قال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) بعد إيراد هذين البيتين : أنشد صاعد بن الحسن لحسان بن العدير ، أحد بني عامر ^(١) شعراً ، فيه الأول من هذين البيتين ، وهي أبيات منها :

أبيات الشاعر (لَأَيَّ زَمَانٍ يَجِبُ الْمَرْءُ نَفْعَهُ غَدًا بَلْ غَدٌ لِلْمَوْتِ غَادٍ وَرَائِحُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعَكَ حَيًّا فَنَفْعُهُ أَقْلُ إِذَا رُصِّتَ عَلَيْهِ الصَّفَائِحُ
رَأَيْتُ رَجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَهَنَّ الْبَوَاكِي وَالْجُيُوبُ النَّوَاصِحُ
وَلِلْمَوْتِ سَوَارَتْ بِهَا تَنْقِصُ الْقَوَى وَتَسْلُو عَنِ الْمَالِ النُّفُوسُ الشَّائِحُ ^(٢)
وَمَا النَّأْيُ بِالْبَعْدِ الْمَفْرُقُ بَيْنَنَا بَلِ النَّأْيُ مَاضَتْ عَلَيْهِ الضَّرَائِحُ)

وروى أنَّ عبد الملك بن مروان قال يوماً وعنده عدة من آل بيته وولده :
ليقل كل واحد منكم أحسن شعرٍ سمعه . فذكروا لامرئ القيس ،
والأعشى ، وطرفة ، حتَّى أتوا على محاسن ما قالوا ، فقال عبد الملك ^(٣) :
أشعرهم ، والله ، الذي يقول :

وَذِي رَحِمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ ، وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ
إِذَا سُمْتُهِ وَصَلَ الْقَرَابَةُ سَامِنِي قَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظُّلْمُ
فَأَسْعَى لِكَيِّ أُنْبَى ، وَيَهْدِمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَيْرِهِ وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ رَغْمُ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعْطُفٍ عَلَيْهِ ، كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ

(١) في سبط اللال ٨٠٤ : « أحد بني عامر بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان » .

(٢) في النسختين : « تنقص القوى » ، والوجه ما أثبت من السبط .

(٣) ط : « عبد الله » ، صوابه في ش .

لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّعْفَ حَتَّى سَلَلْتَهُ وَإِنْ كَانَ ذَا ضَعْفٍ يَضِيقُ بِهِ الْجِلْمُ
قَالُوا : وَمَنْ قَائِلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : مَعْنَى بَنِ أَوْسَ الْمَزْنَى .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ ^(١) :
٥٣١ (اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَلَى هُنَ وَهْنٍ فِيمَا مَضَى وَهْنٍ)
عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكْنَى بِهِنَ عَنِ الْعَلَمِ كَمَا هُنَا .

وهذا من شرح المفصل لابن الحاجب ، وعبارته : وقد يكنى بهن عما
لا يراد التصريح به لغرضي ، كقول ابن هرمة يخاطب حسن بن زيد :
الله أعطاك فضلا البيت

يعنى عبد الله وحسنا وإبراهيم ، بنى حسن بن حسن ، كأنهم كانوا
وعده شيئا فوفى به حسن . ومن ثم قال بعضهم : يكنى به عن الأعلام
أيضا . انتهى .

وقال أحد شراح أبيات الإيضاح للفارسي : قال الهروي : هن وهنة
كناية عن الشيء لا تذكره باسمه . ولم يخص جنسا من غيره . وقال أبو الحسن
الأخفش (فى الأوسط له) : تقول : هذا فلان بن فلان ، وهذا هن بن هن ،
وهذه هنة بنت هنة ^(٢) ، كأنه قيل : هذا زيد بن عمرو فلم يذكره ، فوضع

(١) مجالس ثعلب ٢٦ والمجمع ١ : ٧٤ .

(٢) ط : هنت بنت هنت ، وتقرأ بسكون النون .

بأنها يكنى بها عن الأعلام . وهو صحيح ، ويدل على ذلك قول ابن هرمة
يمدح حسن بن زيد :

الله أعطاك فضلاً من عطيته البيت

يعنى حسناً وإبراهيم وعبد الله ، بنى حسن بن حسن ، وكانهم كانوا
وعلموه شيئاً فوق به حسن . انتهى . كلامه

وقال الشنواني في (حاشية الأوضح) : الهن يطلق ويراد به الحقير ،
قال الشاعر :

الله أعطاك فضلاً البيت

يعنى على أقوام هم بالنسبة إليك صغاراً محتقرون . انتهى .

والبيت من أبيات ثلاثة رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ، الشهير
بثعلب (في أماليه) قال : أخبرنا محمد قال حدثنا أبو العباس : قال حدثني
عمر بن شبة^(١) قال : أخبرني أبو سلمة قال : أخبرني ابن زنج راوية ابن
هرمة قال :

أصاب ابن هرمة أزمة فقال لي في يوم حار : اذهب فتكأ لي حمارين
إلى ستة أميال ، ولم يسم موضعاً . فركب واحداً وركبت واحداً ، ثم سرنا حتى
انتهينا إلى قصور حسن بن زيد بيطحاء ابن أزر ، فدخلنا مسجده ، فلما
زالت الشمس خرج علينا مشتملاً على قميصه فقال لمولى له : أذن . فأذن ثم
لم يكلمنا كلمة ، ثم قال له : أقم . فأقام فصلى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة
فقال : مرحباً بك أبا إسحاق ، حاجتك . قال : نعم ، بأى أنت وأمى ،

(١) موضع « شبة » بياض في ش .

أَيَّاتُ قَلْتَهَا . وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ ، وَحَسَنٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، بَنُو حَسَنِ بْنِ
حَسَنِ ، وَعَلَوْهُ شَيْئًا فَأَخْلَفُوهُ ، فَقَالَ : هَاتَهَا . فَأَنْشَدَ :

٢٦٠

أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ حَوْلِي فَقَدْ قَرَعُوا نَبِيلِي الصِّيَابَ الَّتِي جَمَعْتُ فِي قَرْنِي
فَمَا يَثِيرُ مِنْهُمْ مَنْ أَعَاتَبْتُهُ إِلَّا عَوَائِدُ أَرْجُوهُنَّ مِنْ حَسَنِ
اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَلَى هَنٍ وَهَنٍ فِيمَا مَضَى وَهَنٍ

قال : حاجتك . قال : لابن أبي مضرٍ عليّ خمسون ومائة دينار .
قال : فقال لمولّى له : أبا هَيْثَمِ ارْكَبْ هَذِهِ الْبَغْلَةَ فَأَتْنِي بِابْنِ أَبِي مُضَرٍّ ،
وَذِكْرِ حَقِّهِ . قال : فما صَلَّيْنَا الْعَصْرَ حَتَّى جَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَرْحَبًا بِكَ
يَا ابْنَ أَبِي مُضَرٍّ ، أَمَعَكَ ذِكْرُ حَقِّ عَلَى ابْنِ هَرْمَةَ ؟ فقال : نعم . قال :
فَامُحِهِ . قال : فَمَحَاهُ ثُمَّ قَالَ : يَا هَيْثَمُ بَعْ ابْنَ أَبِي مُضَرٍّ مِنْ تَمَرِ الْخَانَقَيْنِ بِمِائَةِ
وخمسين دينارًا وزدّه في كُلِّ دِينَارٍ رِبْعَ دِينَارٍ ، وَكُلِّ لابنِ هَرْمَةَ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ
دِينَارٍ تَمْرًا ، وَكُلِّ لابنِ زَنْجٍ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا تَمْرًا . قال : فَانصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالسَّيَالَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُ الشَّعْرُ ، فغَضِبَ لِأَيِّهِ
وَعُمُومَتِهِ فَقَالَ : أَيَا مَاصٍّ بَطْرٍ أُمُّهُ ، أَنْتِ الْقَائِلُ :

* عَلَى هَنٍ وَهَنٍ فِيمَا مَضَى وَهَنٍ *

قال : لا ، والله بأبي أنت ، وَلَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ لَكَ :

لَا وَالَّذِي أَنْتَ مِنْهُ نِعْمَةٌ سَلَفْتَ نَرْجُو عَوَاقِبَهَا فِي آخِرِ الزَّمَنِ

(١) وَكُنَّا فِي الْأَغَانِي ٤ : ١٠٥ . وَفِي مَجَالِسِ ثَعْلَبِ ٢٧ : « فَعَلَ أُمُّهُ » ، عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ .

لقد أُبْنِتُ بأمرٍ ما عَمَدَتْ له ولا تَعَمَّدَه قَوْلِي ولا سَنَنِي
فكَيْفَ أَمْشِي مع الأَقْوامِ معتدلاً وقد رَمَيْتُ بِرِءِءِ العُودِ بالأُبنِ
ما غَيَّرَتْ وَجْهَهُ أُمٌّ مَهْجَنَةٌ إِذَا القَتَامُ تَغَشَّى أَوْجُهُ الهُجْنِ
قال : وأُمُّ الحَسَنِ أُمٌّ وَلَدَ . انتهى ما رواه ثعلب .

قال صاحب الأغاني : ويروى أن ابن هَرَمَةَ لما قال هذا الشعر في
حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن : والله ما أَرَادَ الفاسقُ غَيْرِي وغيرَ أَخَوِي
حَسَنِ وإِبْرَاهِيمَ : وكان عبد الله يُجْرِي عليه رِزْقًا ، ففَقَطَعَهُ عنه وغَضِبَ عليه ،
فَأَتَاهُ يَعْتَذِرُ ، فَنَحَى وَطَرْدَ ، فَسَأَلَ رِجَالًا أَنْ يَكْلُمُوهُ فَرَدَّهُمْ ، فَيَسُ من رِضاهُ
فاجْتَنَبَهُ وخَافَهُ ، فمَكَثَ ما شاءَ الله ، ثُمَّ مَرَّ عَشِيَّةً وَعَبَدُ اللهَ على زُرِّيَّتِهِ (١)
فلما رآه عَبْدُ الله تَضَاعَلَ وتَصَاغَرَ وأَسْرَعَ في المَشْيِ (٢) ، فَرَّقَ له عبدُ الله وأَمَرَ
به فَرْدُوهُ وقال له : يافاسقُ ، تقول : على هُنَ وهُنَ ، تَفَضَّلَ الحَسَنَ عَلَيَّ وَعَلَى
أَخَوِي ؟ فقال : بَأْنِي أَنْتَ وَأُمِّي ، وَرَبُّ هَذَا القَبْرِ ما عَنِيتُ إِلَّا فِرْعَوْنَ وهَامَانَ
وَقَارُونَ ، أَفَتَغْضَبُ لَمْ ؟ ! فَضَحِكَ وَرَدَّ عَلَيْهِ جِرَائَتَهُ . انتهى .

وزنُّجُ بفتح الزاي المعجمة وفتح الموحدة وتشديد النون المفتوحة بعدها
جيم . والأزمة : الشَّلَّةُ والضائقة (٣) . وقوله : « فَتَكَارَ » أَمْرٌ من تَكَارَى
يَتَكَارَى بمعنى اكْتَرَى يَكْتَرِي ، أَيْ أَخَذَ الدَّابَّةَ بِالْكَرَاءِ والأجرة .

(١) الزرية ، مثله الزاي : الطنفسة ، وقيل البساط ذو الحمل . وفي الأغاني : « على زرية في
ممر المنبر ، ولم تكن تبسط لأحد غيره في ذلك المكان » .

(٢) في الأغاني : « فلما رأى عبد الله تضاؤل وتنفذ وتصاغر وأسرع المشي » .

(٣) ط : « والمضايقة » صوابه في ش .

وحسن بن زيد ، هو حسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب حسن بن زيد رضى الله عنهم ، ولّى المدينة ، وكان شريفاً فاضلاً . فزيد بن حسن هو أخو حسن بن حسن . فحسن بن زيد يكون ابن عمّ لهؤلاء الإخوة الثلاثة .

وقوله : « أما بنو هاشم حولى » إلخ قرعت : أصابت . ونبلى بالفتح :

سيهامى . والصيّاب بالكسر : جمع صائب ، من صاب السهم يصوب

صَيَّبَ : أى قصد ولم يَجْزْ (١) . وصاب السهم القرطاس يَصِيبه صَيِّباً : لغة ٢٦١ فى أصابه . والقرن بالتحريك : الجعبة . قال الأصمعى : القرن : جعبة من جلود تكون مشقوقة ، ثم تُخَرَزُ حتّى تصل الريح إلى الريش فلا يفسد .

ويثرب هى المدينة المنورة . وقوله : « إلّا عوائد » استثناءً منقطع ، أى

لكن . وعوائد مبتدأ وأرجوهن خبره ، وحسن هو حسن بن زيد . يقول : ليس فى المدينة من أعاتبه على ترك إحسانه إلّى ، لكننى أرجو العوائد من حسن بن زيد . والعوائد : جمع عائدة ، وهى الصلة والإحسان .

وقوله : « الله أعطاك فضلاً » الفضل هنا : الزيادة . يقول : إن الله

أعطاك فضلاً على أبناء عمك ، أى فضلك عليهم . وقوله : « فيما مضى »

أى فى الأزل . وعبر عن كل واحد منهم بهن الموضوع لما يستقبح ذكره من

أسماء الجنس . وليس هن هنا كناية عن علم كلّ منهم ، ولو كان كناية عنهم

لما غضب على الشاعر محمد بن عبد الله لأبيه وعمّيه ، ولما اشتد غضب عبد

الله لنفسه ولأخويه . ولو كان الغضب لمجرد التفضيل لما بلغ هذا المبلغ منهم ،

(١) كنا فى النسختين بالراء المهملة . والجور : الميل والعلول . وفى اللسان : لم يجر .

بالرأى .

وهم فروغ الإمامة ، وهضاب الحلم والإغضاء .

وقوله : « حاجتكَ » ، هو منصوب في الموضعين بتقدير اذكر . وقوله : « من تمر الخانقين » ، بالخاء المعجمة والنون والقاف ، هو موضع ، ويعرب إعرابَ المثني . كذا في معجم ما استعجم للبكري . وكل : أمرٌ من كال يَكِيل كيلا . والسَّيَّالة ، بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة التحتية ، قال صاحب المعجم : هي قرية جامعة ، بينها وبين المدينة تسعة وعشرون ميلا ، وهي لولد حسن بن علي بن أبي طالب ، وهي في الطريق منها إلى مكة .

وقوله : « لا والذي أنت منه نعمةٌ سَلَفْتُ » إلخ لا نفى لما اتَّهَم به الشاعر ، والواو للقسم . يعنى ليس الأمر كما توهم والله الذى أنعم بك علينا ، ونرجو حسن عاقبة هذه النعمة عند انقضاء الأجل بأن يُمِيتنا على حُبِّكم .

وقوله : « لقد أُنْبِتُ » إلخ هذا جوابُ القسم ، وأُنْبِتُ بالبناء للمفعول ، أى ذُكِرْتُ بسوءٍ ، وهو بالألف والباء والنون . يقال فلانٌ يؤنُّ بكذا ، أى يُذكر بقييح . وأَبْنَه يَأْبُهُ من باب نصر وضرب ، إذا اتَّهَمه به . وَعَمَدَت : قصدت . والسَّنن بفتحيتين : الطَّريقة .

وقوله : « فكيف أمشى مع الأقوام » إلخ المعتدل : المستقيم . وجملة قد رَمَيْتُ من الفعل والفاعل ، حال من فاعل أمشى . ورَمَيْتُ بمعنى قَدَفْتُ . برىء العود مفعوله ، وبالأبْن متعلِّق برميت . والأبْن ، بضم الألف وفتح الموحدة : جمعُ أبنه بضم الألف وسكون الموحدة ، وهي العقدة في العود ،

ومتعلّق برىء مخنوف ، أى برىء العود من الأبن . يقول : فيكف أكون بين الناس مستقيماً إذا قذفتُ المستقيم بالعيوب .

وقوله : « ما غَيَّرَتْ وَجْهَهُ » إلخ غَيَّرَهُ تَغْيِيرًا : جعله غَيْرًا . يريد أن أم الحسن بن الحسن ، وإن كانت أم ولد ، ما ولدت ابنها الحسن مغايرًا لشكل آبائه ، كما يقال « الولد للخال » ، بل ولدته على صورة آبائه : سيّدًا جليلاً شهماً . والمهجنّة : بكسر الجيم ، وهى المرأة التى تلد هجينًا . والهجين : الذى تلده أم ليست بعريّة . والقَتَامُ بفتح القاف : الغبار . وغَشَى تَغْشِيَةً أى غَطَّى تَغْطِيَةً . وأَوْجَهَ مفعوله جمع وجه . والهجن بضمّتين : جمع هجين . والزَّرِيَّةُ بكسر الزاء المعجمة وسكون الراء المهملة ، هى الطُنْفَسَةُ (١) وجمعها زَرَايَى . وابن هَرْمَةٍ بفتح الهاء وسكون الراء بعدها ميم : شاعرٌ مطبوعٌ أدرك الدولتين ، ومات فى مَدَّةِ هارون الرشيد . واسمه إبراهيم ، وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والستين (٢) .

٢٦٢

* * *

وأنشد بعده :

(يامرَحَبَاؤُ بِحِمَارِ نَاجِيَةٍ)

على أن هاء السكت فى الوصل قد تحرّك بالضم وبالكسر .
وتقدّم فى باب المنلوب أن بعضهم يحركها بالفتح بعد الألف .

(١) انظر ما سبق من التعليق فى ٢٢٦ .

(٢) الخزائن ١ : ٤٢٤ - ٤٢٦ .

ويا : حرفُ نداءٍ ، والمنادى محذوف ، ومرجبا مصدر منصوب بعامل محذوف ،
أى صادف رجبا وسعة ، حذف تنوينه لنية الوقف ووصل به هاء السكت ،
ثم عن له الوصل فوصل . والباء متعلق به . وحمار مضاف إلى ناجية . وروى
الفراء (فى تفسيره ^(١)) : « ناهية » بدل ناجية ، وهو اسم شخص .
وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الخمسمائة ^(٣) :

٥٣٢ (ياربُّ يا ربَّاهُ إِيَّاكَ أَسَلْ)

على أن الهاء فى (ربَّاه) للسكت ، وتضم وتكسر .

وتقدّم فى باب المنذوب أنّها تفتح أيضا عند بعضهم إذا كانت بعد
ألف كما هنا . ففيها بعد الألف ثلاث حركات .

وذكر هنا أنّها تزداد فى السّعة وصلا ووقفا فى آخر « هَنى »
وإخوته ^(٤) . وهى فى نحو هذين البيتين فى حال الضرورة ، وهذا قول الكوفيين
وبعض البصريين . وقلم ^(٥) فى باب المنذوب أنّ الكوفيين يشبتونها وقفا ووصلا
فى الشعر وغيره . ففى كلاميه تدافع .

(١) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وشرح شواهد الشافعية ٢٢٨ .

(٤) أمثال هناناه وهنانيه وهنوناه وهنتاه وهنتاناه وهنتانیه وهناناه . انظر الرضى ٢ : ١٢٩ .

(٥) ش : « تقدم » ، صوابه ما فى ط . وهو يشير إلى ما أورده الرضى فى باب المنذوب من

شرحه على الكافية ١ : ١٤٤ وهو ما ذكره هنا من إثبات الهاء وقفا ووصلا فى الشعر وغيره .

قال الفراء (في تفسيره) من سورة الزمر ، عند قوله تعالى : ﴿ يا حسرتا ^(١) ﴾ : يا ويلتا مضافٌ إلى المتكلم . ثُحُول ^(٢) العربُ الياءُ إلى الألف في كلِّ كلام كان معناه الاستغاثه : يُخْرَج على لفظ الدعاء ^(٣) . وربما أدخلت العرب الهاء بعد الألف التي في حسرتا ، فيخففونها مرةً ويرفعونها . أنشدني أبو فقّس ، بعضُ بني أسد ^(٤) :

ياربُّ ياربِّ إياك أسل عَفراء ياربِّاه من قِبل الأجل
فخَفَض . وأنشدني أيضًا :

يامرحباه بحمار ناهيه إذا أتى قُرْبته للسانيه

والخفض أكثر في كلام العرب ، إلّا في قولهم : ياهناه وباهنتاه ، فالرفع في هذا أكثر من الخفض ، لأنّه كثر في الكلام ، فكأنّه حرفٌ واحدٌ مدعُو . انتهى .

وظاهره على إطلاقه لا يختصُّ بضرورة عندهم ، وأمّا عند البصريين فلا يجوز تحريكها ، ولا تلحق وصلًا في غير ياهناه .

والبيتان المذكوران وقعا بلا مناسبة (في أوائل إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت) ، قال شارح أبياته يوسف بن السيرافي : لم ينشد يعقوب هذين البيتين ولا الأبيات التي بعدهما شاهدًا لشيءٍ تقلّم ، وإنّما أنشد ذلك لأنّ الهاء تُضمُّ وتكسر ، وهذا لا يتعلّق بالباب . وهذه الهاء ليست من الكلمة ، وإنّما دخلت للوقف ، ثم احتاج إلى وصلها الشاعرُ فحرّكها بالكسر . ومن

(١) مما يجدر ذكره أن « يا حسرتا » و « يا ويلتا » كتبنا في ش بألف تلوها ياء ، إشارة إلى جواز الكتابين . وهي الآية ٥٦ من الزمر .

(٢) في معاني الفراء : « يحول » بالياء .

(٣) ش فقط : « تخرج على لفظ الدعاء » .

(٤) ط : « لبعض بني أسد » ، صوابه في ش ومعاني الفراء .

ضَمَّ شَبَّهَ بِهَاءِ الضَّمِيرِ ، وَهَذَا رَدَىءٌ جَدًّا . وَعَفْرَاءُ : اسْمُ امْرَأَةٍ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهَا قَبْلَ أَجَلِهِ ، وَبِجَمْعٍ بَيْنَهُمَا . انْتَهَى .

وَقَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ (فِي الْمَفْصَلِ) : وَحَقُّ هَاءِ السَّكْتِ أَنْ تَكُونَ سَاكِنَةً ، وَتَحْرِيكُهَا لَحْنٌ ، نَحْوُ مَا فِي (إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ) ، مِنْ قَوْلِهِ :

٢٦٣

* يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ عَفْرَاءِ *

و : * يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ نَاجِيهِ *

مِمَّا لَا مَعْرَجَ عَلَيْهِ لِلْقِيَاسِ وَاسْتِعْمَالِ الْفَصَحَاءِ . وَمَعْذَرَةٌ مِنْ قَالَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَجْرَى الْوَصْلِ بِجَرَى الْوَقْفِ ، مَعَ تَشْبِيهِ هَاءِ الْوَقْفِ بِهَاءِ الضَّمِيرِ .

قَالَ شَارِحُهُ (ابْنُ يَعِيشَ) : أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يُوْتَى بِهَذِهِ الْهَاءِ لِبَيَانِ حُرُوفِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ ، كَمَا يُوْتَى بِهَا لِبَيَانِ الْحَرَكَاتِ ^(١) . وَلَا تَكُونُ إِلَّا سَاكِنَةً لِأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِلْوَقْفِ ، وَالْوَقْفُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى السَّاكِنِ . وَتَحْرِيكُهَا لَحْنٌ وَخُرُوجٌ عَنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ ثَبَاتُ ^(٢) هَذِهِ الْهَاءِ فِي الْوَصْلِ فَتَحَرَّكَ ، بَلْ إِذَا وَصَلْتَ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهَا بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْكَلَامِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ :

* يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ عَفْرَاءِ *

فَإِنَّ الشَّعْرَ لَعُرْوَةَ بَنِ حِزَامِ الْعُدْرَى . وَقَوْلُ الْآخَرِ :

* يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ نَاجِيهِ *

(١) بَعْدَهُ فِي ابْنِ يَعِيشَ : « نَحْوُ يَا زَيْدَاهُ وَعَمْرَاهُ ، وَوَا غَلَامُهُ » ، وَانْقِطَاعُ ظَهْرِيهِ .

(٢) كُنَّا فِي شِ وَابْنِ يَعِيشَ . وَفِي ط : « إِنْ ثَبَاتَ » تَحْرِيفٌ .

فضرورة ، وهو ردىء في الكلام . وإنما اضطر الشاعر حين وصل إلى التحريك لأنه لا يجتمع ساكنان في الوصل على غير شرط إلا حرك . وقد رويت بضم الهاء وكسرهما . فالكسر لالتقاء الساكنين ، والضم على التشبيه بهاء الضمير . وبعد هذا البيت :

إذا أنى قَرَّبته لما شاء من الشعر والحشيش والماء

ومعناه أن عروة كان يحبُّ عفراء ، وفيها يقول :

ياربُّ ياربَّاه إياك أسأل عَفْرَاءَ يا رَبَّاهُ من قَبْلِ الأَجَلِ

* فَإِنْ عَفْرَاءَ من الدُّنْيَا الأَمَلُ * .

ثم خرج فلقي حماراً عليه امرأةٌ فقيل له : هذا حمار عفراء ! فقال :

* يا مَرَحَبَاهُ بِحمارِ عَفْرَاءَ *

فرحَّب بحمارها لمحَبَّته لها ، وأعدَّ له الشعر والحشيش والماء .

ونظير معناه قول الآخر :

أُحِبُّ لِحَبَّهَا السُّودَانَ حَتَّى أُحِبُّ لِحَبَّهَا سَوْدَ الْكَلَابِ^(١) . انتهى .

وهذا من رجز أورده أبو محمد الأسود الأعرابي (في ضالة الأديب) ولم

ينسبه إلى أحد ، وهو :

(إليك أشكو عَرَقَ دهرِ ذى خَبَلٍ وَعَيْلاً شُعْثاً صَغَاراً كَالْحَجَلِ

وَأُمَّهُمْ تَهْتَفُ تَسْتَكْسِي الحُلُلِ قَد طَارَ عَنْهَا دِرْعُهَا مَا لَمْ يُحَلِّ

ياربُّ يا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسْأَلُ عَفْرَاءَ يا رَبَّاهُ من قَبْلِ الأَجَلِ

(١) انظر عيون الأخبار ٤ : ٤٣ وجمل الزجاجي ١٩٥ .

فإنَّ عَفْرَاءَ مِنَ الدُّنْيَا أَمَلٌ لَوْ كَلَّمْتُ رُهْبَانًا دِيرٍ فِي قُلْلٍ ^(١)

* لَزَحَفَ الرُّهْبَانُ يَمْشِي وَزَحَلَ ^(٢) *

وقد راجعت ديوان عُروَةَ فلم أجِدْ هذا الرجز .

وعُروَةُ تقدّمت ترجمته في الشاهد السادس والتسعين بعد المائة ^(٣) .

وقوله : « عَرَقَ دَهْرٌ ذِي حَبَلٍ » ، العَرَقُ ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : مصدر عرقت العظم ، من باب نصر ، إذا أَكَلَتْ ما عليه من اللحم . والحَبَلُ : الفساد . والعَيْلُ ، بفتحتين : لغة في العِيَالِ .

وتَهْتَفُ : تصوَّت . والحُلَلُ بضم ففتح ، قال الصاغاني : هي برود اليمن . والحُلَّةُ : إزارٌ ورداءٌ ، لا تسمَّى حلة حتّى تكون ثوبين . والذَّرْعُ بالكسر : ثوب المرأة خاصّة . ويُحَلُّ بالخاء المعجمة ، أى يَتَفَقَّدُ . والخائِلُ : الحافظ للشيء ، يقال فلان يَحُولُ على أهله ، أى يرعى عليهم ويتفقّدهم . ٢٦٤

وَأَسَلُ : أصله أُسَالُ ، مخفّفٌ بحذف الهمزة . وَزَحَلَ بالزاء المعجمة والخاء المهملة : فارق مكانه وجاء إليها .

* * *

(١) في اللسان : « في القلل » .

(٢) ط : « تمشى » ، صوابه في ش . وفي اللسان (رهب) : « يسمى فنزل » ، وقد أورده شاهدا لاستعمال الرهبان بمعنى الواحد . قال : « وقد يكون الرهبان واحدا وجمعا » .

(٣) في الخزانة ٣ : ٢١٥ - ٢١٨ .

تممة

قد حقق الشارح المحقق هنا أنَّ الألف والهاء في (يَاهَنَاه) زائدتان ،
بدليل أنَّهما تلحقان فروعه من التثنية والجمع والتأنيث ، كما نقله عن
الأخفش ، فيكون من المحذوف اللام ، ووزنه فَعَاه . وقصد بهذا البيان الوافي
الردَّ على ابن جنِّي في زعمه أنَّ الهاء لام الكلمة ، وأنَّ وزنها فَعَال ، وشدَّد في
زعمه وخطأً من عدّها للسكَّت . فردَّ عليه الشارح بأنَّها قد لحقت مع الألف
آخر المثني والمجموع على حدِّه ، وآخر المؤنث . ولو كانت لاأما لما جاز
تأخيرها . وأجاب عن تحريك الهاء .

وهذه عبارة ابن جنِّي (في سر الصناعة) في إبدال الهاء من الواو ،
قال : أبدلوها من حرف واحد ، وهو قول امرئ القيس :

وقد رآبني قولُها يا هنا هُ ويحك ألحقت شراً بشرَّ

فالهاء الأخيرة في هَنَاهُ بدل من الواو في هَنُوك وهَنُوات ، وكان أصله
هَنَاو ، فأبدلت الواو هاء ، قالوا : هَنَاه . هكذا قال أصحابنا . ولو قال قائل
إنَّ الهاء إنَّما هي بدل من الألف المنقلبة عن الواو الواقعة بعد أَلِف هَنَاه ، إذ
أصله هَنَاو ، ثم صارت هَنَا بألفين ، كما أنَّ أصل عطاء عطاو ، ثم صار بعد
القلب عطاا ، فلما صار هَنَا التقت ألفان ، كُره اجتماع الساكنين فقلبت
الألف الأخيرة هاء فقالوا هَنَاه ، كما أبدل الجميع من أَلِف عطاا الثانية همزة
لئلاَّ يجتمع همزتان ، لكان قولاً قوياً ، ولكان أيضاً أشبه من أنَّ يكون قلبت
الواو في أول أحوالها هاء ، من وجهين :

أحدهما : أنَّ مِنْ شريطة قلب الواو ألفاً أن تقع طرفاً بعد ألف زائدة ،
وقد وقعت هنا كذلك .

والآخر : أنَّ الهاء إلى الألف أقرب منها إلى الواو ، بل هما في الطرفين .
ألا ترى أنَّ أبا الحسن ذهب إلى أنَّ الهاء مع الألف من موضع واحد لقرب
مكائنيهما . فقلب الألف إذا هاء أقرب من قلب الواو هاء .

وكتب إليَّ أبو عليٍّ من حلب ، في جواب شيء سألته عنه فقال : وقد
ذهب أحد علمائنا إلى أنَّ الهاء من هناة إنما لحقت في الوقف لخفاء الألف ،
كما تلحق بعد ألف الندبة ، ثم إنها شُبِّهت بالهاء الأصلية فحرَّكت . ولم يسمَّ
أبو عليٍّ هذا العالمَ مَنْ هو ؟ فلما انحدرتُ إليه إلى مدينة السلام وقرأتُ عليه
نوادِر أبي زيد ، نظرت وإذا أبو زيد هو صاحب هذا القول . وهذا من أبي زيد
غير مرضيٍّ عند الجماعة ، وذلك أنَّ الهاء التي تلحق لبيان الحركات وحروف
اللين إنما تلحق في الوقف ، فإذا صرَّت إلى الوصل حذفتها البتَّة ، فلم توجد
فيه ساكنة متحركة .

وقد استقصيت هذا الفصل (في كتابي في شعر المتنبي) عند قوله :

« وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيْمٌ ^(١) »

(١) مطلع قصيدة له في ديوانه ٢ : ٢٥٤ بشرح العكبري . وعجزه :

« وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عَنْهُ سَقَمٌ »

ودللت هناك على ضعف قول أنى زيد ويبت المتنبى جميعاً . انتهى .

وقال ابن جَهْوَر (فى إعراب أبيات الجمل) : واختلف فى أصلها فذهب قومٌ إلى أن هذه الهاء أصل وليست بمبدلة ، وأنها مثل سَنة وعِضة ، التى لامها تارة هاء وتارة حرفُ علة . وهذا القول ضعيفٌ من جهة أن باب قَلَى وسَلَس قليل . وذهب آخرون إلى أن الألف والهاء زائدتان ، وعلى هذا كثيرٌ من البصريين والكوفيين ، بدليل قولهم : هن وهنة ، وأن لام الكلمة محنوفة . وعلى هذا تأتى مسائل التننية والجمع والمذكر والمؤنث . فالألف والهاء ٢٦٥ فى كونهما زائدتين نظيرتا الألف والهاء فى الندبة ، إلا أن هذه الهاء ليست للسكت كما ذهب إليه بعضهم لتحركها ، وهاء السكت لا تتحرك . ومن جعلها هاء سكت قال : زيدت الألف لبعد الصوت ، وزيدت الهاء للوقف ، ثم كثر فى كلامهم حتى صارت الهاء كأنها أصلية تحركت . فإذا ثنيت على هذا قلت : ياهنانيه أقيلاً . فالألف والنون للتننية ، والياء التى بعد النون هى الألف التى كانت فى هناه ، فانقلبت ياءً لانكسار ما قبلها ، وهو نون التننية ، وانكسرت الهاء بعد أن كانت مضمومة لمجاورتها الياء . وتقول فى الجمع : ياهنؤناه أقبِلوا ، الواو والنون للجمع ، والألف بعد النون بقيت على حالها لانفتاح نون الجمع قبلها ، وبقيت على حالها مضمومة . وإنما جاز أن يجمع هذا بالواو والنون من قبل أن هذه الكلمة قد تطرَّق عليها التغير بحذف لامها ، فصارت الواو والنون كالِعَوْض من لام الكلمة على حدِّ قولهم : سينون . وتقول فى المؤنث : ياهنتاه أقبلى ، وفى التننية : ياهنتانيه أقبلا ، وفى الجمع :

يَاهَنَّاؤُهُ أَقْبِلْنَ ، قَلْبَتِ أَلْفَ هِنَاهُ وَأَوَّا لَانْضِمَامِ مَاقْبَلِهَا ، كَمَا قَلْبَتَهَا يَاءٌ لَانْكَسَارِ مَاقْبَلِهَا فِي التَّشْنِئَةِ . وَهَنَاهُ كَلِمَةٌ يُكْنَى بِهَا عَنِ النَّكَرَاتِ ، كَمَا يَكْنَى بِفُلَانٍ عَنِ الْأَعْلَامِ . فَمَعْنَى يَاهَنَاهُ : يَا رَجُلَ . وَلَا تَسْتَعْمَلْ إِلَّا فِي النَّدَاءِ عِنْدَ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ . وَقِيلَ : إِنَّهَا كَنَاءَةٌ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْعَوْرَاتِ ، يَكْنَى بِهَا عَمَّا يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ . اَنْتَهَى .

وقوله : فَمَعْنَى يَاهَنَاهُ يَا رَجُلَ ، مَسَاوٍ لِقَوْلِ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ : لِلْمَنَادَى غَيْرِ الْمَصْرُوحِ بِاسْمِهِ .

وإِنَّمَا أَوْرَدَهُ فِي بَابِ الْعَلَمِ اسْتِطْرَافًا بِمُنَاسَبَةِ هُنِ الذِّي قَدْ يُكْنَى بِهِ عَنِ الْعِلْمِ . وَلِهَذَا قَالَ : وَمِنْهُ ، أَيْ وَمِنْ هُنِ الْمَذْكُورِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ ^(١) :

٥٣٣ (قُلْ لَابِنِ قَيْسِ أَخِي الرُّقَيَّاتِ مَا أَحْسَنَ الْعِرْفَ فِي الْمَصِيبَاتِ)

عَلَى أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرُّقَيَّاتِ فِي قَوْلِهِمْ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ بِالإِضَافَةِ ، لَيْسَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْأَسْمِ إِلَى اللَّقَبِ ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الإِضَافَةِ لِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ ، لِنِكَاحِهِ لِنِسْوَةِ اسْمِ كُلِّ مِنْهَا ^(٢) رُقْيَةً . وَقِيلَ : هُنَّ جَدَاتُهُ . وَقِيلَ : شَبَّبَ بِثَلَاثٍ كَذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ الرُّقَيَّاتُ لِقَبًّا لَقَيْسٍ لَقِيلَ فِي الْبَيْتِ : قُلْ لَابِنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ، فَلَمَّا أُضِيفَ « أَخَا » إِلَيْهِ وَأَتْبَعَهُ لَقَيْسُ فِي إِعْرَابِهِ ، عَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ لِقَبٍ لَقَيْسٍ ، وَلَوْ كَانَ لِقَبًّا لَهُ لَقِيلَ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ ، إِمَّا بِتَنْوِينِ قَيْسٍ وَإِتْبَاعِ الرُّقَيَّاتِ لَهُ بِجَعْلِهِ عَطْفٍ بَيَانٍ لَهُ ، وَإِمَّا بِإِضَافَتِهِ إِلَى الرُّقَيَّاتِ . فَلَمَّا أَتْبَعَهُ

(١) ديوان أبي دهل ٥٠ بتحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، واللسان (عرف ١٤٣) .

(٢) ط : : منها ، : صوابه في ش .

بإضافة أخ إلى الرقيات عُلِمَ أنه غير لقب له ، فعرف أنَّ الإضافة إليها في قولهم
قيس الرقيات للملابسة المذكورة .

هذا على تقرير الشارح . وأما على ما سيأتى فأخى الرقيات تابع لابن
لا لقيس .

و (العِزْف) بكسر العين وسكون الراء المهملتين ، قال صاحب
العباب : هو الصَّبْر . وأنشد البيت عن ابن الأعرابي . يتعجَّب من الصَّبْرِ في
المصائب .

و (الأخ) يستعمل في اللغة على خمسة معان :
الأول : أخو النسب من الأبوين ، أو من أحدهما .
الثاني : أخو النسبة إلى القوم ، يقال يا أخا تميم ، لمن هو منهم . وبه
فسر قوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هُرُونَ ^(١) ﴾ .
الثالث : أخو الصداقة .

الرابع : أخو المجانسة والمشابهة ، كقولهم : هذا الثوب أخو هذا .
الخامس : أخو الملازمة والملابسة ، كقولهم : أخو الحرب ، وأخو
الليل .

فإن كان الرقيات عبارة عن الزوجات أو المعشوقات فالأخ بالمعنى
الأخير . وإن كان أريد بها الجدات فالأخ بالمعنى الثاني .

ولم يذكر الشارح المحقق وجه تلقيبه بالرقيات على تقدير كون الرقيات

(١) الآية ٢٨ من سورة مريم .

لقبًا . فأقول : يكون وجهه ما نقله كراع من أنه إنما لقب بهذا لقوله :
رقية لا رقية لا رقية أيها الرجل^(١)

قال ابن دريد (في الوشاح) : من الشعراء من غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم ، حتى صاروا لا يعرفون إلا بها . فمنهم : منبه بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهو أعصر ، وإنما سمي أعصر بقوله :

قالت عميرة ما لرأسك بعدما نفد الشباب أقي بلون منكر
أعمير ، إن أباك غير رأسه مر الليالي واختلاف الأعصر

ومنهم : شأس بن نهار العبدى ، سمي الممزق بقوله :
فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فادركنى ولما أمزق

ثم ذكر أكثر من خمسين شاعراً لقب بشعر قاله .

وتفصيل الشارح المحقق في قيس الرقيات أجود من تفصيل ابن الحاجب (في شرح المفصل) وإن كان مأخوذاً منه ، وهذه عبارته :

وابن قيس الرقيات عبد الله ، قال الأصمعي : نكح قيس نساء اسم كل واحدة رقية . وقيل : كانت له جدات كذلك . وقيل : كان يشب بثلاث كذلك . والاستشهاد على الوجه الضعيف في إضافته على ذلك . فأما إذا جعل الرقيات لقباً لقيس كانت الإضافة من باب قيس قفة ، وإما على الجوب أو على الأنصح كما تقدم . ورواية تنوين قيس تقوى الوجه الثانى .
وقوله :

(١) ط : « رقية لا رقية أيها الرجل » وتكملة البيت من ش . وهو من مجزوء الوافر . وقد ورد في ملحقات ديوانه بتحقيق الدكتور نجم كما في المطبوعة . والحق أنه ليس شرطاً بل هو بيت كامل .

قُلْ لابن قيس أُخَى الرُّقِيَّاتِ مَا أَحْسَنَ الْعِرْفَ فِي الْمُصِيبَاتِ
يَقْوَى الْوَجْهَ الْأَوَّلَ . انتهى .

أَرَادَ بِالْإِسْتِشْهَادِ عَلَى الْوَجْهِ الضَّعِيفِ الْإِضَافَةَ لِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ . وَقَوْلُهُ :
« تَقْوَى الْوَجْهَ الثَّانِي » ، أَيْ كَوْنِ الرُّقِيَّاتِ لِقَبًّا . وَقَوْلُهُ : « يَقْوَى الْوَجْهَ
الْأَوَّلَ » أَيْ كَوْنِ الرُّقِيَّاتِ غَيْرَ لِقَبِّ .

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ ، وَهُوَ أَنَّ الرُّقِيَّاتِ أَسْمَاءُ زَوْجَاتِهِ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ ، نَقَلَهُ عَنْهُ
صَاحِبُ الصَّحَاحِ .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي ، قَالَ ابْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ ، قَالَ : لِقَبِّ بِالرُّقِيَّاتِ لِأَنَّ
جَدَّاتٍ لَهُ تَوَالَيْنَ كُلُّ مِنْهَا تَسْمَى رَقِيَّةً .

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ (فِي كِتَابِ الشَّعْرَاءِ) . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ
(فِي كِتَابِ النِّسْبِ) : سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَشَبُّ بِامْرَأَتَيْنِ كُلُّ مِنْهُمَا
تَسْمَى رَقِيَّةً . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْجَمْعُ عِبَارَةً عَنْ اثْنَتَيْنِ .

وَعَلِمَ أَنَّ قَوْلَ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ تَبَعًا لْغَيْرِهِ ، إِنَّ الرُّقِيَّاتِ تَابَعٌ لْقَيْسٍ
لَا لِابْنِهِ ، هُوَ قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ ، فَإِنَّهُ قَالَ : قَيْسٌ هُوَ الْمَلْقَبُ بِالرُّقِيَّاتِ ،
لَا اخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ ، لِقَبِّ بِهِ لِأَنَّ لَهُ جَدَّاتِ تَوَالَيْنَ يَسْمَيْنِ الرُّقِيَّاتِ . قَالَ
ابْنُ سَلَامٍ . انتهى .

وَقَوْلُهُ : لَا اخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ ، هُوَ خِلَافُ الْوَاقِعِ ، فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ ذَهَبُوا
إِلَى أَنَّهُ لِقَبِّ لَابْنِهِ : إِمَّا عَبْدَ اللَّهِ وَإِمَّا عُبَيْدَ اللَّهِ .

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ (فِي كِتَابِ الشَّعْرَاءِ) : إِنَّمَا سَمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ أَحَدُ

بنى عامر بن لؤى ، الرقيات ، لأنه كان يشب بثلاث نسوة يقال هن كلهن رقية .

وكذا فى الأغانى . ورأيت بخط الحافظ مغلطاي (على هامش كامل المبرد) مانصه : ونقلت من خط الشاطبي : وافق الأصمعي ابن قتيبة على قوله . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات بالرفع على الصفة لعبد الله . انتهى .

٢٦٧

وذكر النحاس عن البرق أن فى أجداده ثلاث نسوة كل امرأة منهن تسمى رقية . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات على الإضافة . قاله ابن برى .

ونقلت من خط الشاطبي أيضا : رأيت بعض من ألف فى النسب يقول : إن الذى يسمى ابن الرقيات هو قيس أبو عبيد الله وعبد الله . انتهى . وفى (ألقاب ابن سراقه) أن الذى يقال له الرقيات هو قيس ، وقيل عبد الله بن قيس . انتهى ما أورده الحافظ مغلطاي .

وكذلك قال أبو عبيد (فى النسب) : عبيد الله بن قيس سمي بالرقيات لأنه كان يشب بامرأتين كل منهما تسمى رقية . انتهى .

وإذا قيل ابن قيس الرقيات فالمراد ابنه الشاعر ، فإن لقيس ابنين : عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما فقال ابن قتيبة والمبرد (فى الكامل) : هو عبد الله المكبر . وقال المرزبانى (فى معجمه) : هو عبيد الله

بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . انتهى .
وقال ابن السَّيِّد (فيما كتبه على الكامل) : ذكر المبرّد أنَّ اسمه
عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام ، والجاحظ ، وابن قتيبة . وقال
غيرهم : هو عبيد الله ، حكاه أبو عبيد عن الأصمعي وغيره ، ومنهم الكلبي .
وكذلك قال المصعب الزيري (في أنساب قريش) ويُنَّ أنَّ له أختاً شقيقاً يقال
لُـه عبد الله بن قيس ، ويقال فيه نفسِه الرِّقيات لقبٌ له ، ويقال ابن الرقيات .
واختلف في معنى تلقيبه بذلك ، فقال ابن قتيبة : لأنَّه كان يشبُّب بثلاث
رقيات . وقال ابن سلام : إنَّما نسب إلى الرِّقيات لأنَّ له جدَّاتٍ اسمهنَّ
رَقِيَّات . وقال كراع : سمَّى ابن قيس الرقيات لقوله :

رَقِيَّة لا رقية لا رقية أيها الرجل (١) . انتهى .

فأنت ترى أنَّ مَبْنَى كلام هؤلاء الأئمة على أنَّ الملقب بالرقيات إنَّما
هو ابن قيس لا قيس . ولا جائز أنَّ يقال إنَّه من قبيل تعدَّى اللقب من الأب
إلى الابن ، لما نقلنا عن هؤلاء الأئمة .

وعلى ما ذكرنا جرى صاحب القاموس ، وخطأً صاحب الصحاح
فقال : « وعبيد الله (٢) بن قيس الرقيات ، لعدّة زوجاتٍ أو جدّاتٍ له

(١) ط : « رقية لا رقية أيها الرجل » صوابه في ش . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) ش : « وعبد الله » ، صوابه في ط والقاموس .

أَسْمَاءُ رَقِيَّةَ كَسْمِيَّةَ . ووهم الجوهري « . انتهى .

وهذه عبارة الصحاح : وعبد الله بن قيس الرقيات إنما أضيف قيس إليهنَّ لأنه تزوج عدة نسوة . إلى آخر الأقوال الثلاثة .

ونقل السيوطي عن ابن الأنباري (في فصل معرفة الألقاب وأسبابها ^(١)) أنه كان يختار الرفع في الرقيات ، ويقول : إنه لقب لعبد الله ، لتشبيهه بثلاث نسوة أَسْمَاءُ رَقِيَّةَ . وقال غيره : الرقيات جداته ، فهو مضاف . انتهى .

يعني أنَّ عبد الله مضاف إلى الرقيات على تفسيرها بالجدات ، فيكون مثل حَبِّ رُمَانَ زَيْدٍ ، فإنَّ القصد إلى إضافة الحَبِّ المختصَّ بكونه للرمان إلى زيد . والمتلبس ^(٢) بالرقيات ابن قيس لاقيس . وهذا يوجَّه رواية جرَّ الرقيات .

وابن قيس الرقيات شاعر قریش ^(٣) . وهذه نسبته (من الجمهرة لابن الكلبي) : عبيد الله الذي يقال له ابن قيس الرقيات ، هو ابن قيس بن شريح ابن مالك بن ربيعة بن وهيب بن ضباب بن حُجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن النضر .

ابن قيس
الرقيات

(١) المزهري ٢ : ٤١٨ وعنوانه فيه « معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب » .

(٢) ش : « والمتلبس » ، صوابه في ط .

(٣) ش : « شاعر قرشي » ، والوجه ما أثبت من ط . وانظر ما سيأتى من نقل البغدادى عن

الزبير بن بكار .

٢٦٨ وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، وَشُرَيْحٌ ، وَوُهَيْبٌ ، وَحَجِيرٌ بِتَقْدِيمِ الْمَهْمَلَةِ ، وَلَوْيٌّ ، هَذِهِ
الْخَمْسَةُ بِالتَّصْغِيرِ .

وَضَبَابٌ بِالْفَتْحِ . وَعَبْدٌ بِالْإِفْرَادِ . وَمَعِيصٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ
الْمَهْمَلَةِ .

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ الرِّقِيَّاتِ لَهُ عَقَبٌ ، وَلَا عَقَبَ
لِعُبَيْدِ اللَّهِ . وَأَسَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، وَلَهُ يَقُولُ ابْنُ قَيْسٍ
الرِّقِيَّاتِ :

فَنَعَى أُسَامَةَ لِي وَإِخْوَتَهُ فَظَلَلْتُ مُسْتَكًّا مَسَامِيعَةَ (١)

وَرَقِيَّةٌ الَّتِي كَانَ يَشُبُّ بِهَا ابْنُ قَيْسٍ الرِّقِيَّاتِ بِنْتُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي
سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ وَهَبِ بْنِ وَهْبَانَ بْنِ ضَبَابٍ . كَذَا فِي الْجُمُحُورَةِ وَمَخْتَصَرِهَا
لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ .

قَالَ الزَّيْرِيُّ بْنُ بَكَارٍ : سَأَلْتُ عُمَى مَصْعَبًا ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الضَّحَّاكِ ،
وَمُحَمَّدَ بْنَ حَسَنٍ ، عَنْ شَاعِرِ قُرَيْشٍ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكُلُّهُمْ قَالُوا : ابْنُ قَيْسٍ
الرِّقِيَّاتِ .

وَفِي الْأَغَانِيِّ أَنَّ ابْنَ قَيْسٍ الرِّقِيَّاتِ كَانَ زَيْرِيَّ الْهُوِيِّ ، خَرَجَ مَعَ
مَصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَاتَلَ مَعَهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ مَصْعَبٌ ،

(١) ط : « مسامعه » ، صوابه في ش والديوان ٩٩ . وهو من قصيدة مطلعها :

ذهب الصبا وتركت غيتيه ورأى الغوالى شيب لتيه

فخرج هاربًا حتَّى دخل الكوفة ، فوقف على باب دارٍ فرأته صاحبةُ الدار فعرفتُ أنَّه خائف ، فأدخلته عليَّ^(١) وجاءت إليه بجميع ما يحتاجه ، فأقام عندها أكثرَ من حولٍ وهى لا تسأله من هو ولا يسأله من هى ، وهى تسمع الجُعل صباحًا ومساءً^(٢) . فبينما هو على تلك الحال وإذا بمنادى عبد الملك يُنادى ببراءة الذمة ممن أُصيبَ عنده : فأعلمَ المرأةُ أنَّه راحل ، فقالت : لا يروحك ماسمعت ، فإنَّ هذا نداءٌ شائع منذ نزلت بنا ؛ فإن أردتَ المقام فالرَّحْب والسَّعة وإن أردتَ الانصراف فأعلمنى . فقال لها : لا بدَّ من الرحيل . فلما كان الليل رَقَّتْ إليه وقالت : انزل إن شئت . فنزل وإذا راحلتان على إحداهما رَحْلٌ والأخرى زاملة ، ومعهما عبدانٍ ونفقةُ الطريق ، فقالت : العبدانِ لك مع الراحلتين . فقال لها : من أنت ؟ فوالله ما رأيْتُ أكرم منك ؟ قالت : أنا التى تقول فيها :

عَادَ لَه مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبُ فَعَيْنُهُ بِالْذُّمُوعِ تَنْسَكُبُ

وفى رواية الأصمعيَّ أنَّها قالت له : ما فعلتُ بك ما فعلتُ لتكافئنى ! فسأل عنها فقليل : كثيرة . فذكرها فى شعره . ثم مضى حتَّى دخل مكة فأتى أهله ليلا ، فلما دخل عليهم بكوا وقالوا : ما خرَجَ عَنَّا طلبُك إلَّا فى هذه الساعة فأنجُ بنفسك . فأقامَ عندهم حتَّى أسحر ، ثم نهض ومعه العبدانِ حتَّى أتى المدينة . فجاء إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء ،

(١) العلية ، بتشديد اللام والياء مع ضم العين وكسرهما : الغرفة ، وجمعها العلالي .

(٢) الجعل ، بالضم : ما يجعل لقاء عمل ، والمراد هنا : بالمال المعد لمن يدل على مكانه .

وهو يُعَشَّى أصحابه ، فجلس معهم وجعل يتعاجم ، فلما خرج أصحابه كشف عن وجهه وقال : جئت عائداً بك . فكتب ابن جعفر إلى أم البنين بنت عبد العزيز ، وهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، لتشفع له ، فشفعها فيه ، وقال لها : مُرِّيهِ يحضر مجلس العشية . فحضر مع الناس ، فأذن لهم وأُخِر الإذن له حتَّى أُخِلُوا مجالسهم ثم أُذن له ، فلما دخل قال عبد الملك : يا أهل الشام ، أتعرفون ^(١) هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا عُبيد الله بن قيس الرقيات ، الذى يقول :

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاش وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامُ غَارَةً شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَيْنِهِ وَتُبْدِي عَنْ خَدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعِزَاءُ ^(٢)

قالوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْقِنَا دَمَ هَذَا الْمَنَافِقِ . قال : الْآنَ وَقَدْ أَمِنْتَهُ ٢٦٩
وصار على بساطي ^(٣) وفي منزلي ؟! إِنَّمَا أُخِرْتُ الْإِذْنَ لَهُ لِتَقْتُلُوهُ فَلَمْ تَفْعَلُوا .
فاستأذنه في الإنشاد فأذن له . فأنشده :

* عاد له من كثرة الطَّرب *

حَتَّى وَصَلَ فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ :
إِنَّ الْأَغْرَّ الَّذِي أَبُوهُ أَبُو الْ
عَاصِي عَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْحُجْبُ
خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي رِعْيَتِهِ جَفَّتْ بِذَلِكَ الْأَقْلَامُ وَالْكَتَبُ ^(٤)
يَعْتَدِلُ التَّاجَ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

(١) ط : « تعرفون هذا » ، وأثبت ما في ش .

(٢) هو من شواهد حذف التنوين للضرورة . وقيل إنه على نية إضافة « خدام » إلى ضمير العقيلة . انظر الإنصاف ٦٦١ وابن يعيش ٩ : ٣٧ وما سيأتى في ص ٢٨٩ .

(٣) ش : « وسار على بساطي » ، صوابه في ط . وفي الأغاني ٤ : ١٥٦ : « وقد أمنتته وصار في منزلي وعلى بساطي » .

(٤) ط : « بذلك الأقلام » ، صوابه في ش والديوان .

فقال له عبد الملك : تمدحني بما يُمدح به الأعاجم ^(١) وتقول في مصعب بن الزبير :

إِنَّمَا مَصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ آلِ لَهُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ
يَتَّقَى اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ لَحَ مِنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِتْقَاءُ

أما الأمان فقد سبق لك ، لكن لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبداً !
فقال ابن قيس لابن جعفر : وما ينفعني أمانى ولا آخذ مع الناس عطاء ؟ !
فقال له ابن جعفر : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة . قال : فعمر نفسك ^(٢) . قال : عشرين سنة ^(٣) . قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألف درهم . فأمر له بأربعين ألف درهم ^(٤) .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : لما قُتل مصعب صار إلى ابن جعفر يستشفع به إلى عبد الملك ، فقال له : إذا دخلت معي فكل أكلاً يستشعنه . ففعل فقال : من هذا يا ابن جعفر ؟ قال : هذا أكذب الناس . قال : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنَّ غَضَبِيَا
وَأَنَّهُمْ مَعْدُنُ الْمُلُوكِ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

(١) في الأغاني : « تمدحني بالناج كَأَنِّي مِنَ الْعَجَم » .

(٢) أى قدر لنفسك عمراً مستقبلاً .

(٣) في الأغاني : « قال : عشرين سنة من ذى قبل ، فذلك ثمانون سنة » .

(٤) بعده في الأغاني : « وقال : ذلك على أن تموت على تعميرك نفسك » .

قال : قد عفونا عنه ، ولكن لا يأخذ مع المسلمين عطاء . فكان ابن جعفر إذا خرج عطاؤه يُعطيهِ منه . انتهى .

وفى رواية صاحب الأغاني : قال ابن قيس الرقيات : تسأل أمير المؤمنين عن أمرى ؟ قال : نعم ، فإذا دخلتُ إليه فادخل معى ، وإذا دُعيتُ بالطعام فكل أكلاً فاحشاً . ففعل فقال عبد الملك : من هذا يا ابن جعفر ؟ قال : إنسانٌ قد يجوز أن يكون صادقاً إن استُقيمت ، وإن قُتل كان أكذب الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه الذى يقول :

ما تَقَمُّوا من بنى أُمَيَّةٍ إِلاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

الآيات . فَإِنْ قَتَلْتَهُ لَغَضَبِكَ عَلَيْهِ كَذَّبْتَهُ فِيمَا مَدَحَكُم بِهِ . قال : هو آمن ، ولكن لا أعطيهِ عطاءً من بيت المال . قال : ولم وقد وهبته لى ، فأحبُّ أن تَهَبَ لى عطاءه أيضاً كما وهبت لى دمه ! قال : قد فعلت . قال : وتعطيهِ ما فاته من العطاء . قال : قد فعلت . وأمر له بذلك . انتهى .

وقوله : « كيف نومي على الفراش » البيتين ، أوردهما ابن السِّدِّ (فى أول أبيات معانيه) وقال : الغارة الاسم ، والإغارة المصدر . والشَّعْواء : الواسعة . والخِدَام : جمع خَدَمَةٍ بالتحريك : الخلخال : وحذف التنوين من خدام للضرورة ، والعقيلة فاعل تبدى ومعناها المرأة التى عُقِلَتْ أى حُصِنَتْ من أن تُتْرَى ، وهى الكريمة . والعنراء ^(١) : البكر .

* * *

(١) ش : « العنراء » بدون واو قبلها .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الخمسمائة (١) :

٥٣٤ (ومن طلب الأوتارِ ما حَزَّ أنْفُهُ قَصِيرٌ ورَامَ الموتَ بالسَّيْفِ يَبْهَسُ
نعامةً لَمَّا صرَّعَ القومُ رهطَه تَبَيَّنَ في أثوابِه كيف يَلْبَسُ)
على أَنَّ الشاعر قد أَتبع اللقب الاسم ، فَإِنَّ يبهسًا اسم رجل ، ونعامةً
لقبه ، وهو عطف بيان لبيس .

قال شارح اللباب : هذا من الإجراء في المفرد ؛ فَإِنَّ نعامة وبيس :
اسمان لذاتٍ واحدة ، والثاني لقب ، فكان القياس إضافة العلم إلى اللقب ،
وقد أُجْرِيَ عليه .

وكذا قال أبو حيان (في تذكرته) قال : إذا كان الاسم واللقبُ
مفردَيْن بلا آل أُضيف الاسم إلى اللقب . وقد يُجمع بينهما ويُفصل أحدهما
عن الآخر ، وجاء ذلك في الشعر . وأنشد البيتين .

وما في (ما حَزَّ) إمَّا زائدة ، أَى ومن طلب الأوتار حَزَّ أنْفُه قصير ،
وهو إشارة إلى قصَّة قصير مع الزَّبناء ، وهى مشهورة . أو مصدرية على أَنَّهُ
مبتدأٌ مع خبره ، والجار والمجرور وهو من طلب خبره مقدِّما عليه ، أَى حَزَّ
أنْفُه حاصلٌ من جهة طلب الأوتار .

و (نعامة) عطف بيان لبيس ، وهو محل الاستشهاد . ومحلُّ كيف
نصبٌ على الحال ، والعامل يلبس ، والجملة وهى كيف مع ما عمل فيه سادٌّ

(١) ديوان المتلمس ٦ مخطوطة الشنقيطى ، والحامسة بشرح المرزوق ٦٥٩ .

مَسَدُ المَفْعُولِينَ لَتَبَيَّنَ ^(١) . ولا يجوز أن يكون مفعولاً لتَبَيَّنَ لِثَلَا يَبْطُلُ صَدْرِيَّتَهُ .
انتهى .

والبيتان من قصيدة للمتلمس أورد منها أبو تمام (في الحماسة) صاحب الشاهد بعضها . وهذا أول ما أوردته :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ فَلَا تَقْبَلُنْ ضَيْمًا مَخَافَةَ مِيتَةٍ فَمَنْ طَلَبَ الْأَوْتَارَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَا رَأَوْا وَتَحَدَّثُوا أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجَوْنَ أَصْبَحَ رَاسِيَا عَصَى تَبَعًا أَزْمَانَ أَهْلَكَ الْقُرَى هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أَثِيرَتْ زُرُوعُهَا وَذَاكَ أَوَانُ الْعَرَضِ حَتَّى ذُبَابُهُ يَكُونُ نَذِيرٌ مِنْ رَوَائِي جُنَّةٌ وَجَمَعَ بَنَى قَرَانَ فَاعْرَضَ عَلَيْهِمْ فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالْوَدِّ تُقْبَلُ بِمِثْلِهِ وَإِنْ يَكُ عَنَّا فِي حُيَيْبٍ تَنَاقَلْ	صَرِيحٌ لِعَافِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يُرْمَسُ وَمُوتُنْ بِهَا حَرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ الْبَيْتَيْنِ وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ يُضَامُوا فَيَجْلِسُوا تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ وَيُكَلَّسُ وَعَادَتْ عَلَيْهَا الْمُنْجُونُ تَكْدَسُ زَنَايِرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَمَلِّسُ وَيَنْصُرُنِي مِنْهُمْ جُلَى وَأَحْمَسُ فَإِنْ تَقْبَلُوا هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُؤَيَّسُ وَالْأُفَّا فَإِنَّا نَحْنُ آبَى وَأَشْمَسُ فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِقْنَبٌ مَا يَعْرِسُ)
--	--

هذا ما أوردته أبو تمام .

قال ابن الأعرابي : إِنَّمَا قَالَ [هذا] ^(٢) فيما كان بين بني حنيفة وبين
ضبيعة بالجمامة ، فأراد بنو حنيفة ^(٣) ، فنهاهم أن يُقيموا على الدَّلِّ وأن يقبلوا

(١) كنا في النسختين ، أى قول ساد مسد المفعولين .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كنا في النسختين ، والمعنى : أرادوا قبول الضيم .

الضَّيْم من قومهم ، وأمرهم ^(١) بقتالهم حتَّى يعطوهم حَقَّهُم .

ومعنى أَلَمْ تر : أَلَمْ تعلم . يقول : الإنسان مُرْتَهَنٌ بِأَجَل ، فَإِذَا أُنْ يَمُوت حَتَفَ أَنْفَهُ فَيَدْفَن ، وَأَمَّا أَنْ يُقْتَلَ فِي مَعْرَكَةٍ فَيَتْرَكَ لِعَوَافِي الطَّيْرِ وَالسَّبَّاح . وهو جمع عافية ، وهو كُلُّ طَالِبٍ رَزَقَ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ بَهِيمَةٍ أَوْ طَائِرٍ . وَالرَّمْس : الدَّفْن .

٢٧١

وقوله : « فلا تَقْبَلُنَّ ضِيْمًا » إلخ الضيْم : الظلم ، والهضم . وميِّتة : فِعْلَةٌ مِنَ الْمَوْت ، تكون للحال والهيئة ، أَى لا تَقْبَلِ الضَّيْمَ مَخَافَةَ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمَوْتِ وَنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ . وميِّتة مرجع الضمير فى « بها » ، أَى مِتْ بِتِلْكَ الْمَيِّتَةِ حَرًّا لَمْ يَسْتَعْبِدْكَ الْحَرُّ . وجلدك أَمْلَس : نَقَى مِنَ الْعَارِ سَلِيمٌ مِنَ الْعَيْبِ . يريد أنَّ الْمَوْتَ نَازَلَ بِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فلا تتحمل العار خوفًا منه .

وقوله : (فَمَنْ طَلَبَ الْأَوْتَارَ) من للتعليل ، وما إِمَّا زائدة وإِما مصدرية . والأوتار : جمع وتر بفتح الواو وكسرها : الثَّأْرُ وَالذَّلْحُل . وحَزَّ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالزَّاءِ الْمَعْجَمَةِ : مَاضٍ مِنْ حَزَزْتَ الْخَشْبَةَ حَزًّا ، مِنْ بَابِ قَتْلٍ : فَرَضْتُهَا . وَالْحَزُّ : الْفَرَضُ . وَأَنْفَهُ مَفْعُولُهُ ، وَقَصِيرُ فَاعِلُهُ .

و (صَرَّعَ) مِبَالِغَةٌ صَرَّعْتُهُ صَرْعًا ، مِنْ بَابِ نَفْعٍ ، إِذَا قَتَلْتَهُ . وَالْقَوْمُ فَاعِلُهُ ، وَرَهْطُهُ مَفْعُولُهُ . وَالرَّهْطُ : مَا دُونَ عَشْرَةٍ مِنَ الرِّجَالِ لَيْسَ فِيهِمْ امْرَأَةٌ ، وَقِيلَ مِنْ سَبْعَةٍ إِلَى عَشْرَةٍ . وَمَا دُونَ السَّبْعَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : الرَّهْطُ وَالتَّنْفَرُ : مَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ . وَقَالَ ثَعْلَبٌ : الرَّهْطُ وَالتَّنْفَرُ وَالْقَوْمُ

(١) ط : « أمر » وأثبت ما فى ش .

والمعشر والعشيرة ، معانهم الجمع ، لا واحد لهم من لفظهم ؛ وهو للرجال دون النساء . وقال ابن السكيت : الرَّهْطُ والعِترَةُ بمعنى . ورهط الرجل : قومه وقبيلته الأقربون . كذا في المصباح . و (تَبَيَّنَ) بمعنى عَلِمَ . وهذا الكلام من المتلمس تحضيضٌ على دفع الضِّيم وركوب الإباء من التزام العار ، فلذلك أخذ يذكر بحال من لم يزل يحتال حتَّى أدرك مَبَاغِيهِ من أعدائه .

وفي اليت إشارةٌ إلى قصتين : إحداهما : قصة قصير صاحب جذيمة الأبرش مع الزباء ، والثانية : قصة يئُهس .

أما الأولى فقد رواها صاحب الأغاني عن ابن حبيب قال : كان جذيمة الأبرش من أفضل الملوك رأياً وأبعدهم مُغاراً ، وأشدَّهم نكايَةً . وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق . وكانت منازلُه ما بين الأنبار ، ورَقَّة (١) ، وهيت ، وعين التمر ، وأطراف البَرِّ ، والقُطْقُطانة ، والحيرة . فقصده في جموعه عمرو بن الظَّرب بن حسان بن أذينة بن السَّميدع بن هَوَير العاملي ، من عاملة العماليق ، فجمع عمرو جموعه ولقيَه ، فقتله جذيمةُ وفضَّ جموعه فانفلوا (٢) وملَّكوا بعده عليهم ابنته الزَّباء ، وكانت من أحزم النساء ، فخافت أن يغزوها ملوكُ العرب فأتخذت لنفسها نفقاً في حصنٍ كان لها على شاطئ الفرات ، وسكَّرت الفرات (٣) في وقت قَلَّةِ الماء ، وبنَت في بطنه أَرْجاً من الآجُرِّ والكِلْس ، متصلاً بذلك النفق ، وجعلت نفقاً آخر في البرية متصلاً

(١) كذا في النسختين ، وصوابها : « وبَقَّة » كما في الخزائنة ١١ : ٤٠٩ .

(٢) يقال فل القوم يقلهم فلا : هزمهم فانفلوا . وفي الأغاني ١٤ : ٧١ : « ونفلوا » ، وما هنا صوابه .

(٣) سكر النهر يسكره سكرًا : سد فاه . وفي الأغاني : « وسكنت الفرات » ، تحريف .

بمدينة أختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدواً دخلت الثفق .
فلما استجمع لها أمرها أرادت أن تغزو جذيمة ثائرة بأبيها ، فقالت لها أختها ،
وكانت ذات رأي وحزم : (١) الرأي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن
تتزوجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه ، وسليه أن يُجيبك ، فإن اغترَّ ظفِرت به
بلا مخاطرة . فكتبت إليه بذلك ، فاستخفه الطمع ، وشاور أصحابه فكلَّ
صوب رأيهِ في قصدها وإجابتها ، إلا قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن
قيس بن هلال بن ثمار بن لحم ، فقال : هذا رأي فاتر ، وغرَّ حاضر ، فإن
كانت صادقة فلتقبل إليك ، وإلا فلا تملكها من نفسك (٢) . فلم يوافق
جذيمة قوله ورحل إليها ، فلما دخل عليها أمرت بقطع رواهش (٣) ، ونزف
دمه إلى أن مات . فخرج قصير إلى عمرو بن عدى ، ابن أخت جذيمة ،
فقال : هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بدم خالك ؟ فجعل
ذلك له ، فأتى القادة والأعلام فقال : أنتم القادة والرؤساء ، وعندنا الأموال
والكنوز . فانصرف إليه منهم بشر كثير ، وملكوا عمرو بن عدى ، فقال
قصير : انظر ما وعدتني به في الزباء . قال : وكيف وهى أمنع من عقاب
الجو ؟ فقال : إذا أبيت فإني جادع أنفى وأذنى ، ومحتال لقتلها ، فأعنى
وخلاك ذم . فقال له عمرو : أنت أبصر . فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى
دخل على الزباء فقال : أنا قصير ، لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض

٢٧٢

(١) كنا . والعبارة مسهبة في الأغاني .

(٢) في الأغاني : « فلا تملكها من نفسك » .

(٣) الرواهش : عروق في باطن النراع .

أَحَدٌ كَانَ أَنْصَحَ لَجُذَيْمَةَ مَنَّى وَلَا أَغَشَّ لَكَ ، حَتَّى جَدَعَ عَمْرُو بْنُ عَدَى أَنْفَى
وَأُذْنِي ، فَعَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ مَعَ أَحَدٍ أَثْقَلَ عَلَيْهِ مِنْكَ . فَقَالَتْ : أَيُّ قَصِيرٍ ،
نَقَبَلْ ذَلِكَ مِنْكَ وَنَصَرَفَكَ فِي بَضَاعَتِنَا . فَأَعْطَتْهُ مَالًا لِلتَّجَارَةِ ، فَأَتَى بَيْتَ مَالِ
الْحِوَيْةِ فَأَخَذَ مِمَّا فِيهِ بِأَمْرِ عَمْرُو بْنِ عَدَى مَا ظَنَّ أَنَّهُ يَرْضِيهَا ، وَانصَرَفَ إِلَيْهَا
بِهِ . فَلَمَّا رَأَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَرَحَتْ بِهِ وَزَادَتْهُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى أَنْسَتْ بِهِ ،
فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مِلْكِي وَلَا مِلْكٍ إِلَّا وَيَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَتَّخِذَ نَفَقًا تَهْرُبُ
إِلَيْهِ عِنْدَ حُلُوثِ حَادِثَةٍ . فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ، تَحْتَ سَرِيرِي هَذَا ،
يَخْرُجُ إِلَى نَفِيقٍ تَحْتَ سَرِيرِ أُخْتِي . وَأَرَّثَهُ إِيَّاهُ . فَأَظْهَرَ سُرُورًا بِذَلِكَ ، وَخَرَجَ
فِي تِجَارَتِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وَعَرَفَ عَمْرُو بْنُ عَدَى مَا فَعَلَهُ ، فَركبَ عَمْرُو بْنُ
أَلْفَى دَارِعَ عَلَى أَلْفِ بَعِيرٍ فِي جَوَالِقَ ، حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَيْهَا تَقَدَّمَ قَصِيرٌ وَدَخَلَ
عَلَى الزَّيَّاءِ فَقَالَ : اصْعَدِي حَائِطَ مَدِينَتِكَ ، فَاظْطَرِّي إِلَى مَالِكِ ، فَإِنِّي قَدْ
جِئْتُ بِمَالٍ صَامِتٍ . وَقَدْ كَانَتْ أُمِّتُهُ فَلَمْ تَكُنْ تَتَّهَمُهُ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى ثِقَلِ
مَشْيِ الْجَمَالِ قَالَتْ - وَقِيلَ إِنَّهُ مَصْنُوعٌ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا - :

مَا لِلْجَمَالِ مَشْيَهَا وَثِيدًا أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدًا

الْأَيَّاتِ الْمَشْهُورَةِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ الْإِبِلَ خَرَجُوا مِنَ الْجَوَالِقِ فَتَّارُوا بِأَهْلِ
الْمَدِينَةِ ضَرْبًا بِالسَّيْفِ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهَا قَصْرَهَا فَهَرَبَتْ تَرِيدُ السَّرْبَ (١) ،
فَوَجَدَتْ قَصِيرًا قَائِمًا عِنْدَهُ بِالسَّيْفِ ، فَانصَرَفَتْ رَاجِعَةً وَاسْتَقْبَلَهَا عَمْرُو بْنُ
عَدَى فَضَرَبَهَا . وَقِيلَ : بَلْ مَصَّتْ خَائِمَهَا وَقَالَتْ : « بِيَدِي لَا يَبِيدُ عَمْرُو ! »
وَحَرَبَتْ الْمَدِينَةَ وَسُبَّيْتُ الدَّرَارِي ، وَغَنِمَ عَمْرُو كُلَّ شَيْءٍ كَانَ لَهَا وَلِأَيِّهَا وَأَخْتَهَا .
انتهى .

(١) السرب ، بالتحريك : الحفير تحت الأرض .

وأما يهيس الذى يلقب « نعامه » فهو رجلٌ من بنى فزارة ، وكان يحمق ، فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

البس لكل حالة كبوسها إما نعيمها وإما بُوسها ^(١)

فتوصل بما صورّه من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

وقوله : « البس لكل حالة » إلخ قال الزمخشري (فى أمثاله) : قاله يهيس حين شق قميصه فغطى به رأسه وكشف استه بعد قتل إخوته . وإثما أراد أنه افترض بقتلهم ، وإثمه إن لم يثأر بهم فهو كالمقنع رأسه واسته مكشوفة . يضرب فى تلقى كل حال بما يليق بها ^(٢) . انتهى .

وقد أورده (فى الكشف) عند قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ كَبُوسٍ ﴾ ^(٣) على أن أصل كبوس اللباس ، بمعنى ما يلبس .

وقد أخطأ خضر الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين) فى نسبته إلى يهيس بن صهيب يهيس بن صهيب القضاعى ، وهو شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، وقد ترجمه الأصمهانى (فى الأغاني) بحكايات ونقلها خضر منها ، ونسبها إلى قائل البيت . وقد حصل له اشتباه من اتفاق الاسمين .

وقائل البيت جاهلى ، وقد ضرب به المثل فى الجاهلية .

(١) ط : « بوسها » بالهمز ، صوابه فى ش والأغانى ٢١ : ١٢٣ .

(٢) ط : « يلتقى بها » ، صوابه فى ش .

(٣) الآية ٨٠ من سورة الأنبياء .

وقال أبو عبيد : المدركون الثَّارُ في الجاهلية ثلاثة : بيهس ، وقَصير ، وسيف [بنُ] ذى يزن (١) .

وبيهس صاحب البيت (كما في الجمهرة) هو بيهس بن خلف بن هلال بن غُرَاب (٢) . بن ظالم بن فزارة بن ذُيَّان . فهو عدنانيّ ، وذاك قحطاني .

قال ابن الكلبي (في الجمهرة) : بيهس وإخوته التسعة ، منهم : نَفر ، وريع ، وحُصين ، بنو خَلَف ، كانوا من أشطر فتيان العرب . انتهى . والمشهور أنَّهم سبعة .

وهذه قصته (من مجمع الأمثال للميداني) قال : بيهس الفَزَارِيُّ الملقَّب بنعمانة كان سابعَ سبعة إخوة ، فأغار عليهم ناسٌ من أشجع بينهم وبينهم حرب ، وهم في إبلهم ، فقتلوا منهم ستَّة وبقِيَ بيهس ، وكان يَحْمَقُ ، وكان أصغرهم ، فأرادوا قتله ثم قالوا : وما تريدون من قتل هذا ، يحسب عليكم برجل ، ولا خير فيه . فتركوه فقال : دعوني أتوصل معكم (٣) . فلما كان من الغد نزلوا فبحروا جزورًا في يوم شديد الحرّ فقالوا : ظلَّلوا لحكمكم لا يفسد . فقال بيهس : « لكنَّ بالأثلاث لحمًا لا يظلل » يريد إخوته ، فذهبت مثلاً . فلما قال ذلك قالوا : إنَّه لمُنكَّر ، وهُمُوا أن يقتلوه ، ثم تركوه وظلُّوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون ، فقال أحدهم : ما أطيب يومنا وأخصبه !

(١) التكملة من ش والأغاني ٢١ : ١٢٢ .

(٢) ط : « عزاب » ، صوابه في ش .

(٣) في أمثال الميداني ١ : ١٣٨ : « أتوصل معكم إلى الحى » .

فقال ييهس : « لَكُنْ عَلَى بَلَدَحَ قَوْمٍ عَجَفَى ! » . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .
ثم انشعب طريقَهُمْ فَأَتَى أُمَّهُ فَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ ، قَالَتْ : فَمَا جَاءَنِي بِكَ
مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكَ ؟ قَالَ يِيَهْسُ : « لَوْ خَيْرٌ لَاخْتَرْتُ » . فَذَهَبَتْ مَثَلًا .
ثم إِنَّ أُمَّهُ عَطَفَتْ عَلَيْهِ وَرَقَّتْ ، فَقَالَ النَّاسُ : لَقَدْ أَحَبَّتْ أُمُّ يِيَهْسِ
يِيَهْسًا . فَقَالَ : « تُكَلِّلُ أَرَامَهَا وَلَدًا ! » أَيْ أَعْطَفَهَا عَلَى وَلَدٍ . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .
ثم إِنَّ أُمَّهُ جَعَلَتْ تَعْطِيهِ ثِيَابَ إِخْوَتِهِ فَيَلْبَسُهَا فيقول : « يَا حَبْدَا الثَّرَاثُ
لَوْلَا الذَّلَّةُ ! » . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

ثم إِنَّهُ أَتَى عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ! فَمَرَّ بِنِسْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يُصْلِحُنْ امْرَأَةً
مِنْهُمْ ، يَرِدُنْ أَنْ يُهْدِيَنَهَا لِبَعْضِ قَتَلَةِ إِخْوَتِهِ ، فَكَشَفَ ثَوْبَهُ عَنْ اسْتِهِ وَعَطَى
رَأْسَهُ ، فَقُلْنَ : وَيْلَكَ مَا تَصْنَعُ يَا يِيَهْسُ ؟ فَقَالَ : « الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ الْبَيْتِ .
فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

ثم أَمَرَ نِسَاءً مِنْ بَنِي كَنْانَةَ وَغَيْرِهَا فَصَنَعْنَ لَهُ طَعَامًا ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ
ويقول : « حَبْدَا كَثُرُوا الْأَيْدَى فِي غَيْرِ طَعَامٍ ! » . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَتْ أُمُّهُ :
لَا يَطْلُبُ هَذَا بَثَارُ ! فَقَالَ : « لَا تَأْمَنِ الْأَحْمَقُ وَفِي يَدِهِ سَكِينٌ ! » . فَأَرْسَلَهَا
مَثَلًا .

ثم إِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ أَنَاسًا مِنْ أَشْجَعٍ فِي غَارٍ يَشْرَبُونَ فِيهِ ، فَانْطَلَقَ بِخَالٍ لَهُ
يقال [لَهُ] ^(١) أَبُو حَنْشٍ فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي غَارٍ فِيهِ ظَبَاءٌ لَعَلَّنَا نَصِيبُ
مِنْهَا ؟ وَيُرَوَّى : « هَلْ لَكَ فِي غَنِيمَةٍ بَارِدَةٍ ؟ » . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا . فَانْطَلَقَ يِيَهْسُ

(١) التكملة من ش .

بخاله حتَّى أقامه على فم الغار ، ثم دفع أبا حنشل فى الغار فقال : ضرباً أبا حنشل ! فقال ^(١) بعضهم : إن أبا حنشل لبطل ! فقال أبو حنشل : « مُكرَّةُ أخاك لا بطل » . فأرسلها مثلاً ^(٢) .

فقتلهم جميعاً ، وجعل يتتبع قتلة إخوته ويتقصَّاهم حتَّى قتل منهم أناساً كثيراً .

وقوله : « لكنْ على بلدح قومٌ عجفى » يضرب فى التحوُّن بالأقارب . وبلدح ، كجعفر : جبلٌ فى طريق جُدَّة ، على أربعة أميال من مكة .

وقوله : « وما الناس إلَّا ما رأوا » إلخ رواه أبو عمرو :
وما البأسُ إلَّا حملُ نفسٍ على السرى وما العجزُ إلَّا نومةٌ وتشمُّسُ
ومعنى الأول : ما الناس إلَّا رؤيةٌ وتحدُّثٌ ، أى اعتبارٌ بالمشاهدة أو بما يروى من أخبار الأمم .

وقوله : « ألم تر أنَّ الجون » إلخ بفتح الجيم : حصنُ اليمامة . يقول : لاتوعلونا فإنَّ حصننا حصين لا يُوصَلُ إليه ، ولا يُستباحُ جِماه . وجملة : « تطيف » إلخ إمَّا فى موضع خبر ثانٍ لأصبح ، وإمَّا صفةٌ لراسياً . « وما يتأيس » : لا يلين ، فى موضع الحال .

وقوله : « عصى تُبعاُ أزمان » إلخ يقول : إنَّ تُبعاُ لما غزا القرى والمدن ، لم يصل إلى اليمامة . و « يُطانُ عليه بالصفيح » ، أى يجعله بَدَل طينه فى الإصلاح والعمارة . ويجوز أن يكون بالصفيح حالاً ، أى يطان ويكلس بصفاحه ، أى هو مبنئ بالحجارة . ويكلس : يُصهرج . والكلس :

(١) ط : « قال » ، وأثبت ما فى ش وأمثال الميداني .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية القصة لم أجده فى الميداني .

الصَّارُوجُ ^(١) . والصفّيح : الحجارة العِراض . ومعناه أنّه يُبنى على المياه التي هي كالصفّيح . والصفّيح : السيوف ، واحدها صفيحة . ويشبّه الماء إذا كان صافيا بالسّيف . وذكر الماء وأراد العمارة ، لأنّها به تكون .

وقوله : « هَلُمَّ إِلَيْهَا » إلخ يخاطب النعمان . وهذا تهكّم وسُخرية . يقول : إن قدرت عليها فاقصدها فإنّها أخصب ما يكون ، مُزْدَرَعُها مُثار ، ودواليها تدور ^(٢) . وضمير إليها لليمامة . والمنجنون : الدُّولاب . ومعنى تَكْدَسُ : يركب بعضها بعضا في الدُّوران . ويستعمل في سِرِّ الدوابِّ وغيرها .

وقوله : « وَذَاكَ أَوَّانُ الْعَرِضِ » بكسر العين المهملة : واد من أودية اليمامة . وحى أى عاش بالخصب . وروى : « جَنَّ » أى كثر ونشط . وزنايوه بدل من ذبايه . وذباب الرّوض قد يسمّى الزناير . وقوله « الْأَزْرَقُ الْمُتَلَمِّسُ » : جنس آخر يكون أخضر ضخماً . والمتلمس : الطالب . وقد سُمّي الشاعر الْمُتَلَمِّسُ بهذا البيت ، واسمه جرير . ولك أن تنصب الأَوَّانَ وترفع العرض بالابتداء ، واسم الزمان يضاف إلى الجمل ، كأنّه قال : وهذا الذى ذكرت هو فى ذاك الأَوَّان .

وقوله : « يَكُونُ نَذِيرٌ مِنْ وَرَائِي » إلخ هو نذير بن بُهْثَة بن وهب . وقيل أراد بالنذير المنذّر . والمعنى : إِنِّى لَمُرْصِدٌ لَهُمْ مَنْ يُنْذِرُنِى بِهِمْ فَأَتَّقِ وَأَتَحَرَّزْ . وَجَلَّى بضم الجيم وفتح اللام وتشديد الياء ؛ وأحمس : بطنان من ضبيعة

(١) فى النسختين : « الصهروج » ، وصوابه من اللسان والقاموس .

(٢) ط : « تدر » ، صوابه فى ش .

ابن ربيعة . يقول : فإذا جاء وقتُ التحارب قام بنصرى هذان البطنان . وقيل نذير وجُلّئى : أخوان ، وأحمس بن ضُبَيْعَة أبوهما . يقول : هم ينصروننى ويكونون لى وقايةً من العدو .

وقوله : « وَجَمَعَ بنى قُرَّان » إلخ جمع منصوب بفعل مضمر ، كأنه قال : سَمَّ جمع بنى قُرَّان . ومعنى البيت : أُجرونا مُجرى نظائرنا ، فإنَّا نرضى بهم قُدوةً ، واعرَضُوا ما تَسُومُونَا ^(١) على بنى قُرَّان ، فإن التزموه وقبلوه فلنا بهم أُسوةً ، وإلَّا فالامتناع واجب . وقوله : « هاتا » إلخ أى هذه الخطئة التى نُكْرَهُ عليها . والأُنْبَس : القهر . وقال ابن الأعرابى : أبست الرجل ، إذا لقيته بما يكره ، وأبسته إذا وضعت منه باستخفاف وإهانة .

قوله : « فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالوَدِّ نَقْبِلْ بِمِثْلِهِ » إلخ أعاد الشرط وذلك أَنَّهُ قال قبل هذا : فَإِنْ يَقْبَلُوا هاتا ، ولم يأتِ له بجواب ، ثم قال : فَإِنْ يُقْبَلُوا بِالوَدِّ نَقْبِلْ بِمِثْلِهِ ، فاكْتَفَى بجوابٍ واحد لاشتِماله على ما يكون جوابًا لهما ، فكأنَّهُ قال : إِنْ قَبِلُوا ما نَوَيْسُ به نَقْبِلْ مثله ، وَأَنْ أَقْبَلُوا بعد ذلك وَأَدَّيْنِ أَقْبَلْنَا ، وإلَّا فنحن أَشَدُّ أو أَبْلَغُ شِماسًا ، أى امتناعًا . وكان بنو ضُبَيْعَة حلفاء لبني ذُهل بن ثعلبة ابن عُكابة ، فوقع بينهم نزاع ، فعاتبَهُم المتلمس .

وقوله : « وَإِنْ يَكْ عَنَّا » إلخ أراد : حُبِّبْ فخَفَّفْ ، وهو حُبِّبْ بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . يقول : إِنْ تَكَاسَلَ بنو حُبِّبْ عن إدراك ثأرنا فقد كان منا من يدأب ويسهر . والمِقْنَب بالكسر : زهاء ثلثمائة من

(١) ط : « ماتسامونا » ، والصواب من ش .

الخليل . والتعريس : النزول في آخر الليل . وقوله : « ما يعرّسُ » أى ما يستقرّون إذا وتروا ، ولكنهم يعزّون ^(١) ويغيرون أبداً حتى يدركوا بثأرهم .
 والمتلمس شاعر جاهلي ، واسمه جرير بن عبد المسيح ، وسمّى المتلمس بالبيت المذكور . وقد تقدّمت ترجمته مفصّلة في الشاهد التاسع والستين بعد الأربعمئة ^(٢) .

المتلمس

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الخمسمئة ، وهو من شواهد سيبويه ^(٣) :

٥٣٥ (ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبْعانِ)

على أَنَّ (السَّبْعانِ) أعرب بالحركة على النون مع لزوم الألف . وإذا نسب إليه قيل السَّبْعانيّ .

وقال الزمخشريّ (في باب النسب من المفصل) : ومن ذلك قَسْرُ ونَصْبُ ، فيمن جعل الإعراب قبل النون . ومن جعله معتقب الإعراب قال قَسْرِنِي . وقد جاء مثل ذلك في التثنية قالوا : خيلانيّ وجاءني خليلان ^(٤) اسم رجل . وعلى هذا قوله :

* ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبْعانِ *

(١) ط : « يفرون » ، صوابه في ش .

(٢) انظر ما سبق في ٦ : ٣٤٥ - ٣٥٢ .

(٣) في كتابه ٢ : ٣٢٢ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٠٣ وإصلاح المنطق ٣٩٤ وابن عيش

٥ : ١٤٤ والاقتضاب ٤٧٢ والمعنى ٤ : ٥٤٢ والتصریح ١ : ٦٩ - ٢ : ٣٢٩ والأشئوني

٤ : ٣٠٩ . والبيت في ديوان تميم ٢٣٥ .

(٤) ط : « وجاءني خيلاني » ، صوابه في ش وابن عيش ٥ : ١٤٤ .

قال ابن المستوفى : وجدت بخط الرَّمْشَرِيِّ : ومن جعله مُعْتَقِبَ الإعراب ، بكسر القاف . وقد صَحَّحَ عليه مَرَّتَيْنِ . فالْمَفْتُوحُ القاف مصدر ، والمكسورها اسم فاعل . انتهى .

وقد أورد سيبويه هذا المصراع في أوزان الأسماء قال : ويكون على فَعْلَانٍ وهو قليل ، قالوا : السَّبْعَان ، وهو اسم . قال ابن مقبل :

« أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بالسَّبعَانِ » انتهى

وأورده ابن قتيبة (في أدب الكاتب) على أنه لم يأت اسم على فَعْلَانٍ إلا حرف واحد .

وكذلك قال أبو عُبيد عبد الله البكري (في شرح أمالي القالي) . وقال (في معجم ما استعجم) : السَّبْعَان بفتح أوله وضم ثانيه على بناء فَعْلَان ، هكذا ذكره سيبويه ، وهو جبلٌ قَبْلَ الفلج . وأنشد هذا البيت . والفلج بفتح الفاء وسكون اللام بعدها جيم : موضعٌ في بلاد بني مازن ، وهو في طريق البصرة إلى مكة .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : السبعان منقول من تثنية السَّبْع بفتح فضم ، قال أبو منصور : هو موضعٌ معروف في ديار قيس . وقال نصر : السَّبْعَان : جبلٌ قَبْلَ فلج ، وقيل واد شمالي سَلَمَ عنده جبلٌ يقال له العبد ، أسود ليس له أركان . ولا يعرف في كلامهم اسمٌ على فَعْلَانٍ غيره . انتهى .

وهذا المصراع وقع صدر بيتٍ هو مطلعٌ قصيدتين لشاعرين أحدهما ^(١) تميم بن مقبل ، وهو شاعرٌ إسلاميٌّ مخضرم ، وتقدمت ترجمته في

(١) ط : « أحدهما » ، صوابه في ش .

الشاهد الثاني والثلاثين من أوائل الكتاب ^(١) .

والثانية لشاعر جاهلي من بني عُقيل .

أما الأولى وهي ^(٢) المشهورة التي ذكرها شُراح الشواهد ، فهذه أبيات من أولها :

أبيات الشاهد
(أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أَمَلٌ عَلَيْهَا بِالْبَلَى الْمَلَوَانِ)
نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ النَّاسِ يَخْتَلِفَانِ
أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ لَا هَجَرَ بَيْنَنَا وَلَكِنْ رِوَعَاتٍ مِنَ الْحَدَثَانِ
لَدِهْمَاءَ إِذْ لِلنَّاسِ وَالْعَيْشِ غِرَّةٌ وَإِذْ خُلُقَانَا بِالصَّبَا عَسِيرَانِ)

٢٧٦

وقوله : (أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ) إلخ أَلَا : حرف تنبيه . يتأسَّف على ديار قومِه بهذا المكان ، ويُخبر أنَّ الملوين ، وهما الليل والنهار ، أبليناها ودرَساها . والحيّ : القبيلة . وقوله : (بِالسَّبْعَانِ) متعلّق بمحذوف على أنَّه حال من ديار .

وقوله : (أَمَلٌ عَلَيْهَا) فيه التفاتٌ ؛ لأنَّه لم يقل عَلَيْكِ ، قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : هو من أَمَلْتُ الكتابُ أُمْلَهُ . خاطبها ثم خرج عن خطابها إلى الإخبار عن الغائب . وقيل : ويجوز أن يكون من أَمَلْتُ الرجلَ ، إذا أضجرتَه وأكثرت عليه ما يؤذيه ، كأنَّ الليل والنهار ^(٣) أَمَلَّاهَا من كثرة ما فعلا بها من البلى . و (الملوَانِ) : اللَّيْل والنهار ولا يُفرد واحدٌ

(١) الخزنة ١ : ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) ط : هـ هـ صوابه في ش .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « الليل والنهار » التالية ساقط من ش .

منهما . يريد أن الليل والنهار أملاً عليها أسباب البلى ، فزاد الباء ^(١) كما قال :
* لا يقرآن بالسُّور * انتهى

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي ^(٢)) : أَمَلٌ بمعنى دأب
ولازم ، ومن هذا قيل للدين مِلَّةٌ ، لأنها طريقةٌ تلازم . وقال الأصمعي : أَمَلٌ
في معنى أُملى ، أى طال . انتهى .

وقال الجوهري : أَمَلَهُ وَأَمَلَّ عَلَيْهِ ، أى أسامَهُ ، فأراد بأَمَلٍ عليها أسامَهَا
الملاونَ بالبلى لكثرة اختلافِهما عليها . والبلى ، بالكسر والقصر مصدر بلى
الثوبُ يَبْلَى ، من باب تعب ، بلى وبلاءٌ بالفتح والمد ، أى خَلَقَ ، فهو بال .
وبلى الميِّت : أَفْتَنَهُ الأرض .

وأَنشد ابن السكيت هذا البيت (في إصلاح المنطق) على أن الملاوين
فيه بمعنى الليل والنهار .

وقال أبو عبيد البكري ، وابن السَّيِّد (في شرح أبيات أدب
الكتاب) : جعل الشاعر الملاوين هنا بمعنى الغداة والعشي ، ويدلُّ عليه قوله
بعده :

* نهارٌ وليلٌ دائِبٌ ملوَاهُما *

ودأب : اجتهد وبالع في العمل . وقوله : « على كلِّ » متعلق بدائب .
والرُّوعة : المَرَّة من الروع ، وهو الفزع . والحدَثانُ : مصدر حدث الشيء ،
من باب قعد ، إذا تجدد . أراد حوادث الدهر .

(١) الكلام بعده إلى « طريقة تلازم » ساقط من ش .

(٢) سبط اللآلئ ٥٣٣ .

والغرة بالكسر : الغفلة . وحُلُقانا : مشى حُلُق بضمّتين ، مضاف إلى

نا .

وأما الثانية فقد أورد خمسة أبيات من أولها إبراهيم الحُصْرِيّ (في كتابه
زهر الآداب ^(١)) ، وقال : إنَّها لشاعِر جاهلي من بني عُقيل . وتابعه ياقوت
(في معجم البلدان) ، وهى :

(ألا يا ديار الحَيِّ بالسَّبْعانِ عَفْتُ حَجَجًا بَعْدَى وَهْنٌ ثَمَانِ
فلم يبق منها غيرُ نُؤْيٍ مهْدَمٍ وغيرُ أَثافٍ كالرُّكْبَى دِفانٍ
وآثارٍ هابٍ أورِقِ اللُّونِ سافرت به الرِّيحُ والأمطارُ كلَّ مكانٍ
قِفارٍ مَرُورَةٍ يَحارُ بها الفِطَا ويُضجى بها الجأبانُ يفترقانِ
يُنيرانِ من نسجِ العُبارِ ملاءةً قميصين أسمالاً ويرتديانِ)

أبيات أخرى

وقوله : (عَفْتُ حَجَجًا) يقال عفت الدار تعفو ، أى اندرست
وذهب أثرها . والحجج : جمع حِجَّة بكسر أولهما : السَّنة . ورَوَى ياقوت :

« خلت حججٌ بعدى لهنَّ ثمانٍ »

وقوله : « فلم يبق منها » إلخ النوى : حُفيرةٌ حول الخباء لئلا يدخله
ماء المطر . والأثافي ^(٢) : جمع أَثْفِيَّة ، وهى ثلاثة أحجار ^(٣) تكون عليها
القدر . والرُكْبَى : جمع ركية ، وهى البثر . ودِفان بكسر الدال بعدها فاء ،
يقال ركية دفين ودِفان ، إذا اندفن بعضها . والجمع دُفْن بضمّتين .

(١) زهر الآداب ٩٢٦ .

(٢) ط : « وأثاف » .

(٣) ط : « ثلاثة أحجارة » ، ش : « ثلاث حجارة » ، والوجه ما أثبت .

وقوله : « وآثار هاب » الهاب : التراب الناعم الدقيق ، وهو اسم فاعل
 من هبا يهبو هَبْوًا ، أى ارتفع . والهَبَاءُ : دقاق التراب . والهَابُ أيضًا : ترابُ
 ٢٧٧ القبر ، وأنشد له الأصمعي :

وهاب كجثمان الحمامة أجفَلْتُ به ريحُ تَرج والصَّبَا كُلُّ مُجَفِّلٍ ^(١)

والمراد به هنا الرَّمَاد ، لأنَّ التُّرُقَةَ هى لون الرَّمَاد .

وقوله : « قفار مَرَوْرَاة » إلخ القفار : جمع قَفَر ، وهو المَنَكان الذى
 لا ماء فيه ولا نبات ، وهو صفة لمكانٍ قبله . والمرورة بفتح الميم والراء قال فى
 الصحاح : هى المفازة التى لا شئ فيها ، وهى فَعْوَعلة ^(٢) والجمع المَرَوْرَى
 والمروريات والمَرَاوِي . والجأب ، بفتح الجيم سكون الهمزة : الحمار الغليظ من
 حُمَر الوحش . وأراد بالجاأين الذكر والأنثى ، وإثما يفترق كُلُّ منهما عن
 الآخر لعدم القوت .

وقوله : « ينيران من نسج » إلخ أى يَحُوكان ، يقال أنرت الثوبَ
 وهَنَرته ، أى حُكته . ويقال أيضًا نَزَرته أنبره نَيْرًا بالكسر . والتَّير : علم الثوب
 ولُحْمته . وفى القاموس : التَّير علمٌ للثوب . ونرت الثوب نَيْرًا ونَيْرته وأنرته :
 جعلت له نيرًا . وهُدب الثوب : لحمته . ومن نسج ، كانَ صفةً لقميصين ،
 فلَمَّا قُدِّم عليه صار حالًا منه . والمُلاءة بالضم والمد : الرِّبْطة . وقميصين بدل
 من ملءة ، وملءة مفعول ينيران ، وعليهما حال من الغبار . وأسمالًا : خلقًا ،
 يقال ثوبُ أَسْمَالٍ أى خَلَق . ويرتديان معطوف على يُنيران ، ومعناه يلبسان .

(١) نسب فى اللسان (ترج ، نجف) إلى مزاحم العقيل ، وأنشده فى (هبا) بدون نسبة ، ولم
 يستشهد به ياقوت فى (ترج) .

(٢) ط : « علة » ، صوابه فى ش .

يريد أن الحمارين ، لشدة علوِّهما ، يثور التراب ويعلوُّهما ، فيصير كالثوب عليهما . وإنَّما اشتدَّ علوُّهما للنَّجاة من هذه المفازة .

قال ياقوت : زعموا أنَّ أول من جعل الغبار ثوبا هذا الشاعر . وكذلك قال الحُصْرِي : هو أول من نظر إلى هذا المعنى ، وتبعته الخنساء في قولها من أبيات ، وقد قيل لها : لقد مدحت أخاك حتَّى هجوت أباك ! فقالت :
جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُضر

وهذه أبرع عبارة ، وأنصع استعارة . وتبعها عدى بن الرقاع في وصف حمار وأتانه :

يتعاوران من الغبار ملاءةً بيضاء محدثةً هما نَسَجَها
تُطَوَّى إذا وردًا مكائنًا جاسيا وإذا السَّنابِكُ أسهلتْ نَشْرَها

قال شارح ديوانه : قوله يتعاوران إلخ ، أى تصير الغبرة للغير مرة ولأثان مرة . ويقال من العارية : قد تعورنا العوارى . والمكان الجاسى : الغليظ ، فإذا جرى فيه لم يكن لهما غُبْرَةٌ ، وإذا أسهلا ، أى صارًا إلى سهولة الأرض ، ثار لهما غبار . فجعل إثارة الغبار بمنزلة ملاءة تنشر عليهما ، وزوال الغبار بمنزلة طى الملاءة . وهذا أحسن ما قيل في وصف الغبار والعجاج . وإلى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائى في وصف كثرة ظنِّه وقصده الملوك :

يشير عجاجةً في كلِّ يوم يهيم بها عدى بن الرقاع

وقد سلك البحترى طريقة الخنساء وأحسن فيه ، إذ يقول في يوسف ابن أئى سعيد (١) :

جَدُّ كَجَدُّ أئى سعيد إئنه ترك السِّمَّاءَ كأنَّه لم يُشرفِ
قاسمته أخلاقه ، وهى الرَّدَى للمعتدى ، وهى النَّدَى للمُعْتَفَى
فإذا جرى فى غايةٍ وجريئٍ فى أخرى التقى شأوا كما فى المنصِفِ

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الخمسمائة (٢) :

٢٧٨

٥٣٦ (ولها بالماطرُونِ إذا أَكَلُ التَّمْلُ الذى جَمَعَا)

على أَنَّ أبا على قال : الماطرُونِ مجرور بكسرة على النون .

أقول : قاله فى باب ما جعلت فيه النون المفتوحة اللاحقة بعد الواو والياء فى الجمع حرف إعراب (من كتاب إيضاح الشعر) ، وهذا نصُّه :
اعلم أَنَّ هذه النون إذا جُعِلَتْ حرفَ الإعراب صارت ثابتةً فى الكلمة ، فلم تُحذف فى الإضافة كما كانت تُحذف قبل (٣) ، كما لا تُحذف نون فرسين وضيفن ورعشن ونحو ذلك من النونات التى تكون حرف إعراب ، وإن كانت زائدة . ويكون حرف اللين قبلها الياء ولا يكون الواو ، لأنَّ الواو تدلُّ على إعرابٍ بعينه فلم يُجْزَ ثباتها ، من حيث لم يجز

(١) هو يوسف بن أئى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، ولاء المتوكل حرب أرمينية وأذربيجان بعد وفاة أبيه فجأة فى سنة ٢٣٦ .

(٢) الحيوان ٤ : ١٠ والكامل ٢١٧ والأغاني ٦ : ١٥٠ والعينى ١ : ١٤٨ والتصریح ١ : ٢٦ ومعجم البلدان (الماطرُون) ، وديوان أئى دهبلى ٨٥ .

(٣) ط : « كما كانت لا تُحذف قبل » ، صوابه فى ش . والمراد كما كانت تُحذف قبل أن تكون حرف إعراب .

ثبات إعرابين في الكلمة . ألا ترى أنَّهم إذا نسبوا إلى رجلان ونحوه من التشبيه حذفوا فقالوا : رجلٌ ، مع أنَّ الألف قد لا تدلُّ على إعرابٍ بعينه ؛ لأنَّ قوماً يجعلون حرف الإعراب في الأحوال الثلاث ألفاً . فإذا حذفوا ذلك مع أنَّهم قد جعلوها بمنزلة الدالِّ فيه ، لا يكون لإعرابٍ مخصوص ، فإنَّ لا تثبت الواو الدالة على إعرابٍ مختصٍّ أولى . فأما من أجاز ثبات الواو في هذا الضرب من الجمع ، وزعم أنَّ ذلك يجوز فيه ، قياساً على قولهم زيتون ، فقوله في ذلك يبعد من جهة القياس ، مع أنَّنا لم نعلمه جاء في شيءٍ عنهم . وذلك أنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعراباً ولا دالاً عليه ، كما كانت التي في مسلمون . فالواو في زيتون كالتى في منجنون ، في أنَّه لم يكن قطُّ إعراباً كما أنَّ التى في منجنون كذلك . وعلى ما ذهب إليه الناس جاء التنزيل ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ^(١) ﴾ ، لما صارت النون حرف إعراب صار حرف اللين قبله الياء . وقال تعالى : ﴿ لَفِي عِلِّيَّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ^(٢) ﴾ . فأما قول الشاعر :

ولها بالماطرون إذا أكل الثمل الذى جمعا

فأعجمى ، وليست الواو فيه إعراباً كالتى في سنين . فأما ثبات الياء في سنين وفلسطين وقنسرين فإنَّها لما لم تدلُّ على إعراب ، بعينه ، أشبهت الياء التى في شميل وقنديل ، ولذلك ثبتت في النسب ولم تحذف كما حذف ما يكون في ثباته في الاسم اجتماع علامتين للإعراب . وقد كثر هذا الضرب من

(١) الآية ٣٦ من الحاقة .

(٢) الآيتان ١٨ ، ١٩ من المطففين .

الجمع ، حتّى لو جعل قياساً مستمراً كان مذهبا . انتهى
ومثله قول ابن جنى (فى سر الصناعة) : فأما الماطرون فليست النون
فيه بزائدة ، لأنها تعرب . قال :

* ولها بالماطرون إذا *

بكسر النون ، فالكلمة إذا رباعية . انتهى .
وفيه ردٌّ لمن جعل الكلمة ثلاثية ، كصاحب القاموس ، فإنه قال (فى
مادة مطر) : وماطرون : قرية بالشام .
وفيه أنّه كان يجب أن يقول الماطرون .

وقد خالف الجوهريّ فرواه « الناطرون » بالنون ، وقال : الناطرون :
موضعٌ بناحية الشام ، والقول فى إعرابه كالقول فى نصيبين ، ويُشَدُّ هذا البيتُ
بكسر النون :

ولها بالناطرون إذا البيت

وردّ عليه الصاغانيّ (فى العباب) فقال : الماطرون : موضع قرب
دمشق . وقال بعضٌ من صنّف فى اللغة : الناطرون : موضع بناحية الشام .
وكذلك غلّطه صاحب القاموس ^(١) . ولم يذكره أبو عبيد البكرى (فى
معجم ما استعجم) . وقال العينى ^(٢) كالشارح المحقق : « فى شرح كتاب

٢٧٩

(١) قال فى مادة (مطر) : « ووهم الجوهريّ فقال : ناطرون بالنون » . وفى مادة (نظر) :
« وغلط الجوهريّ فى قوله ناطرون موضع بالشام وإنما هو ماطرون بالميم » .

(٢) العينى ١ : ١٤٧ فى شواهد العرب والمبنى ، وهو قول أبى دهب :

طال لى وبت كالجنون واعترتى المهموم بالماطرون

سيبويه : الماطرون بالميم وطاء مفتوحة ، والمشهور الماطرون بالميم وكسر الطاء .
وقال أبو الحسن القفطي : الماطرون : بستان بظاهر دمشق » . ثم قال :
صاحب الشاهد والبيت من أبيات ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان تغزل بها ^(١) في نصرانية قد
ترهبت في دير خراب عند الماطرون ، وهو بستان بظاهر دمشق يسمى اليوم
الميطور . وأولها :

(آَبَ هذا الليلُ فاكتنعا وأمرُ النومِ فامتنعَا
راعياً للنَّجم أرقبُه فإذا ما كوكبٌ طَلعا
حالٌ حتَّى إننى لأرى أَنَّهُ بالفَورِ قد رجعا
ولها بالماطرونَ إذا أَكلَ النملُ الذي جمعا
خُرْفَةً ، حتَّى إذا ارتبعتُ سكنت من جِلْقِي يَبعا
في قِبابٍ حَولَ دَسْكَرَةٍ حولها الزيتونُ قد يَبعا)

أبيات الشاعر

آب : رَجَعَ . واكتنع : افعل من الكنع ، بالكاف والنون ، قال
صاحب العباب : اكتنع الليل : حضر ودنا . وأنشد هذا البيت . وأمر بالبناء
للمفعول بمعنى جُعل مُراً .

وقوله : (ولها بالماطرون) اللام متعلقة بمحذوف على أَنَّهُ خبر مَقْدَم
وخُرْفَة مبتدأ مؤخر ، وضمير المؤنث للنصرانية التي تغزل بها ^(١) ، وبالماطرون
فاعل لها ، وإذا ظرف عامله متعلق اللام . والخُرْفَة بضم الخاء المعجمة
وبالفاء : المُخْتَرَف والمُجْتَنَى ، وقيل ما يجتنى . وهذه الرواية رواية المبرد (في
الكمال) ، وروى صاحب العباب في البيت : « خِلْفَة » بالكسر بدل خُرْفَة .

(١) ط : ه تنزل بها ، صوابه في ش .

وقال : خِلْفَةُ الشَّجَرِ : شَجَرٌ يُخْرَجُ بَعْدَ الثَّمَرِ الْكَثِيرِ . وكذا روى العيني عن ابن القوطية أنه قال : الرواية هي الخِلْفَةُ باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيب . والجيد عندى رواية الخِلْفَةُ على أنها اسمٌ من الاختلاف أى التردد . والتَّمْلُ فاعلٌ أَكَلَ ، والذي مفعوله ، والعائد محذوف أى جَمَعَهُ . وارتبعت : دخلت في الربيع . ويروى : « ربعت » بمعناه . ويروى : « ذكرت » بدل سكنت . وخلق ، بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة : مدينة بالشام . ومن جَلَّقَ كان صفة لقوله يبعأ ، فلما قدَّم عليه صار حالاً منه . وبيعاً : مفعول سكنت أو ذُكرت ، وهو جمع بيعة بالكسر . قال الجوهري وصاحباً (العباب والمصباح) : هي للنَّصَارَى . وقال العيني : البيعة لليهود ، والكنيسة للنصارى . وهذا لا يناسب قوله إنَّ الشُّعْرَ في نصرانية .

ومعنى البيتين أنَّ هذه المرأة تردَّدًا إلى الماطرون في الشتاء ، فإنَّ التَّمْلَ يَحْزُنُ الحُبَّ في الصَّيْفِ ليأكله في الشتاء ، ولا يخرج إلى وجه الأرض من قريته . وإذا دخلت في أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التي بخلق . وقال العيني : « قوله بالماطرون صفة لخرفة » . وهذا مخالف لقولهم إن صفة النكرة إذا تقدَّمت صارت حالاً منه . وقال : إذا للوقت ، والتقدير : لها خُرْفَةٌ وَقْتُ أَكْلِ التَّمْلِ ما جمعه .

وقوله : « في قِبابِ حَوْلِ » إلخ الظرف صفة لقوله يبعأ ، وهو جمع قُبَّة . والدُّسْكُرة بفتح الدال ، نقل صاحب العباب ، عن الليث أنها بناءٌ يشبه قصرًا حوله بيوتٌ ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . ويتنع : لغةٌ في أُنِعَ أى نَضِجَ واستوى .

قال المبرد (في الكامل) : أينعت الشمرة إيناعا ، أى أدركت . وينعت
ينعا وينعا بالفتح والضم . ويقرأ : ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ (١)
(وينعه) كلاهما جائز . وأنشد هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة وقال : قال
أبو عبيدة : هذا الشعر يُختلف فيه ، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص ، وبعضهم
ينسبه إلى يزيد بن معاوية . انتهى .

وقد سها العينى هنا فى قوله : « الاستشهاد بالمطرون حيث نزل منزلة
الزيتون فى إلزامه الواو وإعرابه بالحروف » ، وصوابه « وإعرابه بالحركات » .
ولو استشهد الشارح المحقق بقوله :

طال ليلي وبث كالجنون واعترتنى الهُموم بالمطرون
كما استشهد به ابن هشام (فى شرح الألفية) لكان أولى ، فإن كسرة
النون صريحة ، لوقوعها فى القافية .

وهو مطلع قصيدة ، وبعده :

صاح حيا إله حيا ودورا	عند أصل القناة من جيرون
عن يسارى إذا دخلت إلى الدا	ر ، وإن كنت خارجا فيميني
فلتلك اغتربت بالشام حتى	ظن أهلى مُرجمات الظنون
هى زهراء مثل لؤلؤة الغد	وَأَصِي مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ
وإذا ما نسبتهما لم تجدّها	فى سناء من المكارم دُونِ
تجعلُ المسك واليَئَنجوج والنّد	د صِلَاءَ لها على الكانونِ

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْ رَاءِ تَمْشِي فِي مَرْمٍ مَسْنُونِ
 قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلِ ضَرْبِهَا عِنْدَ حَدِّ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
 ثُمَّ فَارَقْتُهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَا نَ قَرِينٍ مَقَارِبًا لِقَرِينِ
 فَبَكَتْ نَحْشِيَةً التَّفَرُّقِ لِلْيَيْ نِي بِكَاءِ الْحَزِينِ إِثْرَ الْحَزِينِ
 لَيْتَ شَعْرِي أَمِنْ هَوًى طَارَ نَوْمِي أَمْ بَرَانِي رُبِّي قَصِيرَ الْجُفُونِ (١)

وَجَرُون : بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ دَمْشَق . وَالرَّجَم : الْكَلَامُ بِالظَّنِّ . وَالْيَلْنَجُوجُ
 بِجِيمَيْنِ : عَوْدُ الْبَحُورِ ، وَرَوَى بِدَلِهِ « الْأَلْوَةُ » بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ اللَّامِ ، وَهُوَ الْعَوْدُ
 أَيْضًا . وَالصَّلَاءُ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ : التَّدْفِئُ بِالنَّارِ . وَالْمَخَاصِرَةُ : أَنْ يَضَعَ كُلُّ اثْنَيْنِ (٢)
 يَدَهُ عَلَى خَصْرِ الْآخَرِ . وَالْمَسْنُونُ : الْأَمْلَسُ الْمَجْلُوءُ . وَالْمَرَاجِلُ : جَمْعُ مِرْجَلٍ
 بِالْكَسْرِ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَحْدَهُ : بَفَتْحِ الْمِيمِ ، هُوَ ضَرْبٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ . كَذَا
 فِي الْعَبَابِ . وَأَخْطَأُ الْعَيْنِيُّ فِي قَوْلِهِ : هُوَ الْقِدْرُ مِنَ النُّحَاسِ ، إِذْ لَا مَنَاسِبَةَ لَهُ
 هُنَا . وَالْقَيْطُونُ : الْمُخْدَعُ .

قَالَ الْعَيْنِيُّ : هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِأَبِي ذَهَبٍ الْجُمَحِيِّ ، وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ
 شَبَّ فِيهَا بِعَاتِكَةَ بِنْتِ مَعَاوِيَةَ ، حِينَ حَجَّتْ وَرَجَعَ مَعَهَا إِلَى الشَّامِ ، فَمَرَضَ بِهَا .
 وَيُقَالُ إِنَّ يَزِيدَ قَالَ لِأَبِيهِ إِنَّ أَبَا ذَهَبٍ ذَكَرَ رَمْلَةً ابْتَنَتْكَ فَاقْتَلَهُ . فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ
 قَالَ ؟ قَالَ :

هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلَ لَوْلُؤَةِ الْغَدِ حَوَاصِي الْبَيْتِ

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « أَمْ بَرَانِي رَمِي » ، صَوَابُهُ فِي الْحَمَاسَةِ الْبَصْرِيَّةِ ٢ : ٢٠٧ . وَيُرْوَى أَيْضًا :

« أَمْ بَرَانِي الْبَلَرَى » ، كَمَا فِي الْأَغَانِي ٦ : ١٥٤ .

(٢) الْوَجْهَ « كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ اثْنَيْنِ » .

قال معاوية : لقد أحسن ! قال : فقد قال :

وإذا ما نسبته البيت

قال : صدق ! قال : فقد قال :

ثم خاصرته إلى القبة البيت

فقال معاوية : كذب !

وقال ثعلب : حدّثنا الزبير قال : حدّثني مصعب قال : حدّثني إبراهيم ابن أبي عبد الله قال : خرج أبو دهيل يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً جميلاً ، فلما كان يجبرون جاءته امرأة فأعطته كتاباً ، فقالت : اقرأ لي هذا الكتاب . فقرأه لها ، ثم ذهبت وخرجت إليه فقالت : لو تبلّغت معي إلى هذا القصر فقرأته على امرأة فيه كان لك فيه أجر . فبلغ معها القصر ، فلما دخله فإذا فيه جوار كثيرة ، فأغلقوا عليه القصر ، وإذا امرأة وضيفة تدعوه إلى نفسها ، فأبى ، فحبس وضيق عليه حتى كاد يموت . ثم دعت به إلى نفسها فقال : أمّا الحرام فو الله لا يكون ، ولكن أتزوجك . فتزوجته وأقام معها زمناً طويلاً لا يخرج من القصر حتّى يُنْس منه وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكي عليه حتّى عميت .

ثم إن أبا دهيل قال لامرأته : إنك قد أثمت فيّ وفي أهلي وولدي فأذني لي في المصير إليهم ، وأعود إليك . فأخذت عليه العهد أن لا يقيم إلّا سنة . فخرج من عندها ، وقد أعطته مالا كثيراً ، حتّى قدم على أهله فرأى حال زوجته فقال لأولاده . أنتم قد ورثتموني وأنا حيّ ، وهو حظكم ، والله لا يشرك

زوجتي فيما قَدِمْتُ به أحد . فتسلَّمْتُ جميعَ ما أتى به .

ثم إنَّه اشتاقَ إلى زوجته الشاميَّة ، وأراد الخروج إليها ، فبلغه موثُّها ، فأقام وقال هذه القصيدة . ويقال إنَّها لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وذهب إليه الجوهري وغيره . وقال ابن برّي : الصحيح أنَّها لأبي دهل . انتهى كلام العيني .

ولم ينسبها أبو الفرج الأصبهاني (في الأغاني) إلا لعبد الرحمن بن حسان قال : حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدَّثنا المدائني ، عن أبي عبد الرحمن المبارك قال :

شَبَّ عبد الرحمن بن حسانُ بأخت معاوية ، فغضب يزيد فقال لمعاوية : اقتل عبد الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شَبَّ بعمتي . قال : وما قال ؟ قال : قال :

طال ليلى وبْتُ كالحزونِ ومِلْتُ الثَّوَاءَ في جَيرونِ

قال : يابُنِي ، وما علينا من طول ليله وحزنه .

— وهذا هو مطلع القصيدة عند صاحب الأغاني ، وليس فيه ذكر الماطرون —

قال يزيد : إنه يقول :

فلذلك اغتربت بالشام ^(١) البيت

(١) في النسختين : « فلذلك اغتربت » ، تحريف . وفي الأغاني ٦ : ١٥٧ : « فبذاك

اغتربت » .

قال : يا بُنَيَّ وما علينا من ظنِّ أهله ؟ قال : إنَّه يقول :

هـى زهراء مثل لؤلؤة الغـد حَواصـي البيت

قال : صدَقَ يا بُنَيَّ . قال : وإنَّه يقول :

وإذا ما نسبـتها لم تجدها البيت

قال : صدق ، هـى هـكذا . قال : إنَّه يقول :

ثم خاصـرتها إلى القبة البيت

قال : ولا كُلُّ هذا يا بُنَيَّ . ثم ضَحِكَ وقال : أنشدنـى ما قال أيضًا .

فأنشده قوله :

قُبَّة من مراحل نصبوها عند حدِّ الشتاء فى قَيْطُونِ

عن يسارى إذا دخلت البيت

تجعل النَّدَّ والألَّة البيت

وقباب قد أشْرِجَتْ وُيُوتُ نُطِّقَتْ بالريحان والزَّرَجُونِ (١)

قال : يا بُنَيَّ ليس يجب القتل فى هذا ، والعقوبة دون القتل ، ولكنَّا

نكفُّ بالصِّلَّة والتجاوز عنه .

ونسخت من كتاب ابن النُّطَّاح : وذكر الهيثم بن عدى عن ابن دأب

قال : حدَّثنا شعيب بن صفوان ، أنَّ عبد الرحمن بن حسان كان يشبُّب بـابنة

معاوية ويذكرها فى شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلته نكالا . فقال : لا ،

ولكن أداويه بغير ذلك . فأذن له وكان يدخل في أخريات الناس ، ثم أجلسه على سريريه معه ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال : إِنَّ ابنتي الأخرى عاتبة عليك . قال : في أي شيء ؟ قال : في مدحتك أختها وتركت إياها . قال : فلها العتبي وكرامة ، أنا ذاكرها . فلما فعل وبلغ ذلك الناس قالوا : وقد كنّا ^(١) نرى أَنَّ نسيب عبد الرحمن بن حسان بابتة معاوية لشيء ، فإذا هو على رأى معاوية وأمره . وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنت أخرى ، أنه إنما خدعه ليشبب بها ، ولا أصل لها ، ليعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية .

هذا ما أورده صاحب الأغاني . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٥٣٧ (لَيْتَ شِعْرِي وَإِنْ مَنَى لَيْتَ إِنَّ لَوْا وَإِنْ لَيْتَا عَنَاءُ)

على أَنَّ الكلمة المبنية إذا أُريد بها لفظها فالأكثر حكايتها على ما كانت عليه ، وقد تجيء معرفة كما في البيت ، كما أعرب لَيْتَ الأولى بالرفع على الابتداء ، ونصب الثانية مع لو بياناً .

وأورده سيويوه (في تسمية الحروف والكلم) قال : والعرب تختلف

(١) في الأغاني ١٣ : ١٤٢ .

(٢) في كتابه ٣٢ : ٢ . وانظر المقتضب ١ : ٣٢٥ / ٤ : ٣٢ ، ٤٣ والجمهرة ١ : ١٢ /

٢ : ٢٩ وابن يعيش ٦ : ٣٠ / ١٠ : ٥٧ وديوان أبي زيد الطائي ٢٤ .

فيها ، يؤنثها بعض ويدكرها بعض . وأمّا ليت وإن فحرّكت أواخرها بالفتح ، لأنّها بمنزلة الأفعال ، فإذا صيرت واحداً منهما اسماً فهو ينصرف على كلّ حال . وإن جعلته اسماً للكلمة وأنت تريد لغة من ذكر لم تصرفها ، وإن سمّيتها بلغة من أنت كنت بالخيار .

إلى أن قال : وأمّا أو ولو فهما ساكنا الأواخر ^(١) ، فإذا صارت كلّ واحدة منهما اسماً فقصّتها في التانيث والتذكير ، والانصراف وترك الانصراف ، كقصّة ليت وإن ، إلّا أنّك تلحق واوا آخر ^(٢) فتثقل . وذلك لأنّه ليس في كلام العرب اسم آخره واو قبلها حرف مفتوح . قال أبو زيد :
ليت شعري وأين منى ليت إن ليتا وإن لوأ عناء
وقال آخر :

الأم على لو ولو كنت عالماً بأذنان ليو لم تفتني أوائله

انتهى كلام سيويوه .

قال الأعلام : الشاهد في تضعيف لو ، لمّا جعلها اسماً وأخبر عنها ، لأنّ الاسم المفرد المتمكّن لا يكون على أقلّ من حرفين متحرّكين ، والواو في « لو » لا تتحرّك ، فضوعفت لتكون كالأسماء المتمكّنة . ويحتمل الواو ^(٣) بالتضعيف الحركة . وأراد بلو ههنا لو التي للتمنى في نحو قولك : لو أتيتنا ، لو أقمت عندنا ، أى ليتك أتيت . أى أكثر التمنى يكذب صاحبه ويعنيه ، ولا يبلغ فيه مراده . انتهى .

(١) سيويوه : « فهما ساكنا الأواخر » .

(٢) سيويوه : « واوا أخرى » .

(٣) ط : « اللوا » ، صوابه في ش والشتنمرى .

والبيت من قصيدة لأبي زَيْد الطائي ، أُورد منها الأعلَم (في باب صاحب الشاهد
النسيب من حماسته) سِتَّة أبيات ، وهي :

(ولقد مِتُّ غير أنِّي حَيٌّ يومَ بانَتْ بوْدُها خَنسَاءُ آيات الشاهد
من بنى عامر لها شِقُّ قلبي قسمةً مثل ما يُشَقُّ الرداءُ (١)
أُشْرِيتْ لَوْنَ صَفْرَةٍ في بياض وهي في ذاك لَذَنَّةُ غَيْداءُ
كُلَّ عَيْنٍ مَتَّى تراها من النا س إليها مُدِيمَةٌ حَوْلَاءُ
لَيْتَ شعري وأين مني لَيْتَ إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوًّا عَناءُ ٢٨٣
أَيُّ سَاعٍ سَعَى ليقطع شِرْرى حِينَ لَاحَتْ للصَّابِحِ الجوزاءُ)

قوله : « ولقد مِتُّ » إلخ يعني أنا لشِدَّة الحزن ميت ، إِلَّا أنِّي في عداد
الأحياء . وبانت : فارقت ، يريد هَجَرْتَنِي .

وقوله : « لها شِقُّ قلبي » بالكسر ، يريد : شَقَّتْ قلبي بِحُبِّها فاستولت
عليه .

وقوله : « أُشْرِيتْ لَوْنَ صَفْرَةٍ » إلخ أَي صُبِغَتْ بهذين اللونين . وهذا
أَحْمَدُ الألوان عندهم . وفي بمعنى مع . واللَّذَنَةُ : الناعمة . والغَيْداءُ : المثنية
من التَّعْمَةِ ، وهي أيضًا الطويلة العنق .

وقوله : « كُلَّ عَيْنٍ » إلخ كُلُّ مبتدأ ، ومتى اسم استفهام ظرف
لترأها ، وجملة ترأها صفة لعين ، ومُدِيمَةُ خبر المبتدأ ، وإليها متعلق به ، وهو
اسم فاعل من أَدَمْتُ أَي وَاظَبْتُ . وحَوْلَاءُ خبر ثانٍ . جعلها حولاءَ لِمِثْلِهَا إليها
بالنَّظَرِ ، فَكَأَنَّ بها حَوْلًا .

(١) في الديوان : « لها شق نفسي » .

وقوله : (ليت شعري) إلخ قد شرحه الشارح في ليت ^(١) وقال : التزم حذف الخبر في ليت شعري مردفًا باستفهام ، نحو : ليت شعري أتأتيني أم لا ؟ وهذا الاستفهام مفعول شعري . فجُملة « أئى ساع سعى » في البيت بعده مفعول شعري . والشرب بالكسر : النصيب من الماء . والصباح : من صبحت الإبل ، إذا سقيتها في أول النهار ؛ والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون . كذا في الجمهرة لابن دريد ، وأنشد هذا البيت .

وقال القائل (في المقصور والمدود) : والجوزاء : برجٌ من بروج السماء . والعرب تقول : « إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء ، وكُنست الطباء ، وعرقت العلباء ^(٢) ، وطاب الخباء » . وأنشد هذا البيت .

وزاد صاحب الأغاني بعد هذا :

(فاستظلَّ العصفورُ كرهًا مع الضَّـبِّ وأوفى في عودِهِ الجرباءُ
ونفى الجندبُ الحصى بكراعيهِ وأذكت نيرانها المعزاءُ
من سمومِ كأنها حرٌّ نار شَفَعَتْها ظهيرةٌ غراءُ
وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني عرفتني الدويَّةُ الملساءُ
عرفت نياقتي شمائلَ منى فهي إلا بُغامها خرساءُ
عرفت ليها الطويلَ وليلى إنَّ ذا النومَ للعيونِ غطاءُ)

وأورد سيب هذه القصيدة بسنده عن ابن الأعرابي قال : كان الوليد

سبب القصيدة

(١) ط : « في البيت » صوابه في ش

(٢) العلباء ، بالكسر : عصب العنق . قال اللحياني : « هو مذكر لا غير » ، لكن ورد هنا

بالتأنيث .

ابن عُبَبة قد استعمل الربيع بن مُرَرِّ بن أوس بن حارثة بن لأم^(١) الطائِيّ على الجَحْمَى ، فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجذبت الجزيرة . وكان أبو زَيْد في تغلب . فخرج لهم لِيرَعِيَهُمْ^(٢) فَأَتَى عليه الأَوْسِيُّ وقال : إن شئتُ أُرْعِيكَ وَحَدَّكَ فَعَلْتُ . فَأَتَى أَبُو زَيْدٍ الْوَلِيدَ بن عُبَبة ، فَأَعْطَاهُ ما بين القصور الحُمر من الشام إلى القصور الحُمر من الحيرة ، وجعلها له حِمَى وأَخَذَهَا من الآخر .

قال عُمر بن شَبَّة في خبره خاصَّة : فلما عُزِلَ الْوَلِيدُ عن الكوفة وولى سعدُ بن أبي وقَّاص مكانه ، انتزعها منه وأخرجها من يده ، فقال أبو زَيْد :

ولقد مِتُّ غير أُنَى، حتَّى يوم بانت بوَدَّها خنساءُ

إلى آخر القصيدة .

وأبو زَيْدٍ الطائِيّ : شاعر نصرانيّ كان في صنلر الإسلام ، وتقدَّمت

ترجمته في الشاهد الثاني والثمانين بعد المائتين^(٣)

• • •

(١) ط : « حارثة بن لؤى » صوابه في ش مع أثر تصحيح والاشتقاق ٣٨٣ والمعمرين ٣٥ وكامل المبرد ١٣٢ . وفيه يقول بشر بن أبي خازم (ديوانه ٣٢٢ والكامل ١٣٣) :
إلى أوس بن حارثة بن لأم ليقضى حاجتى فيمن قضاها

وقال ابن دريد في الاشتقاق : انه كان رأساً لطيفاً ، وعاش مائتي سنة . وفي المعمرين :
« عاش أوس بن حارثة بن لأم بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن لوزان ابن رومان بن خالرجة بن سعد بن جندب بن فطرة بن طيء » ، مائتي سنة وعشرين سنة .

(٢) ش : « بهم ليرعهم » .

(٣) الخزائن ٤ : ١٩٢ - ١٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد المفصل^(١) :

٥٣٨ (بوخش إصمِت)

هو قطعة من بيت للراعي ، وهو :

(أَشْلَى سَلُوقِيَّةً بَاتَتْ وَبَاتَ بِهَا بوخش إصمِتَ في أصلابها أَوْدُ^(٢))
على أنه^(٣) إذا سُمِّيَ بفعل فيه همزة وصل قُطِعَتْ ، كما صمِتَ بكسر
الهمزة والميم .

وتقدّم عن الشارح المحقق أنه منقول من فعل أمر ، لِبَرِيَّةٍ مَعِينَةٍ .
وقيل : هو علم الجنس لكل مكانٍ قفر ؛ تقول : لقيته بوخش إصمِتَ وبيدِ
إصمِت . والوخش : المكان الخالي . وكسر ميم إصمِتَ ، والمسموع في الأمر
الضم ، لأنَّ الأعلام كثيراً ما تغيّر عند النقل تبعاً لنقل معانيها ، كما قيل في
شُمس بن مالك ، بضم الشين . انتهى .

وقوله : « وكسر ميم إصمِت » إلخ جواب عن سؤال مقدر ، وهو أنه
لو كان منقولاً من فعل الأمر لكانت الهمزة والميم مضمومين ، لأنه يقال
صمِت يصمُت صمُتاً من باب نصر ، وصمُوتا وصمُتا بضمهما بمعنى
سكت ، واصمُت مثله ، فأجاب بما ذكره .

ومثله للاندلسي (في شرح المفصل) قال : المشهور في مضارع

(١) ابن يعيش ١ : ٢٩ ، ٣٠ والأشعري ١ : ١٣٣ ومعجم البلدان (اصمِت) واللسان
(صمِت ٣٦٠) وديوان الراعي ٤٦ .

(٢) في المعاني الكبير ٢٢٠ :

يشلى سلوقية زلا جواعرها مثل اليعاسيب في أصلابها أود

(٣) ش : « يعني أنه » .

صمت : يصمَّت بالضم ، فإمَّا أن يكون الكسر لغة فيه ، لم يُنقل ، وإمَّا أن يكون ممَّا غيِّر في التسمية كما قالوا : شمس بن مالك ، بالضم فغيِّروا لفظ الشَّمس . وإمَّا أن يكون مرتجلا وافق لفظ الأمر الذي بمعنى اسكت فلا يكون من هذا الفصل . انتهى .

وكذا قال ابن يعيش (في شرح المفصل) .

وأجاب ابن الحاجب (في أماليه على المفصل) بغير هذا ، قال : وقد أخذ على صاحب المفصل باستشهاده ، فإنَّ العرب تقول صمت يصمَّت ، فالأمر فيه بالضم ، فكيف جاء إصمت ؟ وجوابه أن يقال : إنَّ فَعَلَ يأتي على يفعل ويفعل . ومنهم من يقول : إنَّ سَمِعَ للفعل مضارع أثَّبع وإلَّا فأنَّت فيه مخيِّر ، إن شئت قلت يفعل أو يفعل . ومنهم من يقول : إن كثر استعمال المضارع أثَّبع ، وإلَّا كنت فيه بالخيار . انتهى .

وقال في شرح المفصل : واستشهاده بالبيت مستقيم على وجهين : أن يثبت أنَّ فَعَلَ يجيء على يفعل ويفعل .

والوجه الثاني : أن يثبت صمت يصمَّت ، ولا يستقيم على غير ذلك وقول بعضهم : « يجوز أن يكون أصله اصمَّت ثم غيِّر بالتسمية » فغيِّر ثبت .

وأصله أنَّ رجلا قال لصاحبه فيها : اصمت ، تخويفا ، فسميت به . وقد قيل إنَّ وحش إصمت علم على كل مكان قفر كأسامة ، وإن كان وحش في أصله بمعنى خالي ، ولا يخرج بذلك عن أن يكون إصمت علما

منقولاً قدر ، أو مرتجلاً ، كحمارِ قَبَانٍ ونحوه من المضافات . انتهى .

وهذا كله مبنى على أنه لم يسمع يصمت بالكسر .

وقد نقله ابن المستوفى (في شرح أبيات الفصل) عن الجمهرة لابن دريد قال : قال أبو بكر محمد بن الحسن : الصَّمتُ معروف ، صَمَتَ يَصِمْتُ صَمْتًا ، إذا سكت ، وَأَصَمْتُهُ أَنَا إِصْمَاتًا ، إذا أَسَكْتَهُ . كذا سمعته على شيخنا أبي الحرم مكِّي بن زيان بكسر الميم (في الجمهرة) . فسقط ما تمحلوه هنا .

وقال ابن جنى (في الخصائص ^(١)) : وأما الفعل المستقبل المنقول إلى العلم فنحو قولهم في اسم الفلاة إصمت ، وإنما هو في الأصل أمر من صمت يصمت إذا سكت . كأنَّ إنسانًا قال لصاحبه في مفازة : إصمت يُسَكِّتُهُ تَسْمَعًا لِنَبَأٍ أَوْجَسَهَا ، فسُمِّيَ المكان بذلك . وهذا ونحوه ممَّا ذهب إليه أبو عمرو بن العلاء في قول الهذلي ^(٢) :

على أطرَقًا بالياتِ الحيا م إِلَّا الثَّمَامُ وَإِلَّا العَصَى

ألا تراه قال : إنَّ أصله أنَّ رجلاً قال لصاحبه هناك : أطرَقا ، فسُمِّيَ المكان به فصار علمًا له ، كما صار إصمت علمًا له . وقطعُ الهمزة من إصمت مع التسمية به خاليًا من ضميره ، هو الذي شجَّع النحاة على قطع هذه الهمزات إذا سُمِّيَ بما هي فيه . فإن قيل : فقد قالوا : لقيته بوحشٍ إصمَّةً ، ولو كان إصمت في الأصل فعلا لما لحقته تاء التانيث ؟ قيل : إنما

(١) لم أعثر على هذا النص في الخصائص .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين ١ : ٦٥ .

لحقت هذه التاء في هذا المثال على هذا الحد ليزيدوا في إيضاح ما انتحوه من النقل ، ويُعلموا بذلك أنه قد فارقوا موضعه من الفعلية ، من حيث كانت هذه التاء لا تلحق هذا المثال فعلاً ، فصارت إصمته في اللفظ كإجرده وإبردة^(١) . نعم وأنسهم بذلك تأنيثُ المسَمَّى به ، وهو الفلاة . انتهى .

وقال الزمخشري (في أمثاله) : لقيته بوحش إصمت : المكان الوحش : الموحش ، وهو الخالي من الإنس . وإصمت علم للفلاة القفر ، سميت بذلك لأنه لا أنيس بها فينطقوا ، أو لأنها لشدتها تُصمت سالكها . والدليل تشبهه عليه طرقها فلا يتكلم ، لأنه لايتضح له الهدى فيها . ومانعها من الصرف التعريف ووزن الفعل ، لأنه بزنة اضرب ، وهي مجرورة الموضع بإضافة وحش إليها . وقيل : اسم بلدة بعينها . ويروى : « ببلدة إصمت » . ويقال تركتني ببلدة إصمته وبلد إصمت . يضرب للرجل الذي لا ناصر له ولا مانع . انتهى .

ولم يورد أبو عبيد البكري هذه الكلمة (في معجم ما استعجم) وأوردها ياقوت (في معجم البلدان) وقال : إصمت بالكسر وكسر الميم وتاء مشاة : اسم علم لبرية بعينها . قال الراعي :

* أشلى سَلَوِيَّةً باتت وبات بها * إلخ

وقال بعضهم : العلم هو وحش إصمت ، الكلمتان معاً . وقال أبو زيد : يقال لقيته بوحش إصمت ، وببلدة إصمت ، أى بمكان قفر .

(١) الإجرده ، بتشديد اللال وتخفيفها : نبت يدل على الكمأة . والإبردة بتخفيف اللال :

برد في الجوف . ويجد الرجل بالغداة البرد فيقول : انما هي إبردة الغرى ، وإبردة الندى

وإصمت منقول من فعل الأمر مجرد ^(١) عن الضمير ، وقطعت همزته ليجرى على غالب الأسماء . هكذا جميع ما يسمّى به من فعل الأمر . وكسرُ الهمزة في إصمت ، إمّا لغة لم تبلغنا ، وإمّا أن يكون غير في التسمية به عن إصمت بالضم الذي هو منقول في مضارع هذا الفعل ^(٢) ، وإمّا أن يكون مرتجلاً وافق لفظ الأمر الذي بمعنى اسكت . وربما كان تسمية هذه الصحراء بهذا الفعل للعلبة ، لكثرة ما يقول الرجل لصاحبه إذا سلكها : اصمت لئلا تُسمع فهلك ^(٣) ، لشدة الخوف . انتهى .

فهذه عدة توجيهات لكسر الهمزة والميم ، ولتسمية الفلاة به .

وإصمته غير منصرف أيضاً ، لكن للعلمية والتأنيث .

والقول بأن إصمت مرتجل لا منقول أسلم وأسهل ، وحينئذ لا يحتاج إلى توجيه كسر الميم ، ويكون منع الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي ، وفي إصمته التأنيث اللفظي على طريقة واحدة .

والعجب من ابن يعيش فإنه وجّه منع الصرف في إصمت بما ذكرنا مع القول بالنقل . وكونه علم جنس أظهر من كونه علم شخص لبقعة معينة ، كما هو ظاهر من استعمالهم : والصحيح أن العلم إنما هو إصمت وإصمته ، لا مجموع وحش إصمت ووحش إصمته ، بدليل أنه يقال بلد إصمت ، وصحراء إصمت وغير ذلك ، ولم يقل أحد بعلمية المجموع فيه ، وما يضاف

٢٨٦

(١) ط : « مجرد » ، وفي معجم البلدان : « مجردا » ، وأثبت ما في ش .

(٢) وكنا في معجم البلدان . وفي ش « في المضارع لهذا الفعل » .

(٣) في معجم البلدان : « فهلك » بالنون .

إليهما من وحشٍ وبلدٍ وبلدةٍ وصحراءٍ أيضًا ، كما نقله صاحب القاموس ،
إضافته للتخصيص . وقد يجمع إصميت على إصميتين شذوذًا ، كأنهم سموا
كلَّ قطعةٍ منها بإصميت إن كان إصميت علمَ قفرٍ بعينه . وإن كان علم جنسٍ
فواضح . وقد رأيته في شعر أمية بن أبي الصلت ، قال من قصيدة :
وثرذى الثَّاب والجمعاء فيه بوحش الإصميتين له ذبابٌ ^(١)

قال شارح ديوانه : تُرذَى من الرذية ، أى تُترك ، وقد أرذيت فهي
مُرذاة . والثَّاب : الناقة المسنة . والجمعاء ^(٢) : الذاهبة الأسنان .
والإصميتين : مكانٌ ليس فيه أحد . وهو مثلٌ للعرب ، يقال تركت فلانًا
بوحش الإصميتين . وله ذبابٌ ذباب الحمار ^(٣) . انتهى .

واعلم أنَّ ابن المستوفى استشكل كون إصميت منقولاً من الفعل دون
ضميره وقال : قول النحاة إنَّ إصميت منقول من فعل الأمر مجرداً من
الضمير ، فيه نظر ، لأنَّه جمعٌ بين نقيضين ، وذلك أنَّهم إنَّما سموا به بعد
الأمر للمواجهة ، فلا بدُّ من الضمير فيه . وإذا كان كذلك فهو من باب
المسمى بالجملة المركبة من الفعل والفاعل . اللهمَّ إلا أن يكونوا نزعوه بعد
التسمية تحكماً منهم . انتهى .

أقول : لا يردُّ ما ذكره ، فإنَّهم قالوا : إذا سمى بفعل فإن لم يُعتبر
ضميره الفاعلُ فهو مفرد لا ينصرف ، وإن اعتُبر ضميره فهو جملةٌ محكيَّةٌ ،

(١) ترذى : تهلك . والجمعاء : الناقة المسنة ، أو التى غابت أسنانها فى اللثات . ط وديوان

أمية ١٩ : « والجمعاء » ، وهى الناقة الهرمة أيضا .

(٢) ط : « والجمعاء » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ش : « وله ذباب الحمار » .

سواء كان الضمير مما يجب استتاره أم لا ، بدليل أحمَد المنقول من المضارع للمتكلم ، وتغلبَ المنقول من المضارع للمخاطب ، فالضمير أمر اعتبارى يجوز أن يلاحظ ويعتبر ، ويجوز عدمه ، ولا ينظر إلى مكان تجريده من الفعل حين التسمية .

واستشكل أيضًا قطع الهزمة بعد التسمية بأنه من باب تحصيل الحاصل ، لأنها مقطوعة قبل التسمية ، إذ لم تقع حشوا . قال : وقولهم إنهم قطعوا الهزمة من إصمت مع التسمية به خاليًا من الضمير ، فيه أيضًا نظر ، لأن المكان عندهم إنما سُمي بقول الرجل لصاحبه : إصمت ، يُسَكِّتُهُ ^(١) بذلك من غير أن يكون تقدّمه كلام قبله ، وصلّه به فوصل الهزمة . وكذا كل فعل أمر من يفعل قطعت همزته . انتهى .

أقول : مرادهم التزام قطعها بعد التسمية ذَرْجًا وابتداء ، بخلاف إصمت قبل التسمية ، فإن الهزمة لا تقطع في الذَرْج ، وهذا ظاهر . وأما ما قاله صاحب القاموس من أن إصمت وإصمته بقطع الهزمة ووصله فمشكل ، ولم أره لغيره ، وكأنّه مأخوذ من مفهوم قول أنى زيد كما نقله ابن مكرم (في لسان العرب) ، وهو أن بعض العرب قطع الألف من إصمت ونصب التاء . ومفهومه أن أكثر العرب يصل الألف ويسكن التاء ، ويكون حينئذ هذا من باب التسمية بالجملة المحكية . ولم أر من قاله . وأما وصلها في إصمته فلم أعرف وجهه ، وقد ذكروا همزة الوصل في أسماء معدودة وليس هذا

(١) ش : يسكته ، بالنون .

منها ، اللهمَّ إِلَّا أن يقال توصل بنقل حركتها إلى ساكن قبلها ، كقولك : من اصمته . والله أعلم .

وَأَمَّا أُطْرُقًا فقد أدرجه صاحب المِفْصَل في المنقول من فعل الأمر مع إصمت . وظاهره أنه كإصمت غير منصرف ، وأنه من التسمية بالفعل دون ملاحظة الضمير البارز الفاعل . ولو لآخَظَه لذكره في العلم المركَّب من جملة أو غيرها ، والصَّوَاب ذكره في قسم المركَّب ، لأنه جملة مركبة من فعل وفاعل قطعًا . ولهذا قال ابن الحاجب (في شرحه) : تمثيله بقوله أُطْرُقًا في غير قسم المركَّب ليس بمستقيم . وأجاب ابن يعيش بأنَّ أُطْرُقًا لها جهتان : جهة كونه أمرًا ، وجهة كونه جملة . فإيراده هنا من حيث أنه أمر . ولو أوردته في المركَّبات من حيث هو جملة لجاز . انتهى .

وفيه نظر ؛ فإنَّ التقسيم يصير حينئذ فاسدًا ، لأنَّ كل تقسيم صحيح ذكرت فيه أنواعٌ باعتبار صفاتٍ مصحِّحةٍ للتقسيم يجب أن يكون صفة كلِّ قسم منتفية عن بقية الأقسام ^(١) ، وإلا لم يصحَّ التقسيم باعتبارها ، وههنا التقسيم قد ذكر فيه المركب فيجب أن يكون التركيب منتفياً عن بقية الأقسام .

وأجاب بعضهم بأنه يصح أن يكون أُطْرُقًا أمرًا للواحد ، وتثنيته تثنية الفعل لا الفاعل ، كأنه قال : أُطْرُق أُطْرُق ، كما قيل في : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ^(٢) ﴾ ، وفي : ﴿ قفا نبك ﴾ ، تأكيدًا ومبالغة .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الأقسام » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ٢٤ من سورة ق .

وَأَجَابَ بَعْضُ آخِرِ بَأْنِ الْأَلْفِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بَدَلًا مِنْ نُونِ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ ، وَالْأَصْلُ أَطْرَقْنَ ، فَأَبْدَلْتُ لِلْوَقْفِ أَلْفًا . وَبَرْدُهُ مَا حَكُوا فِي وَجْهِ التَّسْمِيَةِ مِنْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِمُصَاحِبِيهِ فِي مَوْضِعٍ : أَطْرَقَا ، تَخْوِيفًا لِهُمَا ، فَسُمِّيَ بِهِ .

قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : أَطْرَقَا : موضعٌ بالحجاز . قال أبو عمرو بن العلاء : غَزَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ سَمِعُوا نَبَأَهُ فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِمُصَاحِبِيهِ : أَطْرَقَا ، أَيْ اسْكُنَا ^(١) . وقال في موضع آخر : أَيْ الزَّمَّا الْأَرْضَ ، فَسُمِّيَ بِهِ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ . قال أبو الفتح بن جني : دَلَّ قَوْلُ أَبِي عَمْرٍو أَنَّ الْمَوْضِعَ سُمِّيَ بِالْفِعْلِ وَفِيهِ ضَمِيرُهُ لَمْ يَجْرِدْ عَنْهُ ، كَمَا يُقَالُ : لَقِيتَهُ بِوَحْشٍ إِصْمَتَ ، أَيْ بِفَلَاةٍ يُسْكِتُ ^(٢) فِيهَا الْمَرْءُ صَاحِبَهُ فَيَقُولُ لَهُ . اصْمُتْ ، إِلَّا أَنَّهُ جَرَّدَ إِصْمَتَ مِنْ الضَّمِيرِ ، فَأَعْرَبَهُ وَلَمْ يَصْرِفْهُ ، لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ أَوْ وَزْنِ الْفِعْلِ . انْتَهَى كَلَامُ أَبِي عَبِيد .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : قال أبو عمرو : أَطْرَقَا : اسْمٌ لِبَلَدٍ بَعَيْنُهُ مِنْ فِعْلِ الْأَمْرِ ، وَفِيهِ ضَمِيرٌ وَهِيَ الْأَلْفُ . كَانَ سَالِكُهُ سَمِعَ نَبَأَهُ فَقَالَ لِمُصَاحِبِيهِ : أَطْرَقَا . وقال الأصمعيّ : كَانَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ بِهَذَا الْمَكَانِ فَسَمِعُوا صَوْتًا فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِمُصَاحِبِيهِ : أَطْرَقَا ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ . انْتَهَى .

وقيل إِنَّ أَطْرَقَا غَيْرُ عِلْمٍ لِأَرْضٍ ، فَلَا شَاهِدَ فِيهِ . ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَقَالَ قَوْمٌ :

(١) وَكُنَّا فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ ١٦٧ . وَفِي ش « اسْكُنَا » بِالنُّونِ .

(٢) ش فَقَطْ : « يَسْكُنُ » بِالنُّونِ .

هو جمع طريق ، كصديق وأصدقاء ، وقُصر للضرورة . حكاها ياقوت .
وقال أبو عبيد (في المعجم) : قال بعضهم : هو جمع طريق على لغة
هذيل ، ويجوز أن يكون مقصوراً من المملود ، نحو نصيب وأنصاء . وعلى
هذا استشهد به الحرى . انتهى .

قال ابن يعيش : يكون على هذا حذف الألف الأولى التي للمد ،
فعادت ألف التأنيث إلى أصلها ، وهو القصر . وينبغي أن تكتب الألف
بالياء . انتهى .

وقال ثعلب ، كما نقله أبو عبيد أيضاً : قوله على أطرقا ، أراد على
أطرقه ، فأبدل من تاء التأنيث ياءً كما يقال في شكاعى شكاعة ^(١) كما يبدل
أيضاً من الألف تاء . قال الراجز :

من بعدما وبعدمتا وبعدمت صارت نفوسُ القوم عند الغلصمت ^(٢)
انتهى .

وقال بعضهم : الرواية « علا أطرقا » وقال ابن يعيش : رواه بعضهم
بضم الراء ، كأنه جعله جمع طريق ، ويجعل علا فعلاً ناصباً له من العلو ، وفيه
ضمير ، كأنه قال : السَّيْلُ علا أطرقاً . وعلى هذا يكون قد أُثِّب الطريق ؛
لأنَّ فِعْلاً وَفَعَالاً إِنَّمَا يَجْمَعَانِ عَلَى أَفْعَلٍ إِذَا كَانَ مُؤَنَّثًا ، نَحْوُ عَنَاقٍ وَأَعْنَقٍ ،

٢٨٨

(١) وكذا في معجم ما استعجم ص ١٦٨ . وكتب مصحح طبعة بولاق : « كذا بالأصل »
ولعل المناسب في « شكاعة شكاعى » .

(٢) الرجز لأنى النجم المعطل ، كما في مجالس ثعلب ٣٢٦ .

ويكون باليات الخيام من صفة أطرقاً . انتهى .

وحكاه أبو عبيد أيضاً قال : ويروى : علا أطرقاً من العلو . وجمع طريق على أطرق يدل على تأنيثه ، لأنه تكسير المؤنث كعناق وأعناق وعقاب وأعقب . وقال ياقوت : قال أبو الفتح : ويروى « علا أطرقاً » ، فعلا فعل ماض . وأطرقا : جمع طريق . فمن أثث الطريق جمعه على أطرق مثل عناق وأعناق ، ومن ذكره جمعه على أطرقاً ، كصديق وأصدقاء ، فيكون قد قصره ضرورة . هذا ، والصحيح أن أطرقاً علم أرض ، بدليل قول عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، يخاطب بني كعب بن عمرو ، من نخزاعة ، وكان يطالبهم بدم الوليد بن المغيرة ^(١) ، أبي خالد بن الوليد ، لأنه مرّ برجل منهم يصلح سهاً ففعلهم بسهم منها فجرّحه ، فانتقض عليه فمات . :

إني زعيم أن تسيروا وتهربوا وأن تركوا الظهران تعوي ثعالبه
وأن تركوا ماءً بجيزة أطرقاً وأن تسلكوا أي الأراك أطايه ^(٢)
وإننا أناس لا نطل دماؤنا ولا يتعالى صاعداً من نحاربه

وقالوا في تفسير هذا : الجيزة والجزع بمعنى واحد ، وهو معظم الوادي . وقال ابن الأعرابي : هو ما انثنى منه . وأطرقا هنا وقع مضافاً إليه ، وهو علم موضع ، سمي بفعل الأمر كما تقدّم . ولا يتأتى هنا ما تمحلوه في ذلك البيت .

(١) الوليد هنا هو والد خالد بن الوليد ، كما في جمهرة ابن حزم ١٤٧ .

وقد وردت كلمة « بن » مقحمة في النسختين ، بعد « المغيرة » ، والصواب حذفها كما فعل الإمام الشنقيطي في نسخه بالترميم عليها .

(٢) ط : « أصائبه » ، صوابه في ش ومعجم البلدان (أطرقا) .

قال ياقوت : وهذا الشعر يؤذن بأن أطرقا موضع من ضواحي مكة ، لأنَّ الظَّهْرانَ هناك ، وهى منازل كعب من خزاعة . فيكون أطرقا من منازلها بتلك التَّواحي ، وهى من منازل هُذَيْل أيضاً ، ولذلك ذكروه فى شعرهم . والله أعلم . انتهى .

وقد آن لنا أن نرجع إلى المقصود فنقول : البيت الشاهد من قصيدة للرأعى واسمه عُبيد بن حُصَيْن التُّمَيْرِيَّ (١) ، وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الثالث صاحب الشاهد والثمانين بعد المائة (٢) . وهى من قصيدة مدح بها عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان ، أوَّها :

طافَ الخيالُ بأصْحابى وقد هَجَدُوا من أُمِّ غُلَوانَ لا تُحَوِّ ولا صَدَدُ
فَارَّقْتَ فَنِيَّةً باثُوا على عَجَلٍ وأَعَيْنَا مَسْهًا الإِدلاجُ والسَّهْدُ (٣)
هل تَبْلَغُنِي عَبْدَ اللَّهِ دَوْسَرَةً وجَنَاءُ فيها عَتِيقُ ابْنِي مَلْتَبْدُ
كَأَنَّهَا يَوْمَ خَمْسِ القَوْمِ عن جُلْبٍ ونَحْنُ والأَلْ بالموماة نَطْرُدُ
قَرَمَ تَعْدَاهُ عادٍ عن طَرُوقته من الهِجَانِ على خُرطومِه الزَّبْدُ
أو ناشطُ أسْفَعُ الخَدَّيْنِ الجَاهُ نفْحُ الشَّمَالِ فأمسى دونه العَقْدُ

(١) ط : « التمرى » ، صوابه فى ش ، فإن الراعى من بنى تمير بن عامر بن صعصعة . وأما التمرى فيفتح الميم فهو نسبة إلى التمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعى .

(٢) فى الخزانة ٣ : ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) كنا على الصواب فى النسخين ، وظنها مصحح بولاق « فارقت » من الفراق ، فعلق عليها بما يفيد تصحيحها : « قد فارقت » ، ووقع فى ذلك ناشر ديوان الراعى ٤٤ فجعلها « قد فلرقت » .

ثم وصف الثور والأطلال فقال :

حَتَّى إِذَا هَبَطَ الْأُحْدَانُ وَانْقَطَعَتْ عَنْهَا سِلَاسُلُ رَمِلٍ بَيْنَهَا وَهْدُ
صَادَفَ أَطْلَسَ مَشَاءً بِأَكْلِهِ إِثْرَ الْأَوَابِدِ مَا يَنْمِي لَهُ سَبْدُ
أَشْلَى سَلَوَقِيَّةً بَاتَتْ وَبَاتَ بِهَا بوحشٍ إصْبَتَ فِي أَصْلَابِهَا أَوْدُ
يَدْبُ مُسْتَخْفِيًا يُغْشِي الضَّرَاءَ بِهَا حَتَّى اسْتَقَامَتْ وَأَعْرَاهَا جَدْدُ (١)
فَجَالَ إِذْ رُعْنَهُ يَنَاقِي بِجَانِبِهِ وَفِي سَوَالِفِهَا مِنْ مِثْلِهِ قَدْدُ

٢٨٩

هَجَدُوا : رَقَدُوا . وَالتَّحَوُّ : التَّوَجُّه . وَالصَّدَد : الْقَرَب . وَخَبِرَ نَحْوُ
مَحْنُوفٍ ، أَيْ مِنْهَا .

وَالْإِدْلَاج : السَّيْرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ . وَالسَّهْدُ بِفَتْحَتَيْنِ (٢) : الْأَرْقُ
وَالسَّهْرُ .

عبد الله بن معاوية وعبد الله هو أخو يزيد بن معاوية . في الجمهرة : وعبد الله بن معاوية كان
أَحَقَّ النَّاسِ ، وَأُمُّهُ فَاحْتَهُ بِنْتُ قَرْظَةَ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نُوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ .
وَأُمُّ يَزِيدَ مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ الْكَلْبِيَّةِ .

وَالدُّوسَرُ ، بِالْفَتْحِ : النَّاقَةُ الضَّخْمَةُ . وَالْوَجْنَاءُ : الشَّدِيدَةُ . وَالتَّنْيُ ،
بِفَتْحِ النَّونِ : السَّمْنُ وَالشَّحْمُ . وَالْخَمْسُ ، بِالْكَسْرِ مِنْ أَظْمَاءِ الْإِبِلِ : أَنْ
تُرْعَى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَتُرَدَّ الْيَوْمَ الرَّابِعَ .

وَالْجُلْبُ ، بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ : جَمْعُ جُلْبَةٍ ، وَهِيَ الشُّدَّةُ . يُقَالُ :

(١) كُنَّا وَرَدَ فِي مَتْنِ الْيَتِّ وَشَرْحِهِ ، لَنَا أَبَقِيْتُهُ عَلَى خَطِّهِ . وَالصَّوَابُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ : « يَمْشِي
الضَّرَاءُ » . يُقَالُ فَلَانٌ يَمْشِي الضَّرَاءَ ، - بِفَتْحِ الضَّادِ - إِذَا مَشَى مُسْتَخْفِيًا فِيمَا يُوَارِي مِنَ الشَّجَرِ .
قَالَ بَشَرُ :

عَطَفْنَا لَهُمْ عَطْفَ الضَّرُوسِ مِنَ الْمَلَا
بَشَهَاءٍ لَا يَمْشِي الضَّرَاءَ رَقِيْبَهَا

(٢) يُقَالُ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَبِضْمَتَيْنِ ، وَبِضْمَةٍ أَيْضًا .

أصابتنا جُلْبَةُ الزمان وكُلْبَتُهُ . والآل : السراب بعد الزوال . والمومة ، بالفتح : الفلاة .

وقرّم خبر كأنّها ، وهو بفتح القاف وسكون الراء : البعير المكرّم لا يحمل عليه ولا يذلل ، ولكن يكون للفحلة . وتعدّاه أى تعدّى عليه . وعادٍ من عدا عليه ، أى تجاوز عليه الحدّ . والطّروقة : أنثى الفحل . يقال طرق الفحل الناقة طرّقا ، فهى طروقة ، فعولة بمعنى مفعولة . والهيجان من الإبل ، البيضُ ، يستوى فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع . والخُرطوم : الأنف . والزَبَد : الرّغوة التى تظهر على فم البعير عند هيجانه . شبه ناقته فى حالة جهدها وشدّتها ، وهو سائرٌ فى شدّة الهجير ، بفحل هائج ، حال دون أنثاه حائل . وفيه مبالغاتٌ لا تخفى .

وقوله : « أو ناشط » إلخ ، يعنى أنّها إمّا تشبه ذلك الفحل أو تشبه الناشط ، وهو الثور الوحشى يخرج من أرضٍ إلى أرض . والأسفع : الأسود ، من السّفعة بالضم ، وهى سوادٌ مشربّ حمرة ، يعنى اسودّ وجهه من شدّة الحر ، أو من شدّة البرد والريج . وألجأه : اضطّره . والنّفح : الهبوب . والشّمال : الريح المعروفة . قال الأصمعى : ما كان من الرياح نفح فهو برد ، وما كان لفح فهو حرّ . والعَقْد بفتح العين وكسر القاف وفتحها : ماتعقد من الرمل ، أى تراكم ، الواحدة عقدة كذلك . يعنى فهو مسرعٌ ليصل كيناسه ومأواه . والأُحدان بالضم : قطع رمل متفرقة ، والأُصلُ وُحدانٌ جمع أوحد^(١) .

(١) نظيره أسود وسودان .

وَوُهْدُ بَضْمَتَيْنِ : جمع وهاد ، وهو جمع وهدة ، وهو المكان المطمئن .
 وصادف ، أى ذلك الناشط . وأطلس مفعوله ، يريد به صيادًا
 وقانصا . والأطلس قال فى القاموس : هو الرجل يُرمى بقبيح ، والسارق ،
 والذئب الأمعط . وفى الصحاح : الأطلس : الخلق ، وكذلك الطُّلس
 بالكسر ، والجمع أطلاس . ورجل أطلس الثوب . قال ذو الرمة يصف
 قانصًا :

مُقزَّعُ أَطْلَسِ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ
 وَمَشَاءُ : مبالغةٌ ماشٍ أى كاسب . وأكُلب : جمع كلب . والأوابد :
 جمع آبدية ، وهى الوحوش .
 وَيَنْبِى ، من نَمى المال وغيره يَنْبِى نَمَاءً : زاد . والسَّيْد : الصُّوف ،
 كنى به عن المال والماشية .

وقوله : « أَشْلَى سَلَوِيَّة » ، فاعل أشلى ضميرُ أطلس ، المرادُ به
 القانص . قال أبو زيد : أَشْلَيْتُ الْكَلْبَ : دَعَوْتَهُ . وقال ابن السُّكَيْت : يقال
 أَوْسَدَتِ الْكَلْبَ بِالصَّيْدِ وَآسَدَتْهُ ، إِذَا أَغْرَيْتَهُ بِهِ . ولا يقال : أَشْلَيْتُهُ ، إِنَّمَا
 الإِشْلَاءُ الدُّعَاءُ . يقال أَشْلَيْتُ الشَّاةَ وَالنَّاقَةَ ، إِذَا دَعَوْتَهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا
 لِتَحْلُبَهُمَا . وقول زيادٍ الأعجم :

أَتَيْنَا أَبَا عَمْرٍو فَأَشْلَى كَلَابَهُ عَلَيْنَا فَكَدْنَا بَيْنَ بَيْتَيْهِ نُوَكِّلُ

يروى : « فَأَغْرَى كَلَابَهُ » . كذا فى الصحاح . وسَلَوِيَّةُ أى كلابًا
 سَلَوِيَّةٌ . قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : سَلَوَقُ بفتح أوله

وضم اللام : موضعٌ تنسب إليه الكلاب السلوقية والدُّروع^(١) . و (في كتاب العين) : موضعٌ باليمن تنسب إليه الكلاب . وقال أيضاً : السلوقي من الدُّروع والكلاب : أجودها . وقال الأصمعي : إنما هي منسوبة إلى سَلْقِيَّة ، بفتح أوله وثانيه وإسكان القاف وتخفيف الياء ، وهو موضعٌ بالروم . فغيره النسب . هكذا حكى أبو بكر . و (في البارع) عن أبي حاتم : السلوقية من الكلاب منسوبة إلى مدينة من مدائن الروم يقال لها سَلْقِيَّة^(٢) ، فأعربت^(٣) . قال أبو حاتم : وقال أبو العالية : إنما يقال لها سلوقية ، وقد دخلتها ، وهي عظيمة ، ولها شأن . انتهى .

وقوله : (باتت وبات بها) قال صاحب المصباح : بات ، له معنيان أشهرهما اختصاص الفعل بالليل ، كما اختصَّ الفعل في ظلَّ بالنَّهار . فإذا قلت : بات يفعل كذا فمعناه فعله بالليل . وقال الليث : من قال بات بمعنى نام فقد أخطأ ، لأنك تقول باتَّ يرعى النجوم ، ومعناه ينظر إليها ، وكيف ينام من يراقب النجوم . والمعنى الثاني تكون بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أي صار به ، سواء كان في ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ^(٤) » . والمعنى صارت ووصلت . انتهى .

(١) ط : « الدرع » ، صوابه في ش ، مع أثر تصحيح ، ومعجم ما استعجم .

(٢) في النسختين : « سلقية » ، صوابه من معجم ما استعجم .

(٣) ط : « فعربت » ، وأثبت ما في ش ومعجم ما استعجم .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد والأربعة ، وأوله : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً » . الجامع الصغير ٤٣٥ .

وقال الشارح المحقق : وتجيء بات تامة بمعنى أقام ليلاً ونزل ، سواء نام أو لم ينم . وفي كلامهم : « سِرٌّ وَبَتْ » . انتهى .

وقوله : (في أصلاها أود) أى في أصلاب الكلاب السلوقية . إذ لكل كلب صلب . ولهذا قلنا موصوف السلوقية جمعاً ، ولقوله : (بأكلية) . وقدر بعضهم تبعاً لابن الحاجب : كلبة سلوقية . ووجه جمع الأصلاب بجعل كل طائفة من الفقير صلباً . وله العذر لأنه لم يقف على ما قبله . والصلب : وسط الظهر من العنق إلى العجز ، وهى فقرات أى خرزات منتظمة . والمتنان يكتنفان يميناً وشمالاً . والأود بفتحيتين : الاعوجاج . والجملة حال من ضمير الكلاب ، وهى حال لازمة ، لأن الكلاب السلوقية يكون أوساطها مخروطة الشكل خِلقة . قال الأصمعى : إذا كان في ظهر الكلب احديداً قليل كان أفره له ، وكذلك إذا كان واسع الفمحة كان أسرع لجريه ، وكذلك من الدواب . وكذا إذا اتسع منخراه وشدقاه . فقوله : « أشلى سلوقية » استئناف بعد الإخبار عن الناشط بما ذكره . وأراد : أشلى عليه ، أى أغرى الكلاب على الناشط .

وجملة باتت إلخ استئناف بياني ، كأنه قيل : فما صنعت ؟ قال : باتت . وقيل الجملة صفة سلوقية . وبات هنا تامة كما نقلنا عن الشارح المحقق . وقوله « وبات بها » أى وبات الصياد مع السلوقية ، فالباء بمعنى مع ، والضمير للسلوقية . وقوله : (بوحش إصميت) الباء بمعنى فى ، متعلق بأحد الفعلين . وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : المجرور فى قوله : بوحش ، يتعلق

بأشلى ، وتقديره : أشلى سلوقية بوحش هذه البرية ، باتت السلوقية في هذه البرية . وبات بها ، أى عندها ، والضمير للسلوقية . انتهى .

يريد أن الضمير فى قوله « عندها » للسلوقية ، وأما ضمير بها فهو لوحش إصمت . وصرح به (فى شرح المفصل) قال : بها ، أى بوحش إصمت . وأضمر لأنه متقدم فى المعنى لأشلى أو لباتت الأول . انتهى .

وكذا صنع الأندلسي قال : أعمل الفعل الأول وأضمر الثانى . وروى أبو الحسن على بن عبد الله الطوسى :

أشلى سلوقية زلاً جَوَّاعُهَا بوحش إصمت إلخ .

والزَّل بضم الزاى المعجمة وتشديد اللام : جمع أَزَل ، وهو المسحوح العجز . والجَوَّاعر : جمع جاعرة ، وهو موضع رَقْمَة است الحمار (١) .

وقوله : « يدبُّ مستخفياً » إلخ دبَّ يدبُّ من باب ضرب ، أى مشى مشياً رويدا . وفاعله ضمير الصياد . وكذلك ضمير يُغشى مضارع أغشى ، بمعنى أحاط . والضراء مفعوله ، وهى جمع ضيرة بالكسر ، وهو ولد الكلب . وضمير بها للسلوقية . وجملة يُغشى حال من ضمير يدبَّ . وحتى بمعنى إلى . وأعرأه : كشفه . والضمير للناشط . وجَدَّد فاعله ، وهو بفتححتين : الأرض الصلبة .

وقوله : « فجال » ، من الجولان ، وفاعله ضمير الناشط ، وإذ ظرَّف لجال ، ورُعته من الرُّوع ، وهو الذعر ، والنون ضمير الكلاب السلوقية

(١) ش : « رقمة الحمار » .

وينأى : يبعد . يريد أن الناشط نجا من يد الكلاب والحال أن في سواف الكلاب من جلد مثل هذا الناشط قدداً ^(١) . والسأفة : صفحة العنق . والقدد : جمع قدة ، وهو سير غير مدبوغ .

وأما البيت الثانى فهو لأبى ذؤيب الهذلى ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين ^(٢) من قصيدة عدتها أربعة عشر بيتا ذكر من أولها دروس الديار وطموسها ، إلى أن رثى ابن عمه نسيبة بخمسة أبيات من آخرها . وأولها :

عرفت الديار كرقم اللواة يزورها الكاتب الحميرى
إلى أن قال بعد أبيات ثلاثة :

* على أطرقا باليات الخيام *

إلى آخره . يزورها ^(٣) : يكتبها . وذكر الحميرى لأن الكتابة أصلها من اليمن . يريد : عرفت رسوم الديار وآثارها خفية كآثار الخط القديم . وقوله : « على أطرقا » قال السكرى (فى شرحه) : أراد : عرفت الديار على أطرقا . والثمام : شجر يلقى على الخيام . والعصى : خشب بيوت الأعراب . وقوافى هذه القصيدة إن شددتها وصلتها ، وإلا خفضتها . انتهى .

والخيمة عند العرب : بيت من عيدان . والثمام : نبث ضعيف يحشى

(١) فى النسختين : « قدد » .

(٢) الحزاة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٣) ط : « يزورها » ، صوابه فى ش .

به خصاصُ البيوت ويُستَر به ^(١) جوانبُ الخيمة . فالثام والعصى استثناء من الخيام ، ويكون الاستثناء متصلاً .

قال ابن يعيش : هذه القصيدة تروى مطلقةً مرفوعة ، وتروى مقيدةً ساكنة ، وهى من المتقارب . فمن أطلقها كانت من الضرب الأول ووزنه فعولن عِصْيُ يُو . ومن قيدها كانت من الضرب الثالث ، وهو المحذوف . فِعْلُ عِصْي . وقوله : « على أطرقا » نصبٌ على الحال من الدِّيار ، وكذلك باليات الخيام حال . والمراد : عرفتُ الديار على أطرقا فى هذه الحال . وقوله : « إلا الثام وإلا العصى » يروى برفع الثام ونصبه ، فمن نصب فلا إشكال فيه لأنه استثناء من مُوجب . ومن رفع فبالابتداء والخبر محذوف ، والتقدير : إلا الثام وإلا العصى لم تُبَل . ومن نصب الثام ورفع العصى فإنه يحمله على المعنى ، وذلك أنه لما قال بليت ، إلا الثام ، كان معناه بَقِيَ الثام ، فعطف على هذا المعنى وتوهم اللفظ . ومن قيّد القافية جاز أن تكون العصى مرفوعة كالمطلقة ٢٩٢ على ما ذكرنا ، وجاز أن تكون منصوبةً بالعطف على الثام ، إلا إنه أسكن للوقف . وما فيه أل يكون الوقف عليه كالمرفوع والمجذور . انتهى .

وقال (صاحب المقتبس) : ويروى : « باليات » ، مرفوعاً ومنصوباً على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هى ، وعلى الحال . وقوله : على أطرقا متعلق بعرفت . قال بعض فضلاء العجم : ويجوز أن يكون باليات على رواية الرفع مبتدأ وخبره على أطرقا ، والإضافة كسَحَق عِمامة . وعلى هذا كان كلاماً

(١) ط : « ويستتر به » .

منقطعاً عن الأول وإخباراً ثانياً عن اندراس المنازل .

وقال ابن الحاجب (في الإيضاح) : باليات الخيام حال من الديار .
وإلا التمام استثناءً منقطع . وبعض الناس يُنشد باليات بالرفع ، يجعله مبتدأ .
وبعضهم ينشده « إلاً التمام وإلاً العصى » بالرفع ، وليس بصواب ، وإنما
يجوز بناء الرفع على وجهين : أحدهما على الإلتباع على المعنى دون اللفظ ،
فيكون [مثل ^(١)] : أعجبنى ضربُ زيد العاقل بالرفع . والثاني إما على
قولهم : ما جاءني أحدٌ إلا حمارٌ على اللغة التيمية . فقوله باليات الخيام ،
الخيام مرفوعة من حيث المعنى ، فكأنه قال : باليات خيامها ، فيكون قوله إلاً
التمام على اللغة التيمية ، وإما على أن إلاً بمثابة غير . وكلٌ منهما ضعيف . أما
أعجبنى ضربُ زيد العاقل فلأن زيدا معرب ، والتوابع إنما تجرى على متبوعاتها
على حسب إعرابها . وأما ما جاءني أحدٌ إلا حمار ، فلأن ذلك إنما يثبت في
النفي ، مع أنه فيه ضعيف ، لأن الحمار ليس من جنس الأحد ، فلا يكون
بدلاً ، وأما كون إلاً بمثابة غير فشرطه في الفصيح أن تكون تابعة لجمع منكر
غير منحصر ، وذلك مفقود . انتهى .

وتوجيه ابن يعيش لرواية الرفع ، أسلم من هذا . فتأمل . فلا يرد عليه

ما ذكره .

* * *

(١) بمثل منه يلتمس الكلام .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٣٩ (بَنَاتُ أَلْبِي)

على أنه إذا سُمِّيَ بِالْبُبِّ يَبْقَى الْفُكُّ وَلَا يَدْغَمُ ، وهو بفتح الهمزة وسكون اللام وضمُّ الموحدة الأولى .

وهذا قطعةٌ من بيت ، وهو :

* (تَأْنَى لَهُ ذَاكَ بَنَاتُ أَلْبِي) *

قال صاحب الصحاح : وبنات أَلْبُبٍ : عروقٌ في القلب تكون فيها الرِّقَّةُ . وقيل لأعرابيةٌ تعاتب ابناً لها : مالك لا تدعين عليه ؟ قالت :

* تَأْنَى لَهُ ذَاكَ بَنَاتُ أَلْبِي *

والذي أورده سيبويه :

* قَدْ عَلِمْتَ ذَاكَ بَنَاتُ أَلْبِيَةِ *

قال : وإذا سُمِّيَتْ رَجُلًا بِالْبُبِّ ، من قولك :

* قَدْ عَلِمْتَ ذَاكَ بَنَاتُ أَلْبِيَةِ *

تركته على حاله ، لأنَّ هذا اسم جاء على الأصل ، كما قالوا : رَجَاءُ بْنُ حَيَوةَ (٢) ، وكما قالوا : ضَيُونٌ . فجاءوا به على الأصل . وربما جاءت العرب

(١) في كتابه ٢ : ٣ ، ٦١ ، ٤٠٣ ، والنصف ١ : ٢٠٠ / ٣ : ٣٤ .

(٢) ش : « كما قالوا بن حيوة » ، وكلمة « رجاء » من ط وسيبويه . ورجاء بن حيوة بن جرجول الكندي الفلسطيني كان ثقة فاضلاً كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ٤ : ١٨٦ .

بالشيء على الأصل . ومجرى بابه في الكلام على غير ذلك . انتهى كلام سيويه .

قال صاحب الصحاح : قال المبرد في قول الشاعر :

* قد علمت ذاك بنات ألبيه *

يريد : بنات أعقل هذا الحي . فإن جمعت ألبيا قلت ألب ، والتصغير ألبب ، وهو أولى من قول من أعلاها . انتهى .

وقال ياقوت (في حاشية الصحاح) : ويرى : « بنات ألبيه » بفتح الباء الأولى . والله أعلم .

ولم يورد أبو جعفر النحاس ولا أعلم الشنتمري هذا البيت في شواهد سيويه ، وكأنهما لم يتنبها لكونه شعرا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(يَعَصِرَنَّ السَّلِيْطُ أَقَارِيَهُ)

على أنه لو سَمِيَ بضرين^(١) على لغة أكلوني البراغيث ، يجعل النون حرفا دالا على الجمع المؤنث كما في « يعصرن السليط أقاربه » ، فإن النون فيه على قول حرف علامة لجمع المؤنث .

وأقاربه هو الفاعل ، والسليط مفعوله ، وهو الزيت .

وهذا المقدار قطعة من بيت للفرزدق ، تقدم شرحه في الشاهد السادس والسبعين بعد الثلاثمائة^(٢) .

* * *

(١) ش : « يعصرين » ، صوابه في ط . وفي شرح الرضى ٢ : ١٣٤ : « ولو سميت بضرين على لغة يعصرن السليط أقاربه ، جعلت النون معتقب الإعراب ولم تصرفه للتعريف والوزن » .
(٢) الخزائن ٥ : ٢٣٣ - ٢٤١ .

أسماء العدد

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٤٠ (حَتَّى اسْتَأْثَرُوا بَنَى إِحْدَى الْإِخْدِ)

على أَنَّ إِحْدَى يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَنَفْيِ الْمِثْلِ . فمعنى « هو إِحْدَى الْإِخْدِ » : داهيةٌ هي إِحْدَى الْإِخْدِ .

قال الدماميني (في شرح التسهيل) : إِنْ قُلْتُ : كيف حمل إِحْدَى الْإِخْدِ مع أَنَّهُ لِلْمَوْثُثِ عَلَى الْمَذْكُورِ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ دَاهِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الدَّوَاهِي ؛ ومثله يحمل على الْمَذْكُورِ ، فتقول : هو دَاهِيَةٌ مِنَ الدَّوَاهِي . وَأَحْدُ الْأَحْدِينَ الْمُرَادُ بِهِ إِحْدَى الدَّوَاهِي ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْمَعُونَ مَا يَسْتَعْظَمُونَهُ جَمْعَ الْعَاقِلِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا . فَمَنْ قَالَ هُوَ أَحَدُ الْأَحْدِينَ ، فَقَدْ رَاعَى مِطَابَقَةَ لَفْظِ هُوَ فَلِذَلِكَ ذَكَرَ اللَّفْظَيْنِ جَمِيعًا . وَمَنْ قَالَ إِحْدَى الْإِخْدِ رَاعَى الْمَعْنَى ، فَلِذَلِكَ أَتَى بِإِحْدَى ، لِأَنَّ أَلْفَهَا إِمَّا لِلتَّائِيثِ ، أَوْ لِلْإِلْحَاقِ ، وَلَكِنَّهَا تَشْبِهُ فِي اللَّفْظِ أَلْفَ التَّائِيثِ ، فَأَضَافَهَا إِلَى جَمْعِ الْمَوْثُثِ وَهُوَ الْإِخْدِ بِكَسْرِ الْأَلْفِ وَفَتْحِ الْحَاءِ . وَفِيهِ لَفَةٌ أُخْرَى وَهُوَ ضَمُّ الْأَلْفِ وَفَتْحِ الْحَاءِ . وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا الْجَمْعِ أَعْنَى فُعْلٍ بَضْمِ الْفَاءِ ، أَنْ يَكُونَ مَفْرَدَةً فَعْلَةً مَوْثُثًا بِالتَّاءِ ، كَغُرْفٍ جَمْعَ غُرْفَةٍ ، لَكِنَّهُ جَمْعٌ بِهِ الْمَوْثُثُ بِالْأَلْفِ كإِحْدَى ، حَمَلًا هَا عَلَى أُخْتِهَا ، أَوْ يَقْتَرَنُ لَهُ مَفْرَدٌ مَوْثُثٌ بِهَا ، كَمَا حَقَّقَهُ السُّهَيْلِيُّ (فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ) فِي جَمْعِ ذَكَرَى وَذَكَرَ .

(١) الأغاني ٩ : ١٥١ والمياني ١ : ٢٥٨ واللسان (وحد ٤٦٦) .

وكما أنَّ إحدى الاحد ، معناه إحدى الدواهي ، كذلك معنى أحد الأَحْدِينَ ^(١) لا يختص استعماله بالعقلاء ، لكنهم يجمعون ما يستعظمونه جمع العقلاء .

قال (صاحب اللباب) : ما لا يعقل يُجمع جمع المذكر في أسماء الدواهي ، تنزيلاً له منزلة العقلاء في شدة النكايه . والداهيه : الأمر العظيم . ودواهي الدهر : ما يصيب الناس من عظيم نوبه . والدَّهْيُ ، بسكون الهاء : التكر وجودة الرأي . يقال رجلٌ داهية بينُ الدَّهْيِ والدَّهَاءِ بالمد . وقد يضاف إحدى إلى ضمير الإحد . قال أبو زيد : يقال : لا يقوم لهذا الأمر إلا ابن إحداها ، أي الكريم من الرجال . وهذا تفسير بالمعنى .

وزعم أبو حيان أنَّ إحدى الإحد خاصٌ بالموثوث . قال : كما قالوا : هو أحدُ الأَحْدِينَ ، وهي إحدى الإحد ، يريدون التفضيل في الدهاء والعقل ، بحيث لا نظير له . قال :

* استشاروا بني إحدى الإحد * انتهى

وهذا البيت الذي أورده يرد عليه .

ويقال أيضاً : هو واحد الواحدين ، نقله صاحب القاموس . ويقال أيضاً : هو واحد الأَحْدِينَ ، وواحد الآحاد ، حكاهما صاحب العباب .

ولا تختص إضافة إحدى ، وواحد ، وأحد ، إلى الجمع من لفظه . قال صاحب الكشاف ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبَرِ ^(٢) ﴾ ، أي

(١) ش : « إحدى الأَحْدِينَ » ، صوابه في ط .

(٢) الآية ٣٥ من سورة الم نشر .

لإحدى البلايا ، والنَّوَاهِي الكُتَبَر . ومعنى كونها إحداهنَّ أنَّها منهنَّ واحدةٌ في العِظَم لا نظير لها ، كما تقول : هي إحدى النساء . وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ ^(١) : من الأُمَّة التي يقال لها إحدى الأمم ، تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة .

قال (صاحب الكشف) : أقول : دلالتها على تفضيلها على سائر الأمم ليس بالواضح ، بخلاف واحد القوم ونحوه . ثم وجَّهها بأنَّه على أسلوب : * أو يرتبط بعض النفوس حِمَامُهَا ^(٢) * انتهى .

قال شيخنا الحفاجي : يريد أنَّ واحداً بمعنى منفرد ، ويلزم من انفراده امتيازُه وعظمته ، بخلاف إحدى فإنَّه اسمٌ لجزء الشيء ، فلا دلالة له على التعظيم ، إلَّا أنَّ يقال إنَّ البعض يدلُّ عليه كما في البيت ، لأنَّ فيه إيهاماً ، والإيهام يستعمل للتعظيم . ولك أنَّ تقول : لا حاجة إلى هذا ، لأنَّ الزمخشريُّ أشار إلى أنَّ إحدى هنا بمعنى واحدة . انتهى .

وردَّ الدماميني على صاحب الكشَّاف ، بأنَّ الذي ثبت استعماله للمدح أحد وإحدى مضافين إلى جمع من لفظهما ، واستعملوا ذلك أيضاً في المضاف إلى الوصف ، نحو : هو أحد العلماء . أمَّا في أسماء الأجناس مثل الأمم ففيه نظر . انتهى .

(١) الآية ٤٢ من سورة فاطر .

(٢) البيت للبيد في معلقته . وصدده :

* تراك أمكنة إذا لم أرضها *

قال شيخنا : لا حاجة إلى النقل ، لأنه إن كان استفادته من أحد بمعنى واحد ومنفرد فهو معنى حقيقى لا معنى لخصصه . وإن كان لأن إبهام البعض يفيلده فهو مجازى ، فهو لا يقتصر فيه على السماع . وفي الحماسة :

يا واحد العرب الذى ما إن لهم من مذهب عنه ولا من مقصير^(١)

وقال زهير :

* إذا طرقت إحدى الليالى بمعظم^(٢) * انتهى

وقد سمع فى إحدى قطعها عن الإضافة ، سئل ابن عباس رضى الله عنه ، عن رجل تتابع عليه رمضان ، فسكت ، ثم سأله آخر فقال : « إحدى من سبع ، يصوم شهرين ويطعم^(٣) » . قال ابن الأثير (فى النهاية) : يريد به إحدى سنين يوسف عليه السلام المجدة . فشبه حاله بها فى الشدة . أو من الليالى السبع التى أرسل الله فيها العذاب على عاد . انتهى .

وهذا يرد على ابن مالك فى قوله (فى التسهيل) : « ولا يستعمل إحدى فى غير تنيف دون إضافة » فإن إحدى قد استعملت بلا إضافة ، إلا أن يزعم أن الأصل أنها إحدى الإحد من سبع ، فحذف المضاف إليه .

والبيتان من رجزٍ للمرار بن سعيد الفقعسى ، أورد بعضه الأصبهاني صاحب الناهد

(١) نسب فى الحماسة ١٧٦٢ بشرح المرزوق إلى ابن المولى ، واسمه محمد بن عبد الله بن مسلم . والبيت فى مدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب . والمقصر بفتح الصاد وكسرها : الكف والإمساك .

(٢) من معلقة زهير . وصدرة :

° لحي حلال يعصم الناس أمرهم °

(٣) وكذا فى الفائق ١ : ١٥ : « يصوم شهرين ويطعم مسكينا » .

(في الأغاني) قال : كان المزار قصيرا مفرط القصر ، ضئيل الجسم . وفي ذلك يقول :

عُلُونِي الثعلب عند العَدَدِ^(١) حَتَّى اسْتَارُوا بِي إِحْدَى الْإِحْدَى
لَيْثًا هَزْبًا ذَا سِلَاحٍ مُعْتَدٍ يَرْمِي بِطَرْفٍ كَالْحَرِيقِ الْمَوْقَدِ

يقول : حسيبوني من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال ، أروغ عنهم ولا أكافحهم . وَحَتَّى بمعنى إلى . و (استاروا) : هيجوا ، من ثار إلى الشر ، إذا نهض ، واستثاره : أنهضه . وثار الفتنه : هاجت . واستارها : هيجها . والباء من (نى) تجريدية . والتجريد (كما في الكشف) هو تجريد المعنى المراد عمن قام به ، تصويرا له بصورة المستقل ، مع إثبات ملاسمة بينه وبين القائم به بأداة أو سياق . والأداة هنا الباء ، كما يقال : لقيت بك أسدا ، و ﴿ اسأل به خبيراً ﴾^(٢) : قال صاحب الكشف : ولعل جعلها إلصاقية أوجه ، أى كائنا ملصقا بك . والمراد التصوير المذكور ، لأن الإلصاق هو الأصل ، فقد سلم عن الإضممار وأفاد المبالغة الزائدة . انتهى .

قال شيخنا الخفاجي : وفيه أن السبب مبدأ أو منشأ للمسبب ، كما أن المنتزع مع المنتزع منه كذلك ، فهو أقرب إلى التجريد ، ومجرد الإلصاق لا يفيد . انتهى .

و (إحدى) منصوب بفتحة مقلرة ، مفعول للفعل قبله ، أى إحدى

(١) في الميقاتي ١ : ٢٥٨ : « الثعلب فيما علوا » ، وما هنا صوابه .

(٢) الآية ٥٩ من الفرقان . وقد اكتفى في الاستشهاد وحذف الفاء . ونص الآية : ﴿ الرحمن فاسأل به خيرا ﴾ .

اللَّوَاهِي . قال أبو الهيثم : إحدى الإحد ونحوه أبلغ المدح . وقال صاحب (العباب) ، وتبعه صاحب القاموس : يقال في الأمر المتفاقم : إحدى الإحد ، أى الأمر المشتد ، الصَّعْبُ ؛ مَنْ تفاقم الأمر ، إذا عظم .

و (في أمثال الميداني ^(١)) قال ابن الأعرابي : هذا أبلغ المدح ، كما يقال واحد لا نظير له . التأنيث للمبالغة بمعنى الداهية . وأنشد هذا البيث ، وقال : يضرب لمن لا نهاية لدهائه ، ولا مثل له في نكرائه ^(٢) . ومثله لرجل من غطفان :

إِنَّكُمْ لَا تَتَّبِعُونَا عَنْ الْحَسَدِ حَتَّى يَدْلِيَكُمْ إِلَى إِحْدَى الْإِحْدِ

وقوله : « ليثا هزبرا » إلخ هذا تفسيرٌ وعطف بيان لإحدى الإحد . والليث : الأسد ، وكذلك الهزبر . و « ذا سلاح » صفة لقوله ليثا . وكذلك قوله « معتدى » ، إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنصوب . وهو من الاعتداء ، قال في الصحاح : والعُدوان : الظُّلم الصُّراح ؛ وقد عدا عليه ، وتعدى عليه ^(٣) واعتدى ، كله بمعنى ^(٤) .

وقوله : « يرمى » إلخ هو صفة أخرى لقوله ليثا . والطَّرْف : نظر العين . والحريق : المُحَرَّق . والموقد بفتح القاف . أراد أن عينه في غضبه حمراء كالنار الموقدة الملتهبة .

(١) أورده في باب النال في قولهم : « ذاك أحد الأحدن » .

(٢) إلى هنا ينتهى نص الميداني . وقد أوجزه البغدادى بإيجازا .

(٣) في النسختين : « عدى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) قلت : الأولى أن يكون من قولهم : أعتد الشيء اعتادا : أعده ، كما في قوله :

أعتلت للغرماء كلبا ضاريا عندى وفضل هراوة من أرزن

والمرار بن سعيد : شاعرٌ إسلاميٌّ في الدولة المروانية ، وكان لصًّا من لصوص العرب . وتقدّمت ترجمته في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين ^(١) . وهو بفتح الميم وتشديد الراء الأولى .

تتمة

قد ذكر الشارح المحقق بعد هذا البيت إحدى وعشرين كلمة من الكلمات التي تختصُّ بالسفلى ، وهى فى أكثر النسخ محرفة غير منتفع بها ، فرأينا من الإحسان ضبطها وشرحها ، ابتغاءً لوجه الله عزّ وجل وهى :

الأولى : عَرِيب ، بفتح العين المهملة وكسر الراء ، قال ابن السّيد : أى ما بها مُعرب يُبين كلامه ويُعرّبه . وقد قالوا : ما بها معرّب ، فى هذا المعنى . وكذا قال صاحب القاموس .

الثانية : دَيَّار ، أصله دَيَّوَار ، فَيَعَال من دار يدور فأدغم . قال ابن السّيد (فى شرح إصلاح المنطق) : دَيَّار من الدَّار ، إمّا أن يكون فعّالاً من ذلك ، وكان حكمه دَوَّار ، لأنّ داراً من الواو ، بدليل قولهم فى تحقيرها : دَوَيْرَة . قال يعقوب (فى إصلاح المنطق) : وفى جمعها أدور قلبت واوه همزةً لانضمامها كأجوه ^(٢) فى وجوه . وإمّا أن يكون فعّالاً أصلها ديوار ، فأدغم . وقد غلط يعقوب فى دَيَّار لأنّ ذا الرمة استعمله فى الواجب فقال :

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) ط : « كأوجه » ، صوابه فى ش .

إلى كل ديارٍ تعرّفن شخصه من القفر حتى تقشعرّ ذوائبه^(١)

الثالثة : دارئى منسوب إلى الدار . والدارئى أيضاً : ربُّ النعم ، سمى بذلك لأنه مُقيّم في داره فنسب إليها . وإذا أرادوا المبالغة في لزوم الرجل الدار قالوا : دارية ، والهاء للمبالغة . والدارئى : العطار أيضاً ، وهو منسوب إلى دارين : فُرصة بالبحرين ، وفيها سوقٌ ، وكان يُحمل المسك من الهند إليها . والدارئى أيضاً : نُوتى السفينة وملاحها ، منسوب إلى دارين أيضاً .

وهذه الثلاثة لا تلتزم النفى . وأما تميم الدارئى الصّحابي فمنسوب إلى الدار^(٢) ، أحد آبائه .

الرابعة : دُورئى ، قال يعقوب (في إصلاح المنطق^(٣)) : ما بها دُورئى^(٤) غير مهموز . قال ابن السّيد : هو منسوبٌ ، فكان قياسه دارئى ، لأن دُوراً جمع دار ، وإذا نسب إلى الجمع فالحكم أن يردّ ذلك الجمع إلى الواحد . وأما أبو عُمر الدُورئى فليس منسوباً إلى الدُور التى هى جمع دار ، إنّما هو منسوبٌ إلى موضع بالعراق يقال له دُور . انتهى . وزاد بعضهم : دُورئى بهمز الواو ، قال القالى^(٥) (في أماليه) : قال اللّحياني :

(١) ديوان ذى الرمة ٤٨ .

(٢) في الإصابة : تميم بن أوس بن حارثة - وقيل خارجة - بن سود - وقيل سواد - بن جذيمة بن دراع بن على بن الدار . و « دراع » كذا وردت في الإصابة والاستيعاب . لكن في تهذيب التهذيب : و « وداع » ويقال « ذراع » .

(٣) الكلام بعده الى « قال » التالية ساقط من ش .

(٤) إصلاح المنطق ٣٩١ .

(٥) ط : « قال قال القالى » .

دُورَى بالهمز غلطٌ عندنا . وزاد صاحب القاموس ما بها دُيُور ، وهو فيعول .
وهذه الخمسة من مادة واحدة .

الخامسة : طُورَى . قال ابن السَّيِّد : هو منسوبٌ إلى الطُّور ، وهو
الجلب . أَى ما بها إنسى ولا وحشى . وقال القالى : هو منسوب إلى الطُّورة ،
وهى فى بعض اللغات : الطَّيرة . انتهى . نقل صاحب (العباب) عن ابن
دريد أَنَّ الطُّورة ، بكسر الطاء ^(١) ، فى بعض اللغات مثل الطيرة ، بكسرها
وفتح الياء ، أَى التطير . وكونه منسوباً إلى هذا بعيد . والصَّواب الأوَّل . ومثله
طُورانى بزيادة الألف والنون . قال صاحب العباب : الطُورَى : الوحشى
والغريب . قال ذو الرمة :

أَعَارِبُ طُورِيُونٍ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ يَحِيدُونَ عَنْهَا مِنْ حِذَارِ الْمَقَادِرِ ^(٢)

وقال أبو عمرو : وقوله « طُورِيُون » ، واحدهم طُورَى وطُورانى كذلك ،
وهما الوحشى من النَّاسِ والطير . يقال حمام طُورَى وطُورانى . ويقال ما بها
طُورَى وطُورانى ، أَى أحد . قال العجاج :

* وبلدة ليس بها طُورَى * انتهى .

وعلى هذا لا يلزم طُورَى النفى .

السادسة : طاوَى بِالْألف وواو ، نقله القالى عن اللحيانى . وقال : ما
بها طاوَى غير مهموز . وضبطها صاحب القاموس بضم الطاء وفتح الهمزة
وهى عين الفعل ، وكسر الواو وهى لام الفعل ، وياء مشددة . ولم أر من

(١) بعده فى ط : « انتهى » وهى كلمة مقحمة رجع عليها فى ش .

(٢) ديوان ذى الرمة ٢٩٧ واللسان (طور) وقال : « يجيئون عن القرى حذار الوباء
والطف » .

ذكر هذه الكلمة في عداد نظائرها كذا كابين السكيت ، فإنه عقد لها فصلاً (في أواخر إصلاح المنطق) . وكالقالى (في أماليه ^(١)) فإنه ذكر جملة كثيرة منها . وذكر صاحب القاموس فيها لغتين أخريين ، ذكرهما القالى ولم يذكر الأولى : إحداهما طوئى بتأخير الهمزة عن الواو مع ضم الطاء وسكون الواو . وعلى هذه اقتصر صاحب الصحاح . والثانية طُووئى بضم الطاء وسكون الهمزة وكسر الواو . ولم يذكر ابن السكيت غير هذه ^(٢) . قال ابن السيد (في شرحه) : وطوئى من طاء يطوء ، مثل طاع يطوع ، إذا ذهب في الأرض . غير أنه مقلوب ، وكان قياسه طوئى على مثل طوعى ، وعليه قولهم : طوئى . انتهى .

فظهر بهذا التحقيق أنَّ طاوياً المذكور أولاً في كلام صاحب القاموس مقلوب أيضاً وأصله طوئى ، فتكون ^(٣) الثلاثة من مادة واحدة ، وهى طاء وواو وهمزة . ولو كانت الكلمة معتلة كما زعم صاحب القاموس تبعاً لصاحب الصحاح كيف يصح ^(٤) إيراد طوئى بتأخير الهمزة فيها . وقد ذكرت هذه الكلمة (في التسهيل) كما في الشرح ، فقال الدمامينى (في شرحه) : هى بطاء مهملة مفتوحة فهزمة ساكنة فواو فياء نسب . كذا هو مضبوط فى بعض النسخ . وقد قيل إنه من الطئى ، أى ما بها أحد يطوى . قال ابن هشام : هذا لا يصح لاختلاف المادة ، إلا إن قيل إن الهمزة مثلها فى العالم .

٢٩٧

(١) إصلاح المنطق ٣٩١ وأمالى القالى ١ : ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٢) الذى فى إصلاح المنطق : طوئى بتأخير الهمزة .

(٣) ش : فى يكون .

(٤) كذا فى النسختين ، مع وجوب نفي جواب « لو » بلم إذا كان مضارعاً ، كما فى المعنى ، وتصح بالتأويل .

قلت : لا يصح ؛ لأنَّ الطِّيَّ مادته طاء فواو فياء ، بدليل طويت . ووقعت في بعض النسخ لفظة طأوى مضبوطة بفتح الهمزة . ولا يتأتى أن يكون من الطِّي أصلا . وقد يقال إنه من وطىء ، فقلبت فاء الكلمة إلى موضع اللام . انتهى كلام الدماميني .

والتحقيق ما نقلناه عن ابن السِّيد ، وبه تلثم لغاتها ، ويزول الإشكال . هذا وفي غالب نسخ الشرح : « طارى » بالراء . وقد أثبتته ابن الصائغ على هامش التسهيل ، وقال : هو الغريب الذى طراً على البلاد . وعليه تكون الكلمة مهموزة اللام ، أبدلت ياءً لانكسار ما قبلها وتطرّفها . لكن يَرِدُ أنَّ هذه الكلمة غير لازمة للتفى .

السابعة : أَرِم ، أوردها ثعلب (فى الفصيح) ، قال شُراحه : بفتح الهمزة وكسر الراء . وأما الإَرَم بكسر الهمزة وفتح الراء فهو العَلَم ، وهو حجارة يجعل بعضها على بعض فى المفازة والطريق يُهتدى بها . كذا قال شارحه الهَرَوِى .

الثامنة : أَرِم ، بزيادة الياء على ما قبلها . وكلاهما وصف ، ويقال أيضاً أَرَم على فاعل . قال ابن السِّيد : أَرِم وآرَم على فَعِل وفاعل ، معناهما آكل . يقال أَرِم يَأَرِم أَرَمًا من باب ضرب ، إذا أكل . والأَرَم : الأضراس ، جمع أَرَم ، لأنها تأَرِم ، أى تأكل . ومنه قيل : فلان يحرق عليك الأَرَم ، أى يصرف بأنياه عليك غيظًا ، يعنى يصوت . قال الشاعر (١) :

تُبْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى أَنَّمَا ظَلُّوا غَضَابًا يَحْرُقُونَ الْأَرَمَا

(١) الرجز فى نوادر أنى زيد ٨٩ والمخصص ١٣ : ١٢٦ واللسان (أَرَم) . وكثيرا ما يطلقون اسم الشاعر على الرجز .

ويزاد في آخر الأول ياء النسبة فيقال أَرْمِي ، نقله القاللي عن ابن الأعراني ، وصاحبُ العباب . وضبطه صاحبُ القاموس بضبطين لم أجد واحدًا منهما لأحد . قال إِرْمِي كعِنْيِي وَيَحْرَكُ ، ويقال أِرْمِي أَيْضًا ، نقله القاللي عن ابن الأعراني أَيْضًا ، وصاحبُ العباب عن أبي خيرة . وهو في الحقيقة مقلوب أَرْمِي . وزاد صاحب القاموس : كسر أوله .

التاسعة : كَتِيع بفتح الكاف وكسر المشاة الفوقية . قال ابن السَّيد : هو من قولك : أَجْمَعُ أَكْتَع . وأنشد القاللي عن ابن الأنباري :
أَجْدُ الحَيُّ فاحتملوا سِرَاعًا فما بالدار إذ ظعنوا كَتِيعُ^(١)

وزاد صاحب العباب عن ابن عَبَّاد « كُتَاع » كغراب . وقد جاء الكتيع بمعنى المفرد من الناس ، فالأولى أن يكون منه .

العاشرة : كَرَّاب بفتح الكاف وتشديد الراء ، وهو قَعَال من الكِرَّاب ، يقال كربت الأرض كِرَابًا ، إذا قلبتها للحرث . ولم يذكر هذه الكلمة ابنُ السكيت .

الحادية عشرة^(٢) : دُعَوِي ، بضم الدال وسكون العين وكسر الواو وياء النسبة . قال ابن السكيت : هو من دَعَوْت . ووقع عند شارحه دُعَوِي ، وقال : هو من الدُّعَاء ، نسب على غير قياس ، وكان قياسه دَعَوِي أو دَعَائِي . انتهى ، ولم أره لغيره .

(١) أمالي القاللي ١ : ٢٥١ . ونظيره في اللسان (كتع) والأصمعيات ١٧٦ ، لعمرو بن معديكرب :

وكم من غائط من دون سلمى قليل الأنس ليس به كتيع
(٢) ش : « الحادي عشر » ، ولا تلثم مع سبقها بكلمة « العاشرة » .

الثانية عشرة^(١) : شَفَر ، بفتح الشين وضمها مع سكون الفاء فيهما ،
حكاهما القالى عن اللحياني . قال ابن السَّيِّد : ما بها شَفَر ، أى ما بها قليل
ولا كثير ، من قولك : شَفَّرَ بالتشديد ، إذا قَلَّ . وزاد صاحب العباب عن
الفراء : شَفْرَةٌ بالفتح والهاء ، وأنشد عن شمر :

رَأْتُ إِخْوَتِي بَعْدَ الْجَمِيعِ تَفَرَّقُوا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَاحِدًا مِنْهُمْ شَفْرُ^(٢)

وقول الشارح المحقق : « وقد لا يصحب نفياً » ، أى يقع في
الإيجاب . وأورد له صاحب العباب قولَ ذى الرمة :

تَمَّرَ لَنَا الْأَيَّامُ مَا لَمَحَتْ لَنَا بَصِيرَةٌ عَيْنٍ مِنْ سِوَانَا إِلَى شَفْرٍ^(٣)

وقال : أى تَمَّرُ بنا . ويروى : « إلى سَفَر » يريد المسافرين .

الثالثة عشرة : دُبِّي ، بضم الدال وكسر الموحدة المشددة بعدها ياءُ
نسبة . في العباب : قال الكسائي : هو من دببت ، أى ليس فيها مَنْ يَدُبُّ .
وقال ابن السَّيِّد : هذا على غير القياس ، والقياس ديببى ، لأنه منسوب إلى
الديبب .

الرابعة عشرة : دَبَّيْح بكسر الدال وكسر الموحدة المشددة . قال ابن
السَّيِّد : هو من الدَّبْح ، وهو النَّقْش والتَّزْيِين . ورواه بعضهم : دَبَّيْح بالحاء
المهملة ، ولا وجه له إلا أن يكون فَعِيلًا من قولهم : دَبَّحَ الرَّجُلُ بالتشديد ، إذا
طَاطَأَ رأسه . انتهى . وقال صاحب (العباب) : شكَّ أبو عُبيدٍ في الجيم

(١) ش : الثانية عشر . وكذا يستمر التعداد على هذا الخط الخاطيء فيها إلى التاسعة عشر .

(٢) ط : رأيت ، صوابه في ش واللسان (شفر) . والكلام بعده إلى لفظ « المسافرون » ساقط من ش .

(٣) ديوان ذى الرمة ٢٦٨ . أى ما نظرت منا عين إلى إنسان سوانا ، وذلك لانقطاعهم في السفر في القلاة .

والحاء ، وسأل عنه بالبادية جماعة من الأعراب : فقالوا : ما بالدار دُبِّي ، وما زادوا على ذلك . ووُجد بخط أبي موسى الخامض : ما بالدار دُبِّيَّج ، موقع بالجيم ، عن ثعلب . وقال ابن فارس : الحاء في هذه الكلمة أقيس من الجيم . قال : وإن كان بالجيم كما قيل فليس من هذا ، ولعلّه يكون من دُبِّي من الدَّيب ، ثم حوّلت ياء النسبة جيماً على لغة من يفعل ذلك . انتهى . وقال القالِي : أنشد ابن الأعرابي :

هَلْ تَعْرِفُ الْمَنْزَلَ مِنْ ذَاتِ الْهُوجِ ^(١) ليس بها من الأنيس دُبِّيَّج
وهو فَعِيل من الدَّبَج ، وهو النقش والتزيين ، وأصله فارسي مأخوذ من الدَّبِيج .

الخامسة عشرة : وابِر ، بالواو وكسر الموحدة . قال ابن السِّيد : يجوز أن يكون معناه ذا وَبَر ، أي مالك إبل . ويجوز أن يكون معناه مُحَيَّم بخباء من وَبَر . وأنشد القالِي عن ابن الأعرابي :

يَمِينًا أَرَى مِنْ آلِ زَبَّانَ وَابِرًا فُيْفِلَتْ مَنَى دُونَ مَنْقَطَعِ الْحَبْلِ
والفعل منقَى في جواب القسم ، أي لا أرى . وأنشد (صاحب العباب) أيضًا :

فَأَبْتُ إِلَى الْحَيِّ الَّذِينَ وَرَاءَهُمْ جَرِيضًا وَلَمْ يَفْلَتْ مِنَ الْحَيْشِ وَابِرُ ^(٢)
وفي غالب نسخ الشرح : « آبر » بدل وابر ، وهو اسم فاعل من

(١) في النسختين : « المنزل ذات الهوج » ، صوابه من أمالي القالِي وسمط اللآلئ ٥٦٥

(٢) اللسان (وبر) .

أُبرت النخلة ، إذا أُصلحت باللقح . ولم أر من ذكرها في هذه الكلمات ، مع أنها لا تلزم النفى . ووقع في التسهيل أيضًا آبر ، قال الدماميني : هو تحريف من التَّسَاخ ، فإنَّ « آبرًا » يستعمل في الإيجاب ، والصواب : وابر ، بالواو .

السادسة عشرة : آبز ، قال الشارح : هو بالزاي ، وهو اسم فاعل من أَبَزَّ الظبي يَأْبِزُ أَبْزًا وأبْزًا : وثب أو تطلَّق في عدوه . والآبز أيضًا : الإنسان الذي يستريح في عدوه ثم يَمْضِي . ولم أرها أيضًا في هذه الألفاظ مع أنها لا تلزم النفى . وإن قلنا إنها وابر ، أولها واو ، فليست مادة الواو والباء والزاي موجودة . ولا أَشْكُ أَنَّ هذه الكلمة تصحفت على الشارح إمَّا من آبن بالنون ومدَّ الهمزة ، وهى في التسهيل ونقلها القالى عن ابن الأعرابي . قال الدماميني : آبن على زنة اسم الفاعل من أبنه ، إذا عابه ، أى ٢٩٩ ما فيها من يعيب ، وذلك جنسُ الإنسان ، وإمَّا من وابن ، نقل القالى عن اللحياني : ما بها وابن بالواو والموحدة . قال صاحب القاموس : وما فى الدار وابن بالموحدة كصاحب ، أى أحد ، مأخوذ من الوَبْنَة وهى الجَوعة .

السابعة عشرة : تأمور : قال ابن السَّيِّد : حكى أبو زيد : ما بها تأمور ، أى أحد ، بالهمز . ويقال أيضًا : ما فى الرَكِيَّة تأمور ، يعنى الماء . وكذا نقل القالى عن أبى زيد . والتامور ، بلا همز : الدَّم . ويقال دم النَّفْس . قال أوس بن حجر يحضض عمرو بن هند على بنى حنيفة فى قتل المنذر بن ماء السماء :

أُنْبِثْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَدْخَلُوا أَيَّائِهِمْ تَامُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ (١)

قال الأصمعي : يعنى مُهَجَّة نفسه . والتامور : الخمر ، والزعفران أيضاً .

الثامنة عشرة : تُؤْمُور ، بضم التاء والهمز ، نقل القالي عن اللحياني : ما بها تامور ولا تؤمور بالهمز ، أى أحد .

التاسعة عشرة : تُؤْمُور ، بضم التاء بلا همز .

العشرون : تُؤْمَرِي ، بضم التاء والميم . قال ابن السكيت : وما بها تؤمري منسوب إلى تامور . وبلاذّ خلأ^(٢) : ليس بها تؤمري . ويقال للمرأة : ما رأيت تؤمرياً أحسن منها ، للمرأة الجميلة ، أى لم أر خلقاً . وما رأيت تؤمرياً أحسن منه . انتهى . قال شارحه ابن السيد : تؤمري منسوب إلى التامور ، وهو دم القلب ، نسبة على غير قياس .

وهذه الكلمات الأربعة من مادة التمر .

الحادية والعشرون : تُنْمَى ، بضم النون وتشديد الميم وتشديد الياء . قال صاحب القاموس : وما بها نُمى كُنْمَى : أحد . والنُمى أيضاً : الخيانة ، والعيب ، والطبيعة ، وجوهر الإنسان وأصله . وقال القالي : هو من نمت ، وهو منسوب على خلاف القياس إلى النِّمَّة بالكسر ، وهى القَمَلَة . فالنُمى معناه ذو قمل . وهذه الكلمة ليست موجودة (فى الإصلاح) ، وهى مذكورة (فى التسهيل) . هذا ما ذكره الشارح المحقق . وهو فى هذا تابع لابن مالك .

(١) ديوان أوس بن حجر ٤٧ واللسان (تمر) .

(٢) ط : ه خلا ، صوابه فى ش .

وبقيت كلماتٌ أُخرٌ أوردتها ابن السكيت ، هي : صافر . قال شارحه : هو اسم فاعل من صَفَرَ الرجلُ يَصْفِرُ صَفِيرًا ، إذا صَوَّتَ بِنَفْسِهِ . ونافخ ضَرَمَةٌ بفتح الضاد والراء ، قال شارحه : أى نافخ حَظَبَةٍ فيها نار .

وصَوَّات ، وهو فَعَّالٌ من الصوت .

ولاعى قَرَوٍ ، بالعين المهملة وفتح القاف وسكون الراء بعدها واو . قال شارحه : أمَّا لاعى فَلَاعَقٌ حريص ، يقال رجلٌ لَعَوٌ وَلَعَا ، وكلبة لَعَوَةٌ كذلك . والقَرَوُ : مِيلَغَةُ الْكَلْبِ ، فكأنَّ معناه : ما بها كَلْبٌ ولا ذئب . وقال صاحب الصحاح : « يقال ما بها لاعى قرو ، أى ما بها مَنْ يلحس عُسًا ، معناه ما بها أحد » .

ومنها : « ما بها ناخر » قال شارحه : ناخر : اسم فاعل من نخر يَنْخِرُ ، إذا رَدَّدَ نَفْسَهُ فى خيشومه .

ومنها : ما بها نابح ، قال شارحه : يعنى كلبًا . يقال نَبَّحَ الْكَلْبُ يَنْبَحُ بكسر الباء وفتحها ، فهو نابح ونَّبَّاح .

ومنها : أنيسٌ . قال شارحه : هو فعيل من أنيسَ بالشيء . غير أنه لا يستعمل إلا فى الجَحْد . قال :

• وبلدةٍ ليسَ بها أنيسُ ^(١) •

(١) لجران العود فى ديوانه ٥٢ . وبعده :

• إلا اليعافير وإلا العيس •

والكلام بعده إلى نهاية البيت التالى ساقط من ش .

ويرد عليه قوله ، كما يأتي قريباً :

أَذْنُبُ الْقَفْرَ أَمْ ذَنْبٌ أَنْيْسٌ أَصَابَ الْبَكَرَ أَمْ حَدَثُ اللَّيَالِي (١)

فهذه ستة أخرى .

وأورد أيضاً : ما بها داع ولا مجيب .

ولا يخفى أن هذا لا يختص بالنفى .

ولم يزد شارحه على قوله : داع من الدعاء ، ومجيب من الإجابة .

وأورد : ما بها راغ ولا تاغ . قال شارحه : قد تستعملان في غير النفي (٢) ؛ لأنَّ الثغاء صوت المعز ، والرغاء صوت الإبل . ومعلوم أنَّهما قد يستعملان في الإيجاب والنفي .

وهذه كلمات أخرى (من أمالي القالي) : ما بها دَوَّى منسوب إلى الدَّوْيَةِ . وقال صاحب الصحاح : ما بها دَوَّى أى أحد ممن يسكن الدَّو وهو أرض من أرض العرب . وربما قالوا : داوِيَّة قلبوا الواو الأولى الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها . ولا يقاس عليه .

ومنها : ما بها عين . وزاد أبو عبيد عن الفراء : ما بها عائن . وزاد اللحياني : ما بها عائنة . قال صاحب الصحاح : عائنة بنى فلان : أموالهم ورُغِيَانِهِمْ . وما بها عائن ، وكذلك ما بها عين ، أى أحد . وبلد قليل العين ، أى قليل الناس . انتهى .

(١) ستأتي نسبته إلى الخطيئة في ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) ش : « قد يستعملان في الإيجاب والنفي . وما بعده إلى كلمة « النفي » التالية ساقط من ش .

فَعَلِمَ أَنَّ عَيْنًا وَعَائِنَةً لَا يَلْزِمَانِ النَّفْيَ . وكذلك قال ابن السِّيد (في شرح الإصلاح) : حكى عن الفراء : ما بها عائن وما بها عين . فَأَمَّا عَائِنٌ فَلَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْإِيجَابِ ، وَأَمَّا الْعَيْنُ فَهَمُّ أَهْلِ الدَّارِ ، فَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْإِيجَابِ . قال الراجز :

* تَشْرَبُ مَا فِي وَطْئِهَا قَبْلَ الْعَيْنِ *

ومنها : ما بها طارف ، أى من يطرف بعينه ، أى ينظر بها . فهذه ثلاث كلمات ، فالمجموع تسع كلمات .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ ^(١) :

٥٤١ (لَهَا ثَنَائَا أَرْبَعُ حِسَانُ وَأَرْبَعُ فَتَغْرُهَا ثَمَانُ)

على أَنَّهُ قَدْ تَحْذَفُ الْيَاءُ مِنْ ثَمَانِي وَيَجْعَلُ الْإِعْرَابُ عَلَى النَّونِ .

واستشهد به صاحبُ الْكَشَّافِ لقراءة من قرأ : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنشَآتُ ^(٢) ﴾ ، بحذف الياء من الْجَوَارِ ورفع الراء كما فى ثمان .

وَأَنْكَرَ الْحَرِيرِيُّ (فِي دُرَّةِ الْغَوَاصِ) حَذْفَ هَذِهِ الْيَاءِ .

وقال ابن بَرِّيٍّ فِيمَا كَتَبَ عَلَيْهِ : الْكُوفِيُّونَ يَجِيزُونَ حَذْفَ هَذِهِ الْيَاءِ فِي الشَّعْرِ . وَأُنْشِدْ عَلَيْهِ ثَلَاثُ قَوْلِهِ :

لَهَا ثَنَائَا أَرْبَعُ حِسَانُ وَأَرْبَعُ فَتَغْرُهَا ثَمَانُ . اهـ

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْتَصٍ بِالشَّعْرِ بِدَلِيلِ الْحَدِيثِ الَّذِي أَوْرَدَهُ

(١) التصريح ٢ : ٢٧٤ والأشْمُونِيُّ ٤ : ٧٢ واللسان (ثمن ٢٣١) .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرحمن .

الشارح المحقق ، وهو (في صحيح مسلم ، في باب الكسوف) ، عن ابن عباس أنه قال ^(١) : « صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ » ، قال شارحه النووي : قوله ثمان ركعات في أربع سجدات ، أي ركع ثمان مرات ، كل أربع في ركعة ، وسجد سجدتين في كل ركعة . وقد صرح بهذا في الكتاب. في الرواية الثانية .

ولا أعرف صاحب هذا الرجز . وأنشد المعري (في شرح ديوان البحتری ^(٢)) قيل هذين البيتين :

* إِنَّ كُرْيَا أُمَّةً مِيسَانُ *

وكرْيَا ، بضم الكاف وفتح الراء وتشديد المثناة التحتية : اسم أمة . والأمة : خلاف الحرة . وميسان ، بكسر الميم : فيعال من الميس ، وهو مصدر ماس يمس ميساً وميساناً أيضاً ، وهو التبخر . أراد أنها تبخر في مشيها . وقوله : (لها ثنايا) إلخ هي جمع ثنية ، وهي أربع من مقدم الأسنان ثنتان من فوق وثنان من تحت . وحذف التاء من أربع لأن المعلوم وهي الثنية مؤنث . وأراد بالأربع الثاني الرباعيات ، بفتح الراء ، وتخفيف الياء ، جمع رباعية على وزن ثمانية . والرباعيات : أربع أسنان ، ثنتان من يمين الثنية ، واحدة من فوق وواحدة من تحت وثنان من شمالها ، كذلك . و (الثغر) : المبسم ، على وزن مجلس ، وهو موضع البسم . يقال بسم بسمًا من باب ضرب ، إذا ضحك قليلاً . وابتسم وتبسم كذلك . والإنسان إذا تبسم فأنما يرى من أسنانه الثنايا والرباعيات ، وهي ثمانية .

٣٠١

(١) كلمة « قال » ليست في ش .

(٢) هو المسمى « عبث الوليد » . وقد طبع بمطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦ بعناية محمد عبد الله

المنني .

واعلم أنَّ أسنان الإنسان أربع وثلاثون سِنًا ^(١) : أربع ثنانيا : وأربع رباعيَّات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وستة عشر ضرسا . وبعضهم يقول : أربع ثنانيا ، وأربع رباعيَّات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وأربع ضواحك ، واثننا عشرة رَحَى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥٤٢ (ثلاثة أنفسي وثلاث ذودي لقد جازَ الزمانُ على عيالي)

على أنه يجوز إضافة العدد إلى اسم الجمع ، وهو هنا الذود .
وأنشده سيوييه شاهداً على تانيث ثلاثة أنفسي ، وكان القياس ثلاث أنفسي ، لأنَّ النفس مؤنثة ؛ لكن أثَّ لكثرة إطلاق النفس على الشخص .
ويأتي نصُّه بعد أربعة شواهد .

ذكر الأصهباني (في الأغاني) بسنده ، أنَّ الخطيئة خرج في سفرٍ له حين عمَّ الغلاء ^(٣) ، ومعه امرأته أمامة ، وبنته مليكة ، فنزل منزلاً وسرح ذوداً ثلاثاً ، فلما قام للرواح فقد أحدها فقال :

(١) كنا . والصواب أنها اثنان وثلاثون ، كما في المخصص ١ : ١٤٦ وكما يقتضيه العد والتفصيل التالى . وقد تبه لذلك مصحح طبعة بولاق . وفي اللسان (ربيع ٤٦٥) : قال الأصمعي : للإنسان من فوق ثنيان ، ورباعيتان بعدهما ، ونابان ، وضاحكان ، وستة أرحاء من كل جانب ، وناجلتان . وكذلك من أسفل . ومجموع ذلك اثنان وثلاثون سنا .

(٢) فاته أن يذكر هنا أنه من شواهد سيوييه . وانظر سيوييه ٢ : ١٧٥ ومجالس ثعلب ٣٠٤ والخصائص ٢ : ٢١٤ والإنصاف ٧٧١ والعيني ٤ : ٤٨٥ والتصریح ٢ : ٢٧٠ والمجم ١ : ٢/٢٥٣ ، ١٤٩ ، ١٧٠ والأشعوري ٤ : ٦٣ وديوان الخطيئة ١٢٠ .

(٣) حين عمَّ الغلاء ، ليست في الأغاني ٢ : ٤٧ .

أُذْتُبُ القفر أم ذُتِبَ أنيسٌ أَصَابَ البكرُ أم حَدَثُ الليالي
ونحنُ ثلاثةٌ وثلاثُ ذودٍ لقد جَارَ الزَّمانُ على عيالي

سَرَّحَ الدَّابَّةُ : أطلقها لترعى .

و (الذود) من الإبل ، قال ابن الأنباري : سمعت أبا العباس يقول :
ما بين الثلاثِ إلى العشرِ ذود .

وقال الفارابي : وهي هنا ثلاثة ، وهي مؤنثة .

وقال (في البارع) : الذود لا تكون إلا إناثاً .

ويردُ عليه قوله أَصَابَ البكرُ ، بفتح الباء ، وهو الفتى من الإبل .

والرَّواح : المسير . والقفر : الخلاء والمفاضة . وأراد بالذُّبِ الأنيسي
السارق . وَحَدَّثَ الليالي بفتحيتين : ما يحدثُ فيها من المصائب ، والمراد مطلق
الحَدَثِ لا يَقْيِدُ كونه بالليل . وَأَصَابَ : أدرك ، وفاعله ضمير الذُّبِ ، والبكر
مفعوله ، أراد : ما أدري كيف تلفَ البكرُ ، أَصَابَهُ أَحَدُ الذُّبَيْنِ ، أم حَدَثُ
الليالي .

وقوله : (ثلاثة أنفس) خير مبتدأً محذوف ، أي نحن ثلاثة .

و (العيال) بكسر العين : أهل البيت ، ومن يمونه الإنسان ، الواحد عَيْلٌ
كجباد جمع جيد .

وترجمة الحُطَيْيَةِ تقدَّمت في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة ^(١) .

ورأيت (في أمالي الزجاجي الوسطى ^(٢)) قال : أخبرنا الأشناداني

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣ .

(٢) لم ترد في صلب أمالي الزجاجي . وقد أثبتنا في ملحقات الأمالي ٢٣٣ .

عن العُتْبَى عن رجلٍ من قریش قال : حضرت مجلسَ عبد الملك وعنده بطنٌ من بنى عامر بن صعصعة ، وكان رجلٌ بينهم معه ابتاه وذودُه ، وهنَّ ثلاثٌ ، فراح ذودُه يوما ، ففقدَ منها واحدًا ، فنشده - أى سأل عنه وطلبه - فلم يُنشد ، فأوفى على صخرة وأنشأ يقول :

(أَذْتُبُ الْقَفْرَ أَمْ ذُتُّبُ أَنْيْسٌ سَطَا بِالْبَكْرِ أَمْ صَرَفُ اللَّيَالِي
وَأَنْتُمْ ، لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ عَدُوًّا عَدِيدُ الثَّرْبِ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ
وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُ ذُودٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي ^(١)
لَوْ مَوَلَى ضِيَابٍ عَالٍ فِيهِمْ لَجَّرَ الدَّهْرُ عَنْ حَالٍ لِحَالٍ ^(٢)
وَمَوْلَاهُمْ أُنَى لَا عَيْبَ فِيهِ وَفِي مَوْلَاكُمْ بَعْضُ الْمَقَالِ
هَلُمَّ بَرَاءَةً وَالْحَيُّ ضَااحٌ وَإِلَّا فَالْوَقُوفُ عَلَى إِلَالِ
دَعَا دَاعِيَ الْقُلُوصِ عَلَى ثَبِيرٍ أَلَا أَيْنَ الْقُلُوصُ بَنَى قِتَالِ

٣٠٢

فطلبوا له ذودُه فردُّوها عليه ، وغرموا له وقالوا : اخرج عَنَّا . انتهى .

وسطا بكذا وعليه : بطشَ بشدَّة . والصَّرْفُ ، بالفتح : حادث الدهر . وأنتم مبتدأ ، وعديد خبرُه ، والجملة دليلٌ لجواب لو . والعُدُو : مصدر عدا عليه ، أى ظلمه وتجاوز الحدَّ . وعال الزمان ، بالعين المهملة ، أى جار ، مصدره العَوْل .

والمولى هنا : حليف القوم . وضياب بالكسر : قبيلة . وعال هنا بمعنى افتقر وصار ذا عَيْلة . وجَرَّ بالبناء للمفعول ، والدهر نائب الفاعل . يُونِخُهُمْ بَأَنَّهُ مَوَلَى لَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذُوا بِيَدِهِ .

(١) ش : « لقد عال الزمان » .

(٢) هكذا ضبط البغدادى الدهر بالشرح بعده : ولو نصب « الدهر » على الظرفية لكان أولى .

وَهَلُمُّ هُنَا بِمَعْنَى احْضُرُوا . وَبِرَاءَةٌ : مَفْعُولٌ لَهُ . وَضَاحٌ : بَارِزٌ . وَإِلَالٌ
بِكَسْرِ الِهِمَزَةِ وَلاَمَيْنِ : جَبَلٌ بِعُرْفَاتٍ . يَعْنِي إِنْ لَمْ تَحْضُرُوا لِلْبِرَاءَةِ فِي حَالِ
حَالٍ كَوْنِ الْحَيِّ ضَاحِيًا فَتَحْنُ نَقْفَ مَعَكُمْ عَلَى إِلَالٍ .

وَدَاعِي فَاعِلٌ دَعَا . وَالْقَلُوصُ : النَّاqَةُ الشَّابَّةُ . وَثَبِيرٌ : جَبَلٌ بَيْنَ مَكَّةَ
وَمِنَى . وَقِتَالٌ ، بِالْكَسْرِ : اسْمُ رَجُلٍ .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْخَمْسِمَائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
أَيَّاتِ الْمَفْصَلِ ^(١) :

٥٤٣ (ثَلَاثٌ مِثْنَيْنِ لِلْمُلُوكِ وَفِي بَهَا رِدَائِي وَجَلَّتْ عَنْ وُجُوهِ الْأَهَاتِمِ)

عَلَى أَنَّهُ جَاءَ ثَلَاثُ مِثْنَيْنِ فِي ضَرُورَةِ الشُّعْرِ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَفْصَلِ : وَقَدْ رَجَعَ إِلَى الْقِيَاسِ مِنْ قَالَ :

ثَلَاثُ مِثْنَيْنِ الْبَيْتُ

قَالَ ابْنُ يَعِيشَ : هَذَا فِي الشُّعْرِ عَلَى الْقِيَاسِ ، لِأَنَّ الشُّعْرَ يَفْسَحُ لَهُمْ فِي
مَرَاجِعَةِ الْأَصُولِ الْمَرْفُوضَةِ . فَهَذَا ، وَإِنْ كَانَ الْقِيَاسُ ، إِلَّا أَنَّهُ شَاذٌ فِي
الِاسْتِعْمَالِ . وَكَذَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ : إِذَا كَانَ مَفْسَّرُ الثَّلَاثَةِ وَأَخَوَاتُهَا مَائَةً فَيُفْرَدُ ،
نَحْوَ ثَلَاثَائَةٍ . وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَجْمَعَ فَيُقَالُ ثَلَاثُ مِثْنَيْنِ أَوْ مِثْنَيْنِ . إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ

(١) ابْنُ يَعِيشَ ٦ : ٢١ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٢ : ١٧٠ وَأَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٢ : ٢٤ ، ٦٤

وَالْمَعْنَى ٤ : ٤٨٠ وَالتَّصْرِيعُ ٢ : ٢٧٢ وَالْأَشْمُونِيُّ ٤ : ٦٥ وَالنَّقَائِصُ ٣٧١ وَدِيوانُ الْفَرَزْدَقِ ٨٥٣ .

لا تجمع المائة إذا أُضيف إليها عددٌ إلا قليلا ، كقوله :
ثلاث مئين للملوك ... البيت

وكُلُّهم من سيبويه ^(١) قال : يقال ثلثمائة ، وكان حقُّه أن يقولوا مئين أو مئآت ، كما تقول ثلاثة آلاف ، لأنَّ ما بين الثلاثة إلى العشرة يكون جماعة نحو : ثلاثة رجال ، وعشرة رجال ، ولكنَّهم شبهوه بأحد عشر وثلاثة عشر . انتهى .

والنون من مئين مئونة . قال شارح اللباب ، قالوا : قُتِلَ في معركة ثلاثة من ملوك العرب ، وكانت ديارُهم ثلثمائة بعير ، فرهن رداءه بالديات الثلاث ، وهو دليلُ شرفه . (والأهاتم) بنقطتين من فوق : بنو الأهتم بن سنان بن سُمَيٍّ . وإنَّما سُمِّيَ بذلك لأنَّه كسرت ثنيته يوم الكلاب . والهتم : كسر الشايبا من أصلها . انتهى .

وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : قوله ثلاث مئين ، قيل غرم ثلاث ديات فرهن بها رداءه . وكانت الدية مائة إبل ، والمعنى ثلثمائة إبل . وفي بها ردائي حين رهنته بها ، وجَلَّتْ تلك المئونة المرهون بها ردائي حين أدَّيتها ، وجَلَّتْ فَعَلَتِي هذه العارَ عن وجوه الأهاتم ، وهم قوم الأهتم ، وهو لقب سنان بن سُمَيٍّ ، لأنَّه هتمت ثنيته يوم الكلاب . وفي البيت وصفٌ لعظم شأنه ، لأنَّه لا يُقدم على تحمل الديات والغرامات إلاَّ السيد العظيم الشأن . ووصفٌ لنفاسه بُرده وغلاء ثمنه ، حيث رهنه بثلثمائة من الإبل . وفيه تأكيدٌ لعظم شأنه ^(٢) . انتهى .

(١) انظر سيبويه ١ : ١٠٦ - ١٠٧ بولاق و ١ : ٢٠٩ من نسختي .

(٢) ش : ب : بظمه شأنه .

وقوله : « ووصف لنفاسة برده » إلخ ليس رهنُ البردة لأنها تقاوم ثمن الإبل المذكورة ، بل لأنَّ الشَّريف إذا رهن شيئاً ولو كان حقيراً فلا بدُّ له من فكأكه لئلا يلزمه العار ، ولو مات فكَّه بنوه أو أقاربه . ومصدق ذلك ما قدَّمناه في ترجمة أُنَى تمام من حكاية كِسرى مع حاجب بن زُرارة ، في الشاهد الرابع والخمسين (١) .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مذكورة (في المناقضات) وليست رواية البيت كذا ، وإلما هي :

فَدَى لِسِيُوفٍ مِنْ تَمِيمٍ وَفِي يَهْيَا رَدَائِي وَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الْأَهَاتِمُ (٢)

قال شارح المناقضات : يعنى بالأهاتم الأهتَمَ بن سِنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فَعُرِفَ أَنَّ الْأَهْتَمَ لَيْسَ لِقَبَا لِسَنان بن خالد ، ولا سنان هو ابن سَمَى كما تَقَدَّمَ . ومثى عليه العيني .

وناقضه جرير بقصيدة مثلها منها :

فَغَيْرِكَ أَدْنَى لِلْخَلِيفَةِ عَهْدُهُ وَغَيْرِكَ جَلَى عَنْ وَجْهِهِ الْأَهَاتِمُ

قال شارحها : قوله فغيرك أدنى إلخ ، يعنى وَكَيْعَ بن حَسَّان بن قَيْس ، قتل قتيبة بن مسلم فتكاً ، وبعث برأسه إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان وطاعته (٣) ، لأنَّ قتيبة كان خلع سليمان .

وقصة رداء الفرزدق رواها أبو عبيدة ، قال : كان الفرزدق بالمدينة حين جاءت وقعة وكيع ، وحجَّ سليمان بن عبد الملك فبلغه بمكة وقعة وكيع

(١) الخزائن ١ : ٣٥٤ - ٣٥٦ .

(٢) رسمت « فدى » في ط بالألف في هذا الموضع وتاليه .

(٣) في النقائض ٤٠٠ : « وبعث بطاعته مع الرأس » .

بقتيبة ، فخطب الناس بمسجد عرفات : فذكر غدر بني تميم ووثوبهم على سلطانهم ، وإسراعتهم إلى الفتن ، وأنهم أصحاب فتن وأهل غدر وقلة شكر ، فقام إليه الفرزدق فقال وفتح رداءه : يا أمير المؤمنين ، هذا ردائي رهن لك بوفاء بني تميم ، والذي بلغك كذب ! فقال الفرزدق في ذلك حيث جاءت بيعة وكيع لسليمان :

(فدى لسيوف من تميم وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الأهاتيم
شقين حزازات الصدور ولم تدع علينا مقالا في وفاء للائم
أبانا بهم قتلى وما فى دمائهم وفاء وهن الشافيات الحوائم
جزى الله قومي إذ أراد خفارقى قتيبة سعى الأفضلين الأكارم^(١)
هم سمعوا يوم المحصب من منى ندائي إذا التفت رفاق المواسيم^(٢)

والحوائم : العطاش التى تحوم حول الماء . وخفض الحوائم على معنى الحسن الوجه . انتهى .

وترجمة الفرزدق تقدّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب^(٣) .

وقال العيني : الرداء فى البيت الشاهد بمعنى السيف . وأنشد عليه بيتا^(٤) ثم قال : ثلاث معين مبتدأ ، وجملة وفى بها خبره . وجلت بالتشديد ،

(١) الخفارة : الذمة ، وانتهاكها . والمراد هنا انتهاكها .

(٢) وفيها يقول أيضا (الديوان ٨٥٤) :

فإن فك قيس فى قتيبة أغضبت فلا عطست إلا بأجدع راغم
وما كان إلا باهليا مجدعا طغى فسقينا بهكأس ابن خازم
ويقول لجرير أيضا : .

أغضب أن أذنا قتيبة حزنا جهارا ولم تغضب ليوم ابن خازم

(٣) الخزائن ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٤) هو قول الشاعر :

ينازعنى ردائي عبد عمرو رويدا يا أخا سعد بن بكر

بمعنى جَلَّتْ بالتخفيف ، من جَلَّ القوم عن البلد يَجْلُونَ بالضم ، إذا جَلَّوْا وخرجوا . والمعنى : كَشَفَتْ ردائى حين وفّت بدايات الملوك الثلاثة ، هَمَّ ذلك ، وتَمَادَى الحروب عَنْ أَعْيَانِ الْأَهَامِ وكبرائهم . فافهم . ٣٠٤

هذا كلامه ، وهو كلام من لم يصل إلى العُنُقود .

ورأيت مثل البيت الشاهد فى شعر قُرَاد بن حَنْش الصَّارِدَى ، وهو :

ونحن رَهْنَا القوسِ ثُمَّت فُودَيْثُ بِأَلْفٍ على ظهر الفزاريِّ أقرعا
بعشرٍ مئينٍ للملوك سَعَى بها ليوفى سَيَّارُ بن عمرو فأسرعا

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد ^(١)) : إِنَّ سيار بن عمرو بن جابر الفَزَارِيَّ احتمل للأسود بن المنذر ديةً ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، أَلْفٌ بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه ، فوفى . وكان هذا قبل قوس حاجب ابن زرارة .

وقال أبو عبيدة (فى مقاتل الفُرسان) : إِنَّ أَخَا سيار لَأُمُّهُ الحارث بن سفيان الصَّارِدَى تكفلها للأسود ^(٢) ، فقام منها بثمانمائة ثم مات ، فرهن سيار قوسه على المائتين الباقيتين لا غير ، فلمَّا مدح قُرَاد بن حَنْش بنى فزارة جعل الحمالة كُلَّهَا لسيَّار . انتهى .

وَأَلْفٌ أَقْرَع ، بالقاف ، أى تام .

(١) لم أجد هنا النص فى العقد بتتبع فهرسه ، فليس فى أعلامه سيار بن عمرو ، ولا الأسود ابن المنذر .

(٢) ش : « كفلها للأسود » .

وقراد بن حنش : شاعرٌ جاهلي من بنى صاردة ، بتقديم الراء على فراد بن حنش الدال ، وهم فخذ من فزارة .

* * *

[وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٤٤ (وحاتمُ الطائيُّ وهَّابُ المِئِي)

على أنَّ أصله عند الأخفش : المئين ، فحذفت النون لضرورة الشعر .
وهذا البيت من رجز أورده أبو زيد (في نوادره) في موضعين : الموضع الأول قال فيه : هو لامرأة من بنى عامر . والموضع الثاني قال فيه : هو لامرأة من بنى عُقيل ، تفخر بأخوالها من اليمن ، وهو :

(حَيْدَةَ خَالِي وَلَقِيطٌ وَعَلِي وَحاتمُ الطائيُّ وهَّابُ المِئِي
ولم يكن كخالِكَ العبدُ الدَّعي يَأْكُلُ أَزْمَانَ الهُزَالِ والسَّني
هَنَاتٍ غَيْرَ مَيِّتٍ غَيْرَ ذَكِي)

قولها : هَنَاتٍ غَيْرَ ، تعني ذَكَرَ العير ، فكنت عنه لأنَّها امرأة . انتهى

وقال في الموضع الأول : حذف التنوين من حاتم الطائي لالتقاء الساكنين . وقال أبو علي فيما كتبه عليه : خَفَّفْتُ ياءاتُ النسب كلها للقفية . فَأَمَّا المِئِي والسَّني فَإِنَّهَا جُمِعَ على فَعول ، ثم قلبت الواوات ياءات فصار مِئِي وسَنِي ، ثم خَفَّفَ بأنَّ حذف إحدى الياءين كما فعل في على والدعي ، فبقى المئِي والسَّني . انتهى .

(١) نوادر أبي زيد ٩١ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٨٣ والإنصاف ٣٨٨ وشرح شواهد الشافعية ١٦٣ والعينى : ٥٦٥ عرضا واللسان (ماى ١٣٧) .

(٢) هذا الموضع الأول لم أعثر عليه في النوادر .

وقال أبو بكر بن السراج (في الأصول) : ذكر الأَخْفَش سنين ومئين فقال : فيهما قولان . ثم اختار أحدهما وهو الصحيح عندنا ، فقال : وأما سنين ومئين في قول من رفع النون فهو فَعِيل ، ولكن كسر الفاء ككسرة ما بعدها ، وأجمعوا كلهم على كسرها ، فصارت النون في آخر سنين بدلًا من الواو ، لأنَّ أصلها من الواو . وفي مئين النون بدل من الياء ، لأنَّ أصلها من الياء ، كأنَّها كانت مئى ؛ وقد قالوها في بعض الشعر ساكنةً ، ولا أراهم أرادوا إلَّا التثقيب ثم اضطُرُّوا فخَفَّفُوا ، لأنَّهم لو أرادوا التخفيف لصار الاسم على فِعْل ، وهذا بناء قليل . قال الشاعر :

حَيْدَةُ خَالِي وَلَقِيطٌ وَعَلَى وَحَاتِمِ الطَّائِي وَهَّابِ الْمِئَى

وأما قولهم : ثلاث مئى ، فإنهم أرادوا بمئى جماعة المائة ، كسمرة وتمر ، تقول فيه : رأيت مئياً مثل مِئياً . وقولهم : رأيت مِئاً مثل مِئاً خطأً ، لأنَّ المئى إنَّما جاءت في الشعر . فنقول : ليس لك أن تدعى أنَّ هذه الياء للإطلاق ، وأنت لا تجد ما هو على حرفين يكون جماعةً ويكون واحدُه بالهاء نحو تمر وتمر . قال أبو الحسن : وهو مذهب يونس ، يعنى بالياء . قال : والقياس الجيّد عندنا أن يكون سنين فَعِلِينَا مثل غسِلين محذوفة ، ويكون قول الشاعر سِنِي والمئى مَرْتَحِمَا . فإن قلت : إن فعلينا لم يجىء في الجمع ، وقد جاء فَعِيل نحو كليب وعبيد ، وقد جاء فيه ما لزمه فَعِيل مكسور الفاء نحو مئين ، فإن من الجمع أشياء لم يجىء مثلها إلَّا بغير أطراد نحو سَفَر ، وقد جاء منه ما ليس له نظير

نحو عَدَى . وأنت إذا جعلت سنيناً ^(١) فعَيْلاً جعلت النون بدلاً ، والبذل لا يقاس عليه ولا يطرد ، ومخالفة الجمع للواحد قد كثر ، فَأَنْ تَحْمَلَهُ على ما لا بدل فيه أولى . وليس يجوز أن تقول إنَّ الياء في سنين أصلية وقد وجدتها زائدة في هذا البناء بعينه لَمَّا قلتَ فَعَلَيْنِ وفَعَلُونَ ، يعنى أَنَّكَ تقول سنين يا هذا أو سنون .

ثم قال : قوله :

وحاتم الطائي وهاب المني يأكل أزمان الهُزال والسني

فهذا إما أن يكون رُخْم سنين ومئين ، وإما أن يكون بنى سنة ومائة على سنى ومئى ، وكان أصلهما سِنُو ومِئُو ، فلَمَّا حذف النون ورُخْم بَقِيَ الاسم آخره واو قبلها ضمة ، فلَمَّا أراد أن يجعله اسماً كالأسماء التى لم يحذف منها شيء قلب الواو ياءً وكسر ما قبلها ، لأنَّه ليس فى الأسماء ما آخره واو قبلها ضمة . فمتى وقع من هذا شيء قلبت الواو ياء . ا هـ .

وقولها : (حيدة خالى) مبتدأ وخبر . وحيدة بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية . ولَقِيط بفتح اللام معطوف على حيدة . وكذا على وحاتم ، فيكون أخوالها أربعة . وروى هذين البيتين فقط الأخفش سعيد بن مسعدة (فى كتاب المعاياة) لرجل من طيىء ، وذكر خالداً بدل حاتم .

وقولها : « ولم يكن كخالك » إلخ الكاف مفتوحة لأنها خاطبت رجلاً . والدَّعَى : غير خالص النسب .

وقولها : « يأكل أزمان » إلخ هذا بيان لعدم المشابهة بين خالها

(١) ط : « جعلت شيئاً » ، صوابه فى ش .

وبينه . وأزمان : ظرفٌ ليأكل ، وهو جمع زمان . والهزال بالضم : الضعف من الجوع . والسنى : مرَّحَم سنين جمع سنة ، بمعنى الجذب والقحط .

وهناتٍ مفعول يأكل ، منصوب بالكسرة ، جمع هنة مؤنث هن ، وهو كناية عما يُستقْبَح التصريحُ باسمه ، وهو هنا أير الحمار . والعير ، بفتح العين المهملة : الحمار الوحشي والأهلي أيضاً ، والأنثى عيرة . وميت : وصف عير ، وكذلك غير ذكى . والذكى : المذبوح ، خففت الياء للضرورة .

وقال أبو الحسن عليُّ الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) : قال أبو سعيد (١) : ورَوى الرياشي مرةً أخرى بدل البيت الأخير :

* هَنَاتٍ غَيْرِ مَيْتَةٍ غَيْرِ ذَكِيٍّ (٢) *

قال أبو الحسن : الأولُ أحبُّ إليَّ ، وهو أجود . والمَيْتَةُ بفتح الميم يكون نعتاً للشيء ، فإذا كسرت كانت الشيءَ بعينه . قال أبو الحسن : المَيْتَةُ تكون مصدراً كقولك القعدة والركبة وما أشبهها ، وتكون نعتاً كقولك : مررت بفرس مَيْتَةٍ فتنته بالمصدر ، كما تقول : مررت برجل عدل ، ثم يصير اسماً غالباً كأجل وما أشبهه ، فتقول : هذا مَيْتَةٍ كما تقول : هذا أجدل . والمَيْتَةُ بكسر الميم : الحال التي يكون عليها الشيء ، كقولك : كريم المَيْتَةِ وحسن الصُّرعة . والكسر مطَّرد في الحالات كلها ، كما أنَّ الفتح مطَّرد في المَرَّة . هذا الحق عندى الذى لا يجوز غيره . انتهى .

(١) أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى ، المعروف بالسكرى .

(٢) في النوادر : « هنات عين » ، وما هنا صوابه .

تممة

زعم العيني أن البيت الشاهد من هذا الرجز ، وهو :

أُنِّي لَدَى الْحَرْبِ رِخْيُ اللَّبِّ عِنْدَ تَنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبٍ ^(١)
 أُمَهْتَى خِنْدُفُ وَالْيَاسُ أَيْ وَحَاتَمُ الطَّائِي وَهَابُ الْمَثَى

وهذا لا أصل له ، فإنَّ الرجز عنده لقصى بن كلاب ، أحد أجداد النبي ﷺ . وكيف يكون حاتم الطائي أباً لقصى مع أنَّه بعده بمدة طويلة . وقافية الرجز أيضاً تأباه ، وليس في هذا اشتباه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٢) :

٥٤٥ (إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ وَالْفَتَاءُ)

على أنَّه قد يفرد مميِّز المائة ويُنصَب ، كما في البيت .

وأوردهُ سيبويه في موضعين : الأول (في باب الصفة المشبهة بالفاعل) وذكر أسماء العدد وعملها في الأسماء التي تبيَّنُها بالجر والنصب . حتى انتهى إلى قوله : « فإذا بلغت العقد تركت التنوين والنون وأضفت ، وجعلت الذي يعمل فيه وتبيَّن به العدد من أيِّ صنف هو ، واحداً ، كما فعلت ذلك فيما

(١) ط : « أن لدى الحرب » ، صوابه في ش .

(٢) في كتابه ١ : ١٠٦ ، ٢٩٣ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٢ والمعمرين ٧ وأملئ المرتضى ١ : ٢٥٤ والجلل ٢٤٦ وابن يعيش ٦ : ٢١ والمقرب ٦٦ والاقتضاب ٣٦٩ والعيني ٤ : ٤٨١ والجمع ١ : ٢٥٣ والتصریح ٢ : ٢٧٣ والأشعري ٤ : ٦٧ واللسان (فتا ٣) .

نَوْنَتْ . إِلَّا أَنَّكَ تَدْخُلُ فِيهِ الْأَلْفَ وَاللَّامَ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَكُونُ بِهِ مَعْرِفَةٌ وَلَا يَكُونُ الْمُنَوَّنُ بِهِ مَعْرِفَةٌ . وَذَلِكَ قَوْلُكَ : مِائَةُ دِرْهَمٍ وَمِائَةُ الدِّرْهَمِ . وَكَذَلِكَ إِنْ ضَاعَفْتَهُ ، فَقُلْتَ : مِائَتَا الدِّرْهَمِ وَمِائَتَا الدِّينَارِ ، وَكَذَلِكَ الَّذِي بَعْدَهُ ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ مِثْنِي . وَذَلِكَ قَوْلُكَ : أَلْفٌ دِرْهَمٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٍ . وَقَدْ جَاءَ فِي الشُّعْرِ بَعْضُ هَذَا مَنْوْنًا . قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ نَضْبَعٍ الْفَزَارِيُّ :

* إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتِينَ عَامًا * « انتهى .

والموضع الثاني (باب كم) قال فيه : « لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ إِذَا اضْطُرَّ شَاعِرٌ ^(١) فَقَالَ : ثَلَاثَةُ أَثَوَابَا ، كَانَ مَعْنَاهُ ثَلَاثَةُ أَثَوَابٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتِينَ عَامًا * « انتهى .

قَالَ الْأَعْلَمُ : الشَّاهِدُ فِيهِ إِثْبَاتُ النُّونِ فِي مِائَتَيْنِ فِي ضَرُورَةٍ ، وَنَصَبُ مَا بَعْدَهَا ، وَكَانَ الْوَجْهَ حَذْفُهَا وَخَفْضُ مَا بَعْدَهَا ، إِلَّا أَنَّهَا شَبِهَتْ لِلضَّرُورَةِ بِالْعَشْرِينَ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَثْبُتُ نُونُهُ وَيَنْصَبُ مَا بَعْدَهُ .

وَصَفَّ فِي الْبَيْتِ هَرَمَهُ وَذَهَابَ مَرُوءَتَهُ وَلَذَّتِهِ ، وَكَانَ قَدْ عُمِّرَ نَيْفًا عَلَى الْمِائَتَيْنِ فِيمَا يَرُورَى . وَرُورَى : « أُودِيَ » بَدَلَ ذَهَبَ ، بِمَعْنَى انْقِطَعَ وَهَلَكَ . وَالْفَتَاءُ : مُصَدَّرُ لَفْتَى ^(٢) . وَرُورَى : « تَسْعِينَ عَامًا » ، وَلَا ضَرُورَةَ فِيهِ عَلَى هَذَا . انْتَهَى .

(١) فِي سَبِيحِهِ ١ : ٢٩٣ : « لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ فِي الْكَلَامِ أَوْ اضْطُرَّ شَاعِرٌ » .

(٢) ش : « مُصَدَّرُ الْفَتَى » .

ورواية « تسعين » لا أصل لها كما يعلم مما يأتي . وروى : « التخيل » بدل « اللذآذة » . والتخيل : التكبر وعُجِب المرء بنفسه . وروى بدله : « المسرة » و « المروءة » أيضاً . والفَتَى : الشاب ، وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتِي بالفتح فَتَى ، فهو فتى السن بين الفتاء . قال الجواليقي : والفتاء مصدر لَفَتَى (١) .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبيات ستة للرّبيع بن ضُبّع الفزاري ، وهي :

(أَلَا أبلغ بَنَى بَنَى ربيع) فَأَنْذالُ الْبَنِينَ لَكُمْ فداءً (٢)
 بَأْنَى قَد كَبِرَتْ وَدَقَّ عَظْمِي فَلَا تَشْغَلُكُمْ عَنِّي النِّسَاءُ
 فَإِنَّ كِنَانَتِي لَنِسَاءٍ صِدْقُ وَمَا أَلَى بَنَى وَمَا أَسْأَلُوا
 إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأُدْفُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدُمُهُ الشِّتَاءُ
 فَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ فَسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِداءُ
 إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا) الْبَيْت

٣٠٧

قوله : « فَأَنْذالُ الْبَنِينَ (٣) لَكُمْ فداء » جملة دعائية معترضة . وروى الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : « فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ » ، قال : وصفهم بِالْبَرِّ . وقوله : « بَأْنَى قَد كَبِرَتْ » الباء متعلقة بقوله أبلغ في البيت المتقدم . وكَبِرَ من باب تعب . ودَقَّ ، أى صار دقيقاً . ودَقَّ يَدُقُّ من باب ضرب دَقَّةً : خلاف غُلْظ ، فهو دقيق . وروى : « وَرَقٌ جَلْدِي » ، أى صار رقيقاً بالرَّاء ، من الرِّقَّة . ولا ناهية . وشغل من باب نفع . وَعَنَى أى عن تفقّد

(١) ش : « مصدر لفتى أيضا » .

(٢) ش : « فانزال » ، صوابه في ط .

(٣) ش : « فانزال » ، صوابه في ط .

أمورى وإصلاحها . والكنائن : جمع كَنَّة بالفتح والتشديد ، وهى امرأة الابن والأخ . يريد أنهنَّ نعم النساء . والى بتشديد اللام ، أى ما أبطؤوا وما قصرُوا . وهو من ألوت . يقول : ما أبطأ بنى عن فعل المكارم وما يجبُ عليهم من القيام بأمرى . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : معنى ألى قصرٌ فى برى . يقال ألا يَألو ، فإذا أَكثرت الفعل قلت : ألى يؤلى تألية . انتهى .

وقال أبو حاتم السَّجِسْتَانِي (فى كتاب المعمرين) : حدَّثنا أبو الأسود الثَّوَشْجَانِي عن العُمَرَى عن أَبِي عمرو الشَّيْبَانِي قال : سألتُ القاسم بن معن عن قوله :

« وما ألى بنى وما أسأؤا »

قلت : أبطؤوا . فقال : ما تركتُ فى المسألة شيئاً . ونقل صاحبُ الصحاح هذه الحكاية مجملة ثم قال : أبو حاتم : والتألية التقصير ، ومن قال « وما ألى » بالمد فمعناه ما أقسموا ، أى لا يبرؤنى . انتهى .

وقال السِّيد المرتضى (فى أماليه) : ألى بالتشديد هو الصحيح ، ومعناه قصرٌ فى قول بعضهم . واللغة الأخرى ألا مخففاً ، يقال ألا الرجلُ يَألو ، إذا قصرَ وفتر . فأما ألى بالمد فى البيت فلا وجه له ، لأنه بمعنى حلف ، ولا معنى له ههنا . انتهى .

وقوله : « إذا كان الشتاء » إنلخ هذا البيت من أبيات الجمل وغيره .

ويروى : « إذا جاء الشتاء » . وادفئوني : سخَّنتونى لأدفاً . يقول : إذا دخل فصلُ الشتاء فدثرونى بالثياب . فإنَّ هذا الفصل يُضعف قوَّة الشَّيْخ ويَهْدِم عمره ، ويُخاف عليه فيه . ودلَّ على أنَّه يريد أن يدفاً بالثياب لا بغير

ذلك ، قوله بعد البيت : « فَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ » . والشتاء في غير هذا
الموضع ، يراد به الضيق وشطْفُ العيش ، كما قال الحطيئة :

إِذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بَدَارَ قَوْمٍ تَجَنَّبَ جَارَ بَيْتِهِمُ الشِّتَاءُ

إِذَا الشِّتَاءُ نَفْسُهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ يَوَاسُونَ
مَنْ جَاوَرَهُمْ فَيَتَجَنَّبُهُ الضِّيقُ وَسُوءُ الْحَالِ وَالْمَعِيشَةِ . ويهدمه ، من هدمت
البناء ، من باب ضرب ، إِذَا أَسْقَطَتْهُ فَانْهَدَمَ . وروى : « يُهْرِمُهُ » بالراء ^(١) ،
أَيُّ يُضْعِفُهُ ، يقال هَرِمَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ تَعَبٍ ، إِذَا كَبِرَ وَضَعُفَ .

وَالْقُرُّ بضم القاف : البَرْدُ . وَالسَّرْبَالُ بالكسر : القميص . قال
الجواليقي : وَأَوْ بِمعنى الواو .

وقوله : (إِذَا عَاشَ الْفَتَى) إلخ نصب عامًا على التمييز ، كما ينصب ^(٢)
المفرد بعد العشرين وما فوقها . وَلَمَّا صَرَفَهُ عَنِ الْإِضَافَةِ نَصَبَهُ عَلَى التَّمْيِيزِ وَأَعْمَلَ
فِيهِ مَائَتَيْنِ ، وَنَصَبَ مَائَتَيْنِ عَلَى الظَّرْفِ . قال ابن المستوفى : نُسِبَتْ هَذِهِ ٣٠٨
الْأَبْيَاتُ لِزَيْدِ بْنِ ضُبَّةَ . وَالرَّوَايَةُ : « إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِّينَ عَامًا » فَلَا ضَرُورَةَ
وَلَا شَاهِدَ . انتهى

وقول شارح اللباب : وَرَوَى « إِذَا عَاشَ الْفَتَى خَمْسِينَ عَامًا » ، رواية
واهية ، فَإِنَّ ابْنَ الْخَمْسِينَ لَا يَبْلُغُ مِنَ الضَّعْفِ هَذِهِ الرَّتَبَةَ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْأَبْيَاتَ لِلرَّبِيعِ بْنِ ضُبُعٍ الْفَزَارِيُّ ، كَمَا رَوَاهَا لَهُ جَمُّ غَفِيرٍ ، الرَّبِيعُ بْنُ ضُعْ
وَهُوَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، أَوْرَدَهُ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ (فِي كِتَابِ الْمُعَمَّرِينَ) وَقَالَ :

(١) بعده في النسختين : « مِنْ بَابِ تَعَبٍ » . والوجه في هذه العبارة أَنْ تَوْضِعَ بَعْدَ كَلِمَةِ
« الرَّجُلِ » التَّالِيَةِ كَمَا أَثْبَتَ .

(٢) ش : « كَمَا نَصَبَ » .

قالوا : وكان من أطول من كان قبل الإسلام عمراً : ربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة ، عاش أربعين وثلاثمائة سنة ولم يُسلم . وقال لما بلغ مائتي سنة وأربعين سنة :

أصبح مئى الشباب قد حسراً	إن يئاً عئى فقد ثوى عُصراً
ودّعنا قبل أن نودّعهُ	لما قضى من جماعنا وطراً
ها أنا ذا أمل الخلود وقد	أدرك عقلى ومولدى حُجراً
أبا امرئ القيس، هل سمعت به	هيهات هيهات طال ذا عُمرأ
أصبحثُ لأحمل السلاح ولا	أملكُ رأسَ البعير إن نفراً
والذئب أخشاه إن مررتُ به	وحدى، وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوّة أُسرُّ بها	أصبحثُ شيخاً أعالج الكبرأ

وقال لما بلغ مائتي سنة :

ألا أبلغ بئى بنى ربيع فأشرارُ البنينَ لكم فداءً
الآيات المتقدمة . هذا ما أورده أبو حاتم .

وأورده ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) فيمن أدرك النبى ﷺ وكان يمكنه أن يسمع منه ، فلم يُنقل ذلك . وقال : هو جاهلى ، ذكر ابن هشام (فى التيجان) أنّه كبر وخرّف وأدرك الإسلام . ويقال إنّهُ عاش ثلاثمائة سنة ، منها ستون فى الإسلام ، ويقال لم يسلم . انتهى .

وذكره السيد المرتضى (فى فصل المعمرين من أماليه) قال :

ومن المعمرين : الربيع بن ضُبُع الفزاري ، يقال إنَّه بقى إلى أيام بنى أمية وروى أنَّه دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : ياربيع ، أخبرني عمًّا أدركت من العمر والمَدَى ، ورأيت من الخطوب الماضية . فقال : أنا الذى أقول :

ها أنا ذا آمُلُ الخلودَ وقد أدرك عَقْلِي ومَوْلدى حُجْراً

فقال عبد الملك : قد رويْتُ هذا من شعرك وأنا صَبِيٌّ . قال : وأنا القائل :
إذا عاش الفتى مائتين عامًا فقد ذهبَ اللذاذَةُ والْفَتَاءُ

قال : وقد رويْتُ هذا من شعرك وأنا غلام ، وأبيك يا ربيعُ لقد طار بك جَدُّ غير عاثر ، ففصَّل لى عمرك . قال : عشت مائتي سنة فى فترة عيسى عليه السلام ، وعشرًا ومائة سنة فى الجاهليَّة ، وستين سنة فى الإسلام . قال : فأخبرنى : عن فتية من قريش متواطئى الأسماء . قال : سل عن أيَّهم شئت . قال : أخبرنى عن عبد الله بن عباس . قال : فهم وعلم ، وعطاء جَذَم ، ومقرئ ضخم . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن عمر . قال : حلم وعلم ، وطول كظم ، وبعد من الظلم . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن جعفر . قال : ريحانه طيب ريحها ، لئن مسَّها ، قليل على المسلمين ضرُّها . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن الزُّبير . قال : جبل وعر ، ينحلو (١) منه الصخر .

(١) فى النسختين : « يتخذ » . وفى هامش ش : « ب يتحد » ، إشارة إلى نسخة . وأثبت

ما فى أمالى المرتضى ١ : ٢٥٤ .

قال : لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم ؟ قال : قرب جوارى ، وكثرة استخبارى .

قال السيد رضى الله عنه : إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك إنما كان في أيام معاوية ، لا في ولايته ، لأنَّ الربيع يقول في الخبر : عشت في الإسلام ستين سنة ، وعبد الملك ولى في سنة خمس وستين من الهجرة . فإن كان صحيحاً فلا بدَّ مما ذكرناه . فقد روى أنَّ الربيع أدرك أيام معاوية .

ويقال إنَّ الربيع لمَّا بلغ مائتى سنة قال :

ألا أبلغ بنى بنى ربيع الأبيات المتقدمة .

وقوله : « عطاء جَذَم » ، أى سريع . وكلُّ شىء تسرَّعت به فقد جذمته . وفى الحديث : « إذا أذنت فرثل ، وإذا أقمت فاجذم ^(١) » ، أى أسرع . والمِقْرَى : الإناء الذى يُقْرَى فيه الضيف . انتهى ما ذكره السيد المرتضى .

وقال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : روى الرواة أنَّ الربيع بن ضبُع عاش حتَّى أدرك الإسلام ، وأنَّه قدم الشام على معاوية بن أبى سفيان ، ومعه حَفَدَاتُهُ ^(٢) . ودخل حفيده على معاوية فقال له : اقعد يا شيخ . فقال له : وكيف يقعد من جدُّه بالباب ؟ فقال له معاوية : لعلك من ولد الربيع بن ضبُع ؟ فقال : أجل . فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنِّه فقال :

(١) ش : « فاجزم » ، صوابه فى ط وأمالى المرتضى ١ : ٢٥٦ .

(٢) الحفدات : جمع حفدة بالتحريك ، وهم أولاد الاولاد .

أَقْفَرُ مِنْ مَيَّةِ الْجَرِيبِ إِلَى الزُّجَيْنِ إِلَّا الظُّبَاءَ وَالْبَقَرَا
كَأَنَّهَا دُرَّةٌ مَنْعَمَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرَرَا
أَصْبَحَ مَنَى الشَّبَابِ مَبْتَكِرَا إِنْ يَنَّا عَنْى فَقَدْ ثَوَى عُصْرَا

إلى آخر الأبيات المتقدمة . فقرأ معاوية : ﴿ وَمَنْ نَعَمَّرَهُ نُنَكِّسْهُ فِي
الْخَلْقِ ﴾ ^(١) . انتهى .

وقد أورد أبو زيد (في نوادره) هذه الأبيات كذا . وقال أبو حاتم :
الرُّجَّيْنِ ^(٢) بالخاء المعجمة . وقال الأخفش : الذى صَحَّ عندنا بالجيم ^(٣) .
وقوله : « أَصْبَحَ مَنَى الشَّبَابِ » إلخ حسر البعير : أعيا . وروى :
« مبتكرا » اسم فاعل من الابتكار . وَإِنْ يَنَّا ، أى يبعد ^(٤) وثوى : أقام .
وعُصْرَا ، بضمين ، أى دهرًا .

وقوله : « فارقنا » أى الشَّبَابِ . وهذا البيت أوردته ابن هشام (في
المغنى) على أَنَّ المراد : أراد فارقنا . قال ابن جنى (في المحتسب) : ظاهر
هذا البيت إلى التناقض ، لأنَّنا إِذَا فارقنا فقد فارقناه لا محالة ، فما معنى قوله
من بعد : « قبل أن نفارقه » . وهو عندنا على إقامة المسبب مقام السبب ،

(١) الآية ٦٨ من سورة يس .

(٢) الذى فى النوادر ١٥٨ : وروى أبو حاتم : الرُّجَيْنِ والرُّجَيْنِ . ش : الرُّجَيْنِ .

(٣) الذى فى النوادر : قال أبو الحسن : الذى صح عندنا الزجىن بالجيم معجمة .

(٤) ش : أى إن وجد .

وهو وضع المفارقة موضع الإرادة ؛ لقرب أحدهما من الآخر ^(١) . وروى بدله ^(٢) :

* ودّعنا قبل أن نودّعه *

والجماع : الاجتماع . والوَطَر : الحاجة . وهاتان الكلمتان هنا قبيحتان .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية على المغني) : وقع في حماسة أنى تمام قول ربيع بن مالك ^(٣) يرى مالك بن زهير العيسى :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فليأتِ نسوتنا بوجه نهارٍ
يجِدُ النساءَ حواسِرًا يندبنه بالصُّبحِ قبل تبُلُجِ الأسحارِ

قال المرزوقي : إني لأتعجب من أنى تمام مع تكلفه رمّ جوانب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله : « فليأتِ نسوتنا » وهي لفظة شنيعة جدًا . وأصلحه المرزوقي بقوله : « فليأتِ ساجتتنا » . قال التفتازاني : وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه ، وحافظ على لفظ الشاعر دراية ، مع زعمه أن القراء يقرءون القرآن برأيهم . وأنا أتعجب من إنشاد

٣١٠

(١) في المحتسب ١ : ١٦٨ : « فوضع المفارقة » ، وهي المسبب . موضع الإرادة لها ، وهي السبب ، وذلك لقرب أحدهما من صاحبه .

(٢) أى بدل رواية ابن جنى ، وهي « فارقتا قبل أن نفارقه » . والرواية التي يشير إليها هي المثبتة في الإنشاد السابق في ص ٣٨٤ .

(٣) في حواشي ش : « كنا بخط المؤلف . والصواب : ربيع بن زياد » . وهو الربيع بن زياد ابن عبد الله بن ناشب العيسى . وهذا الصواب هو الثابت في الحماسة ٩٩٥ من مقطوعة أولها :

أنى أُرقت فلم أغمض حار من سئى النبأ الجليل السارى

صاحب المغنى لمثل هذا البيت ، أورده هنا مع أنه أشنع من بيت الحماسة وأفحش . ولقد كان في غنية بما أورده من الكتاب والسنة .

قال ابن ثبابة (في مطلع الفوائد وجمع الفرائد) : في قوله : « بالصُّبح قبل تبليج الأسحار » سؤال لطيف ، وهو أن الصُّبح لا يكون إلا بعد تبليج الأسحار ، فكيف يقول قبله ؟ والجواب : أنه أراد بقوله يندبنه بالصُّبح ، أنهم يصفونه بالخلال المضيئة ، والمناقب الواضحة ، التي هي كالصُّبح . انتهى .

وقوله : « أصبحت لا أحمل السلاح » إلخ أورده (في التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ^(١) ﴾ على أن المَلِك الضبط والتسخير ، كما في قوله : لا أملك رأس البعير ، أى لا أضبطه .

وقوله : « والذئب أخشاه » إلخ أورده سيبويه (في كتابه) والزجاجي (في جملة) ، وابن هشام (في شرح الألفية ، باب الاشتغال) على أن الذئب منصوب بفعل يفسره أخشاه . يقول : قد ضعفت قواه عن حمل سلاح الحرب ، وصار في حال من لا يقدر على تصريف البعير إذا ركبه ، ويخاف الذئب أن يعدو عليه ، ويتأذى بالريح إذا هبت ، والأمطار إذا نزلت . وحجر بضم الحاء المهملة والجيم هو أبو امرئ القيس الشاعر . وقوله : « طال ذا عمرا » هو تعجب . أى ما أطول هذا العمر .

وقوله : « من بعد ما قوة » إلخ ما زائدة . وأعالج ، أى أقاسى أمراض الكبر ^(٢) .

(١) الآية ٧١ من سورة يس .

(٢) هذا ما في ش . وفي ط : « أى أقاسى في أمراض الكبر » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من أبيات الأصول ^(١) :

٥٤٦) فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الأسحيم

على أنه يجوز وصف المميز المفرد بالجمع باعتبار المعنى ، كما في البيت ، فإن (حلوبة) مميز مفرد للعدد وقد وصف بالجمع ، وهو سود : جمع سوداء .

قال ابن السراج (في الأصول) : وتقول : عندي عشرون رجلاً صالحاً ، وعشرون رجلاً صالحون ، ولا يجوز صالحين على أن تجعله صفة رجل . فإن كان جمعاً على لفظ الواحد جاز فيه وجهان تقول : عندي عشرون درهماً جيداً وجياداً . ومن رفع جعله صفة للعشرين ومن نصب أتبعه التفسير . وهذا البيت ينشد على وجهين :

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الأسحيم

ويروى « سود » بالرفع . وتقول : عندي ثلاث نسوة عجوزان وشابة ، وعجوزين وشابة ، ترد مرة على ثلاث ، ومرة على نسوة . انتهى .
فعرف أن كلام الشارح ليس على إطلاقه ، وينبغي تقييده بأن تكون الصفة على زنة المفرد ، بأن لا تكون جمعاً .

وبالنصب والرفع رواه شراح معلقة عنتره .

قال أبو جعفر والخطيب التبريزي : قوله سودًا نعت للحلوبة ،

(١) يعنى أصول ابن السراج . والبيت من شواهد ابن يعيش ٣ : ٥٥ / ٦ : ٣٤ وشنور الذهب ٢٤١ والأشموني ٤ : ٧٠ والعيني ٤ : ٤٨٧ .

لأنَّها في معنى الجماعة ، والمعنى من الحلائب . ويروى : « سودٌ » على أنَّ يكون نعتا لقوله اثنان وأربعون . فإن قيل : كيف جاز أنَّ ينعتها وأحدُهما ٣١١ معطوف على صاحبه ؟ قيل : لأنَّهما قد اجتمعا فصارا بمنزلة قولك : جاء زيد وعمرو الظريفان . انتهى .

قال العيني : الشاهد في قوله سودا ، فإنَّها نعتٌ لقوله حلوبة ، وروعى فيها اللفظ . انتهى .

وجه ما قاله شراح معلقة عنترة : أبو جعفر النحوى ، والأعلم ، والخطيب ، أنَّ الحلوبة تستعمل في الواحد والجمع على لفظ واحد ، يقال ناقة حلوبة وإبل حلوبة .

وقال الزوزنى (في شرح المعلقة) : الحلوبة : جمع الحلوب عند البصريين ، وكذلك قَتوبة وقَتوب ، وركوبة وركوب . وقال غيرهم : هي بمعنى محلوب ، وفِعْولٌ إذا كان بمعنى المفعول جاز أنَّ تلحقه التاء (٢) . انتهى .

وعلى هذا لا شاهد فيه ، ويكون من وصف الجمع بالجمع . ولم يذكر الإمام المرزوقى (في شرح الفصيح) غير هذا الأخير ، قال : وفِعْولٌ إذا كان في معنى مفعول قد تلحقه الهاء ، نحو : رَكوبة وحَلوبة وقَتوبة . وأنشد هذا البيت .

وبما تقدّم يُردُّ قول الأَعلم ، في زعمه أنَّ سودا ليس بوصف الحلوبة . قال : قوله سودا حال من قوله اثنان وأربعون ، وهو حال من نكرة .

(١) ط : : يلحقه التاء . .

ويجوز رفعه على النعت . ولا يكون نعتًا لحلوبة لأنها مفردة ، إذا كانت تمييزًا للعدد ، وسودًا جمع ، ولا ينعت الواحد بالجمع . انتهى .
ويُعرف جوابه مما سقناه .

صاحب الشاهد والبيت من معلقة عنتر بن شدّاد العبسي ، وقبلة :

(ما راعني إِلَّا حَمُولَةٌ أَهْلِهَا وَسَطَ الدِّيارِ تَسْفُ حَبَّ الْخِمِمْ)

راعني : أفرعني . والحمولة ، بفتح الحاء : الإبل التي يُحمل عليها .
ووسطَ ظرف . وتسف : تأكل ، يقال سَفَفَتِ الدَّواءَ وغيره بالكسر ، أسفهُ بالفتح . قال أبو عمرو الشيباني : والخمّم ، بكسر الخاءين المعجمتين : بقلة لها حَبٌّ أَسْوَدُ ، إذا أَكَلَتْهُ الغنم قَلَّتْ ألبانها وتغيّرت . وإثما وصف أنها تأكل هذا لأنها لم تجد غيره . وروى ابن الأعرابي : « الجِمِّم » بكسر الخاءين المهملتين ، يروى بضمهما . وقال : الجِمِّم أسرع هَيْجًا ، أى يُيسّا ، من الخمّم . وإثما راعه كون الحملولة وسط الدار لأنها كانت عازية في المرعى ، فلما أرادوا الرّحيل رُدُّوها إلى الديار ليتحمّلوا عليها ، فأفرعَه ذلك .

وقال الخطيب : معنى البيت أنه راعه سفُ الحملولة حَبَّ الْخِمِمْ ، لأنه لم يبق شيء إِلَّا الرحيل ، فصارت تأكل حَبَّ الخمّم ، وذلك أنهم كانوا مجتمعين في الربيع ، فلما ييس البقل ارتحلوا وتفرّقوا . يقول : لَمَّا جِئْتُ فَنظَرْتُ إِلَى أَهْلِهَا قَدْ تَحَمَّلُوا أَفْرَعَنِي ذَلِكَ ، لفراق إياها . وقوله : « فيها اثنتان وأربعون حلوبة » إلخ أى في هذه الحملولة من التّوق التي تُحَلِّبُ اثنتان وأربعون حلوبة .

وقال العيني : الضمير راجعٌ للركاب^(١) في بيت قبله .

(١) في النسختين : « للركاب » ، صوابه من العيني . ونصه : « فيها ، أى في الركاب » .
وروى في البيت قبله : « زمت ركابكم بليل مظلم » .

وهذا خلاف الظاهر مع القرب . وفيها خبر مقدّم ، واثنان مبتدأ مؤخر ، والجملة حال من الحمولة .

وقال أبو جعفر ، والخطيب : اثنان مرفوع بالابتداء ، وإن شئت بالاستقرار . يريد أن فيها حال من حمولة ، واثنان فاعل فيها . وقالا : ويرى : « خلية » بفتح الخاء المعجمة بدل حلوبة . والخلية : أن يُعطف على الحوار ثلاث من النوق ، ثم يتخلّى الراعى بواحدةٍ منهن . فتلک الخلية . وأوضح منه أن الخلية ناقة تعطف مع أخرى على ولدٍ واحد فتدرآن عليه ، ويتخلّى أهل البيت بواحدةٍ يخلبونها .

٣١٢

وقوله : (كخافية) صفة سودا . وشبه سواد تلك النوق الحلاب بسوادِ خوافي الغراب ، وهى أواخر الرّيش من الجناح مما يلي الظّهر ، سميت بذلك لخفائها . و (الأسحم) : الأسود . وإثما خصّ الخوافى لأنها أسبط وأشدُّ بريقاً وألين . وإثما ذكر أن في إبلهم هذا العدد من الحلوبة السود ليخبر بكثرتهم ، وكثرة إبلهم ، لأنه إذا كان في إبلهم هذا العدد من هذا الصنف على غرابته وقلته ، فغيره من أصناف الإبل أكثر من أن يُحصى عدده . وإثما وصفها بالسود لأنها أنفسُ الإبل عندهم وأعزّها .

وترجمة عنتره صاحب المعلقة تقدّمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٥٤٧ (وكانَ مَجْنَى دُونِ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثلاثَ شُخُوصٍ : كاعبان ومُعَصِرُ)

على أنَّه يجوز اعتبار المعنى فتجرّد علامة التانيث من عدد المؤنث المعنوي ، كما هنا ، فإنّه جرّد ثلاثاً من التاء لكون شُخُوص بمعنى نساء ، بدليل الإبدال عنه بما بعده .

قال سيبويه : وزعم يونس عن رؤية أنّه قال : ثلاث أنفُس (٢) على تانيث النفس ، كما تقول : ثلاث أعين للعين من الناس . قال الخطيئة :

ثلاثة أنفُس وثلاثُ ذَوْدٍ لقد جارا الزَّمانَ عَلى عِيالي (٣)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

فكانَ مَجْنَى دُونِ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثلاثَ شُخُوصٍ : كاعبانٍ ومُعَصِرُ

فأثَّثَ الشخصَ إذْ كانَ في المعنى أثَّثَى . انتهى

قال أبو جعفر النحاس : قرأت على أبي الحسن عليّ بن سليمان ، عن أبي العباس المبرد هذا البيت . قال أبو العباس : لما اضطرَّ جعل الشخص بدلاً من امرأةٍ إذْ كان يقصدها به ، ولذلك قال : كاعبان ومُعَصِر ، فأبان .

(١) في كتابه ٢ : ١٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٤٨ والكامل ٣٨٣ وأمالى الزجاجي ١١٨ والخصائص ٢ : ٤١٧ والإنصاف ٧٧٠ والمقرب ٦٧ والمعنى ٣ : ٤٨٣ والتصريح ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٥ والأشعري ٣ : ٩ ؟ وديوان عمر ٩٢ .

(٢) في النسختين : « ثلاثة أنفُس » ، صوابه في سيبويه واللسان (نفس ١٢١) .

(٣) ديوان الخطيئة ١٢٠ .

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ﴾ ^(١) لأنَّ المعنى واقعٌ على حسنات ، وأمثال نعتٍ لما وقع عليه العدد . وكذلك : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴾ ^(٢) لأنَّ المعنى واقعٌ على جماعات . وعلى هذا تقول : عندي عشرة نَسَابَات ، لأنَّك تريد الرِّجَال ، وإنَّما نسابات نعت . وتقول إذا عَنَيْتَ المَذْكُرَ : عندي ثلاثة دَوَابٍّ يا فتى ، لأنَّ الدَّوَابَّ نعت ، فكأنَّك قلت : عندي ثلاثة براذين دَوَابٍّ . وتقول : عندي خمسٌ من الشَّاءِ ، لأنَّ الواحدة شاةٌ لذكرٍ كان أو أنثى . انتهى .

وما نقله عن المبرِّد هو مسطور (في الكامل) قال فيه : قوله ثلاث شخصوس ، الوجه ثلاثة شخصوس ، ولكنَّه لما قصد إلى نساءٍ أُنْتُ على المعنى . وأبان ما أراد بقوله : كاعبان ومعصر . ومثله قولُ الشاعر ^(٣) :

فإنَّ كلابًا هذه عشرٌ أبطنِي وأنتَ برىءٌ مِن قبائلها العَشْرِ

فقال : عشرٌ أبطن لأنَّ البطن قبيلة ، وأبان ذلك في قوله من قبائلها العشر . وقال الله عز وجل : ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ﴾ ؛ لأنَّ المعنى حسنات . انتهى .

وكذا قال السكري (في شرح أشعار اللصوص) ، قال : كان يجب أن يقول ثلاثة ، لأنَّ الشخصوس مذكرةٌ ، ولكنَّه ذهب إلى أعيان النِّساء ، لأنَّهنَّ مؤنَّثات ، وإنَّ كان سبب اللفظ مذكراً .

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٣) هو النواح الكلابي . والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ١٧٤ .

وقد أدرج ابن جنى (فى الخصائص) هذا فى فصل سَمَاءِ الحَمَلِ على المعنى ، قال : اعلم أنَّ هذا الشرح ^(١) غَوْرٌ من العريّة بعيد ، ومذهب نازح فصيح ، قد وردَ به القرآن وفصيحُ الكلام ، منشورًا ومنظومًا ، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصوّر معنى الواحد فى الجماعة والجماعة فى الواحد . ثم قال : فمن تذكير المؤنث قولُ الحطيئة : ثلاثة أنفُس ، ذهب بالنفس إلى الإنسان فذكر . وقال عمر : « ثلاثُ شخوص » ، أثتُ الشخص لأنّه أراد به المرأة . انتهى .

وقال ابن السكيت (فى كتاب المذكر والمؤنث) : أثتُ الشُخص لأنّها شخوصُ إناث . فلو قلت ثلاثة شخوص كان أجود ، لأنّ الشخص ذكر وإن كان لأنثى . وممّا اجتمعت عليه العرب لإيثار المضمر على الظاهر قولهم : ثلاثة أنفُس ، وثلاثة أعيان . والخليل يختار : ثلاث أعين . والعين والنفسُ أنثيان ، فذهبا إلى أعيان الرجال وأنفُس الرجال . فإذا وجّهت النفس إلى الرجل أو المرأة ذهبت بهما جميعًا إلى التذكير ، لأنّه غير مؤنث ، فتصير النفسُ تؤدّى عن الإنسان ، ويؤدّى الإنسان عن الذكر والأنثى ، فتقول : ثلاثة أنفُس كما تقول : ثلاثة من الناس وإن عنيت نساء . فإذا أردت الزّوج كانت النفسُ أنثى ، وإذا أفردتها بفعل أو وصفتها به عاملتها معاملة التأنيث ، كما قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ^(٢) ولم يقل واحد وهو آدم . وقد يجوز لك أن تذهب إلى المعنى ، فإن كانت أنثى أثتُ ، وإن كان ذكرًا ذكّرت . وليس بالوجه . انتهى .

(١) الشرح ، بالجيم : النوع . وفى النسختين : « الشرح » ، تحريف .

(٢) الآية ٦ من سورة الزمر .

و (المجنّ) بكسر الميم : الثرس . قال العيني : ويروى : « فكان نصيرى » ، بدل مجنّى ، ومعناه مانعى وساترى . ويروى : « بصيرى » بالباء الموحدة ، جمع بصيرة ، وهى الثرس . حكاها أبو عبيدة . وقال ابن سيده : يؤيده رواية من روى : « فكان مجنّى » . قال : وأكثر الناس يروونه « نصيرى » ، بالنون . وهو تصحيف . وقال أبو الحجاج : هذا القول فيه إفراط ، ورواية النون غير بعيدة من الصواب ، وإن كان رواية الباء أظهر لقوله « دون » ، ولم يقل « على » المستعملة مع النصّر فى مثل هذا النحو . انتهى .

و (الكاعب) قال الجوهريّ : هى الجارية حين يبدو ثديها للثهود . وقد كعبت تكعب بالضم كعوبًا ؛ وكعبت بالتشديد تكعيبًا مثله . و (مُعَصِر) بضم الميم وكسر الصاد ، هى الجارية أوّل ما أدركت وحاضت . يقال قد أعصرت ، كأنّها دخلت عصر شبابها أو بلغته . قال الراجز (١) :

جارية بسَفَوَانٍ دارها يرتج عن مثل الثفا إزارها

قد أعصرت أو قد دنا إعصارها

والبيت من قصيدة طويلة لعمر بن أبى ربيعة تقدّم نقلها فى الشاهد صاحب الشاهد التسعين بعد الثلاثائة (٢) . وهذه أبيات قبله :

أبيات الشاهد

(فلما تقضى الليل إلا أقله وكادت نوالى نجمه تنغور (٣))

(١) هو منظور بن مرثد ، كما فى العقد ٣ : ٤٦٠ ، واللسان (عصر) .

(٢) الخزائن ٥ : ٣١٦ - ٣٢١ .

(٣) ويروى : « وكادت هوادى » .

أشارت بأن الحى قد حان منهم
فلما رأت من قد تنور منهم
فقلت : أباديهم فإما أفوتهم
فقلت : أتحيقًا لما قال كاشح
فإن كان ما لا بد منه فغيره
أقص على أختي بدء حديثنا
لعلهما أن تبغيا لك مخرجًا
فقلت لأختي : أعينا على فتى
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا :
يقوم فيمضى بيننا متنكرًا
فكان مجنى دون من كنت أتقى

هُبُوبٌ ولكن موعدك لك عزور ،
وأيقاظهم قالت : أشير كيف تأمر^(١)
وإما ينال السيف ثأرًا فيثأر
علينا ، وتصديقًا لما كان يؤثر
من الأمر أدنى للخفاء وأستر
ومالى من أن تعلمتا متأخر
وأن ترحبًا سرًا بما كنت أخصر^(٢)
أنى زائرًا ، والأمر للأمر يُفكر
أقل على عليك اللوم فالخطب أيسر^(٣)
فلا ميرنا يفسو ، ولا هو يبصر^(٤)
ثلاث شخوص كاعبان ومُعصر

التوالى : التابع^(٥) . وتتغور : تغور فتذهب ، وهو مأخوذ من الغور .
والهبوب : الانتباه ، يقال هب من نومه ، إذا استيقظ .

وعزور ، بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة بعدها واو

(١) فى الديوان ٩٠ : « من قد تنبه » ، وأشير إلى رواية « من قد تنور » بالشاء .

(٢) فى الديوان : « لعلهما أن تطلبا » .

(٣) بين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

فقلت لها الصغرى سأعطيه مطرق ودرعى وهذا البرد ، إن كان يحلر

(٤) فى الديوان : « ولا هو يظهر » .

(٥) هنا حق ، ولكن ابن أبى ربيعة لم يرد بقوله « توالى نجمه » ، تابعها . وإنما أراد توالى : جمع تال ، وهو ما تأخر من النجوم هنا .

وفى اللسان (تلى ١١٢) : « والتوالى : ما تأخر » .

مفتوحة ، قال أبو علي : هي ثنية الجُحفة . وقال السُّكوني : عزور : جبل بينه وبين جبل رضوى قلتر شوط الفرس . وهما جبلان شاهقان منيعان لا يروهما أحد . ورضوى من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ، ميامنة طريق المدينة ، ومياسرة طريق البر^(١) لمن كان مُصعدًا إلى مكة ، وعلى ليلتين من البحر . كذا (في معجم ما استعجم) للبكري .

وأيقاظ : جمع يُقْظ ، بفتح الياء وضم القاف^(٢) ، بمعنى يقظان .
وقوله : « فقالت أتحقيقًا » من كلام العرب : أكل هذا بخلاً . وذلك أنه رآه يفعل شيئًا يكره فقال : أكل هذا تفعلُ بخلاً .
وقوله : « أباديهم » يريد أظهر لهم ، غير مهموز . يقال بدا يبدو غير مهموز ، إذا ظهر .

وقوله : « بدءَ حديثنا » يريد أول حديثنا .
وقوله : « وأن ترحبا » ، يريد أن تتسعا ، أي تتسع صدورهما ، من قولك : فلان رحيب الصدر . وقوله « أحصر » أي أضيق به ذرعًا ، يقال حَصِر صدره ، بمهمات ، من باب فرح ، إذا ضاق . والسَّرب ، بالفتح^(٣) : الطريق .

(١) وكذا في معجم ما استعجم ٦٥٥ . وصوابه « البرياء » ، كما في كتاب عرام الذي ينقل عنه البكري . انظر نواذر المخطوطات ٢ : ٣٩٦ .

(٢) وكذا يقظ ، بفتح فكسر ، كما في القاموس واللسان .

(٣) الأولى أن يقال بالفتح وبالكسر ، من قولهم : إنه لواسع السرب ، بالكسر ، أي الصدر والرأى والهووى ، كما في اللسان (سرب ٤٧٧) . وفي القاموس : « وبالكسر : القطيع من الظباء والنساء وغيرها ، والطريق ، والبال ، والقلب ، والنفس » ، بعد أن ذكر أن السرب بالفتح الماشية كلها ، والطريق ، والوجهة ، والصلور ، والخرز .

وقوله : (فكان مجئى) إلخ أى وقائتى . ودون بمعنى قدام . ومجئى اسم كان ، وثلاث بالنصب خبرها ، ومن موصولة والعائد محذوف ، أى أثيقه . ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجية مسلم بن عقبة إلى المدينة اعترض الناس ، فمرّ به رجل من أهل الشام ومعه ثرس قبيح ، فقال : يا أخا أهل الشام ، مجنّ ابن أبى ربيعة أحسن من مجنّك . يشير إلى هذا البيت . وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدّمت فى الشاهد السابع والثمانين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٢) :

٥٤٨ (كأنّ حصينيه من التّدلّيل ظرفُ عجوزٍ فيه ثنتا حنْظَلِ)

على أنّه ضرورة ، والقياس حنظلتان بدون العدد ، لما بيّنه الشارح المحقق .

وأورده سيبويه فى باب تكسير الواحد للجميع بعد باب العدد . قال الأعمش : الشاهد فيه إضافة ثنتا إلى الحنظل ، وهو اسم يقع على جميع الجنس . وحقّ العدد القليل أن يضاف إلى الجمع القليل . وإنّما جاز على تقدير : ثنتان من الحنظل . هذا كما قال : ثلاثة فلوس ^(٣) ، أى ثلاثة من هذا

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٧٧ ، ٢٠٢ . وانظر إصلاح المنطق ١٨٩ والمقتضب ٢ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٠ وابن يعيش ٤ : ١٤٣ ، ١٤٤ / ٦ : ١٨ والمقرب ٨٠ وشرح شذور الذهب ٤٥٨ والعينى ٤ : ٤٨٦ والدرر اللوامع ١ : ٢٠٩ وسيأتى فى ص ٥٢٦ .

(٣) كلمة هـ هذا هـ ليست فى الشتمرى .

الجنس ، على ما بيّنه في الباب . والتدلل : التعلق والاضطراب . وكان الوجه ٣١٥
أن يقول : حنظلتان ، فبناه على قياس الثلاثة وما بعدها إلى العشرة ^(١) .
وإنما خصّ ظرف العجوز لأنها لا تستعمل طيباً ولا غيره مما يتصنع به النساء
للرجال ، يأساً منهم ^(٢) ، ولكنها تدخر الحنظل ونحوه من الأدوية . وظرف
العجوز هو مزودها الذي تخزن فيه متاعها . انتهى .

وهذان البيتان أوردهما أبو تمام (في باب الملح من الحماسة) . وروى :
« سحق جراب » بدل ظرف عجوز ، قال ابن جنى في إعرابها : أخرج التثنية
عن أصلها ^(٣) ، وذلك أن قياسها على الجمع عندي اثنا رجال ^(٤) ، كقولهم :
عندي ثلاثة رجال ، غير أن التثنية لما أمكنك فيها انتظام العدة وبيان النوع ،
غنيّت بقليل اللفظ عن كثيره ، أي غنيّت برجلان عن اثنا رجال . فلما قال
ثنتا حنظل علمت بذلك أنه أخرجه على قياس الجمع ^(٥) . ويريد : كأن

(١) يعنى إضافة العدد إلى تمييزه .

(٢) يريد يأساً من الرجال . وفي الشتمرى : « ليأسها منهم » . وبعده وهو ختام ما في
الشتمرى : « وإنما تدخر فيه ما تتعاقى ، من الحنظل وغيره » . فما بعد « منهم » من الكلام هنا لم يرد
في الشتمرى .

(٣) ش : « على أصلها » وكنا في إعراب الحماسة الورقة ٢٤٦ . والوجه « عن أصلها » كما
في ط ، لأن أصل التثنية ألا يذكر معها العدد فيقال رجلان وحنظلتان .

(٤) في إعراب الحماسة : « على الجمع أن يقال : عندي اثنا رجال » .

(٥) في النسختين : « عن قياس الجمع » ، صوابه في إعراب الحماسة ، وذلك لأن الراجز
خرج عن أصل التثنية ، وجرى على قياس الجمع .

خصيه بما عليهما من الصَّفَن ، أو كَانَ ما عليهما منه بهما ، سَخَقُ جِرَاب فيه ثنتا حنظل ، فحذف اختصارًا ، أو عَلِمَا بما يعنيه . انتهى .

وأورده الشارح المحقق في باب الثنية . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله هناك في وجه ثنية تُخصى .

و (السَّحَق) بالفتح : الخَلَق . و (الحنظل) واحدها حنظلة . وروى عن أبي حاتم أنه قال : الحنظل ههنا الثوم . وأوردهما الأعلام (في حماسه) برواية : « ظَرْفُ عَجُوز » . وكتب في الهامش : شبه خصيته في استرخاء صفنها وتجلجل بيضتهما ، حين شاخ واسترخت جلدة استه ، بظرف عجوز ^(١) فيه حنظلتان . وخصَّ العجوز لأنها لا تستعمل الطيب ولا تتزيّن للرجال ، فيكون في ظرفها ما لا تتزيّن به ، ولكنها تدخر الحنظل ونحوه من الأدوية . ويحتمل أن يكون هذا في وصف شجاع لا يجبن في الحرب فتقلص خصيته . ويحتمل أن يكون هجواً . ووجهه أنه يصف شيخاً قد كبر وأسن ؛ ولذلك قال : ظرف عجوز ، لأنَّ ظرف العجوز خلَق متقبض فيه تشنج لقدمه ، فلذلك شبه جلد الخصية به للغضون التي فيه . والأولى أن يكون هجواً لذكره العجوز ، مع تصريحه بذكر الخصيتين . ومثل هذا لا يصلح للمدح . انتهى .

وهذا الكلام هو ما قاله أبو عبد الله التَّمَرِيُّ (في شرح الحماسة) ، وزيفه أبو محمد الأعرابي ، الشهير بالأسود القندجاني . قال (فيما كتبه على شرح التمرى) : قال أبو عبد الله : هذا يحتمل الذم والمدح ، إلا أن يكون له

(١) ش : « كظرف عجوز » .

تمام فيُحمل عليه ^(١) . فأما الذم فهو أن يصف شيخا قد اضطرب جلده
لكبر سنّه وهرمه . وأما المدح فهو أن الأبطال يوصفون ، إذا شهدوا الحرب ،
بطول الخُصى وقلة تقلُّصها . قال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل :

* لا تَقَعَنَّ البحرَ إلا سابحا *

قوله : « هذا يحتمل الذم والمدح » يدلُّ على أنه لم يمارس الأشعار
والأراجيز ، ولم يستقرِّ اللواوين . ومثل هذا البيت لا يعرف معناه قياسًا
إلا بمعرفة ما يتقدّمه من الأبيات . وقد أثبتُّها لك ههنا لكلا يشتبه عليك من
معنى البيت ما اشتبه على أئى عبد الله ، فتكونا زندين في مرقعة ^(٢) .

والأبيات لِخِطَامِ المجاشعي ، وهى من نوادر الرجز :

صاحب الشاهد

أشطر الشاهد

٣١٦

شبيهة العين بعينى مُغزِل	(ياربُّ بيضاءِ بُوغسي الأرمِل
وهى تُدَارِي ذاك بالتجَمُّل	فيها طِمَاحٌ عن حَلِيلِ حَنَكِل
ينفُضُ عطفَى تحضِلِ مرَجَل	قد شَغِفَتْ بناشئُ هَبْرَكِل
دَسَّ إليها برسول مُجَمِّل	يُحَسِّبُ مختالًا وإن لم يَحْتَلِ
فلم تزل عن زوجها المُحْتَشِلِ	عَنْ كَيْفِ بالوصلِ لكم أم كيف لي
وكلُّ ما أَكَلْتُ في محلِّل	ابعثْ وَكنْ في الرَّاثِحين أو كُلِ

(١) في النسختين : « فيعمل عليه » ، والوجه ما أثبت .

(٢) في أمثال الميداني ١ : ٢٩٢ : « قال أبو عبيد : نرى المرقعة كثانة أو خريطة قد رقت .

يضرب للرجل المحتقر لا يغنى شيئا » . والمراد هنا أنهما مستويان في الخسة . وانظر المستقصى ٢ :
١١١ وأساس البلاغة (زند) .

وَأَوْقَرَنَّ يَا هُدَيْتَ جَمْلِي حَتَّى إِذَا دَبَّ الرُّضَا فِي الْمِفْصَلِ
وَكَانَ فِي الْقَلْبِ تُحِيَّتَ الْمَسْغَلِ ثُمَّ غَدَا الشَّيْخُ لَهَا بِأَرْقَلِ
مِنَ الرُّضَا جَنْغَلِي التَّكْثِيلِ كَأَنَّ حُصَيْنِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ
ظَرْفٌ عَجُوزٍ فِيهِ ثَنَاتَا حَنْظَلِ لَمَّا غَدَا تَبَهَّلَتْ : لَا تَأْتَلِ
عَنْ : رَبِّ يَارَبِّ عَلَيْهِ عَجَلِ بِرَهْصَةٍ تَقْتُلُهُ أَوْ دُمْلِ
أَوْحِيَّةٌ تَعُضُّ فَوْقَ الْمِفْصَلِ)

قال أبو محمد الأعراي : فقولهُ « كَأَنَّ حُصَيْنِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ » أَذْمٌ ذَمٌّ
يَكُونُ فِي الشَّيْخِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمَا يَتَدَلِّيَانِ مِنَ الْكِبَرِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ .
قَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا أُحِبُّهُ أَنْ طَالَ حُصَيَاهُ وَقَصُرَ زُبُّهُ
يَقَالُ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ : النَّوْدَرِيُّ ^(١) . انْتَهَى مَا أوردته .

وبيضاء : امرأةٌ حسناء . والوعس : جمع وعساء ، وهى أرضٌ لينة ذات
رمل . والأرمل : جمع رمل . ومُغْزَلٌ : ظبية ذات غزال . شَبَّ عَيْنَهَا بَعِينَ الظُّبْيَةِ .
وَالطَّمَّاحُ بِالْكَسْرِ : الْجَمَّاحُ . وَالْحَلِيلُ : الزَّوْجُ . وَرَوَى : « خَلِيلٌ »
بِالْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ الصَّدِيقُ . وَالْحَنْكَلُ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ النُّونِ وَفَتْحِ الْكَافِ :
الْقَصِيرُ ، وَاللَّثِيمُ ، وَالْجَافِي الْغَلِيظُ . كَذَا فِي الْقَامُوسِ . وَتَدَارَى مِنَ الْمُدَارَاةِ .
وَالْتَجَمَّلُ : تَكَلَّفُ الْجَمِيلِ .

وقوله : « قَدْ شَغَفَتْ » هُوَ جَوَابُ رَبِّ . وَشَغَفَ الْهَوَى قَلْبَهُ ، مِنْ بَابِ
نَفَعَ ، إِذَا بَلَغَ شَغَافَهُ بِالْفَتْحِ ، أَيْ غِشَاءَهُ . وَالنَّاشِئُ ، مَهْمُوزُ الْآخِرِ ، وَهُوَ

(١) فِي اللَّسَانِ (دَر) : « النَّوْدَرِيُّ : الْعَظِيمُ الْحَصِينُ ، لَمْ يَسْتَعْمَلْ إِلَّا مَزِيدًا ، إِذَا لَا يَعْرِفُ
فِي الْكَلَامِ مِثْلَ دَر » .

الحَدَّث الذى جاوز حَدَّ الصَّغَر . والهَبْرُكل ، بفتح الهاء الموحدة وسكون الراء
 وفتح الكاف : الشابُّ الحسن الجِسْم . وينْفَضُ : يَحْرُك . والعِطْف ،
 بالكسر : الجانب . ونَفَضُ العِطْف كناية عن العُجْب والغرور . والخَضِيل ،
 بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين : الرُّطْب ، والناعم . أَيْ قَوَامٌ خَضِيل .
 والمرْجُل : الموشى والمزَيْن .

ويُحَسَب بالبناء للمفعول . والضمير للناشئ . والمُخْتَال : المعجَب
 بنفسه . وإن لم يَخْتَل ، أَيْ وإن لم يُعْجَب بنفسه ، وأصله يَخْتَال : حذفت
 الألف لالتقاء الساكنين بالجزم . ودَسَّ : أَرْسَلَ بخفية . والباء فى برسول
 زائدة . ومُجِمِل : اسم فاعل من أَجَمَلَ فى الطلب ، إذا رَفَقَ .
 وقوله : « عن كيف » إلخ عن لغة فى أَنْ ، وهى تفسيرية .
 والمُخْتَشِل : اسم فاعل من اخْتَشَلَ ، بالخاء والشين المعجمتين ، إذا ذَلَّ
 وضعُف .

والمِفْصَل ، بكسر الميم وفتح الصاد : اللسان . وتُحِيَّت : مصغر
 تحت . والمَسْعَل : محل السُعَال . والأزْفَل ، بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح
 الفاء : الغضب والحلَّة .

وقوله : « من الرضا ^(١) » إلخ من ابتدائية . وَجَنَعَدَل ، بفتح الجيم
 وضمها وفتح النون وسكون العين وفتح الدال : الصُّلْب الشديد . والتَكْتُل :
 الاكتناز . وتَبَهَّلت : تَضَرَّعت ، و دعت . ولا تَأْتلى : لا تقصُر .
 ٣١٧ وَعَنْ لغة فى أَنْ . وَرَبَّ منادى . والرَّهْصَة ، بفتح الراء : أَنْ يتلف
 باطنُ حافر الدابة من حجرٍ يَطْوُهُ .

واللُّؤْدِرَى ، بفتح الدال وسكون الواو وفتح الدال الثانية

(١) كُتِبَت « الرضا » فى الرجز وفى التفسير هنا بالياء فى ش . وهى صحيحة . وفى اللسان :
 « وتثنى الرضا رضوان ورضيان ، الأولى على الأصل ، والأخرى على المعاقبة » .

وكسر الراء وتشديد الياء ^(١) . وفيه لغة أخرى : دَرَدَرَى بالراء موضع الواو . وقال صاحب القاموس : هو الآدَر ، الطويل الخُصَيَّين ، والذي يذهب ويجمىء في غير حاجة .

وقال ابن المستوفى : ويروى قبل الرجز الشاهد قوله :

(تقول : يا رباه ، يارب هَلْ إن كنت من هذا منجى أحبلى
إما بتطليقي وإما بأرحلي أو أرم في وجعائه بدمل)

وقال العيني في هذا : الرجز لجندل بن المثنى . وفي (شرح الفصيح) قال ابن السيرافي : قاله سلمى الهذلية . انتهى .

أقول : شرح ابن السيرافي هذين البيتين (في شرح أبيات إصلاح المنطق) ولم يذكر هذه الأبيات الأربعة المتقدمة عليهما ، ولا نسب الرجز لأحد . وهذه عبارته : التدلل : تحرك الشيء المعلق واضطرابه . وظرف العجوز : الجراب الذي تجعل فيه حُبَزَها وما نحتاج إليه . وظرف العجوز خَلَقَ متقبض ، فيه تشنُّج لقدمه . شبَّه جلد الخُصية به ، للغُضون التي فيه . وشبَّه الأنثيين في الصَّفْنِ بمخنطلتين في جراب . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قال ابن السيرافي : حكى هذا الشاعر عن امرأة أنها دَعَتْ على زوجها وطلبت الراحة منه . وقولها : « هَلْ » أرادت هل تحسن

(١) ضبط في اللسان ضبط قلم بفتح الراء المخففة مع القصر ، وفي القاموس : « والدودي كبهري : الذي يذهب ويجمىء في غير حاجة ، والآدَر والطويل الخُصَيَّين ، كالدردي » . وذلك بتشديد الراء المفتوحة مع القصر أيضا .

إلى بتفريق ما بيني وبينه من الوصلة وعقد التزويج . والأحبل : جمع حبل ، وهو ما بينهما من العقد . ومنجى : خبر كنت ، وأسكن الياء من أجل القافية . وقوله : « إِمَّا بتطليق » : إِمَّا أَنْ يَطْلُقَ طَلَاقًا بَيْنَا . وإِمَّا أَنْ يَقُولَ ارْحَلْ ، يريد به الطلاق . وحذف المستفهم عنه ^(١) اعتمادًا على فهم السامع . وحذف جواب الشرط ، وهو إِنْ كُنْتَ مَنْجِيًّا لِي مِنْ هَذَا الرَّجُلِ فَافْعَلْ . وقوله : « أَوْ أَرْمِ فِي وَجْعَائِهِ » إلخ هذا البيت أورده العيني بعد الثلاثة وقال : الوجعاء ، بفتح الواو وسكون الجيم والمد : الاست .

وتقدمت ترجمة خطام المجاشعي في الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة ^(٢) .

٣١٨

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

٥٤٩ (فَطَافَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَكَانَ التَّكْيُورُ أَنْ تُضَيَّفُ وَتَجَارَ)

على أَنَّ العدد المميز بمذكر ومؤنث معًا المفصول بينه وبينهما بلفظ بين أو من ، أو بالمجموع ، إِنْ كَانَ المميزان يَوْمًا وَلَيْلَةً ، فَالغلبة للثاني ، فَإِنَّهُ اعتبر جانب المؤنث فذكر عدده . وَإِنْ كَانَ المميزان غير يوم وليلة فَالغلبة للتذكير .

(١) ط : « منه » ، صوابه في ش .

(٢) الخزائن ٢ : ٣١٨ .

(٣) في كتابه ٢ : ١٧٤ . وانظر المقرب ٦٨ والمنى ٦٦٠ وديوان النابغة الجعدي ٤١ .

وهاتان المسألتان صرَّح بهما سيبويه . وهذا نصه : وتقول : سار خمس عشرة من بين يوم وليلة ، لأنك أَلْقَيْتَ الاسم على الليالي ثم بَيَّنْتَ فقلت : من بين يوم وليلة . ألا ترى أنَّك تقول : لخمس بقين أو خلون ، وَيَعْلَمُ المخاطَبُ أنَّ الأيام قد دخلت في الليالي . فإذا أَلْقَى الاسم على الليالي اكتفى بذلك عن الأيام ، كما أنَّك تقول : أتيت ضحوة وبكرة ، فيعلم المخاطب أنَّها ضحوة ويومك وبكرة ويومك . وأشبه هذا في الكلام كثير . فإِثْمًا قوله : « من بين يوم وليلة » توكيدٌ بعد ما وقع على الليالي ، لأنه قد عُلِمَ أنَّ الأيام داخلةٌ مع الليالي . قال النابغة الجعدي :

فطافت ثلاثًا بين يوم وليلة يكون التكرير أنَّ تضيف وتجاراً

وتقول : أعطاه خمسة عشر من بين عبدٍ وجارية ، لا يكون في هذا إلا هذا ، لأنَّ المتكلم لا يجوز له أن يقول : خمسة عشر عبدًا فيعلم أنَّ ثَمَّ من الجوارى بعثتهم ، ولا خمس عشرة جارية فيعلم أنَّ ثَمَّ من العبيد بعثتهم ، فلا يكون هذا إلا مختلطًا ، ويقع عليهم الاسم الذي يبين به العدد . وقد يجوز في القياس خمسة عشر من بين يوم وليلة ، وليس بجحد كلام العرب . انتهى .

وقد عَمَّ الشارح المحقق في قوله : « الغلبة للتذكير ، نحو اشتريت عشرةً بين عبد وأمة ، ورأيت خمسة عشر من الثوق والجمال » . وفي المثالين أربع صور . والأوَّلُ ممن يعقل ، والثاني ممن لا يعقل ، وفي كلٍّ منهما إمَّا تقديم المذكر وإمَّا تأخيره . والحكم في الصُّور الأربع واحد ، وهو تأنيث العدد .

وهذا صريح قول سيبويه : لا يكون في هذا إلا هذا . وهذا هو الظاهر ، فإن المذكر عاقلاً كان أو غيره لشرفه يغلب على المؤنث ، قدّم أو أخر . وهذا يشمل ما لو كان مع غير عاقل ، نحو : اشتريت أربعة عشر بين عبد وناقة ، أو بين ناقة وعبد . وكذا يغلب مؤنث العاقل على غيره ، فتقول : اشتريت أربع عشرة بين جمل وأمة ، أو بين أمة وجمل . قال أبو حيّان : وهذا هو القياس .

وقد خالف الفراء في الثلاثة ^(١) الأخيرة من الأربع ^(٢) في عموم قول الشارح المحقق ، فأوجب تذكير العدد فيها لتغليب المؤنث ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ^(٣) ﴾ : وتقول : عندي ثلاثة بين غلام وجارية ، ولا يجوز هنا ثلاث . فإن قلت : بين ناقة وجمل غلبت الأنثى ولم تبال أبدأت بالجمل أو بالناقة ، فقلت : عندي خمس عشرة بين جمل وناقة . ولا يجوز أن تقول : عندي خمس عشرة أمة وعبدًا ، ولا بين أمة وعبد ^(٤) ، إلا بالتذكير ، لأن الذكران من غير ما ذكرت لك لا يُجْتَرَأُ ^(٥) منها بالإناث ، ولأن الذكر ^(٦) موسوم بغير سمة الأنثى . انتهى .

(١) ط : « في الثلاث » والأوفق ما أثبت من ش .

(٢) كنا في النسختين ، وهو جائز ، فإن المعلوم إذا لم يذكر جاز في العدد المطابقة وعدمها .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٤) ط : « بين عبد وأمة » ، وأثبت ما في ش ومعاني القرآن ١ : ١٥٢ .

(٥) ط : « لا تجترأ » ، وأثبت ما في ش ومعاني القرآن .

(٦) في معاني القرآن : « ولأن الذكر منها » .

ونقل ابن السكيت كلامه هذا بحروفه (في كتاب المؤنث والمذكر)
و (في كتاب إصلاح المنطق) .

ووافق أبو حيان الشارح فيمن يعقل وخالفه فيمن لا يعقل . قال (في
الارتشاف) : وإذا ميّزت عددًا مركبًا بمدّكر ومؤنث ذوّى عقل فالحكم في
العدد للمدّكر ، سواء أقدم التمييز المذكر أم أُخّر ، أو اتّصل بالمركب أو انفصل
بين ، أو كان المدّكر نصفًا أو أقل . تقول : اشتريت خمسة عشر عبدًا وأمة ،
أو أمة وعبدًا ، أو بين عبد وأمة ، أو بين أمة وعبد ، تغلب المدّكر ولو كان
واحدًا . فإن عدم العقل منهما فإمّا أن يتصل التمييزان بالمركب أو يفصل بين .
فإن اتّصل فالحكم للسابق منهما ، فتقول : اشتريت ستة عشر جملًا وناقة ،
وست عشرة ناقة وجملًا . وإن فصلت ^(١) بين فالحكم للمؤنث . تقول :
اشتريت ست عشرة بين جمل وناقة ، وست عشرة بين ناقة وجمل . انتهى .

وقول الشارح المحقق : إذا أبهمت الليالي ولم تُذكر ^(٢) جرى اللفظ على
التأنيث إن لم يجعله عند الإبهام من باب التغليب موافقةً لسيبويه ، إذ
لا يصدق عليه تعريف التغليب ، وهو أن تعمّ كلاً الصنفين بلفظ أحدهما ،
إذ لم يذكر عند الإبهام شيء من الليالي والأيام حتى يغلب ^(٣) أحدهما على
الآخر . وإمّا أراد الشارح أن الليالي مستلزمة للأيام ، والأيام تابعة لها وداخله

٣١٩

(١) ش : « فضل » .

(٢) في الرضى ٢ : ١٤٦ : « فلهذا إذا أبهمت ولم تذكر الأيام ولا الليالي جرى اللفظ على
التأنيث ، نحو قولك : أقام فلان خمسا » .

(٣) ش : « حتى تغلب » .

فيها ، كما قال سيبويه في : لخمس بقين . قال الزجاج في تفسير الآية المذكورة : معنى قوله عز وجل : ﴿ وَعَشْرًا ﴾ يدخل فيها الأيام . زعم سيبويه أنك إذا قلت لخمس بقين قد علم المخاطب أن الأيام داخله مع الليالي . وزعم غيره أن لفظ التأنيث مغلب في هذا الباب . انتهى .

وأراد بغير سيبويه الفراء ، فإنه زعم في تفسيره عند هذه الآية أنه تغليب . قال : لم يقل وعشرة ؛ لأن العرب إذا أبهت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي ، حتى إنهم ليقولون : صُمْنَا خمسًا من شهر رمضان ، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام . فإذا أظهروا مع العدد تفسيره كانت الإناث بطرح الهاء ، والذكران بالهاء ، كما قال الله تعالى : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ^(١) ﴾ . وإن جعلت العدد غير متصل بالأيام كما يتصل الحافض بما بعده غلبت الليالي أيضًا على الأيام . فإذا اختلطتا فكانت ليالي وأيامًا غلبت التأنيث فقلت : مضى له سبع ، ثم تقول بعد أيام : فيها برد شديد . وأما المختلط فقول الشاعر :

* أقامت ثلاثًا بين يومٍ وليلة *

فقال : ثلاثًا وفيها أيام . انتهى

ويرد عليه ما ذكر من أنه ليس من التغليب في شيء ، وهو أول من ذهب إليه . لا الزجاج ، فإنه حاكٍ للمذهبيين . ولا الزجاجي ، فإنه تلميذه .

(١) الآية ٧ من سورة الحاقة .

قال ابن مالك (في فصل التاريخ من شرح الكافية الشافية) . أول الشهر ليلة طلوع هلاله ، فلذلك أُوتِرَ في التاريخ قصْدُ الليالي واستغنى عن قصد الأيام ، لأنَّ كلَّ ليلة من أيام الشهر يتبعها يومٌ ، فأغناهم قصد المتبوع عن التابع . وليس هذا من التغليب ، لأنَّ التغليب هو أن تعمَّ كلا الصنفين بلفظ أحدهما ، كقولك : الرِّيدون والهندات خرجوا . فالوَأُو قد عمَّت الزيدين والهندات تغليباً للمذكَّر . وقولك : كُتِبَ لخمس خلون لا يتناول إلا الليالي ، والأيام مستغنى عن ذكرها ، لكون المراد مفهوماً . انتهى .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : التاريخ عدد الليالي والأيام بالنسبة إلى ما مضى من الشهر أو السنة وإلى ما بقى منهما . وفعله أَرَّخَ ووَرَّخَ ، تأريخاً وتوريخاً ، لغتان . فإن ذَكَرْتَ الليالي والأيام بالنسبة إلى السَّنة أو الشَّهر و ذَكَرْتَ العدد ، كان على جنسِهِ من تذكير وتأنيث . فتقول : سَيرت من شهر كذا خمسَ ليالٍ ، أو خمسةَ أَيَّامٍ . وإن لم تذكر المعلوم فالعرب تستغنى بالليالي عن الأيام فتقول : كُتِبَ لثلاث خَلَوْنَ من شهر كذا ، وليس من تغليب المؤنث على المذكَّر ، خلافاً لقوم منهم الرِّجَاجِيُّ . انتهى .

وقال ابن هشام (في المغنى) : قالوا : يغلب المؤنث على المذكَّر في مسألتين : إحداهما ضُبُعَان في ثنية ضُبُعٍ للمؤنث وضُبُعَان للمذكَّر ، إذ لم يقولوا ضُبُعَانَان . والثانية التاريخ ، فَإِنَّهُمْ أَرَّخُوا بِاللَّيَالِي دُونَ الْأَيَّامِ . ذكر ذلك الرِّجَاجِيُّ وجماعة . وهو سهوٌ ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ التَّغْلِيْبِ أَنْ يَجْتَمِعَ شَيْئَانِ فَيَجْرَى حَكْمُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . وَلَا هُنَا تَعْبِيرٌ عَنْ شَيْئَيْنِ

بلفظ أحدهما ، وإنَّما أرخت العربُ بالليالي لسبقها ، إذ كانت أشهرهم قمريةً ، والقمر إنَّما يطلع ليلاً . وإنَّما المسألة الصحيحة قولك : كتبته لثلاث بين يوم وليلة . وضابطه أن يكون معنًا عددٌ مميّزٌ بذكر كلاهما ممّا لا يعقل ، وفصلاً من العدد بكلمة بين . قال :

٣٢٠ . * فطافَتْ ثلاثاً بين يوم وليلة * انتهى

قال الشهاب ابن قاسم العبادي (فيما كتبه على هامش المغنى) : قد يكون الزّجاجيُّ عدّ اعتبار أحد الأمرين دون الآخر كما هنا نوعاً آخر من التغليب ، لأنّ في التغليب تقديم أحد الأمرين في الاعتبار على الآخر ، فلا يحكم بالسّهو عليه . فليُتأمل . انتهى .

وقول ابن هشام : قالوا : يغلب المؤنث على المذكر في مسألتين إلخ ، مأخوذ من (درّة الغوّاص للحريرى) قال فيها : من أصول العربية أنّه متى اجتمع المذكر والمؤنث غلب حكم المذكر على المؤنث ، إلّا في موضعين :

أحدهما : أنّك متى أردت تشنية المذكر والأنثى من الضّباع قلت ضُبّعان ، فأجريت التشنية على لفظ المؤنث الذى هو ضُبّع لا على لفظ المذكر الذى هو ضُبّعان . وإنَّما فعل ذلك فراراً مما كان يجتمع من الزوائد لو ثنى على لفظ المذكر .

والموضع الثانى : أنّهم فى باب التاريخ أرخوا بالليالي دون الأيام . وإنَّما فعلوا ذلك مراعاةً للأسبق ، والأسبق من الشهر ليلته . ومن كلامهم : سرنا عشراً من بين يوم وليلة . انتهى .

وفي كل من المسألتين نظر . أمّا الثانية فقد تقدّم الكلام عليها ، وردّ عليه ابن برّيّ (فيما كتبه على الدرة) وقال : ليس باب التاريخ ممّا غلب فيه المؤنث كالضُبُع ، بل هو محمول على الليالي فقط ، كقولك : كتبت لخمس خَلَوْنَ . فإن قلت : سرت خمسة عشر ما بين يوم وليلة فقد غلبت المؤنث على المذكر . انتهى . وأمّا الأولى فقد حكى الضُبُع المذكر فلا تغليب في تثنيته . حكى الدّميرى ^(١) (في حياة الحيوان) عن ابن الأنباريّ أنّ الضبع يطلق على الذكر والأنثى .

وكذلك حكاه ابن هشام الخضرأوى (في كتاب الإفصاح ، في فوائد الإيضاح للفارسي) عن أبي العباس وغيره . انتهى .

وكذلك حكى الدماميني (في الحاشية المصرية على المغنى) عن ابن الأنباريّ . ونقل الصاغاني (في العباب) عن الوزير صاحب بن عبّاد ، أنّه يقال ضُبُعَةٌ بالهاء ، وجمعه ضُبُوعٌ ، فيكون اسم جنس جمعيّ يفرق بينه وبين واحده بالتاء . ويقال أيضًا ضِبْعَانَةٌ مؤنث ضِبْعَان . وقال الفيومي في المصباح : الضُبُوع بضم الباء في لغة قيس ، ويسكونها في لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل يقع على الذكر والأنثى . وربما قيل في الأنثى ضُبُعَةٌ بالهاء ، كما قيل سَبُع وسَبُعَةٌ بالسكون مع الهاء ، للتخفيف . والذكر ضِبْعَانٌ والجمع ضِبَاعِيْنٌ ، مثل سِرْحَانٍ وسِرَاحِيْن . ويجمع الضُبُع بضم الباء على ضِبَاع ، ويسكونها على أَضْبُع . انتهى .

(١) نسبة إلى دميّة ، بفتح الدال . قال صاحب القاموس : « قرنتان بالسملونية » . وهو كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ . جمع كتابه وهو ابن ثلاثين سنة ودفن في ضريحه بالقاهرة بالحسينية في مسجده المعروف بالصواني . قاموس الأعلام للزركلي .

وقول (صاحب المغنى) : ولا يجتمع الليل والنهار ، أى لفظهما ، عند قصد الإبهام فى التاريخ ، نحو : كتب لخمسي خلون وسرنا خمساً ، وأربعة أشهر وعشرًا ، فإنه لم يذكر واحدًا منهما فضلًا عن اجتماعهما كما يتنا . فلا تعبير عن شيئين بلفظ أحدهما .

ونقل بعضهم كلام المغنى (فى شرحه على الدرة) وتعقبه بقوله : وفيه نظرٌ لا يخفى ، فإنَّ قوله لا يجتمع الليل والنهار ، إنَّ أراد فى الوجود فمسلَّم ، لكنَّه لا يفيد ، لأنَّ المراد بالاجتماع فى التغليب الاجتماعُ فى الحكم ، وإرادة المتكلم دلالة اللفظ الواقع فيه التغليب عليهما . انتهى .

وهذه الإرادة واهية ، إذ لا يتوهم أحد اجتماعهما فى الوجود ، وإنَّما المراد اجتماعهما فى اللفظ . فإذا لم يوجد فيه فلا تغليب . وهذا ظاهر .

وقول ابن هشام : وإنَّما المسألة الصحيحة ، أى لتغليب المؤنث على ٣٢١ المذكور فى التاريخ . إذ الكلام فيه ، وليس المعنى أنَّه لا يغلب المؤنث على المذكور إلَّا فى التاريخ ، إذ ليس الكلام على مطلق تغليب المؤنث على المذكور ، كما فهمه الدمامينى (فى الحاشية الهندية) . وقال معترضًا عليه : أقول لا اختصاص لهذه المسألة بالتاريخ ، فإنه يقال فى غيره : اشترت عشرة بين جملي وناقاة .

ويريد بالمثال أنَّه يغلب المؤنث على المذكور فى غير التاريخ كما هو مدلول سياق كلامه . ومثاله جارٍ على مذهب الفراء وأبى حيان . وأمَّا على ما ذكره الشارح المحقق فيجب أن يقول : اشترت عشرةً بالتأنيث ، لتغليب المذكور .

وقول ابن هشام : وضابطه أن يكون مَعْنَا إلخ أى ضابط تغليب المؤنث على المذكور فى التاريخ . ولا يردُّ اعتراض الدمامينى بقوله يقع التغليب ، بدون هذا الضابط ، كقوله تعالى : ﴿ أَرْبَعَةٌ أَشْهَرٌ وَعَشْرًا ^(١) ﴾ ، فإنَّ ابن هشام قد غلَط من قال بالتغليب فى نحوها ، فإنَّ الآية ليست من التغليب فى شىء كما تقدم بيانه .

وحاصل كلام ابن هشام أنَّ التاريخ يكون بلا تغليب ، كما فى نحو الآية ، ويكون بتغليب إذا كان داخلًا فى الضابطة المذكورة . والتغليب ^(٢) يكون فيه وفى غيره كما ذكره الشارح المحقق وغيره فى تلك الأمثلة .

وهذا مما أنعم الله به على من فهم كلام المغنى ؛ فإنَّ شراحه لم يهتدوا لمُراده . والله الحمد على ذلك .

ولنرجع من هنا إلى شرح البيت فنقول : وصف النابغة الجعدى به بقرّة وحشيّة أَكَل السَّبْع وَلَدَهَا فطافت - وروى : (أقامت) - ثلاثة أيام وثلاث ليال تطلّبه ، ولا إنكار عندها ولا غَنَاء إِلَّا الإضافة ، وهى الجزع والإشفاق ، والجوّار وهو الصّياح . والتّكثير : الإنكار ، وهو من المصادر التى أتت على فعيل ، كالنذير والعذير . وأكثر ما يأتى هذا النوع من المصادر فى الأصوات ، كاهدير والهديل . أى ما كان عندها حين فقدته إِلَّا الشفقة والصّياح ، وتُضيف مضارع أضاف إضافة .

وأورد البيت العسكرى (فى موضعين من كتاب التصحيف)

(١) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٢) ش : • والضابط • .

قال في الموضع الأول ^(١) : حدثنا أحمد بن يحيى قال : سمعت سلمة بن عاصم يقول : صَحَّفَ الكِسَائِيُّ في بيت التَّابِغَةِ الجَعْدَى فقال : هو تُصَيِّفُ ، بالصاد غير معجمة ، وتُصَيِّفُ أى تشفق . والإضافة : الشَّفَقَةُ . ويروى : « أَنْ تُصَيِّفَ » بفتح التاء ، أى تعِدِلْ ههنا مرة وههنا مرة . يقول : كان نَكِيرُهَا لَمَّا رَأَتْ الشَّلْوُ ، أَنْ تُشْفِقَ وَتَجَارُ ، لا شَيْءَ عندها غير ذلك .

وقال في الموضع الثانى ^(٢) : يروى : « تُصَيِّفُ » مضموم التاء والضاد معجمة . ويروى : « تُصَيِّفُ » مفتوح التاء فمن رواه بفتحها وهو الجعْدُ ، أراد تُشْفِقُ . ومنه قوله :

وكنْتُ إذا جَارِي دَعَا لِمَصُوفَةٍ أَشْمُرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِثْرِي ^(٣)
وفي الحديث : « حتى إذا تَضَيَّعَتِ الشَّمْسُ للغروب » بضاد معجمة ، أى مالت . ويقال ضاغت تُصَيِّفُ ضَيْفًا ، إذا مالت .

وأخبرني ابن الأنباري عن ثعلب قال : سئل ابنُ الأعرابي عن قوله حين تَضَيَّعَتْ فقال : لا أعرفه ، ولكن إن كان تَضَيَّعَتْ بصاد غير معجمة فهو حين تميل ، كما قال أبو زَيْد :

كُلُّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ مِنَّا بِرِشْقٍ فَمَصِيبٌ أَوْضَافٌ غَيْرَ بَعِيدٍ ^(٤) ٣٢٢

(١) كتاب التصحيف ١٢٦ .

(٢) كتاب التصحيف ٣٢٧ .

(٣) لأبي جنب الهذلي في ديوان الهذليين ٣ : ٩٢ واللسان (صيف) . وانظر المختص ١ : ٢١٤ وابن يعيش ١٠ : ٨١ والعيني ٤ : ٥٨٨ .

(٤) الصواب : « ترميه منها » ، كما في الديوان ٤٢ واللسان (رشق ، صيف) . وضمير « منها » عائد إلى « النون » في بيت قبله :

غلل المرء بالرجاء ويضحى غرضا للنون نصب العود

يقال : صاف السهم وضاف ، حُكِيَا جميعًا ، أى مال . وحكى
أبو بكر بن الخباز ^(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي : يقال صاف السهم
بصاد غير معجمة ، إذا أخطأ ، لم يقل عربى قطُّ ضاف منقوطة . وأنشد
غيره :

* فلما دخلناه أضفنا ظهورنا ^(٢) *

وضِيفْتُ فلانا ، إذا ملتَ إليه . وأضفته ، إذا أملتَه إليك . ومنه قيل
للدعى مضاف ، لأنه مسندٌ إلى قوم ليس منهم . انتهى .

وبعده :

(وألَفْتُ بيانا عند آخر معهدٍ إهابًا ومعبوطًا من الجوف أحمرًا
وخدًا كبرقوع الفتاة ملمعًا وروقين لما يغفلوا أن تقشرا)

أراد أنَّها وجدت عند آخر معهدٍ عهدته فيه ، ما بين لها وحقق
عندها أنَّ السبع أكله . ثم فسَّر ذلك البيان بما ذكره بعد ذلك . والإهاب :
الجلد . والمعبوط : الدَّم الطري . والروقان : القرنان . وشبه خدَّه لما فيه
من السَّواد ، ورَدَّع الدَّم والبياض ، ببرقوع فتاةٍ لأنَّ الفتيات يزِينْنَ براقعهن ،
ويقر الوحش بيض الألوان لا سوادَ فيها إلَّا في قوائمها وخلودها وأكفهاها .
وهذه الأبيات من قصيدة طويلة ، نحو مائتى بيت ، للنبأغة الجعدى
الصحابى ، أنشدَ جميعها للنبيِّ ﷺ . ومنها :

صاحب الشاهد

(١) فى التصحيح ٣٢٧ : « أبو بكر الخباز » .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٥٣ . وتامه فى التصحيح :

• إلى كل قينى جديد مقشب •

وفى الديوان :

• إلى كل حارى جديد مشطب •

(أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهَدْيِ وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَّةِ نِيرًا)
وهي من أحسن ما قيل في الفخر بالشجاعة ، وقد أوردنا منها آياتاً
كثيرة في ترجمته في الشاهد السادس والثمانين بعد المائة ^(١) .
ومن أواخرها :

(بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاوْنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو بَعْدَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
وَلَا خَيْرَ فِي حَلِيمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوُهُ أَنْ يَكْثُرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أُصْدِرَا)

والبيت الأول أوردته شرح الألفية لإبدال مجدنا بدل اشتغال من الضمير
المرفوع في قوله بلغنا . وروى على غير هذه الرواية ، وتقدم هناك . ويروى
بنصب « مجدنا » على أنه مفعول لأجله .

وأنشده صاحب الكشاف أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا
عَلِيًّا ﴾ ^(٢) ، على أن الحسن البصري فسر المكان بالجنة ، كما أن النابغة فسر
المظهر بالجنة لما سمع النبي ﷺ هذا البيت ، وقال له : إلى أين المظهر
يا أبا ليلى ^(٣) ؟ فقال له النبي ﷺ : « أجل إن شاء الله » .

ولما أنشده البيتين بعده قال له النبي ﷺ : « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ
فَاك ! » . فكان من أحسن الناس ثغرا ، وكان إذا سقطت له ثنية نبتت ،
وكان فوه كالبرد المتهلل ، يتلألأ ويبرق .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) الآية ٥٧ من سورة مريم .

(٣) حاشية ش : « هكنا بخط المصنف ، وفيه نقص . وفي طبقات ابن قتيبة : فقال إلى
الجنة . والذي في الأغاني : فقال النبي ﷺ : فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقلت : الجنة . فقال : قل إن
شاء الله . فقلت : إن شاء الله » . وانظر الشعراء لابن قتيبة ٢٨٩ والأغاني ٤ : ١٢٩ - ١٣٠ .

المذكر والمؤنث

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :
 ٥٥٠ (فقلتُ لها: أَصَبَتْ حَصَاةً قَلْبِي وَرُبَّتْ رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامِي)

على أَنَّ تاءَ التَّأْنِيثِ قد تلحق الحرفَ كَرَبَّ إذا كان مجرورها مؤنثا ،
 ليدلَّ من أَوَّلِ الأمرِ أَنَّ المجرور مؤنث . والمشهور أَنَّها تزداد في بعض الحروف
 للتأنيث اللفظي . والبيت قبله :

(رَمَتْنِي يَوْمَ ذَاتِ الْعَمْرِ سَلَمَى بِسَهْمٍ مُطْعِمٍ لِلصَّيْدِ لَامِ)

وذات الغمر : موضعٌ ، كذا ذكره ابن الأثير (في المرصع) . وأنشد
 قول قيس الهذلي :

سَقَى اللَّهُ ذَاتَ الْعَمْرِ وَبَلًّا وَدِيمَةً وَجَادَتْ عَلَيْهَا الْبَارِقَاتُ اللَّوَامِعُ

ولم أره في معجم البلدان ، ولا في معجم ما استعجم .

وسَلَمَى فاعل رمتني ، وهي اسم امرأة ، والباء متعلّقة برمتني .
 والسَّهْمُ : الثَّشَابُ : ولأم صفته ، أى عليه ريشٌ لَوَامٌ ، بضم اللام مهموز العين
 على وزن فُعَال . قال صاحب الصحاح : واللَّوَامُ : القُدْذُ الملتصمة ، وهي التي
 تلي بطنُ القُدْذِ منها ظهرُ الأخرى ، وهو أجود ما يكون . تقول منه : لَأُمْتُ
 السَّهْمِ لَأُمًا . ومُطْعِمٍ : اسم فاعل من أَطْعَم . وحَصَاةُ القلب : حَبَّتُهُ ^(٢) .
 والبيتان أنشدتهما الزمخشري (في المستقصى) ولم يعرُهما لأحد ، وقال :

(١) المستقصى للزمخشري ٢ : ١٠٥ .

(٢) ط : هـ حبتها ، صوابه في ش .

« رَبِّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ^(١) » : مَثَلٌ أَوَّلٌ مِنْ قَالِهِ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثِ
الْمِنْقَرِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ نَذَرَ لِيَذِيحَنَّ مَهَاءَةً عَلَى الْعَبَّابِ ،
فَرَامَ صَيْدَهَا أَيَّامًا فَلَمْ يَمَكْنَهُ ، فَكَانَ يَرْجِعُ مُخْفِقًا حَتَّى هَمَّ بِقَتْلِ نَفْسِهِ
مَكَانَهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ مَطْعِمٌ : احْمِلْنِي أُرْفِدْكَ . فَقَالَ : مَا أَحْمِلُ مِنْ رَعِشِ
رَهْلٍ جَبَانٍ فَشَلٍ ! فَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى حَمَلَهُ ، فَرَمَى الْحَكَمُ مَهَائَتَيْنِ فَأَخْطَأَهُمَا ،
فَلَمَّا عَرَضَتْ الثَّالِثَةُ رَمَاهَا مَطْعِمٌ فَأَصَابَهَا فَعِنْدَهَا قَالَ الْحَكَمُ ذَلِكَ . يُضْرَبُ فِي
فَلْتَةِ إِحْسَانٍ مِنَ الْمَسِيءِ . انْتَهَى .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ ^(٢) :

(يَا صَاحِبَا رُبَّتْ إِنْسَانٍ حَسَنٌ)

٥٥١

عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَجْرُورٌ رُبَّتْ مَذْكُورًا عَلَى خِلَافِ الْأَوَّلِ . وَيَجُوزُ أَنْ
يُرِيدَ بِالْإِنْسَانِ الْمُؤَنَّثِ فَيُؤَافِقُ مَا قَبْلَهُ . وَالْإِنْسَانُ مِنَ النَّاسِ اسْمٌ جِنْسِي يَقَعُ
عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَالْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

وَهَذَا الْإِلْتِمَامُ لَيْسَ بِبَلَاغٍ . عَلَى أَنَّ بَقِيَّةَ الرِّجْزِ يَمْنَعُ مَا أَوَّلَهُ ، كَمَا سَيَأْتِي .
قَالَ أَبُو عَلِيٍّ (فِي كِتَابِ الشَّعْرِ) : وَلَحِقَتْ بَعْضُ الْحُرُوفِ تَاءُ
الثَّانِيَةِ ، وَذَلِكَ رَبُّ وَرَبَّتْ ، وَثُمَّ وَثُمْتُ ، وَلَا وَلَاتِ . قَالَ :

ثُمْتُ لَا تَجْزُونَنِي عِنْدَ ذَاكُمُ وَلَكِنْ سَيَجْزِينِي إِلَالَهُ فَيُعْقِبَا ^(٣)

وَأُنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

(١) نَصُ الْمَثَلِ فِي الْمُسْتَقْصَى : « رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ » . وَعِنْدَ الْمُسْكِرِيِّ ١ : ٤٩ وَالْمِيدَانِيِّ ١ :

٣٧٣ وَفَصْلُ الْمَقَالِ ٤٣ : « رَبُّ رَمِيَّةٍ » بِزِيَادَةِ « رَبِّ » ، كَمَا هُنَا . وَكَذَا فِي الْفَاخِرِ ١٤٣ .

(٢) ش : « الْوَاحِدُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ الْخَمْسَمِائَةِ » . وَانْظُرْ لِلشَّاهِدِ نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ ١٠٣ وَابْنِ

بَيْعِشٍ ٨ : ٣٢ .

(٣) لِلْأَعْنَى فِي دِيْوَانِهِ ٩٠ . وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ ١ : ٤٢٢ .

يا صاحباً رُبِّتَ إنسانٍ حسنٍ يسألُ عنكَ اليومُ أو يسألُ عن
 وقياس مَنْ يسكنُ التاءَ في ثَمْتُ ورُبِّتَ أَنْ يقفَ عليها بالتاءَ ، كما يقفُ
 على ضَرَبْتُ . وقياس من حَرَكَ أَنْ يقفَ بالهاء كما يقف على كَيْت وذَيْت .
 انتهى .

أنظر الشاهد

والبيت من رَجَزٍ أوردَه أبو زيد (في نوادره) :
 (يا صاحباً رُبِّتَ إنسانٍ حسنٍ يسألُ عنكَ اليومُ أو يسألُ عن
 إِنَّا على طُولِ الكلالِ والتونِ مما نقيمُ الميلَ من ذاتِ الضَّعْنِ
 نسوقُها سنّاً وبعضِ السُّوقِ سَنَ حَتَّى تراها وكأنَّ وكانَّ
 * أعناقُها مشربَّاتٌ في قَرْنٍ *)

٣٢٤

قال أبو زيد : ليست التاء (١) في رُبِّتَ للتأنيث ، فلهذا جاز أَنْ
 يَقُولَ (٢) رُبِّتَ إنسان (٣) . انتهى .

وقوله : « يا صاحباً » أصله يا صاحبي ، فالألف أصلها ياء . ويسألُ
 جواب رُبِّ ، وهو العامل في محل مجرورها . وقوله : « أو يسألُ عن » معطوف
 على يسألُ عنكَ ، وكلاهما بياء الغيبة . أراد : يسألُ عنى بياء المتكلم .
 وقوله : « إِنَّا على » إلخ بكسر الهمزة ابتداء كلام . وعلى بمعنى مع .
 والكلال : مصدر كلَّ يَكِلُّ ، من باب ضرب ، إذا تعب وأعيا . والتونُ ،

(١) ش : « ليس التاء » .

(٢) ط : « أن تقول » بالتاء ، وأثبت ما في ش .

(٣) لم أعر على هذا التعليق في النواذر المطبوعة .

بفتح التاء والواو ، وهو التوانى . قال صاحب الصحاح : وتوانى فى حاجته ، أى قصر . وقول الأعشى :

ولا يدعُ الحمد ، بل يشتري بوشك الطنون ولا بالتون^(١)

أراد بالتوان ، فحذف الألف لاجتماع الساكنين ، لأنَّ القافية موقوفة . والضَّعْن بكسر الضاد وفتح الغين المعجمتين : جمع ضِعْن يسكون الوسط . قال صاحب الصحاح : إذا قيل فى الناقة : هى ذات ضِعْن فإنما يراد نزاعها إلى وطنها .

والسَّن بفتح السين المهملة ، قال الرِّياشِيّ : هو أسرع السير . والقَرَن ، بفتح القاف والراء : حبل يقرن به البعيران . والمشرَّيات ، بفتح الراء المشددة ، قال أبو حاتم والرياشي والمازني : هى المُدْخَلات ، من قوله : ﴿ وأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ^(٢) ﴾ . وقال أبو الحسن الأخفش : ومن روى : « مسرَّيات » بالسين المهملة فإنه يذهب الى أنها تُسَرَّبُ فى القَرَن ، أى تذهب فيه وتجيء . من قوله تعالى : ﴿ وسارِبٌ بالنَّهار ^(٣) ﴾ .

وقول الشارح المحقق : وتلحق ، أى التاء ، ثُمَّ أَيْضًا إِذَا عَطَفَتْ بِهَا قِصَّةٌ عَلَى قِصَّةٍ ، لا مفردا على مفرد . هذا هو المشهور . وقد رأيت فى شعر رؤية بن العجاج عَطَفَ المفرد بها . قال :

فإن تكن سوائق الحِمام ساقطهم للبلد الشَّام

فبالسَّلام تُمَتَّ السَّلام

(١) فى الديوان ٢١ : « أو يشتريه » . وهو الصواب إن شاء الله . وانظر الصحاح واللسان

(ونى) .

(٢) الآية ٩٣ من البقرة .

(٣) الآية ١٠ من سورة الرعد .

وكذلك استعملها ابن مالك في جموع التكسير من (الألفية) قال :

أَفْعَلَةٌ أَفْعُلْ ثُمَّ فَعَلَهُ ثُمَّتْ أَفْعَالٌ جَموعُ قَلَّ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٢ (لقد أَغْلُوْا على أَشَقَّ رَ يَغْتَالُ الصَّحَارِيَّ)

على أَنَّهُ جمع صحراء ، فلما قلبت الألف بعد الراء في الجمع ياءً قلبت
الهمزة التي أصلها أَلِفُ التَّأْنِيثِ أيضًا .

قال ابن جنى (في سر الصناعة) : قد اطَّرد عنهم قلب أَلِفِ التَّأْنِيثِ
همزة ^(٢) . والقول في ذلك أَنَّ الهمزة في صحراء وبابها إِنَّمَا هِيَ بَدَلٌ مِنْ أَلِفِ
التَّأْنِيثِ ، كالتى في نحو حُبْلَى وسَكْرَى ، إِلَّا أَنَّهَا فِي صَفَرَاءَ وَقَعَتِ الألف بعد
أَلِفِ قَبْلِهَا زَائِدَةً ، فَالْتَقَى أَلْفَانِ زَائِدَتَانِ وَلَمْ يَجْزُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا الحذف .
أَمَّا الأَوَّلَى فَلَوْ حَذَفَتْهَا لَا نَفَرَدَتِ الآخِرَةُ ، وَهَمَّ قَدْ بَنَوْا الكَلِمَةَ عَلَى اجْتِمَاعِ
أَلْفَيْنِ فِيهَا . وَأَمَّا الآخِرَةُ فَلَوْ حَذَفَتْهَا لَزَالَتِ سَلَامَةُ التَّأْنِيثِ ^(٣) . وَأَمَّا الحِركَةُ
فَقَالَ سَيَبَوِيه : إِنَّهُ لَمَّا انْجَزَمَ الحِرْفَانُ حَرَكَتِ الثَّانِيَةُ فَانْقَلَبَتْ هَمْزَةً ، فَصَارَتْ :
صَفَرَاءَ وَصَحْرَاءَ .

٣٢٥

(١) سر الصناعة ١ : ٩٧ والإنصاف ٨١٦ وابن يعيش ٥ : ٥٨ والمقرب ١٠٧ وشرح
شواهد الشافية ٥ .

(٢) بعده في سر الصناعة : « وذلك نحو حمراء وصفراء وصحراء ، وأربعاء ، وعשרاء ،
ورحضاء ، وقاصعاء ، وما أشبه ذلك » .

(٣) في سر الصناعة : « لزال علامة التأنيث التي سمت الكلمة بها . وهذا أفحش من
الأول . فقد بطل حذف شيء منها » .

فإن قيل : ولم زعمت أنَّ الثانية منقلبة ، وهلاً زعمت أنها زيدت للتأنيث همزة في أول أحوالها ؟ فالجواب من وجهين :

أحدهما : أننا لم نرهم في غير هذا الموضع أنثوا بالهمزة ، إنما يؤنثون بالتاء أو بالألف ، فكان حمل همزة التأنيث في نحو صحراء على أنها بدل من ألف التأنيث لما ذكرنا أخرى .

والوجه الآخر : أننا قد رأيناهم لما جمعوا بعض ما فيه همزة التأنيث أبدلوا في الجمع ولم يحققوها البتة ، وذلك قولهم في جمع صحراء وصلفاء : صحارى وصلافى ، ولم نسمعهم أظهروا همزة في شيء من ذلك ، فقالوا صحارى وصلافى . ولو كانت همزة فهن غير منقلبة لجاءت في الجمع . ألا تراهم قالوا : كوكب دُرّى وكواكب درارى ، وقراء وقراءى ، ووضاء ووضائى ، فجاءوا بالهمزة في الجمع لما كانت غير منقلبة ، بل موجودة في قرأت ودرأت ووضؤت . فهذه دلالة قاطعة .

فإن قيل : فما الذى دعاهم إلى قلبها في الجمع ياءً ، وهلاً تركوها ملفوظاً بها كما كانت في الواحدة فقالوا صحارى وصلافى ؟ فالجواب أنها إنما كانت انقلبت وأصلها الألف ، لاجتماع الألفين ، وهذه صورتها صحراً ، وصلفاً ، فلما التقت ألفان اضطرّوا إلى تحريك إحداها فجعلوها الثانية ، لأنّها حرف الإعراب ، فصارت صحراء وصلفاء .

وحال الجمع ما أذكره ، وذلك أنك إذا صرت إلى الجمع لزمت أن تقلب الأولى ياء لانكسار الراء في صحارى قبلها ، كما تنقلب ألف قرطاس ياء

في قراطيس ، فكذلك تنقلب ألف صحراء الأولى ياء فتصير في التقدير :
 صحارى ا وصلافى ا ، فتقع الياء الساكنة قبل الألف الأخيرة الراجعة عن
 الهمزة لزوال الألف [من قبلها ، فتتنقلب الألف ياءً لوقوع الياء ساكنة قبلها ،
 وتدغم الأولى المنقلبة عن الألف ^(١)] الزائدة في الياء الأخيرة المنقلبة عن ألف
 التانيث ، فيصير صحارى . أنشد أبو العباس للوليد بن يزيد :

لقد أغدو على أشقَّ رَ يغتال الصحارياً

وقال آخر

إذا جاشت حوائيه ترامت ومدته البطاحي الرغاب ^(٢)

جمع بطحاء . وكذلك ما حكاه الأصمعي من قولهم : صلافي
 وخباري ، جمع صلفاء وخبراء . فهذا استدللنا على أن الهمزة في صحراء وبابها
 بدل من ألف التانيث . انتهى .

وهذا أصل كل جمع لنحو صحراء ، ثم يخفف بحذف الياء الأولى
 فيصير صحارى ، بكسر الراء وتخفيف الياء ، مثل مداري ، ثم يبدل من
 الكسرة فتحة فتتنقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، كما فعلوا في
 مدارى . وهذان الوجهان هما المستعملان ، والأول أصل متروك يوجد في
 الشعر :

وقوله : (لقد أغدو) مضارع غدا غلواً من باب قعد ، إذا ذهب

(١) التكملة من سر الصناعة .

(٢) ش . حواله « مع أثر تصحيح ، وما أثبت من ط يوافق سر الصناعة وابن يعيش ٥ :

٥٨ . وكلمة « ترامت » ساقطة من النسختين ثابتة في سر الصناعة وابن يعيش ٥ : ٥٨ .

غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس . و (الأشقر) من الخيل : الذى حمرة صافية . والشُّقْرة فى الإنسان : حمرة يعلوها بياض . و (يفتال) : يُهلك ، يقال اغتاله ، أى أهلكه . وعين الفعل واو . استعار يفتال لقطع المسافة بسرعة شديدة ، فأنَّ أصل اغتاله بمعنى قتله على غيرة وغفلة . و (الصحراء) : البرِّيَّة . وقال الليث : الصحراء : الفضاء الواسع . وقال النضر : الصَّحْراء من الأرض : الملساء ، مثل ظهر الدابة الأجرد ، ليس بها شجرة ولا آكام ولا جبال .

٣٢٦

ولم أقف على تنمة هذا الشعر . وهو للوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . وتقدّمت ترجمته فى الشاهد التاسع عشر بعد المائة ^(١) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الخمسمائة ^(٢) :

٥٥٣ (مَتَى كُنَّا لَأُمِّكَ مَقْتَوِيْنَا)

على أَنَّ مَقْتَوِيْنَا جمع مَقْتَوَى بياء النسبة المشدّدة ، فلما جُمع جمع تصحيح حذفت ياء النسبة . والمَقْتَوَى بفتح الميم : نسبة إلى المَقْتَى بفتحها ، فقلبت الألف واوًا فى النسبة ، كما تقول مَعْلَوَى فى النسبة إلى مَعْلَى . والمَقْتَى مصلرٌ ميمى . قال صاحب الصحاح : القَتْو : الخِدمة ، وقد قَتوت أَقْتو قَتَوًا وَمَقْتَى ، أى خدمت ، مثل غزوت أَغْزَو غَزَوًا وَمَغْزَى . قال :

(١) الخزائن ٢ : ٢٢٨ .

(٢) نوادر أنى زيد ١٨٨ والخصائص ٢ : ٣٠٢ والنصف ٢ : ١٣٣ والتصریح ٢ : ٣٧٧

ويس ١ : ٢/٧٣ : ٣٧٧ .

إِنِّي امرؤ من بنى فزارة لا أحسنُ قَتو الملوِكِ والحَبِيا^(١)

ويقال للخادم مَقْتَوًى ، بفتح الميم وتشديد الياء ، كأنه منسوب إلى المَقْتَى . ويجوز تخفيف ياء النسبة ، كما قال عمرو بن كلثوم :

* مَتَى كُنَّا لَأُمِّكَ مَقْتَوِينَا * انتهى

قال ابن جنى (فى الخصائص) : كان قياسه إذا جمع أن يقال مَقْتَوُونٌ ومَقْتَوِيَّينَ ، كما إذا جمع بَصَرًى وكوفى قيل : كَوْفُونٌ وبَصَرِيُونٌ ، إلا أنه جعل علم الجمع معاقباً لياء النسبة ، فصَحَّت اللام لنية الإضافة إلى النسبة ، ولولا ذلك لوجب حذفها لالتقاء الساكنين ، وأن يقال مَقْتَوُونٌ ومَقْتَوِيَّينَ ، كما يقال : هم الأَعْلَوْنُ وهم المصطفون . فقد ترى^(٢) إلى تعويض علم الجمع من ياء النسبة . الجميعُ زائدٌ^(٣) . انتهى .

ثم قال صاحب الصحاح : قال أبو عبيدة : قال رجلٌ من بنى الحرماز : هذا رجلٌ مَقْتَوِيٌّ وهذا رجلان مَقْتَوِيَّينَ ورجالٌ مَقْتَوِيَّينَ ، كله سواء . وكذلك المؤنث . وهم الذين يعملون للناس بطعام بطونهم .. قال سيبويه^(٤) : سألت الخليل عن مَقْتَوًى ومَقْتَوِيَّينَ فقال : هذا بمنزلة الأشعرى والأشعرين . انتهى .

والواو من مقتوين فى رواية أوى عبيد مكسورة ، والنون منونة بالرفع . وزاد عليه أبو زيد (فى نوادره) فتح الواو ، قال : رجلٌ مَقْتَوِيٌّ ورجالٌ

(١) مجالس نعلب ٥٣٤ وشرح القصائد السبع ٤٠٣ ويس ٢ : ٣٧٧ واللسان (خب) ، قتا .

(٢) ط : نرى ، وأثبت ما فى ش والخصائص .

(٣) أوى وكلها زائد . وفى النسختين : زائدا ، صوابه فى الخصائص .

(٤) سيبويه ٣ : ٤١٠ هارون .

مَقْتَوَيْنَ ، وكذلك المرأة والنساء ، وهو الذى يخدم القوم بطعام بطنه . وقال عمرو بن كلثوم :

تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُويْدَا متى كُنَّا لَأُمِّكَ مَقْتَوَيْنَا

الواو مفتوحة ، وبعضهم يكسرها ، أى متى كُنَّا خدماً لَأُمِّكَ . انتهى .

وقد تكلَّم أبو على (فى كتاب الشعر) على هذه اللفظة وبين وجوه استعمالها ، مع شرح كلام أبى زيد وغيره ، فلا بأس بإيراد كلامه ، وإن كان فيه طول . قال : أنشد أبو زيد :

* متى كنا لَأُمِّكَ مَقْتَوَيْنَا *

قالوا : رجل مَقْتَوَى وقالوا فى الجمع مَقْتُون ، كما قالوا أشعريٌّ وأشعرون ، فحذفوا ياءى النسب مع الجمع بالواو فى هذين الموضعين ونحوهما . فأما تصحيحهم الواو فإن شئت قلت صححوها فى الجمع الذى على حدّ الثنية ، كما صححوها فى جمع التكسير حيث قالوا مَقَاتوة ، كما أنهم لما حذفوا ياءى النسب فى الجمع على حدّ الثنية حذفوها فى التكسير ، فقالوا : المهالبة . وإن شئت قلت : بنوا مَقْتُون على الجمع ، كما بنوا مذروران على حدّ الثنية . ألا ترى أنهم لم يفرّدوا الواحد منه بغير حرف الثنية ، كما لم يفرّدوا واحد مذروران وإنما استعمل واحدٌ بحرف التَّسْب مَقْتَوَى .

وفيه قول آخر ، وهو أنَّ الواو صَحَّتْ لَمَّا كانت النسبة مرادةً فى الكلمة ، فصَحَّتْ بالواو مع الحذف كما صَحَّتْ مع الإثبات ، ليكون تصحيحها دلالة على إرادة النسب ، كما صَحَّتْ الواو والياء فى عَوْر وصِيَد ،

ليعلم أنَّ الفعل لمعنى ما يلزم تصحيح الواو فيه . وكذلك ازدوجوا واعتوروا .
ألا ترى أنَّك لو بنيت منه افتعلوا ، لا تريد فيه معنى تفاعلوا ، لأعللت .
فإنَّما النون فقد فتحت كما فتحت في مُسلمون ، وقد جعلت حرف الإعراب ،
كما جعلت في سنين ونحوه حرف الإعراب . حكى ذلك عن أبي عبيدة ،
وحكاها أبو زيد ، إلا أنَّ أبا زيد حكى الفتح والكسر فيما قبل الياء فيمن جعل
النون حرف إعراب ، وحكى جميعاً : رجلٌ مقتونٌ ورجلانٍ مقتونين ورجالٌ
مقتونين . قال أبو زيد : وكذلك المرأة والنساء .

فإنَّما ما انفرد أبو زيد بحكايته من كسر الواو التي قبل الياء وفتحها ،
فالأصل فيه الكسر ، ألا ترى أنَّك لو أثبتَّ ياء النسب لقلت مقتونون ، فإذا
حذفتها وأنت تريدُها وجب تقدير الكسرة ، كما كانت تقدَّر مع الياءين
لو أثبتَّهما . فالذى فتح إنما أبدل من كسرة الواو الفتحة ، كما أبدل الكسرة
من الفتحة في قوله :

* ولكنِّي أُريد به الدُّونيا (٢) *

فأبدل من الفتحة في الواو الكسرة . يدلُّك على أنَّ الأصل فيها الفتحة
قوله تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٢) . وإنَّما جاز ذلك في الفتحة والكسرة
لأنَّهما كالثلثين . ألا ترى أنَّهم قد حرَّكوا بالفتح مكان الكسر في جميع
مالا ينصرف ، وجعلوا النصب والجرَّ على لفظ واحد في التثنية وضربَي الجمع
المسلَّم في التانيث والتذكير . فكما كانت كلُّ واحدة من الكسرة والفتحة في

(١) هو الشاهد ١٦ من الخزانة كما أنه من شواهد سيويه ٢ : ٤٣ بولاق . وصدده :

• فلا أعنى بذلك أسفليكم •

(٢) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

هذه المواضع بمنزلة الأخرى ، كذلك جاز أن تفتح الواو وتكسر من مقتوين فيما رواه أبو زيد . فأما إجراؤه الكلمة وهي جمع على الواحد فيما اجتمع أبو زيد وأبو عبيدة في حكايته ، فوجهه أنه قد جاء : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ^(١) ﴾ ولم يكن أُمّهات . فكما أجرى الواحد على الجميع ، كذلك في مقتوين وصف الواحد بالجميع . وكان الذي حسن ذلك أنه في الأصل مصدر . ألا ترى أنه مفعول من القَتَو ، والمصدر يكون للواحد والجميع على لفظ واحد ، فلما دخله الواو والنون وكنا معاقبين لياء النسب صارتا كأنهما لغير معنى الجمع ، كما كانتا في ثُبَّة وثُرة لَمَّا كانتا عوضاً من اللام المحذوفة لم يكونا على حالهما في غير ما هما فيه عوض . ألا ترى أن نحو طلحة لا يجمع بالواو والنون . فجرى مَقْتَوُونَ على الواحد والجميع كما يجرى المصدر عليهما . وهذا الاعتلال يستمر في قول من لم يجعل النون حرف إعراب وفي قول من جعلها حرف إعراب . ألا ترى أن من قال سنين فجعل النون حرف إعراب فهو في إرادته الجمع كالذي لم يجعلها حرف إعراب . ومن هذا الباب إنشاد من أنشد :

* قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحُسَيْنِ قَدِي ^(٢) *

من أنشدّه على الجمع أراد الحسين ونسب إلى أبي حبيب ، يريدّه ويريد شيعته . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ ^(٣) ﴾ أراد النسب إلى الياس . وكما جُمع هذا النحو على حدّ التثنية كذلك جمع على

(١) الآية ٧٠ من سورة آل عمران .

(٢) هو الشاهد ٤٠٣ من الخزنة . واختلف في نسبة قائله .

(٣) الآية ١٣٠ من سورة الصافات . وانظر الإتحاف ٣٧٠ .

التكسير في نحو المهالبة والمناذرة . ومن هذا الباب : الأعجمون في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ^(١) ﴾ . ومن زعم أنَّ أعجمين جمع أعجم فقد غلط ، لأنَّ نحو أعجم لا يجمع بالواو والنون ، كما أنَّ عجماء لا تجمع بالألف والتاء إذا كانت صفة . فإثما أعجمون جمع أعجمي ، وحذف ياء النسب . وإثما أعجم وأعجمي مثل أحمر وأحمرى ، يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر . إلا أنَّ حكم اللفظ مختلف .

فأما الألف في قوله مقتونينا فتحتمل ضربين : من قال مَقْتَوَيْنِ فالألف بدل من التثنية كالتي في رأيت رجلا . ومن قال هؤلاء مَقْتَوُونَ وَمَقْتَوَيْنِ فالألف للإطلاق ، كقوله :

* أَقْلَى اللوم عاذِلَ والعتابا ^(٢) * انتهى .

وفيه لغة أخرى وهى ضم الميم ، ولم أر مَنْ ذكرها ومن شرحها غير أبى الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) وغير أبى على . قال (فى أواخر البغداديات) : قد كتبنا فى هذه الأجزاء وفى غيرها شرح قوله :

* متى كنا لأُمك مُقْتَوِينَا *

ودلّلنا على صحّة قول الخليل فيه ، من أنّه جمّع يراد به النسب على حدّ الأعجمين والأشعرين ، بتصحيح لام الفعل ، وأنّ ذلك إنّما صحّ كما صحّ عَوِرُوا واجتَوَرُوا . وهذا دليلٌ بين على صحّة قول الخليل . فأما ما أنشدناه أبو الحسن الأخفش ليزيد بن الحكم ، قوله :

(١) الآية ١٩٨ من سورة الشعراء .

(٢) لجريز ، وهو الشاهد ٤ من الخزانة ١ : ٦٩ . وعجزه :

* وقول إن أصبت لقد أصابا *

تَبْدُلُ خَلِيلًا بِي كَشَكْلِكَ شَكْلُهُ فَإِنِّي خَلِيلًا صَالِحًا بِكَ مُقْتَوِي

فإنَّه أنشدناه عن أحمد بن يحيى مُقْتَوِي بضم الميم ، وهكذا صَحَّتْهُ .

وحدثنا عن أحمد بن يحيى أنَّه قال : المُقْتَوِي من الخدمة . وهو عندنا كما قال . وشرحه أنَّه مُفْعِلٌ ، فالواو الصحيح في الكلمة لامُ الفعل ، والياء منقلبة عن اللام الزائدة وأصله واو . والدليل على ذلك أنَّه مثل احممرت ، فأما الواو فصَحَّتْ كما صَحَّتْ في ارعويت ونحوه ، إذ لا يجوز أن يتوالى في الكلمة إعلال لامين ، ولا إعلال عين ولام ، لم يوجد ذلك في شيء إلا فيما حُكِمَ له بالقلَّة .

وفي هذه القصيدة حروفٌ آخرٌ مثلها ، وهو قوله « مُخَجَرِي » ، و « مُدَحَوِي » ، وهو من حجا ودحا .

ويدلُّك أيضًا على ما ذكرنا من أنَّ مُقْتَوِي في البيت مُفْعِلٌ ، وأنَّ الميم ليس بمفتوح ، إنما هو ميم مُفْعِلٌ ، تعدِّيهِ إلى قوله خليلا . والمفتوحة الميم لا تتعدَّى إلى شيء ، لأنَّه ليس باسم فاعل .

فإن قلت : أَرَأَيْتَ مُفْعِلٌ نحو مُرْعَوٍ متعدِّيا في موضع ، فيجوز تعدِّي هذا الذي في البيت ؟ أو ليس هذا الباب يجيء كله غير متعدٍّ ؟ فالقول فيه أنَّ هذا الباب من اسم الفاعل كما قلت غير متعدٍّ ، كما أنَّ فعله كذلك ، إِلَّا أنَّ الشاعر للضرورة يجوز أن يكون حمل ذلك على المعنى فعَّاه . والمعنى : فَإِنِّي خَلِيلًا بِكَ خَادِمٌ . فحمله على هذا المعنى وعَّاه . وإن شئت أضمرت شيئاً دلَّ عليه مُقْتَوِي فتنصبه به . انتهى .

وتبعه ابن جنى (فى المحتسب) قال : قالوا : ارعوى افعل^(١) ، واقتوى
أى خدم وساس ، فمقتوى فى بيت يزيد مَفْعَل^(٢) من الفَتَو ، وهو الخدمة .
وخليلاً عندنا منصوب بفعل مضمر ، يدل عليه مقتو ، وذلك أَنَّ افْعَلَ^(٣)
لا يتعدى إلى المفعول به ، فكأنه قال : فإني أُخْلِمُ أو أُسُوس ، أو أتعهد
أو أستبدل بك خليلاً . ودل مقتو على ذلك الفعل . انتهى .

وقد شرحنا قصيدة يزيد بن الحكم فى أول باب المفعول معه ، فى
الشاهد الثمانين بعد المائة^(٤) .

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ، تقدّم سببها وشرح أبيات
٣٢٩ منها مع ترجمته فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة^(٥) .

وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد

(بأى مشيئة عمرو بن هند	تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
بأى مشيئة عمرو بن هند	نكون لقليلكم فيها قطينا
تهذنا وأوعدنا رويدا	متى كنا لأملك مقتوينا
فإن قناتنا يا عمرو أعيت	على الأعداء قبلك أن تلينا

قوله : « بأى مشيئة » متعلق بتطيع . وعمرو منادى مبني على الضم .
قال شراح المعلقة : هو منصوب على أنه إتياع لقوله ابن هند كما قيل مِئْتِن ،
فأتبعوا الميم التاء ، والقياس الضم .

(١) ط : « افعل » ، وهو جائز على أصل الوزن قبل الإدغام .

وما أثبت من ش يطابق المحتسب ٢ : ٢٥ .

(٢) فى المحتسب : « مفعَل » ، وما هنا صوابه .

(٣) ط : « افعل » ، صوابه فى ش والمحتسب ٢ : ٢٦ .

(٤) الخزانة ٣ : ١٣٢ ، ١٣٩ .

(٥) الخزانة ٣ : ١٨٣ - ١٨٥ .

وعمر بن هند هو ملك الحيرة في الجاهلية ، قتله صاحب هذه المعلقة ، وتقدم سبب قتله هناك .

وتزدرينا : تحتقنا . والمعنى : أى شئ دعاك إلى هذه المشيئة ، ولم يظهر منا ضعف يُطمع الملك فينا حتى يُصغى إلى من يشئ بنا عنده ، ويُغريه بنا فيحقرنا ؟ وتقدير تطيع بنا ، أى فى أمرنا . والقيل بفتح القاف : من هو دون الملك . وفيها ، أى فى المشيئة . والقطين : جمع قاطن ، من قطن بالمكان إذا أقام فيه . يقول : كيف شئت يا عمرو أن نكون خدماً ورعايا لمن وليتموه أمرنا ، أى ما دعاك إلى هذه المشيئة ولم يظهر منا ضعف يُطمع الملك فينا .

وقوله : « تهذنا وأوعدنا رويداً » هذا استهزاء به . وهو بالجزم على أنه أمر ، أى ترفق في تهذنا وإيعادنا ، ولا تبالغ فيهما ، متى كنّا خدماً لأملك حتى نهتمّ بهديك ووعيدك إيانا ؟! وروى : « تهذنا وتوعدنا » بالمضارع على الإخبار . ثم قال رويداً ، أى دع الوعيد والتهديد وأهمله . قال شراح المعلقة : قالوا : وعدته فى الخير والشر ، فإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الشر قلت : أوعدته .

وذكر ابن الأنباري أنه يقال وعدت الرجل خيراً وشرّاً ، وأوعدته خيراً وشرّاً . فإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته . وإذا لم تذكر الشر قلت : أوعدته .

وقوله : « فإن قاتنا » إلخ قال الزوزنى : العرب تستعير للعز اسم القناة . يقول : إن قاتنا أبت أن تلين لأعدائنا قبلك . يريد أن عزهم أى أن يزول بمحاربة أعدائهم ، لأن عزهم منيع لا يرام .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٤ (كَسَامِعَتْنِي شَاةٌ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ)

على أنه إذا كان المؤنث اللفظي حقيقياً التذكير جاز في ضميره التذكير والتأنيث . وشاة هنا مؤنثة لفظاً ، ومعناها الثور الوحشي ، وقد رجع إليه ضميره في وصفه وهو مفرد مذكر ، رعايةً لجهة المعنى .

قال ابن السكيت (في كتاب المؤنث والمذكر) : ما جاءك من الجمع مثل الشاء والبقر والحصى فهذا اسمٌ موضوع ، فإذا أرادت العرب أفراد واجده قالوا : شاة ، للمذكر والأنثى .

ولم يُردّ بالهاء ههنا التأنيث المحض ، إنما أرادوا الواحد ، فكبروها أن يقولوا : عندى جراد ، وهم يريدون الواحد من الجراد ، فلا يعرف جمعٌ من واحد ، فجعلت الهاء دليلاً على الواحد . فهذا قياس مطرد . وهذا عجزٌ ، وصدرة :

(مؤلّلتانِ تُعرفُ العِتَقَ فيهما)

وقبله :

(وصادقتا سَمْعَ التَّوَجُّسِ لِلسُّرَى لَجَرَسٍ خَفِيٍّ أَوْ لَصَوْتٍ مَنْدٍ)
 صاحب الناحد وهما من معلقة طرفة بن العبد المشهورة . وصف ناقته بعدة أبيات إلى أن ٣٣٠ وصف أذنيها فقال : « وصادقتا سَمْعَ » إلخ يعني أذنيها ، أى لا تكذبها إذا سمعت شيئاً . والتَّوَجُّسُ : الخوف والحذر من شيء يُسَمَعُ . وقوله : « للسُّرَى » أى فى السُّرَى . والجَرَسُ بفتح الجيم : الصوت الخففى . والمندد بفتح الدال المشددة : الصوت المرفوع المبيّن .

(١) شروح المعلقات ، واللسان (شوه) .

وقوله : (مؤلّتان) صفة صادقتا ، أى محدّدتان كتحديد الآلة ، بفتح
الهمزة وتشديد اللام ، وهى الحرّبة . ويريد أن أذنيها كالحرّبة فى الانتصاب .
و (العتق) : الكرم والتّجابه . أى أنت تتبيّن الكرم فيهما إذا نظرت إليهما ،
لتحديدهما وقلة وبرهما . قال الخطيب التبريزى : العتق هنا فى الأذنين : أن
لا يكون فى داخلهما وبر ، فهو أجود . والسّامعتان : الأذنان .

قال شراح المعلقة : (الشاة) هنا : الثور الوحشى ، ولهذا قال مفرد بلا
هاء . و (حومل) اسم رملة ، لا ينصرف . وشبه أذنى ناقته بأذنى تور
وحشى ، لتحديدهما وصدق سمعهما . وأذن الوحشى أصدق من عينه .
وجعله مفرداً لأنّه أشدّ توجّساً وحذراً ، إذ ليس معه وحش يلهيه ويشغله ،
فانفراده أشدّ لسمعه وارتياحه .

وترجمة طرفه بن العبد تقدّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد
المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده .

(فلا مُزَنَةٌ ودَقَّتْ ودَقَّها ولا أرضٌ أبقلَ إبقالها)

تقدّم شرحه مفصّلاً فى الشاهد الثانى أول الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الخمسائة (٣) :

٥٥٥ حَلَفْتُ بِهِدْيِ مُشْعَرٍ بَكَرَّائِهِ يَحُبُّ بِصَحْرَاءِ الْعَبِيطِ دَرَادِقَهُ (

(١) الخزانة ٢ : ٤١٩ - ٤٢٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥ - ٥٥ .

(٣) الحماسة ١٧٤٦ بشرح المرزوق .

على أَنَّ تَأْنِيثَ نحو الزينبات مجازي لا يجب له تَأْنِيثُ المسند ، بدليل البيت ،
فإن البكرات كالزینبات ولم يُوْثِّثْ له المسند ، وهو مُشْعَر .
وهذا ظاهر .

وقد خطأ المبرد (في كتاب الروضة) قَوْلُ أُنَى نَوَاس :
كَمَنَّ الشُّنَّانُ مِنْهُ لَنَا كَكُمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِهِ

وقال : كان يجب أن يقول في حجرها ، لأنَّ النار مؤنثة . وأجابوا عنه
بأنَّ أبا نَوَاس أراد : كَكُمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِ الْكُمُونِ .

والبيت من قصيدة لعارق الطائي ، عدتها في رواية أُنَى تمام في الحماسة
أحد عشر بيتا ، وفي رواية : الأعلم (في حماسه) أربعة عشر بيتا . وبعده
وهو آخر القصيدة :

(لئن لم تَغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَأَتُنَجِّحَنَّ لِلْعَظِيمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ)
وهذا البيت سَمَّى عَارِقًا ، واسمه قيس كما يأتي .

خاطب بها عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقيل أخاه المنذر بن المنذر بن
ماء السماء . كان أحدهما بعث جيشًا للغزو فلم يصيبوا أحدًا وأخفقوا ، فمروا
بجى من طييء في جَمَى الملك فاستاقوهم ، وكان قد أُرْعَاهِم الحمى وكتب لهم
بذلك عهدا ، فلما قَدِمُوا بهم إلى الملك شاورَ فيهم زُرارة بن عُدْس الدارمي ،
فأشار عليه بقتل المقاتلة منهم ، واستعباد ذراريهم ، فقام رجلٌ منهم وقال :
هذا كتابك لنا . فأجرى عليهم الملك رزقًا ، فارتحل عارق هذا الشعر ، فلما
سمعه الملك أحسن إليهم وخلقى سبيلهم .

وقوله : (حلفتُ بهدي) إلخ الهدى : ما يُهْدَى إلى الحرم من النعم .
يقال أهديت الهدى إلى الحرم ، أى سقته إليه . و (مُشْعَر) : اسم مفعول

من الإشعار ، وهو أن يُطعن في السَّنام فيسيل الدم عليه ، فيستدلّ بذلك على كونه هَذِيًّا . وجعل الهَذْيَ دألاً على الجنس . وما بعده صفته ، وهو مشعرٌ ، وبكراته مرفوع بمشعر ، وهو جمع بكرة ، وهى الشَّابَّة من الإبل . وخبٌّ يخبُّ خبيًا ، كطلب يطلب طلبا . والخبب : ضربٌ من العدو ، وهو خَطُو فسيح . والباءُ بمعنى فى . و (الغبيط) بفتح الغين المعجمة وكسر الموحدة : موضعٌ قريب من فلج في طريق البصرة إلى مكة . و (اللَرَادِق) : جمع دَرَق كجعفر ، وهو صغار الإبل . والضمير في بكراته ودراده للهذى .

وقوله : « لئن لم تغيّر » إلخ هذه اللام هى اللام الموطئة ، وطأت الجواب الآتى للقسم الذى قبل الشرط ، سواء كان القسم قبلها موجوداً كما هنا أو غير موجود كقوله تعالى : ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون ^(١) ﴾ . ولا يجوز أن تكون هذه اللام لام جواب القسم بأن يكون الجواب للشرط ، ومجموع الشرط وجوابه جواب القسم ، إذ لو كانت كذلك لجاز جزم الفعل فى قولك : لئن أكرمتنى أكرمك ، بالجزم ، والتالى باطل والمقدّم مثله . وقد أجمع النحاة على أن الفعل الثانى واجب الرفع . فإن قلت : فما جواب الشرط ؟ قلت : محذوف دلّ عليه جواب القسم . و « تغيّر » بالخطاب ، وروى بالغيبة على البناء للمفعول ورفع بعض . وقوله : « لأنتحين » اللام لام جواب القسم ، وأنتحين مؤكّد بالنون الخفيفة جوابٌ للقسم فى البيت قبله وهو حلفت . والانتحاء للشيء : التعرّض له ، والاعتماد والميل . وروى : « لأنتحين العظم » بنون التوكيد الثقيلة وبلام

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

التعريف بعدها . وذو صفة للعظم ، وهو في لغة طييء بمعنى الذى . وجملة « أنا عارقهُ » صلته . وبه أوردته الزمخشري (في المفصل) قال : ومن الموصولات ذو الطائية . وأنشد البيت .

وعارق اسم فاعل من عرقت العظم عرقاً ، من باب قتل : أكلت ما عليه من اللحم . جعل شكواه كالعرق ، وجعل ما بعده إن لم يغير ما صنعه تأثيراً في العظم . يقول : حلفت أيها الملك بقرايين الحرم وقد أعلمت بكرائتها بعلامة الإهداء ، يخب بصحراء ذلك الموضع صغارها ، إن لم تعير بعض ما صنعه ، ولم تتدارك ما فاتنا من عدلك لأميلن على كسر العظم الذى أخذت ما عليه من اللحم . جعل شكواه وتقبيحه لما أتاه كالعرق ، وجعل ما بعده إن لم يغير تأثيراً في العظم نفسه . وقد أحسن في التوعد ، وفي الكناية عن فعله وعما بهم به (١) بعده . ومعناه : أكسر عظمكم بعد هذا التهديد ، إن لم ترجعوا عن هذا الظلم (٢) .

وعارق اسمه قيس بن جررة بن سيف (٣) بن وائلة بن عمرو بن مالك بن أمان ، ويقال لأولاده الأجيون ، لإقامتهم بأجاً ، وهو أحد جلي طي . وأمان هو ابن ربيعة بن جرول بن ثعل الطائي . كذا في جمهرة الأنساب . ويقال له الأجي لما ذكرنا . وهو شاعر جاهلي أورد أبو تمام من شعره في عدة مواضع من الحماسة .

* * *

(١) ط : « وعماهم » ، وأثبت ما في ش .

(٢) ش : « كعب » ، صوابه في ش ومعجم المرزباني ٣١٦ .

(٣) في معجم المرزباني : « بن سيف بن مالك بن عمرو بن أمان » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) : ٣٣٢

٥٥٦

(لو كنت من مازن لم تستبح إلى

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا)

على أن (بنون) لتغير مفردة في الجمع أشبه جمع المكسر ، فجاز تأنيث الفعل المسند إليه ، كما يجوز في الأبناء الذي هو جمع مكسر ، كما أسند في البيت (لم تستبح) بقاء التأنيث في أوله إلى بنو .

وهذا ظاهر .

والبيت أول أبيات ثمانية ، هي أول الحماسة ، لقريط بن أنيف صاحب الشاهد العنبري . وبعله :

(إذن لقام بنصرى معشر حشن
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
لكن قومي وإن كانوا ذوى عدى
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
كان ربك لم يخلق لخشيتيه
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا
عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
طاروا إليه زرافات ووحدانا
في النائبات على ما قال برهانا
ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
ومن إساءة أهل السوء إحسانا
سيواهم من جميع الناس إنسانا
شنوا الإغارة فرسانا وركبانا)

قال أبو عبيدة : أغار ناس من بنى شيبان على رجل من بنى العنبر ، يقال له قريط بن أنيف ، فأخذوا له ثلاثين بعيرا ، فاستجد قومه فلم ينجئوه ، فأتى مازن تميم فركب معه نفر فآطردوا لبنى شيبان مائة بعير ، فدفعوها إليه ، فقال هذه الأبيات . انتهى .

(١) الحماسة ٢٣ بشرح المازني ، والمغنى ٢١ ، ٢٥٧ والأشمونى ٤ : ٤٣ واللسان (تيم

ومازن هنا هو ابن مالك بن عمرو بن تميم ، أخى العنبر بن عمرو بن تميم . وإذا كان كذلك فمدحُ هذا الشاعر لهم يجرى مجرى الافتخار بهم .

قال المرزوق : قصد الشاعرُ فى هذه الأبيات إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ، لا إلى ذمهم . وكيف يذمهم ويؤال الذم راجع إليه ؟ لكنه سلك طريقة كبشة أخت عمرو بن معديكرب فى قولها :

ودع عنك عمراً إنَّ عمراً مسالماً وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمَطْعَمٍ

فإنها لا تهجو أخاها ، وعمرو هو الذى كان يُعدُّ بألف فارس ، ولكنَّ مرادها تهبيجه .

و (الاستباحة) : الإباحة . وقيل الإباحة : التخلية بين الشيء وبين طالبه ، والاستباحة : اتخاذ الشيء مباحاً . والأصل فى الإباحة إظهار الشيء للناظر ليتناوله مَنْ شاء ، ومنه : باح بسرّه . (واللقيطة) : إنَّما ألحق بها الهاء ، وإن كانت فعلاً بمعنى مفعول ، لأنَّها جعلت اسماً ولم تتبع موصوفا كالذبيحة . كذا فى شروح الحماسة . ولا مناسبة للقيطة هنا لأنَّها فزارية ، لا اتَّصال لها بذهل بن شيبان . والصواب : (بنو الشَّقيقة) كما يأتى .

وأوَّل من شرح على « اللقيطة » وأتبعوه : أبو عبد الله التمرى ، أوَّل من شرح الحماسة . قال : اللقيطة نَبْرٌ نَبَزَهُم الشاعر به ، وليس بنسبٍ لهم ، جعل أمهم ملقوطة ، وأخرجها مخرج النطيحة والرمية . هذا كلامه .

وردَّ عليه الأسود أبو محمد الأعرابى ، (فيما كتبه على ذلك الشرح)

قال : هذا موضع المثل « أَوَّلُ الدَّنِّ دُرْدِيُّ » . هذا أول بيت من الحماسة
 ٣٣٣ جهل جهة الصَّواب في صحَّةِ متنه واستواءِ نظامه ، فاشتغل بوزن اللَّقِيطة
 وذكر النطيحة . والصواب إن شاء الله ما أنشدناه أبو الندى ، وذكر أنَّه
 لقريط بن أنيف العنبري :

لو كنتُ من مازن لم تستبحِ إيلي بنو الشَّقِيقة من ذُهل بن شيبانا

قال : الشَّقِيقة هي بنت عبَّاد بن زيد بن عوف بن ذُهل بن شيبان .
 وهي أمُّ سيار ، وسمير ، وعبد الله ، وعمرو ، أولاد سعد بن همام بن مرَّة بن
 ذُهل بن شيبان . وهم سيارَّة مرَّدة ، ليس يأتون على شيءٍ إلا أفسدوه .

قال : وأمَّا اللَّقِيطة ، وليس هذا موضعها ، فهي أمُّ حصن بن حذيفة
 وإخوته ، وهم خمسة ، واسمها نُضَيِّرة بنت عُصيم بن مروان بن وهب بن
 بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة . وإنما ألحق بها هذا الاسم لأنَّ
 أباهم لم يكن له ولد غيرها ، والعرب ذاك الدَّهر تمد الجوارى ، فلما رآها
 انتشرت نفسه عليها ورَّق لها ، وقال لأُمِّها : استرضعيها وأخفيها من النَّاس .
 فكان أول من فطَن لها حَمَل بن بدر ، فقال لأخيه حذيفة ، وتحتة العُذْرِيَّة
 ليس له ولدٌ إلا منها ، وهو مسهر ، وبه كان يكتنى : مالك لا تتزوَّج وتجمع
 النساء تُرزق منك عُضْدًا . قال : ومن لى بالنساء تُشْبِهُنِي وتلائمنِي ؟ قد
 علمت ما لقيتُ من العُذْرِيَّة وطلبها . قال : قد التقطتُ لك امرأة ترضاهها
 وتشبهك . قال : من هي ؟ قال : بنتُ عُصيم بن مروان بن وهب . قال :
 وإنَّ له لبنتنا ؟ قال : نعم . قال : فإني لم أسمع بها . قال : كانت مُخْفَاة وقد
 خُبِرَتْ خبرها . قال : فأنت رسولِي إلى عُصيم فيها . قال : فأتاه فزوَّجها إيَّاهَا .

وبهذا سُمِّيت اللقيطة . وهى أم حصن ، ومالك ، ومعاوية ، وورد ، وشريك ، بنى حذيفة . وإياهم عَنَى زِيَان بن سَيَّارٍ بقوله :
أَعَدَدْتُهَا لِبْنَى اللَّقِيْطَةِ فَوْقَهَا رُمَحٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ وَشَلِيلٌ^(١)

انتهى كلام الأسود . وما أوردته فى تسمية اللقيطة خلاف ما قاله السَّكْرِيُّ (فى شرح ديوان حسان بن ثابت) قال : اللقيطة : أم حصن بن حذيفة ، كانت سَقَطَتْ منهم فى نُجْعَةٍ وهى صغيرة ، فأخذت فسميت اللقيطة .

وكذا قال ياقوت (فى أنساب العرب) قال : وحصن بن حذيفة ، هو ابن اللقيطة ، لأنَّ قومها انتجعوا فسقطت وهى طفل ، فالتقطها قومٌ فردوها عليهم . انتهى . والله أعلم .

وقوله : « إِذْنٌ لِّقَامِ بَنَصْرَى » إلخ يأتى إن شاء الله الكلام على إعراب هذا البيت فى إِذْنٍ من نواصب الفعل . وقام بالأمر : تكفل به . وحُشِنَ بضمينين : جمع حَشِينٍ وقيل أَخَشِنَ ، وضَمَّةُ الشين للإِتِّبَاعِ . والحفيظة : الغضب فى الشيء الذى يجب عليك حفظه . واللؤثة بضم اللام : الضعف ، وهى الرواية الصحيحة ، وبالفتح : القوة والشدة . والأوَّلُ أُسْدٌ ؛ لأنَّ مراده التعريضُ بقومه ليغضبوا أو يهتاجوا لنصرته .

وقوله : « قوم إذا الشر » إلخ الناجذ بالجيم والذال المعجمة : ضرس الحُلم ، زائد . والناجذ : مثل لاشتداد الشر ، كما يقال : كثرَ الحربُ عن

(١) الشليل ، بالشين المعجمة : الدرع . ط : « وسليل » ، صوابه فى ش والفضليات

نابه ^(١) كذا في شرح الطبرسي . وقال غيره : الناجذ : أقصى الأضرار ، كنى بإبدائه عن كشف الحال ورفع المجاملة . واستعمال الناجذ للشر استعارة لاشتداد أمره . وطاروا : أسرعوا إلى دفعه ولم يتثاقلوا ، والثَّرَافَة ، بفتح الزاى ، قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : معناها الجماعة ، سميت بذلك للزيادة التي في الاجتماع والتضام ^(٢) . ومنه التزريف ، للزيادة في الحديث ، يقال زرف في كلامه ، أى زاد فيه . ومنه الثَّرَافَة لطول عنقها وزيادته على المعتاد المألوف فيما قُدِّها . ووَحْدَان : جمع واحد ، كصاحب وصُحبان ، بمعنى منفردين .

وقوله : « لا يسألون أخاهم » إلخ قال ابن جنى : ليس يندبهم هنا من التذبة التي هي التفجع ، وإنما هي بمعنى الاستغاثة . غير أن أصلهما واحد ، وهو ما اجتمع فيه من معنى الخصوص والعناية .

والبرهان : الدليل ، فُعْلَالٌ لا فُعْلَانُ ، لقولهم : برهنت عليه ، أى أقيمت الدليل . وأخو القوم : الواحد منهم . واستشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ^(٣) على أن الأخ يطلق ويراد به الواحد من القوم كما في البيت . وفي البيت تعريضٌ بقومه . وقوله : « لكن قومي » إلخ يعنى إن قومي وإن كان فيهم كثرة عدد

(١) الحرب ، بمعنى القتال ، مسكن الراء ، مؤنث . وحكى ابن الأعرابي فيها التذكير . وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه كره اللقاء تلنظى حرابه

وقد تكون الحرب فتح فكسر ، وهو الفضبان .

(٢) في إعراب الحماسة الورقة ٥ : « والتضام فيه » .

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الشعراء .

وَعُدَّةٌ لیسوا من دفع الشرِّ فی شیء وإن كان فیهِ خَفَّةٌ وقَلَّةٌ . وفیه مطابقةٌ ،
 حیث قابل الشرطَ بالشرط فی الصُّدر والعجز ، والعدد والكثرة بالهُون والخَفَّةُ .
 ویريد أنَّهم یؤثرون السلامة ما أمکن ، ولو أرادوا الانتقام لَقَدَرُوا یَعْددهم .

وقوله : « یجزون من ظُلم » هذا البیت وما بعده استشهد بهما أهل
 البدیع علی النوع المسمی : « إخراج الذمِّ مُخرج المدح » . ونَبَّهَ بالیبتین علی
 أنَّ احتمالهم إنَّما هو لاحتماب الأجر علی زعمهم ، فكأنَّ الله لم یخلق لَخوفه
 غیرهم . وقوله : « سواهم » استثناء مقلَّم من إنسان .

وقوله : « فلیت لی بهم » أورده ابن هشام (فی حرف الباء من المغنی)
 علی أنَّ الباء فی بهم للبدلیة . وقال ابن جنی : لیست الإغارة هنا مفعولاً به ،
 بل هی منتصبه علی المفعول لأجله ، أی شُلُّوا للإغارة فرساناً وركبائاً ، أی فی
 هذه الحال .

وقُرِيط بن أُثیف ، بضم القاف وفتح الراء . وأثیف بضم الهمزة وفتح
 النون . وهو شاعر إسلامی . قاله الخطیب التِّیریزی فی الحماسة .
 وقد تَبَعْتُ كتب الشعراء وتراجهم فلم أظفر له بترجمة .

* * *

وَأُنشد بعده :

(بَحْرانَ یَعصِرَنَّ السَّلِيطَ أَقاربه)

وتقدَّم شرحه مفصلاً فی الشاهد السادس والسبعین بعد الثلاثئة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٧ (مع الصُّبْح رَكَبٌ من أُحَاظَةٍ مُجْفِلٌ)

على أَنَّ اسم الجمع بعضه كالركب يجوز تذكيره وتأنينه ، وفي الشعر جاء مذكراً ، فإنه عاد الضمير عليه من مُجْفِل بالتذكير ، ولو أُثِّ لقليل مجفلة . ومجفل صفة ثانية لركب .

وهذا عجز بيت ، وصلده :

(فَعَبْتُ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا)

والبيت من القصيدة المشهورة بلامية العرب ، للشَّنْفَرَى . وهذه أبيات صاحب الشاهد منها متصلة به :

أبيات الشاهد	سَرَّتْ قَرِيًّا أَحْنَأُهَا تَتَصَلَّصُ	(وتشربُ أُسَارَى القَطَا الكُدْرُ بعدما
	وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلٌ	هَمَّتْ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ
	يَبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونْ وَحَوْصَلُ	فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِه
	أَضَامِيمُ مِنْ سَفَرِ الْقِبَائِلِ نُزُلُ	كَأَنَّ وَغَاها حَجَرِيَّهْ وَحَوْلَه
٣٣٥	كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مِنْهُلُ	تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْه فَضَمَّهَا
	البيت (.....)	فَعَبْتُ غِشَاشًا)

وقوله : « وتشربُ أُسَارَى » إلخ الأسار بفتح الهمزة : جمع سؤر ، وهو بقية الماء . يريد أنَّه يسبق القطا إذا سايَرها في طلب الماء لسرعته ، فتد بعده وتشرب سؤره ، مع أَنَّ القطا أسرع الطير ورودًا . وأُسَارَى : مفعول تشرب ، والقطا فاعله ، والكدر صفته .

والقطا ثلاثة أُضرب : أحدها كُدريّ ، وهى الغُبْرُ الألوان ، الرُقش
الظهور ، والبطون ، والصُفْرُ الحلق .

ثانيها : جُونِيّ بضم الجيم ، وهى سود الأجنحة والبطون ، وهى أكبر
من الكدر (١) ، وتُعَدُّ جُونِيَّةً بكُدريّتين ، وهى منسوبة إلى الجونة ، وهى
الذهمة . والكُدريّ منسوبٌ إلى الكُدرة ، وهى الغبوة .

ثالثها : غَطَاطٌ ، وهى غُبْرُ البطون والظهور ، سودُ بطون الأجنحة ،
طوال الأرجل والأعناق ، لطاف الأجسام ، لا تجتمع أسراباً ، أكثرُ ما تكون
ثلاثاً أو اثنين . كذا فى (شرح أدب الكاتب) لابن برى ، واللبلبى .
وسرّيتُ ، إذا سِرَتْ فى أول الليل ؛ وأسريتُ ، إذا سِرَتْ فى آخره .
وقيل : بل هما لغتان .

والقَرَبُ ، بفتح القاف والراء ، قال الخطيب التّبريزى (فى شرح
القصيدة) : هو ورود الماء . يقال قَرِبْتُ الماءَ أَقْرَبُهُ ، إذا وردته . وليلة القَرَبُ :
ليلة ورود الماء .

وقال الزمخشريّ (فى شرحها) : قَرَباً : حال من ضمير سَرَتْ . والقَرَبُ :
السير إلى الماء بينك وبينه ليلة . قال الأصمعيّ : قلت لأعرابيّ : ما القَرَبُ ؟
فقال : سير الليل لورود الغد . وقال الخليل : القارب : طالب الماء ليلاً ، ولا
يقال لطالب الماء نهراً . انتهى .

والأحناء : جمع حنو ، بكسر المهملة وسكون النون ، هو الجانب .
ويتصلصل : يصوّت . قال الخطيب : وروايتى « أَحشاؤها » وهو أجود
عندى . ويقال لليابس : سمعت صلصلة ، أى صوتاً من يُيسه .

(١) ش : الكدري .

والصلصال : الفَخَّار . يقول : تَتَصَلَّصِلُ ^(١) أَجَوَافُهَا مِنَ الْعَطَشِ لَيْبِسَهَا .
 وقوله : « هَمَمْتُ وَهَمْتُ » إلخ هَمْتُ أَنَا وَهَمْتُ الْقَطَا . وابتدلنا :
 استبقنا . وَأَسْدَلْتُ : أَرَحْتُ جَنَاحَهَا وَكَفَّتْ عَنِ الطَّيْرَانِ لَتَعِيَهَا . قال
 الخطيب : وَحِظْتُ « وَابْتَدَلْنَا وَقَصَّرْتُ » ، يريد أَنَّ الْقَطَا عَجَزَتْ عَنِ الْعَلْوِ
 وَهُوَ لَمْ يَكِلْ . وَشَمَّرَ : خَفَّ . وَالْفَارِطُ ، بِالْفَاءِ : الْمُتَقَلِّمُ . وَالْمَتَمَهِّلُ :
 الْمَتَأَنِّي . وَفِيهِ مِبَالِغَةٌ وَتَجْرِيدٌ .

وقوله : « فَوَلَّيْتُ عَنْهَا » إلخ تَكْبَرُ : تَنْسَاقُ الْقَطَا إِلَى عُقْرِ الْحَوْضِ أَى
 تَقْرُبُ مِنْهُ . وَالْعُقْرُ ، بَضْمِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْقَافِ ، هُوَ مَقَامُ السَّاقِ
 مِنَ الْحَوْضِ ، يَكُونُ فِيهِ مَا يَتَسَاقَطُ مِنَ الْمَاءِ عِنْدَ اخِذِهِ مِنَ الْحَوْضِ . وَالذُّقُونُ :
 جَمْعُ ذَقْنٍ فِي الْكَتَاةِ ، وَأَذْقَانٌ فِي الْقَلَّةِ . وَحَوْصَلُ : جَمْعُ حَوْصَلَةٍ . يَقُولُ :
 وَرَدْتُ وَصَدَرْتُ وَالْقَطَا تَكَرَّرَ ثُمَّ تَصَلَّرُ ، وَكُنْتُ أَسْرَعَ مِنْهَا .

وقوله : « كَأَنَّ وَغَاها حَجَرِيَّةً » إلخ وَغَاها : أَصْوَاتُهَا .. وَالْوَغَى بِالْغَيْنِ
 الْمَعْجَمَةُ وَالْمَهْمَلَةُ : الصَّوْتُ . وَحَجَرِيَّةٍ مَنْصُوبٍ عَلَى الظَّرْفِ ، وَالضَّمِيرِ
 لِلْعُقْرِ ، أَى مَقَامِ السَّاقِ . وَحَجَرَتَاهُ : نَاحِيَتَاهُ ، مِثْلَى حَجَرَةٍ بَفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ
 وَسُكُونِ الْجِيمِ : النَّاحِيَةُ . وَحَوْلُهُ ظَرْفٌ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ ، وَالضَّمِيرُ لِلْعُقْرِ أَيْضًا .
 وَأَضَامِيمُ : خَيْرُ كَأَنَّ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ، أَى كَأَنَّ وَغَاها وَغَى أَضَامِيمُ ، لِأَنَّ
 التَّشْبِيهَ إِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ . وَأَضَامِيمُ : جَمْعُ إِضْمَامَةٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ
 الْقَوْمُ ^(٢) يَنْضَمُّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي السَّفَرِ .

(١) ط : « يتصلصل » .

(٢) كنا في النسختين . يعنى لفظ الأضاميم .

ونُزِّل : جمع نازل صفة أضاميم . أى يُسمع لهذه القطا أصوات كما يسمع
أصوات هؤلاء عند نزولهم .

وقوله : « تَوَافَيْنَ مِنْ شَيْءٍ » إلخ توافين : اجتمعن ، والضمير للقطا .
ومن شَيْءٍ ، أى من طرق مختلفة ، جمع شتيت بمعنى مختلف . وضمير إليه
للعُقر ، وكذلك فاعل ضَمَّهَا ضمير العُقر . وأذواد : جمع ذود ، وهو ما بين
الثلاث إلى العشر من الإبل . والأصاريم : جمع أصرام بالفتح ، وهو جمع صِرْم
بالكسر ، وهو القطعة من الإبل . كذا قال الخطيب . وقال غيره : هو أبيات
مجموعة من الأعراب . والمنهل : مورد الماء ، وهو فاعل ضَمَّ ، وأذواد مفعوله .

وقوله : (فَعَبَّتْ غِشَاشًا) إلخ عَبَّت : شربت بلا مصّ . قال ثعلب :
عَبَّ يُعَبُّ ، إذا شرب الماء فصبّه في الحلق صبًّا . وقال الخطيب : عَبَّت :
تابعت الشرب ، كأنها تعبّيه في أجوافها ، فيكون من التعبية . وغشاشا
بكسر الغين المعجمة بعدها شينان معجمتان . قال الخطيب : قال بعض أهل
اللغة : معناه على عجلة . وقال غيره : قليلاً أو غير مرئى^(١) . والركب :
رُكبانُ الإبل خاصّة . يقول : وَرَدَتِ القطا على عَجَلٍ ثم صدرت في بقايا من
الظلمة في الفجر . وهذا يدلُّ على قوّة سُرعتها . ومُجْفِل بالجم : مسرع ،
صفة ثانية لركب ، ومن أحاطة صفة أولى . (وأحاطة) بضم الهمزة بعدها
مهملة وطاء مُشالة معجمة ، قال الخطيب : أحاطة فيما ذكر ثعلب : قبيلة

(١) ش : قليلاً أى غير مرئى .

من الأزد . وقال غيره : هى قبيلة من اليمن . ولم يعرفها المبرد ، ولم أسمع باسمها إلا فى هذا الشعر . انتهى .

وقوله : « وقال غيره » إلخ ، غير جيد ، فإن الأزد من اليمن .

وقيل أحاطة موضع لا قبيلة . قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : أحاطة : بلد . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : وقد قيل إن أحاطة قبيلة من ذى الكلاع من حمير ، وهو الصحيح . انتهى .

وقد ذكره ابن الكلبي (فى جمهرة حمير) قال : وأحاطة أخو مَيْتَم بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر ابن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن حمير بن سبأ . ثم ذكر مَيْتَم وأحاطة وغيرهما . وقال : وقد تكلَّعوا ، وهم رهط سَمِيفَع ، وهو ذو الكلاع الأصغر ، ابن ناكور ابن عمرو بن يعْفَر بن يزيد ، وهو ذو الكلاع الأكبر ، ابن النعمان . ثم ذكر أن قبائل ذى الكلاع ثلاث وعشرون قبيلة ، منهم مَيْتَم وأخوه أحاطة . ثم قال : تكلَّع هؤلاء فى الجاهلية على سَمِيفَع . والتكلُّع فى لغتهم : التجمُّع . ومَيْتَم بفتح الميم وسكون المشاة التحتية وفتح المشاة الفوقية .

والشَّنْفَرَى : شاعرٌ جاهليٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) .

باب المتنى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٨ (أُحِبُّ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا)

٣٣٧ على أَنَّ لزوم الألف المتنى في الأحوال الثلاثة لغة بني الحارث بن كعب ، فإنهم يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا ، يقولون : أخذت الدرهمان ، واشترت ثوبان ، والسلام علامكم . قاله أبو حاتم والأخفش (في شرح نوادر أوى زيد) .

صاحب الشاهد والبيت من رجز مسطور في هذه النوادر ، قال : وأنشدنى المفضل لرجل من ضبة ، هلك مذ أكثر من مائة سنة :

(إِنْ لَسَعْدَى عِنْدَنَا دِيوانَا يُخْزِي فَلَانَا وَابْنَهُ فَلَانَا
كَانَتْ عَجُوزًا عَمِرَتْ زَمَانَا وَهِيَ تَرَى سِيْمَهَا إِحْسَانَا
أَعْرِفْ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا وَمَنْخَرَيْنِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا

ظبيان : اسم رجل . أراد : منخرى ظبيان ، فحذف ، كما قال :
﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ^(٢) ﴾ ، يريد : أهل القرية . انتهى .

قال ابن جنى (في سر الصناعة) : من العرب من لا يخاف اللبس

(١) نوادر أوى زيد ١٥ وابن يعيش ٤ : ٦٧ ، ١٤٣ والمقرب ٨٠ والعينى ١ : ٨١٤ والتصريح ١ : ٧٨ والمص ١ : ٤٩ والأشعوى ١ : ٩٠ وملحقات ديوان رؤية ١٩٧ .

(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

وُجِرى الباب على أصل قياسه ، فیدعُ الألف ثابتةً فى الأحوال ، فىقول : قام الزیدان ، وضربت الزیدان ، ومررت بالزیدان ، وهم بنو الحارث ووطنٌ من ربيعة . وأنشدوا فى ذلك :

* تزودَ منا بین أذناه ضربةً ^(١) *

وقال آخر ^(٢) :

فأطرقَ إطراقَ الشُّجاع ولو يَرى مساعًا لناباه الشُّجاعُ لصمًا

وقال آخر :

أُعرفُ منها الجید والعینانا ومنخِرین أشبا ظبیانا

یرید : العینین . ثم إنه جاء بمنخِرین على اللغة الفاشية . وروينا عن

قطرب :

* خبَّ الفؤادِ مائلِ الیدانِ *

وقال آخر ^(٣) :

إنَّ أباهَا وأبا أباهَا قد بلغا فى المجد غایتها

وفیها : وعلى هذا يتوجّه عندنا قراءة من قرأ : ﴿ إن هَذَانِ

لساحران ^(٤) ۞ . انتهى .

وقوله :

* إن لسُعدى عندنا دیوانا *

(١) لهوبر الحارثى فى اللسان (صرع ٦٤ هـ ٢٢٦) . وعجزه :

• دعتة إلى هانى التراب عقيم •

(٢) هو المتلمس . دیوانه الورقة الأولى من مخطوطة الشنقيطى .

(٣) انظر الشاهد التالى .

(٤) الآية ٦٣ من سورة طه .

سُعدى ، بضم السين : اسم امرأة . قال السكرئذ : الديوان مكسور ، ولذلك قالوا دواوين ، مثل قيراط ودينار . ولو كان ديوان بالفتح لقالوا دياوين ، ولأدغموا الواحد فقالوا دَيَّان ، كما قالوا دَيَّار . انتهى .

قال ابن السَّيِّد : الديوان أصله فارسي معرَّب ، واستعملته العرب ، وجعلوا كلَّ محصِّل من كلام أو شعر ديوانا . وفاعل يُخزِي ضمير الديوان . وقوله : « كانت عجوزًا » ، أى صارت عجوزًا . وعَمِرَتْ ، بفتح العين وكسر الميم . وقوله : « ومنخرين أشبها ظبيانًا » تقدَّم عن أبى زيد أنَّ ظبيان اسم رجل ، وأنَّه على تقدير مضاف ، أى منخري ظبيان .

وزعم بعضهم كما نقله العيني أنَّه مثنى ظبى ، على حذف مضاف ، والتقدير : أشبها منخري ظبيين .

وهذا وإن كان فى نفسه صحيحًا إلا أنَّ نقل أبى زيد يدفعه .

والمنخر ، على وزن مسجد : خرق الأنف ، وأصله موضع النخير ، وهو الصَّوت من الأنف ، يقال نخر ينخر من باب قتل ، إذا مدَّ النَّفْسَ فى الخياشيم . والمنخر ، بكسر الميم للإتياع لغة . والمنخور كعصفور : لغة طيِّء .

وعُرف من نقل أبى زيد أنَّ الرواية : « أعرف منها الأنف » لا : « أجبُّ منها » كما هو فى الشرح .

وبنو الحارث بن كعب : قبيلة عظيمة من قبائل العرب من قحطان .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٥٩ (إنَّ أباهَا وأبَا أبَاهَا قد بلغَا في المجدِ غَايتَاهَا)

٣٣٨

لما تقدَّم قبله .

والشاهد في : « غَايتَاهَا » ، و « أَبَا أبَاهَا » . فيجوز أن يكون جاء على لغة القصر ، يقال : هذا أباك ومررت بأباك ، فتكون الحركة مُقَدَّرَةٌ على الألف .

والبيتان نسبهما ابنُ السَّيِّد (في أبيات المعاني) لرجل من بني الحارث . صاحب الشاهد وقال العيني ، وتبعه السيوطي (في شرح أبيات المغني) : نسبهما الجوهرى إلى أئى النجم ، وأنشد قبلهما :

(وَهَآ لَرَيَا ثُمَّ وَهَآ وَهَآ هِىَ الْمُنَى لَوْ أَتْنَا نِلْنَاهَا
يَالَيْتَ عَيْنِيَا لَنَا وَفَاهَا بِثَمَنِ تُرْضَى بِهِ أَبَاهَا)
إِنَّ أَبَاهَا ... إلخ .

وقد رجعتُ إلى الصحاح فلم أر فيه إلا البيتين الأولين ، ولم أر فيه ما أنشده الشارح هنا .

وقال العينيُّ أيضًا وتبعه السيوطي : أنشد أبو زيد في نوادره عن المفضل قال : أنشدنى أبو العُؤْل ، لبعض أهل اليمن :

(أئى قُلُوصِي رَاكِبٌ تَرَاهَا شَالُوا عَلَاهُنَّ فَشُلْ عَلَاهَا
وَاشْدُدْ بِمَتْنِي حَقْبِ حِقْوَاهَا نَاجِيَةٌ وَنَاجِيَا أَبَاهَا)

(١) الإنصاف ١٨ وابن يمش ١ : ٣/٥١ : ١٢٩ والمقرب ٨١ والمغني ١٢٢ ، ٢١٦
والشنور ٤٨ والتصريح ١ : ٦٥ والعيني ١ : ١٣٣ / ٣ : ٣٤٦ والمص ١ : ٣٩ والأشمونى ١ :

إِنَّ أَبَاها ...) إلخ .

وقد رجعت إلى النوادر أيضا فلم أر فيها هذين البيتين ، وإنما أورد عن المفضل الأبيات الأربعة من قوله : أئى قلوص إلى قوله : وناجيا أباه . أورها في موضعين من النوادر ^(١) ، ولم يزد على تلك الأربعة . وقد شرحناها في الشاهد الثامن عشر بعد الخمسمائة من باب الظروف ^(٢) .

و (المجد) : الشَّرَف . وكان الظاهر أن يقول : قد بلغا في المجد غايته ، بضمير المذكر الراجع إلى المجد ، لكنه أثبت الضمير لتأويل المجد بالأصالة . والمراد بالغائتين الطرفان من شرف الأبوين ، كما يقال أصيل الطرفين . وقال العيني : المجد : الكرم ، والضمير لرثا . وهذا على ما ذكره الجوهري من أن قبل البيت : « واهأ لرثا » . وأما على رواية أبى زيد فيكون ضمير أباه للقلوص . هذا كلامه .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الخمسمائة ^(٣) :

٥٦٠ (ياربُّ خالٍ لك من عُرينه فسوته لا تنقضى شهرته)
شهرى ربيع وجمادينه)

على أن نون الثنية قد تفتح كما في « شهرينه » و « جمادينه » ، وكما في البيت السابق :

* أعرف منها الأنف والعينانا *

(١) نوادر أبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٢ - ١١٥ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ١٤٢ والمقرب ١٥٩ والإنصاف ٧٥٥ والمخصص ١٥ : ١١٤ .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : قرأت على أبى على (فى نوادر أبى زيد) :

* أعرف منها الأنف والعينانا ^(١) *

ورويانا عن قطرب لامرأة من ققّس :

ياربّ خال لك من عرينه حَجَّ على قليص جُوَيْنَه
فَسُوْتَه لا تنقضى شهرينه شهرى ربيع وجهادينه

وقد حُكِيَ أنَّ منهم من ضمَّ النون فى نحو الزيدان والعمران . وهذان من الشنوذ بحيث لا يقاس غيرهما عليهما . انتهى .

وقيد ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) فتح النون بحالة النصب والخفض ، وبحالة النصب فقط فى لغة من ألزم المثنى الألف فى جميع الأحوال .
وقد وجّه أبو على (فى كتاب الشعر) فتح النون على وجوه . قال :
أنشد أبو زيد :

٣٣٩ * أعرف منها الأنف والعينانا *

تحريك النون بالفتح يحتمل غير وجه . منها : أنَّ حركتها لما كانت لالتقاء الساكنين ، ورأى التحريك فى التقائهما فى المنفصل والمتصل لا يحرك بضرب واحد من الحركة ، جعل الثنية مثل ذلك . ألا ترى أنَّهم قالوا : رُدَّ ، ورُدُّ ، ورُدَّ . وقالوا : غَوْضٌ ، وغَوْضٌ ^(٢) ونحو ذلك ، فلم يلزموا فى المتصل ضرباً واحداً من التحريك ، فكذلك جعل نون الثنية بمنزلة .

(١) ط : « أعرف منه » ، صوابه فى ش ونوادر أبى زيد ١٥ .

(٢) كنا فى النسختين . والحق أنها مثلثة الضاد ، كما فى القاموس واللسان .

ويجوز أن يكون شبه التثنية بالجمع ، لَمَّا رآهم يقولون : مضت سنون ، ويقولون : مضت سنين ، فيجعلون النون في الجمع حرف الإعراب ، جعلها في التثنية كذلك .

ويجوز أن يكون شبه غير العلم بالعلم . ألا ترى أن النحويين قد أجازوا في رجل يسمى بتثنية أن يجعلوا النون حرف الإعراب ، فيقولون : هذا زيدان وعمران ، وكان القياس أن لا يُعرى من شيء يدل على التثنية ، كما أنه إذا سمى بجمع بالألف والتاء لم يعرفه ممَّا يدل على حكاية ذلك . إلا أنهم لما قالوا السبعان في الاسم المخصوص فلم يُيقوا شيئاً يدل على حكاية التثنية جاز على ذلك تغيير ما سُمي بتثنية .

وقد حكى البغداديون تحريك نون التثنية بالفتح إذا وقعت بعد ياء . وأنشدها :

* على أحوذيين^(١) *

ويشبه أن يكونوا شبهوا التثنية بالجمع . فكما فتحوا النون بعد الياء في الجمع كذلك فتحوا ما بعد الياء في التثنية ، وهذا مما يقوى فتح النون في قوله : « العينانا » . ألا ترى أنه ليس يلزمها على رأيهم وعلى ما أنشدوه حركة واحدة . وما عليه الجمهور أولى من جهة القياس أيضاً ، وهو الأكثر في الاستعمال . وذلك أن هذه الياء لا تلزم الكلمة .

وقد وجدت من الحروف ما لا يقع به الاعتداد لَمَّا لم يلزم . فالياء في

(١) البيت بتمامه كما في اللسان (حوذ) في وصف جناحي قطاة :

على أحوذين استقلت عليهما فما هي إلا لحظة فتغيب

وهو الحميد بن ثور في ديوانه ٥٥ .

هذا الموضع ليست بلازمة . ألا ترى أنَّ منهم من يجعلها في جميع الأحوال ألفاً . وقد حذفوا هذه النون في غير الإضافة ، كما يُحكى عن الكسائي أنَّه أنشد :

يا حبُّ قد أمسينا ولم تنام العينا
أراد : العينان ، فحذف النون .

وقوله : « إِنَّ عَمَى اللذا » أشبهُ شيئاً ^(١) ، لأنَّ الاسم قد طال بالصلة : انتهى .

وقوله : (يا رَبَّ خالٍ) إلخ يا حرف تنبيه ، وربُّ ، والعامل في محلِّ مجرورها حجٌّ . و (عرينة) بضم العين وفتح الراء المهملتين : قبيلة باليمن . وقوله ^(٢) : « حجٌّ على قَلِيصٍ » إلخ حذفه الشارح المحقق لعدم تعلُّق غرضه به . وإنَّما ذكر البيت الأوَّل وإن كان مثل الثاني ليعلم منه فتح النون في البيتين الآخرين ، إذ لولا ذكره لرُبَّما ظُنَّ أنَّ النون فيهما مكسورة ، كقول الراجز :

قل لخليلِكَ وتحسنانِه هل أنتما العيشَ ملبَّثانِه
في دار حىٍّ حيث تعلمانِه إن لا تقولان فتُحسنانِه

وقُلَيْصٌ : مصغر قُلوص ، وهى الناقة الشابة . وجُوَيْنَة : مصغر جون بفتح الجيم . والجون من الخيل ومن الإبل : الأدهم الشديد السواد . وقوله : (فسوته لا تنقضى) إلخ الفسوة بالفتح : ريح يخرج بصوت يسمع . وهو على حذف مضاف ، أى ثنن فسوته لا ينقضى فى هذه المدة ، ففسوته تشبه

(١) ط : « أشبه شيء » . والمراد أشبه قليلا . وهو يشير إلى قول الأخطل (الخزاعة ٢ : ٤٩٩)

بولاق ()

أبنى كليب ان عمى اللذا قتل الملك وفككا الأغلالا
(٢) ش : « وقد » ، صوابه فى ط .

فَسَوْءُ الظَّرْيَانِ . وَالظَّرْيَانُ بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء بعدها
 موحدة ، وهى دُوَيْبَةٌ كالمرة منتنة الريح ، تزعم العرب أنَّها تفسو فى ثوب
 ٣٤٠ أحدهم إذا صاها ، فلا تذهب رائحته حتَّى يلى الثوب . وقد ضُرب بها
 الأمثال ، يقال : « أنتن من ظريان » ، و « أفسى من ظريان » ، و « فسا
 بينهم الظريان » ، إذا تقاطع القوم وتهاجروا . و (تنقضى) : تذهب شيئاً
 فشيئاً . (شهرين) منصوب على الظرف وعامله تنقضى ، وهو مثنى شهر ،
 وفتح النون شذوذاً ، والهاء بعدها للسكت أتى بها لبيان الفتحة ، فإنَّها قد
 يبيِّن بها حركة نون الاثنين مكسورة ومفتوحة ، ويبيِّن بها حركة نون الجمع
 أيضاً ، كقوله :

قد صَبَّحت بالأمس ماءً لَينه^(٢) يحفُّها م القوم أريعونه

* حَالِيَّةٌ كَاسِيَةٌ دَهِينَةٌ *

قوله : (شَهْرَى ربيع) إلخ بدل من شهرينه . و (جُمَادِيَّتُهُ) معطوف
 على شهرى ، لا على ربيع ، لوجهين : أحدهما : أنَّه لا يقال شهر جمادى فإنَّ
 لفظ شهر لا يضاف إلَّا لما فى أوله راء كشهر ربيع وشهر رجب وشهر
 رمضان ، كما هو المشهور . ثانيهما : لئلا يفسد المعنى ، فإنه لو عطف على
 ربيع لاقضى أنَّ البديل أربعة أشهر ، والمبديل منه شهران ، وهذا خُلِفَ من
 القول ، فعطفه على البديل يفيد أنَّ عدم الانقضاء فى أربعة أشهر : شهرى

(١) لينة ، بالكسر : بحر من أعذب الآبار بطريق مكة ، وقال السكونى : هو المنزل الرابع

لِقاصِدِ مكة من واسط . قال زهير :

شج السقة على ناجودها شيما من ماء لينة لا طرقا ولا رنقا

ربيع وجمادين ، وهو مثنى جمادى بضم الجيم وقصر آخره ، فلما ثنى قلبت
الألف ياء كقولك : فتيانٍ فى تثنى الفتى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٦١ (ليثٌ وليثٌ فى محلِّ ضنكٍ كِلَاهُمَا ذُو أُشْرٍ وَمَحَلِّ)

على أنَّ أصل المثنى العطف بالواو ، فلذلك يرجع إليه الشاعر فى
الضرورة كما هنا ، فإنَّ القياس أن يقول ليثان ، لكنَّه أفردهما وعطف بالواو
لضرورة الشعر .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : التثنية والجمع المستعملان أصلهما
التثنية والجمع بالعطف ، فقولك : جاء الرجلان ومررت بالزيدين أصله جاء
الرجل والرجل ، ومررت بزيد وزيد ، فحذفوا العاطف والمعطوف وأقاموا حرفَ
التثنية مقامهما اختصاراً . وصحَّ ذلك لاتفاق الذاتين فى التسمية بلفظ
واحد . فإنَّ اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرير بالعاطف ، كقولك :
جاء الرجل والفرس ، إذ كان ما فعلوه من الحذف فى المتفقين يستحيل فى
المختلفين . ولمَّا التزموا فى تثنى المتفقين ما ذكرنا من الحذف ، كان التزامه فى
الجمع ممَّا لا بدَّ منه ولا مندوحة عنه ، لأنَّ حرف الجمع ينوب عن ثلاثة
فصاعداً إلى ما لا يدركه الحصر . ويدلُّك على صحَّة ما ذكرته أنَّهم ربَّما رجعوا

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١١ والمقرب ٧٩ والممع ١ : ٤٣ .

إلى الأصل في تثنية المثقفين وما فُوقَ ذلك من العدد ، فاستعملوا التكرير
بالعاطف إمَّا للضرورة ، وإمَّا للتفخيم . فالضرورة كقول القائل :
* كَأَنَّ بَيْنَ فَكَّهَا وَالْفَكِّ ^(١) *

أراد أن يقول : بين فكَّيها ، فقاده تصحيح الوزن والقافية إلى استعمال
العطف .

ومثله فيما جاوز الاثنین قول أبی نواس :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسُ

فإن استعملت هذا في السَّعة فإنما تستعمله لتفخيم الشيء الذي
تقصد تعظيمه ، كقولك لمن تعنَّفه بقبیح تَكَرَّرَ منه ، وتنبَّهه على تكرير
عفوك : قد صفحت عن جُرمٍ وجُرمٍ وجُرمٍ وجُرمٍ ، وكقولك لمن يحقر أيادي
أسديتها إليه ، أو يُنكر ما أنعمت به عليه : قد أعطيتك ألفًا وألفًا وألفًا .
فهذا أفخم في اللفظ ، وأوقع في النفس ، من قولك : قد صفحت لك عن
أربعة أجرام ، وقد أعطيتك ثلاثة آلاف . انتهى .

٣٤١

وهذا الشعر لوائلة بن الأسقع ، أورده له الكلاعي (في السيرة النبوية)
في وقعة مرج الروم قال : كان وائلة بن الأسقع في خيل قيس بن
هُبيرة ، في جيش خالد بن الوليد ، فخرج بطريق من كبارهم ، فبرز له وائلة
وهو يقول في حملته :

صاحب الشاعري

(لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَجَالِ ضَنْكَ كَلَاهَا ذُو أَنْفٍ وَمَحَلِّ)

(١) الرجز لمنظور بن مرثد ، كما في اللسان (زكك) .

(٢) بين هذا الكلام وتاليه في أمالي ابن الشجري : * ومثله :

لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَكَانِ ضَنْكَ * .

أُجُولُ جَوْلٍ حَازِمٍ فِي الْعَرِكِ أَوْ يَكْشِفُ اللَّهُ قَنَاعَ الشُّكِّ
مَعَ ظَفَرِي بِحَاجَتِي وَدَرْكِي)

ثم حمل على البِطريق فقتله .

وأورد الجاحظ تتمته وقصته (فى كتاب المحاسن والمساوى) لجحدر بن مالك الحنفى على غير هذا الوجه ، قال :

كان باليمامة رجلٌ من بنى حنيفة ^(١) يقال له جحدر بن مالك ، وكان لسنًا فاتكا شاعرا ، وكان قد أفحشَ على أهل هَجَرَ وناحيتهَا ، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف ، فكتب إلى عامل اليمامة يُوَيِّخُهُ فى تَلَاعُبِ جحدرٍ به ، ثم يأمرهُ بالتجرُّد فى طلبه حتَّى يظفرَ به . فبعث العامل إلى فتيةٍ من بنى يربوع ابن حنظلة ، فجعلَ لهم جُعلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدرًا ، أو أثَّروا به ، ووعدَهم أن يوفدهم إلى الحجاج ويُسنَّى فرائضهم ^(٢) ، فخرج الفتية فى طلبه حتَّى إذا كانوا قريبًا منه بعثوا إليه رجلاً منهم يريهِ أنَّهم يريدون الانقطاع إليه . فوثق بهم ، واطمأنَّ إليهم . فبيناهم على ذلك إذ شُدُّوه وثاقًا ، وقَدِّموا به إلى العامل فبعث به معهم إلى الحجاج ، فلما قَدِّموا به على الحجاج قال له : أنت جحدر ، قال : نعم : قال : ما حملك على ما بلغنى عنك ؟ قال : جَرَاءُ الْجَنَانِ ، وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ ، وَكَلْبُ الزَّمَانِ . قال : وما الذى بلغ من أمرك فيجترىءُ جنائنك ، ويصلك سلطانك ، ولا يكلِّبُ عليك زمانك ؟ قال :

(١) فى معجم البلدان (حجر) : « من بنى جشم بن بكر » . وفى الموفقيات ١٧٠ : « رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلي » . وما فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٩٦ مطابق لما هنا .

(٢) أصل الإسناء الرفع . فالمراد زيادة الفريضة .

لو بَلَانِي الْأَمِيرُ لَوْجَدَنِي مِنْ صَالِحِي الْأَعْوَانِ ، وَبُهُمُ الْفَرَسَانِ ^(١) وَمَنْ أَوْفَى عَلَيَّ أَهْلُ الزَّمَانِ . قَالَ الْحَجَّاجُ : أَنَا قَاذُفُكَ فِي قَبَّةٍ فِيهَا أَسَدٌ ، فَإِنْ قَتَلْتَكَ كَفَانَا مَوْتُكَ ، وَإِنْ قَتَلْتَهُ خَلَيْنَاكَ وَوَصَلْنَاكَ . قَالَ : قَدْ أُعْطِيتَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ الْمُنِيَّةُ ، وَعَظُمْتَ الْمِنَّةُ ، وَقُرِبَتِ الْحَنَّةُ . فَأَمَرَ بِهِ فَاسْتُوثِقَ مِنْهُ بِالْحَدِيدِ ، وَأُلْقِيَ فِي السَّجَنِ ، وَكُتِبَ إِلَى عَامِلِهِ بِكَسْكَرٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَصِيدَ لَهُ أَسَدًا ضَارِيَا . فَلَمْ يَلِثِ الْعَامِلُ أَنْ بَعَثَ لَهُ بِأَسَدٍ ضَارِيَا ، قَدْ أَبْرَزَتْ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ^(٢) وَمَنْعَتْ عَامَّةَ مَرَاعِيهِمْ وَمَسَارِحِ دَوَابِّهِمْ ، فَجَعَلَ مِنْهَا وَاحِدًا فِي تَابُوتٍ يُجَرُّ عَلَى عَجَلَةٍ ، فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ أَمَرَ فَأُلْقِيَ فِي حَيْزٍ ^(٣) ، وَأُجِيعَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى جَحْدَرٍ فَأَخْرَجَ وَأَعْطَى سَيْفًا وَدُلَّى عَلَيْهِ ، فَمَشَى إِلَى الْأَسَدِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(لَيْتٌ وَلَيْتٌ فِي مَجَالِ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو أَنْفٍ وَمَحْكٍ
وَصَوْلَةٍ فِي بَطْشِيهِ وَقَتْلِكَ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قِنَاعَ الشُّكِّ
وَوَظْفَرًا بِجَوْجُوٍّ وَبَرْكِ فَهُوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ
الذُّبِّ يَعْوِي وَالْعُرَابُ يَكِي

٣٤٢

حتى إِذَا كَانَ مِنْهُ عَلَى قَدَرٍ ^(٤) رَمَحَ تَمَطَّى الْأَسَدُ وَزَارَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَتَلَقَّاهُ جَحْدَرٌ بِالسَّيْفِ فَضَرَبَ هَامَتَهُ فَفَلَقَهَا ، وَسَقَطَ الْأَسَدُ كَأَنَّهُ

(١) جمع بهمة : بالضم ، وهو الفارس الذي لا يدرى مقاتله من أين يدخل عليه .

(٢) الإبراء : الغلبة والقهر . وفي المحاسن ٥١ وأمالى ابن الشجري : ٢ : ١٩٦ والموقفيات

١٧٣ : « قد أبرت » . والإبرار : الغلبة أيضا . يقال أبر عليهم إبرايرا : غلبهم .

(٣) كنا في النسختين والمحاسن . وفي الموقفيات : « حير » بالفتح والراء المهملة ، وهو

الوجه . والحير ، كما في القاموس : شبه الحظيرة .

(٤) ط : « قد رمح » ، صوابه في ش . وفي أمالى الشجري : « على قيد رمح » . والقيد ،

بكسر القاف : القدر أيضا .

خيمة قَوَّضَتْهَا الرِّيح . ولم يلبث جحدرٌ لشدةِ حملة (١) الأسدِ عليه ، مع كونه مكبلاً ، أن وقع على ظهره (٢) متلطِّحاً بالدم . وعلت أصواتُ الجماعة بالتكبير ، وقال له الحجاجُ لما رأى منه ما هاله : يا جحدرُ ، إن أُحِبِّتَ أن أُلْحِقَكَ ببلادك وأُحَسِّنَ جائزَتَكَ فَعَلْتُ ذلك بك ، وإن أُحِبِّتَ أن تقيمَ عندنا أَقَمْتُ فأسنينا فريضتك . فقال : أختارُ صحبةَ الأمير . ففرض له ولجماعة أهل بيته ، وأنشأ جحدرٌ يقول :

يا جُمْلُ إِنَّكَ لو رَأَيْتَ بِسَالَتِي	في يوم هَنَيجٍ مُردَفٍ وَعِجَاجٍ (٣)
وَتَقَدُّمِي لِلْيَثِ أَرْسُفَ نَحْوِهِ	حَتَّى أَكَابِرُهُ عَنِ الْأَخْرَاجِ (٤)
جَهْمٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ لَمَّا بَدَا	طَبَقَ الرِّحَا مُتَفَجِّرَ الْأُتْبَاجِ
يَرْنُو بِنَاطِرَتَيْنِ يَحْسِبُ فِيهِمَا	مَنْ ظَنَّ خَالَهُمَا شُعَاعَ سِرَاجٍ (٥)
شَنْ بَرَائْتِهِ كَأَنَّ نِيَوِهِ	زُرُقَ الْمَعَابِلِ أَوْ شَذَاةَ زِجَاجٍ
وَكَأَنَّمَا يَحِيطُ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ	بَرْقَاءُ أَوْ خَلَقٌ مِنَ الدُّبْيَاجِ
قِرْنَانِ مُحْتَضِرَانِ قَدْ رَتَبَتُهُمَا	أُمُّ الْمَنِيَّةِ غَيْرَ ذَاتِ نَتَاجِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُيِّتُ نِزَالُهُ	أُنِّي مِنَ الْحَجَّاجِ لَسْتُ بِنَاجِ
فَمَشَيْتُ أَرْسُفَ فِي الْحَدِيدِ مَكْبَلًا	بِالْمَوْتِ ، نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنَا جِي

(١) ط : « حمل » . والوجه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « اذ وقع على ظهره » ، صوابه في ش .

(٣) في الأخبار الموقفيات ١٧٤ :

يا جمل أنك لو رأيت كريتى في يوم هيج مسدف وعجاج
وبين الأبيات هنا وبينها في الموقفيات خلاف في الرواية والزيادة والنقص .

(٤) في الموقفيات : « كيما أكابره على الأحداج » ، وفي النسختين هنا : « عني » ، والوجه « حتى » كما في المحاسن .

(٥) في الموقفيات : « تحسب فيهما » لما أجالهما .

هذا ما أورده الجاحظ (١) .

وقد أورد ابنُ الشجرى فى أماليه هذه الحكاية مختصرة لجحدر المذكور ، مع أربعة أبيات من الرجز ولم يذكر هذه الأبيات .

وأخرج السيوطى (فى بحث ربّ من شرح شواهد المغنى) هذه الحكاية بنحو ما ذكره ابن الشجرى عن المعافى بن زكريا ، وابن عساكر فى تاريخه بسند متصل عن ابن الأعرابى ، وعن الزبير بن بكار (فى الموفقيات) .

ولم يورد السكرى (فى كتاب اللصوص) شيئاً مما أورده الجاحظ ، مع أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم فى كتابه ، وأورد له أشعاراً كثيرة جيدة .

وقوله : (ليثٌ وليثٌ (٢)) : إلخ الليث : الأسد . والضئىق : الضيق . و (الأشر) بفتحيتين ، البطر . وروى بدله : « ذو أنف » ، بفتح الهمزة والنون ، بمعنى الاستنكاف . (والمحك) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة : اللجاج .

والحازم من الحزم ، وهو الثبوت والتيقظ . والعرك بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الحرب ، والمعركة موضعه . وقوله : « أو يكشف الله » إلخ أو هنا بمعنى إلى . والظفر : الغلبة . والترك : الوصول .

والجؤجؤ فى شعر جحدر ، بجيمين وهمزتين ، على وزن قنفذ : الصلر . والبرك بفتح الموحدة وسكون الراء : ما حول الصلر .

وقوله : « كأنه خيمة قوّضتها الريح » ، رواه ابن الشجرى :

(١) فى المحاسن ٥٢ ستة أبيات بعد السابقة ، كما أن فى الموفقيات أربعة أبيات مع تلك الستة ، أغفل البغدادى روايتها .

(٢) ش : « وليث » ، بسقوط « ليث » .

« كَأَنَّهُ أَطْمَ مَقْوُضٌ » ، وقال : الأَطم بضمّتين : الحِصْن . والمَقْوُض : من قَوِضَتِ البِنَاءُ ، إِذَا نَقَضْتَهُ مِنْ غَيْرِ هَدْمٍ . والمَكْبَلُ : المَقِيدُ ، والكَبْلُ بفتح الكاف وكسرها مع سكون الموحدة : القيد الثقيل .

وقوله : « يَا جُمْلُ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بِسَالَتِي » إِنْخَ جُمْلُ بضم الجيم وسكون الميم : اسم امرأة . والبسالة : الشَّجَاعَةُ . وأَرْسُفُ : أمشَى بالقيد ، يقال رَسَفَ فِي قَيْدِهِ ، مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَقَتْلٍ . وَالْجَهْمُ : الْعَبُوسُ . والأَثْبَاجُ : جمع تَبَجٍ بفتح المثلثة والموحدة ، وهو ما بين الكاهل إِلَى الظَّهْرِ . ويرنو : يَنْظُرُ . وَشَتْنٌ بِمعْنَى خَشْنٍ . والبراثن : جمع بُرْثَنٍ كَقَتْفَذٍ ، وهو ظُفْرُ السَّبعِ . والنيوب : جمع نَابٍ ، وهى السِّنُّ . وَزُرْقُ : جمع أَزْرَقُ . والمعابل : جمع مِعْبَلَةٍ بكسر الميم ، وهو نَصْلٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ . والشَّدَاةُ بفتح الشين والذال المعجمتين : الطَّرْفُ . والزَّجَاجُ بالكسر : جمع زُجْجٍ بضم الزاى ، وهى الحديدة التى فى أَسْفَلِ الرَّحِمِ . والقِرْنَانُ : مَثْنَى قِرْنٍ بالكسر ، وهو المساوى لصاحبه فى الشَّجَاعَةِ وغيرها .

ووائلته بن الأسقع ، بالمثلثة والقاف ، هو من الصحابة ، قال ابن الأثير وائلته بن الأسقع (فى أَسَدِ الْغَابَةِ فى أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ) : وائلته بن الأسقع بن عبد العزى الكنانى الليثى ، وقيل : وائلته بن عبد الله بن الأسقع . أَبُو شَدَادٍ ، وقيل أَبُو الأسقع ، وقيل أَبُو قِرْصَافَةَ ^(١) . أسلم وخدم النبى ﷺ ثلاث سنين . من أصحاب الصُّفَّةِ . وله رواية . مات سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة ، وقيل : مات سنة

(١) بكسر القاف . والقِرْصَافَةُ : الخذروف ، ومن النساء والنوق : التى تتدحرج كأنها

خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة . وتوفى بالمقدس وقيل بدمشق . وكان قد عمى . انتهى .

ووقعة مرج الرّوم كانت بعد سنة خمس عشرة من الهجرة بعد فتح الشام ، فى خلافة عمر بن الخطّاب . فلا شك أنّ وائلة أقدم من جحدر ، ويكون جحدر قد أخذ الشعر من وائلة وزاده . والله أعلم .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٦٢ (كَأَنَّ بَيْنَ فَكَّهَا وَالْفَكِّ فَاةً مِسْلِكٍ ذُبِحَتْ فِي سُلْكٍ)

لما تقدّم قبله . وكان القياس أن يقول : بَيْنَ فَكَّيْهَا ، لكنّه أتى بالمتعاطفين للضرورة .

قال ابن يعيش : الأصل فى قولك الزيدان : زيد وزيد . والذى يدلّ على ذلك أنّ الشاعر إذا اضطرّ عاود الأصل ، نحو قوله :

* كَأَنَّ بَيْنَ فَكَّهَا وَالْفَكِّ *

أراد : بَيْنَ فَكَّيْهَا ، فلمّا لم يتزّن له رجع إلى العطف ، وهو كثير فى الشعر . انتهى .

والفكُّ بالفتح : اللّخى ، بفتح اللام وسكون المهملة ، وهو عظم الحنك ، وهو الذى عليه الأسنان . وهو من الإنسان حيث ينبئ الشعر

(١) إصلاح المنطق ٧ والمخصص ١١ : ٢٠٠ / ١٣ : ٢٩ وأملى ابن الشجرى ١ : ١٠ وابن

يعيش ٤ : ١٣٨ / ٨ : ٩١ واللسان (زكك) .

وقال (في البارع) : الْفَكَانُ : مُلتقى الشَّدَقَيْنِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ . قال ابن السَّيرافي : وصف امرأة بطيب الفم . يريد أن رِيحَ الْمِسْكِ يخرج من فيها . (وفارة) منصوب اسم كأن ، وبين خبرها . والسُّكُّ : ضرب من الطَّيِّب . انتهى .

(وَذُبِحَتْ) بالبناء للمفعول . قال يعقوب (في إصلاح المنطق) : قال الأصمعي : الذَّبَحُ : الشَّقُّ . وأنشد البيت . أَيْ شَقَّتْ وَفُتِقَتْ .

وقال المفضل بن سلمة الضبي (في كتاب الطَّيِّب) : ومن الطَّيِّبِ الْمِسْكُ ، يقال هو الْمِسْكُ ، والأَنْثَابُ ، واللَّطِيْمَةُ . وقال أبو زيد : اللَّطِيْمَةُ : الْمِسْكُ ، يقال للعبير التي تحمل المسك أيضا لطيمة . ويقال للتي فيها المسك : فارة ونافجة . قال الأحوص :

كَأَنَّ فَارَةَ مِسْكٍ فَضَّ خَاتَمُهَا صَهْبَاءَ ذَاكِيَّةٍ مِنْ مِسْكٍ دَارِينَا

وقال آخر :

كَأَنَّ حَشَوَ الْمِسْكِ وَالذَّمَالِجِ نَافِجَةً مِنْ أَطْيَبِ النَّوَافِجِ

ويقال : فُتِقَتِ الْفَارَةُ ، وَذُبِحَتْ ، وَفُضَّتْ ، وَشَقَّتْ . قال الراجز :

كَأَنَّ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَلَكِ فَارَةٌ مِسْكٍ ذُبِحَتْ فِي سَكِّ

والسُّكُّ ، بضم السين : نوعٌ من الطَّيِّبِ . وقال أبو حنيفة الدينوري

(في كتاب النبات) : الفار : جمع فارة ، وهي فار المسك ، وهي نوافجه التي يكون المسك فيها ، شَبَّهَتْ بِالْفَارِ وَلَيْسَتْ بِفَارٍ ، إِنَّمَا هِيَ سُرُرُ طِبَاءِ الْمِسْكِ . قال الشاعر :

إِذَا التَّاجِرُ الْهِنْدِيُّ وَافَى بِفَارَةٍ

من المسك أَضَحَّتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجْرَى ^(١)

وقال آخر فى وصف امرأة :

* كَانَ فَاةً مِسْكٍ فِى مُقْبَلِهَا *

وهى مهموزة فَاةً وفَأَرْ . وكذلك الفَأَرْ كله مهموز . وبنواحى الهند فَأَرْ يجلب إلى أرض العرب أحياناً ، قد تَأَنَسَتْ وَالْفَتْ ، تدور فى البيوت ، تدخل بين الثياب . فلا تلبس شيئاً ، ولا تدخل بيتاً ولا تخرأ على شىء ، ولا تبول عليه ، إلَّا فاح طيباً . ويجلب التجار خرءها فيشتريه الناس ، ويجعلونه فى صُرُرٍ ، ويضعونها بين الثياب فتطيب . وأخبرنى مَنْ رآها أَنَّهَا نحو بنات مِقْرَضٍ . وفَاةُ الإبل مأخوذة من هذا ، وهى الإبل التى ترعى أَفْوَاهَ البقول الطيبة فى العَدَوَاتِ العازِنة (١) ثم ترد الماء فتشرب ، فإذا رويت ثم صدرت فالتفت بعضها ببعض ، فاحتِ برائحة طيبة .

قال الأصمعى : قلت لأبى مَهْدِيَّةَ : كيف تقول : ليس الطيب إلا المسك . وهو يريد أن يعلم كيف يُعْرِبُهُ . فقال أبو مَهْدِيَّةَ له : فأين العنبر ؟ فقال الأصمعى : فقل : ليس الطيب إلا المسك والعنبر . فقال : أين أدهان حَجَرٍ ؟ فقال : فقل ليس الطيب إلا المسك والعنبر وأدهان حَجَرٍ . فقال : فأين فَاةُ إبل صادرة ؟

ومن هذا الجنس والضرب الذى ذكرنا اللُّوَيَّةَ التى تسمى الزَّبادُ ، وهى مثل السنَّوَةِ الصغيرة فيما ذكر لى ، تجلب من تلك النواحى ، وقلة تَأَنَسُ فتَقْتَنِي وتحتلب شيئاً شبيهاً بالزَّبدِ يظهر على حَلَمَتِهَا (٢) بالعصر ، كما يظهر على آنِفِ الغلمان المراهقين ، فيُجمع وله رائحة طيبة البَنَّة . وقد رأيتُه يقع فى

(١) العناية ، كغفاة : الأرض الطيبة التربة الكريمة المنت . والعازبة : البعيدة النائية .

(٢) ش : « حلمته » .

الطَّيِّب . وقد بلغنى أَنَّ شحمَه كذلك أيضا .

وقد ذكر بعضُ الشعراءُ القُدُمَ بعضَ هذا وجعله أمعاء الدابة ، وظنَّ أَنَّهُ
إِنَّمَا طاب جوفه لأنَّه يأكل الطَّيِّب ، فقال :
تَكْسُو المَفَارِقَ وَاللِّبَاتِ ذَا أَرْجٍ مِنْ قُصْبٍ مَعْتَلِفٍ الْكَافُورِ دَرَجٍ ^(١)

وَالْأَعْرَابَ لَا يُمَيِّزُونَ هَذَا . وفي فارة الإبل يقول الراعى :
لَهَا فَاوَةٌ ذَفَاءُ كُلِّ عَشِيَّةٍ كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ بِالْمَسْكِ فَاتَقَهُ
ظَنَّ أَنَّهُ يُفْتَقُ بِهِ . وكان الراعى أعرابياً قحاً ، والمسك لَا يُفْتَقُ
بِالْكَافُورِ . انتهى كلام الدينورى .

والْبَيْتَةُ ، بالفتح للموَحَّدة وتشديد النون : الرائحة الطَّيِّبَةُ ، ورَبَّمَا قِيلَتْ
فِي غَيْرِ الطَّيِّبَةِ .

وقال أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى (فيما كتبه على كتاب
النبات من تبين أغلاط الدينورى) : قد غلط في همز هذه الفارة ، لأنَّ الفَارَّ
كله مهموز إِلَّا فارة الإبل . وقد اختلف في فارة المسك وفارة الإنسان وهى
عضلُهُ . والأعلى في فَارِ المسك الهمزُ ، وفي فار الإنسان ترك الهمز . ومن
كلامهم : « أَبْرَزْ نَارَكَ ، وَإِنْ أَهْزَلْتَ فَارَكَ » ، أى أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَإِنْ أَضْرَرْتَ
بِيدِنِكَ . فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَالْمَسْكَ لَا يُفْتَقُ بِالْكَافُورِ » ، فصحيح . ولم يقل
الراعى : « كَمَا فَتَقَ الْمَسْكَ بِالْكَافُورِ فَاتَقَهُ » ، إِنَّمَا قَالَ : « كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ

٣٤٥

(١) للراعى في ديوانه ٣٥ واللسان (قصب ، كفر) . وفي النسختين : « يَكْسُو » بالياء ،
صوابه بالتاء ، كما في المراجع السابقة .

(٢) في اللسان (فور) : « بَرَزْ نَارَكَ » ، بالتضعيف .

بالمسك ، وإن كان المسك لا يُفتق بالكافور فإنَّ الكافور يُفتق بالمسك .
وجعل الراعى أعزَّاء قحاً ونسبه إلى الجفء ، وأوهم أنَّه غلط ، وخطأه
في شيء لم يقله ، إلا أنَّ يكون عند أى حنيفة أنَّ الكافور لا يُفتق بالمسك ،
ويكون هو قد غلط في العبارة وعكسها ، فيكون في هذه الحال أسوأ حالاً منه
في الأولى ، ويكون قليل الخبرة بالطيب وعمله واستعماله . ولا رائحة أخم من
الكافور إذا فُتق بالمسك ، يشهد بذلك بنو النعمة والعطارون قاطبة . انتهى .
والرجز الشاهد لمنظور بن مرثد الأسدي . قال ابن برى (في حاشيته
على صحاح الجوهري) : وقبله :

يا حبذا جارية من عكَّ تُعقد المِرط على مِدك

* مثل كثيب الرمل غير رك * .

وعكَّ بفتح العين المهملة : أبو قبيلة من الأزد في قحطان . والمرط ،
بالكسر : كساء من صوف أو خز يُؤتزر به ^(١) وتلفع به المرأة . وأراد
بالمِدك بكسر الميم : العجز . والركُّ ، بكسر الراء المهملة : المهزول ، والمكان
المضعوف ^(٢) الذى لم يمطر إلا قليلا . قاله الصغاني ، وأنشد البيت للمعنى
الأول . وقال : وذكره بعض من صنَّف في اللغة بالراى ، في اللغة وفي الرجز ،
وهو تصحيف . انتهى .

وأراد به الجوهري . وقد خطَّاه كذلك ابن برى (في حاشيته على
الصحاح) ، وتبعه الصفدي أيضا .

ومنظور بن مرثد تقدم في الشاهد الثاني والأربعين بعد الأربعمائة ^(٢) .

* * *

(١) ش : يتزر به .

(٢) انظر الخزانة ٦ : ١٣٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٦٣ (لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتَ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ مَنْزِلِ الدَّامِ)

على أَنَّ تعاطف المفردين فيه ليس من قبيل ما تقدّم من كونه للضرورة ، بل لقصد التكثير ، إذ المراد : لو عُدَّت القبور قبراً قبرا . ولم يرد قبرين فقط ، وإنما أراد الجنس متتابعاً واحداً بعد واحد . يعنى : إذا حُصِّلَتْ أنساب الموتى وجددتنى أَكْرَمَهُمْ نسباً ، وأبعدهم من الدّم .

والبيت من أبيات أربعة أوردتها أبو تمام والأعلم الشنتمرى وصاحب الحماسة البصرية (فى حماساتهم) ، لعصام بن عُيَيْد الزماني . ونسبها الجاحظ (فى كتاب البيان) لهَمَامِ الرّقاشي ، وهى :

(أبلغ أبا مسمع عني مُغلغلةً وفى العتاب حياةً بين أقوام)
أدخلت قبلى قوماً لم يكن لهم فى الحق أن يلجوا الأبواب قدامى
لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتَ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ مَنْزِلِ الدَّامِ
فقد جعلت إذا ما حاجتني نزلتُ بباب دارك أدلوها بأقوام)

قوله : « أبلغ أبا مسمع » إلخ هو بكسر الميم الأولى وفتح الثانية . والمغلغة : الرسالة ، لأنها تُغلَّل إلى الإنسان حتى تصل إليه من بُعد ، من قولهم : تغلغل الماء ، إذا دخل بين الأشجار . وأصل الغلغلة دخول الشيء فى الشيء . وجملة « وفى العتاب حياة » إلخ معترضة بين أبلغ وبين أدخلت . والعتاب : اللوم والتوقيف على الذنب . يعنى ما دام القوم يلوم كل منهم

(١) المقرب ٧٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١١٢٢ . ونسبه الجاحظ إلى همام الرقاشي فى البيان

صاحبه على ما صَكَر منهم من التقصير لصاحبه ، يُرَجَى صلاحُهم وارتباط مَوَدَّاتهم . وإن لم يتعاتبوا انطوت ضمائرهم على الأحقاد .

وقوله : « أَدَخَلْتَ قَبْلِي قوما » إلخ أى قَدَّمْتهم عَلَى فى الإذن وإن لم يكن من حَقِّهم أَنْ يتقدَّموا عَلَى إذا وردنا الأبواب . و يَلْجُوا : يَدْخُلُوا . ورُوى : « أَنْ يَدْخُلُوا » . ودخل يتعدى فى الأصل بحرف جر ، ثم يحذف الجار تخفيفا فيقال : دخلت البيت . وقوله : « لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ » إلخ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : لم يُرد لوْعُدَّ قبرانِ اثْنانِ وإنما أراد لو عُدَّت القبورُ قَبْرًا قَبْرًا . ولو قال : عُدَّ قبر قبر فرفع لم يَجُز ذلك كما جاز لو عدت القبورُ قَبْرًا قَبْرًا . وذلك أَنَّ هذا من مواضع العطف ، فحذف حرفه لضرب من الاتساع . وهذا الاتساع خاصَّةٌ إِنَّمَا جاء فى الحال ، نحو : فصَلَّت حسابه بابا بابا ، ودخلوا رجلا رجلا ، أى متتابعين . ولو رفعت فقلت : فصلَّ حسابه بابَ بابٍ ، وأدخلوا رجلَ رجلٍ على البدل لم يَجُز . وعلى هذا قالوا : هو جارى بيتَ بيت ، ولقيته كَفَّةً كَفَّةً ^(١) ، فأتسَعوا بالبناء على الحال . ونحوها فى ذلك الظرف نحو قولك : كان يأتينا يومَ يومٍ ، وليلة ليلة ، وأزمانَ أزمانَ ، وصباح مساءً . فلو خرجت به عن الظرفية لم يَجُز فيه هذا البناء . ألا تراك تقول : هو يأتينا كلَّ صباح مساءً ، فى ليلةٍ ليلةٍ ، فتعرب البتة . انتهى .

وقال الطبرسى : يريد لو عُدَّت القبورُ قَبْرًا قَبْرًا ، إلا أنه اقتصر ،

(١) انظر سيبويه ٣ : ٣٠٤ . وهو بفتح الكاف ، أى كفاحا ، وذلك إذا استقبلته مواجهة .

اللسان (كفف ٢١٣) .

وحذف القبور ، وجعل القبر فاعلا (١) وأزاله عن سَنَنِ الحال . وقيل : معناه لو عُدَّ قَبْرِي وقَبْرُ الداخل قبلي لَكُنْتُ أَكْرَمَ مِنْهُ مَيِّتًا . انتهى .

والذام : لغة في الذَّمِّ بتشديد الميم .

وقوله : « فقد جعلت إذا » إلخ هو بالتكلم . قال الطبرسي : أى طفقت وأقبلت ، إذا نزلت حاجتى بباب دارك ، يريد إذا أُلْجِئْتُ إليك حاجةً أدلوها أى أُنْجِزْهَا بغيري (٢) ، واستشفعت أقوامًا فى قضائها ، ولم أقربك بنفسى . انتهى .

قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) ؛ الدُّلُو : الاستقاء بالدُّلُو من العُمق . يقال أدلى الدلو : إذا حَذَرَهَا للاستقاء ، يُدْلِيهَا إِدْلَاءً . ودَلَّاهَا ، إذا اجتذَبَهَا إِلَيْهِ يَدْلُوها دَلًّا . قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلَّوهُ ﴾ (٣) ، فهذا من الإدلاء ، وهو إلقاءها فى البئر .

وقال الشاعر فى دَلوت :

فقد جَعَلْتُ إذا ما حاجةٌ عرضت ... البيت .

أى أُنْجِزْ شُفْعَاءَ يَسْتَخْرِجُونَ لى حاجتى . انتهى .

وعصام بن عُبيد : شاعر جاهلى . وعُبيد : مصغَّرُ عبد بالتذكير . عصام بن عبد وزمَّان بكسر الزاى وتشديد الميم : أحدُ أجداد الشاعر ، وهو من بنى حنيفة .

(١) فى حواشى ط : « قوله فاعلا يريد نائب الفاعل » . وفى حواشى ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، والصواب نائب فاعل » والحق أن هذا تجوز فى التعبير بالفاعل عن نائبه .

(٢) ش : « أى أنجزها بغيرى » . والتنجز : طلب إنجاز العلة أو الحاجة ، كالاستئجاز .

(٣) الآية ١٩ من سورة يوسف .

وأنشد بعده :

(هَمَّا نَفْثًا فِي فَيٍّ مِنْ فَمَوِيهِمَا عَلَى النَّابِجِ الْعَاوَى أَشَدَّ رَجَامٍ)

وتقدم شرحه مفصلاً في الشاهد السادس والعشرين بعد الثلاثمائة (١) .

وضمير التثنية لإبليس وابن إبليس (٢) . و (نفثا) أى ألقيا على لسانى . و (النابج) هنا أراد به من يتعرض للهجو والسب من الشعراء ، وأصله فى الكلب . ومثله العاوى . و (الرّجام) : مصدر راجمه بالحجارة أى راماه . وراجم فلان عن قومه ، إذا دافع عنهم . جعل الهجاء فى مقابلة الهجاء كالمراجمة ، لجعله الهاجى كالكلب النابج .

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها فى آخر عمره تائباً إلى الله تعالى ممّا فرط منه من مهاجاته الناس ، وذمّ فيها إبليس لإغوائه إياه فى شبابه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الخمسمائة (٣) :

٥٦٤ (يَدَيَانِ بَيضَاوَانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ)

هذا صدرّ ، وعجزه :

(قَدْ يَمْنَعَانِكَ أَنْ تُضَامَ وَتُضْهِدَا)

على أنّه مثنى يداً بالقصر ، فلمّا تُنئى قلبت ألفه ياء ، كَفَتَيَانِ

(١) الخزانة ٤ : ٤٥٩ - ٤٦٦ .

(٢) وذلك فى قول الفرزدق قبل هذا البيت :

وان ابن إبليس ألبنا لهم بعذاب الناس كل غلام

(٣) المنصف ١ : ٦٤ / ٢ : ١٤٨ وابن يعيش ٤ : ١٥١ / ٥ : ٨٣ / ٦ : ١٠ / ٥٦ :

والمقرب ٨٠ ويس على التصريح ٢ : ٢٣٣ .

في مثنى فنى ، لأنَّ أصلها الياء ، فإنَّ الثنية من جُملة ما يَرُدُّ الشئ إلى أصله . وإنَّما قلبت في المفرد ألفاً لانفتاح ما قبلها . وتقلب واوًا في النسبة إليها عند الخليل وسيبويه ، فيقال يَدَوِيٌّ . قال صاحب الصحاح : وبعض العرب يقول لليد : يَدًا ، مثل رَحًا ^(١) . قال الشاعر :

ياربِّ سارٍ بات ما توسِّدا إلَّا ذراعَ العَنَسِ أو كَفَّ اليدِ ^(٢)
يديان بيضاوان البيت

وكذا قال ابن يعيش . وفيه ردٌّ على من زعم أنَّ يديان ^(٣) مثنى يد ^(٣) رُدَّتْ لأمِّه شذوذًا ، كالزخشرى (في المفصل) . قال ابن يعيش : متى كانت اللام الساقطة ترجع في الإضافة فإنَّها تُرَدُّ إليه في الثنية ، لا يكون إلا كذلك . وإذا لم ترجع في الإضافة لم ترجع في الثنية كَأَبٍ وَأَخٍ ، تقول أخوان وأبوان ، لأنَّكَ تقول في الإضافة : أبوك وأخوك ، فترى اللام رجعت في الإضافة ، فلذلك رددتها في الثنية . وذلك لأنَّنا رأينا الثنية قد تردُّ الذاهب الذى لا يعود في الإضافة ، كقولك في يد : يَدَيَّان ، وفي دم : دِمَّوان . وأنت تقول في الإضافة يدك ودُمُك ، فلا تردَّ الذاهب . فلمَّا قويت الثنية على ردِّ ما لم تردَّه الإضافة صارت أقوى من الإضافة . وحمل أصحابنا يديان على القلَّة والشُّذُوز ، وجعلوه من قبيل الضَّرورة .

(١) ش : « رَحى » . والرحى تشبُّها كما في اللسان رحوان ، قال ابن منظور : « والياء أعلى » ، أى رحيان ، فهي يائية واوية ، لأنَّه يقال رحوت بالرحا ورحيت بها .

(٢) هو الشاهد ٥٦٧ في ص ٤٩٨ .

(٣) ش : « يدان » ، صوابه في ط .

والذى أراه أنَّ بعض العرب يقول فى اليد : يَدًا فى الأحوال كلها ،
يجعله مقصورًا كرحًا . إلى آخر ما ذكره الجوهرى .

وكذا صنع ابن الشجرى (فى أماليه) قال : وَيَدٌ أَصْلُهَا يَدَى لظهور
الياء فى تثنيها ، ولقولهم: يَدَيْتُ إِلَيْهِ يَدًا ، أَيْ أُسْدَيْتُ إِلَيْهِ نعمة . قال :
يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسٍ بِنِ بَدْرِ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَذَا يَدَ الْكَرِيمِ ^(١)

فيجوز أن تكون اليد ، التى هى النعمة مأخوذة من التى هى الجارحة
لأنَّ النعمة تُسَدَى باليد . ويجوز أن تكون الجارحة مأخوذة من النعمة ، لأنَّ
اليد نعمة من نعم الله على العبد ، ويدلُّ على سكون عينها جمعها على أيدٍ ،
لأنَّ قياسَ فَعِلٍ فى جمع القلة أَفْعُلُ ، كَأَكْلِبٍ وَأَكْعُبٍ وَأَجْرٍ ، وأنسر فى جمع
نسر . وفتح الدال فى التثنية كقوله : « يديان بيضاوان » البيت لا يدلُّ على
فتحها فى الواحد ، لما ذكرته من إجراء هذه المنقوصات على الحركة إذا أُعيدت
لاماتها ، وذلك لاستمرار حركات الإعراب عليها فى حال نقصها ، وكذلك إذا
نسبت إليها أعدت المحذوف وفتحت الدال ، وأبدلت من الياء واوًا ، كما
أبدلت من ياء قاض . فقلت : يَدَوِيٌّ . هذا قول الخليل وسيبويه فى التَّسَبُّبِ
إلى هذا الضرب .

وأبو الحسن الأخفش ينسب إليه على زنته الأصلية ، فيقول يَدَيْتُ ،
وفى غيد : غَدَوِيٌّ ، وجرى : جَرَحِيٌّ ^(٢) . والخليل وسيبويه يقولون : غَدَوِيٌّ

(١) البيت لمعل بن عامر الأسدى كما فى الحماسة ١ : ١٨٩ بشرح التبريزى . وانظر حواشى
شرح المرزوقى ١٩٣ . وفى حواشى نسخة من نسخ أمالى ابن برى أنه لعامر بن مؤالة . وفى ط :
« الجزاة » بالزى ، صوابه بالنال كما فى ش والحماسة . والجم مفتوحة ومكسورة . انظر شرح
التبريزى . والرواية فى جميع المراجع : « ابن حسحاس بن وهب » .

(٢) ط : « غَدَوِيٌّ وجرحى » ، وتصحيحه وإكمله من ش .

وَجَرَحَى . وجمع اليد التي هي الجارحة في الأكثر على أُيدٍ ، وقد جمعها على أِيَادٍ في قوله :

٣٤٨

* قُطِنَ سُخَامٌ بِأَيْدِي غُزْلٍ *

سُخَامٌ : ناعم . واليد التي هي النعمة جمعُها في الأكثر الأشهر على أِيَادٍ . وقد جمعوها على الأيدي ، وإنما الأيدي جمع الجمع ، كقولهم في جمع أكلب : أكالب . وقولهم في تثنيها : يدانٍ ، أكثر من قولهم : ידיان . فهذا مضادٌ لقولهم : دَمَانٍ ^(١) ودَمَيَانٍ . انتهى .

وكذا قال ابن جنى (في شرح تصريف المازني) قال : إذا قالوا في النسب إلى يدٍ يَتَوَى تركوا عين الفعل محرّكة بعد الرّد ، لأنهم لو حذفوا الحركة عند رد اللام لكانت اللام كأنها لم تردّ ، لأنها قد عاقبت الحركة . وهذا قول أبي عليّ فيما أخذته عنه ، وهو يشهد لصحة قول سيبويه فيما ذهب إليه في بقية الحركة التي حدثت بعد الحذف ، إذا ردّ إلى الكلمة ما حذف منها . وأبو الحسن يذهب إلى ما وجب بالحذف عند ردّ المحذوف ، والقول قول سيبويه . ألا ترى أنّ الشاعر لما ردّ الحرف المحذوف بقى الحركة ^(٢) في قوله :

يديان ييضاون البيت

قال أبو عليّ : فإن قيل : فما تصنع بقوله :

* إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَخَاهُ غَعْلَوًا ^(٣) *

وقول الآخر ^(٤) :

وما النَّاسُ إِلَّا كَالدَّيَارِ وَأَهْلِهَا بها يوم حَلُّوها وَغَعْلَوًا بِلَاقِعٍ

(١) ط : « أدمان » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « أبقي » ط : « وبقي » ، والوجه ما أثبت من النصف .

(٣) اللسان (لا ٢٩٢ غنا ٣٥٢) ومعجم الشواهد ٥٥٨ .

(٤) هو لبيد . ديوانه ١٦٩ .

ألا ترى أنَّه ردَّ اللام وحذف حركة العين . فهذا يشهد لصحة قول أبى الحسن الأخفش . فالجواب : أنَّ الذى قال غَدُوا ليس من لغته أن يقول غد فيحذف ، بل الذى يقول غد غير الذى قال غدوا . انتهى .

قال ابن المستوفى : الذى قاله ابن جنى غير ما ذكره الجوهري ، فتنبهت يدين على ما ذكره ابن جنى صناعية ، وعلى ما ذكره الجوهري لغوية .

وقد تكلم ابن السكيت على « يد » زيادة على ما ذكرنا (فى كتاب المؤنث والمذكر) ، فأحببنا إirاده تميمًا للفائدة . قال : اليد مؤنثة تصغيرها يُدْيَة ، يردُّ إليها فى التصغير ما نقص منها ، والناقص منها ياء . والدليل على ذلك أنَّ الشاعر قال :

يَدَيَانِ بِيضَاوَانِ عِنْدَ مَحَلِّمٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ مِنْهُمَا أَنْ تَهْضُمَا

وتجمع ثلاث أيد ، ثم جمعوها الأيادي ، ولم يقولوا يُدَيِّ بالضم ، ولا أيداء ، وهو قياس . فاستغنى بأيد وأياد عنه . قال الشاعر (٢) :

فَلَنْ أَذْكَرَ التُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدِيًّا وَأَنْعَمَا

فإن شئت جعلت اليَدَيَّ بالفتح على جهة عَصَى وَعُصَيَّ ، وتركت ضم أولها أو كسره لثقل الضم والكسر فى الياء . وإن شئت جعلته جمعًا مفتعلًا (٢) مثل عبد وعبيد ، وكلب وكليب ، وممَّز وممَّيز . ويقال قد يَدَيْتُهُ أى أُصِبت يَدَهُ ، وقد يَدَيَّ من يده إذا شلَّ منها . وحَدَّثنى الأثرم عن أبى عبيدة قال :

(١) هو ضمرة بن ضمرة كما فى معجم الشواهد ٣٣٠ . « وينسب إلى الأعشى » ، وليس فى

ديوانه .

(٢) يعنى أنه اسم جمع .

كنت مع أبي الخطاب عند أبي عمرو في مسجد بني عدى ، فقال أبو عمرو : لا تجمع أيدي بالأيادي ، إنما الأيادي للمعروف . قال : فلما قمنا قال لي أبو الخطاب : أما إنها في علمه ولم تحضره ، وهو أروى لهذا البيت مني :

ساءها ما تأملت في أيادي بنا وإشناقها إلى الأعناق^(١) . انتهى

قال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : المحلّم بكسر اللام ، يقال إنه من ملوك اليمن^(٢) . وصف اليد وهي النعمة بالبياض ، ٣٤٩ عبارة عن كرم صاحبها . وقوله (عند محلّم) أى محلّم . يقال : عند فلان عطية أو مال ، أى له ذلك . كذا (في المقتبس) . قلت : وجه التشبيه على ما ذكر غير ظاهر ، والأظهر أن يراد العضوان ، ويراد ببياضيهما نقاؤهما وطهارتهما عن تناول ما لا يحسن في الدين والمروءة . و (ضامه) : ظلمه ، وكذا هضمه . (وضهده) : قهره . وقوله « أن تضام وتضهدا » مفعول ثان لقوله : تمنعانك ، يقال منعه كذا ومنعه من كذا . وروى : « قد تنفعانك » وعليه فقوله أن تضام في محلّ النصب على الظرف ، أى وقت كونك مظلوماً مقهوراً . والمعنى : لهذا الملك يدان طاهرتان عن موجبات الذم ، وتمنعانك أيها المخاطب أن تكون مظلوماً بالنصرة على من يظلمك والإعانة عليه . انتهى .

(١) لعدى بن زيد في ديوانه ١٥٠ .

(٢) وفي الاشتقاق ٢٨٧ : « واشتقاق محلم من قولهم : تحملت يرايع أرض بني فلان ، إذا

سمت »

ورواه الجوهري :

يَدَيَانِ بِيضَاوَانٍ عِنْدَ مُحَرَّقٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ مِنْهُمَا أَنْ تَهْضُمَا

ومحرَّق بكسر الراء المشددة ، قال صاحب العُباب : كان عمرو بن هند ملك الحيرة يلقَّب بالمحرَّق ، لأنَّه حرَّق مائة من بنى تميم . ومحَرَّق أيضا : لقب الحارث بن عمرو ملك الشَّام ، من آل جَفْنَةَ . وإنَّما قيل له ذلك لأنَّه أوَّل من حرَّق العرب في ديارِهِمْ . وهم يدعُونَ : آل مُحَرَّق .

وروى ابن الشجرى (١) :

..... عِنْدَ مُحَلِّمٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ أَنْ تَذِلَّ وَتُقَهَّرَا

وأنشده ابن الأعرابي وأبو عُمر الزاهد :

..... عِنْدَ مُحَلِّمٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ بَيْنَهُمَا أَنْ تَهْضُمَا

وروى أيضًا على غير ما ذكر .

ومع كثرة تداوله في كتب اللغة والنحو لم ينسبه أحدٌ إلى قائله ولا ذكر تمة له . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٦٥ (فلو أَنَا على جُحْرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبَرِ اليَقِينِ)

على أَنَّهُ جاءَ (دَمِيَان) في تشنية دم .

(١) في أماليه ٢ : ٣٥ . وكنا في المقتضب ١ : ٣٣٢ ومجالس العلماء للزجاجي ٣٢٧ .

(٢) المقتضب ١ : ٢٣١ / ٢ : ٢٣٨ / ٣ : ١٥٣ ومجالس العلماء ٣٢٨ والنصف ٢ :

١٤٨ وأملئ ابن الشجرى ٢ : ٣٤ والإنصاف ٣٥٧ وابن يعيش ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ / ٥ : ٨٤ /

٦ : ٥ / ٩ : ٢٤ والمقرب ٨٠ وشرح شواهد الشافعية ١١٢ والأشمونى ٤ : ١١٩ ويس ٢ : ٣٣٢ .

وهو شاذٌ عند الجوهري ، لأنه واوٍ . وما أورده الشارح المحقق هو كلام صاحب الصحاح إلى قوله « فإن قيل » إلخ .

وصدرُ كلامه : الدمُّ أصله دَمَوٌ بالتحريك ، وإنما قالوا دَمَى يَدْمَى ، لحال الكسرة التي قبل الياء ، كما قالوا : رَضِيَ يَرْضَى ، وهو من الرضوان . وأنشد البيت .

وقال ابن السراج (في الأصول) : وأما دَمَ فهو فَعَلَ بالتحريك لأنك تقول : دَمَى يَدْمَى دَمًا ، فهو دَمٌ . فهذا مثل فَرَقَ يَفْرُقُ فَرَقًا ، فهو فَرِقٌ . فدمٌ مصدرٌ مثل بَطَرَ وَحَذَرَ . وهذا قول أبي العباس المبرد ^(١) . وليس عندي في قولهم دَمَى يَدْمَى حجةٌ لمن ادَّعى أن دَمًا فعلٌ ؛ لأنَّ قولهم دَمَى يَدْمَى دَمًا إنما هو فَعَلَ ومصدرٌ اشتقًا من الدم ، كما اشتقَّ تَرَبَّ يَتَرَبُّ تَرَبًّا ^(٢) من التراب . فقولهم دَمًا اسمٌ للحدث ، والدمُّ : الشيء الذي هو جسم . ولكن قولهم دَمَيَان دَلٌّ على أنه فَعَلَ . قال الشاعر لما اضطرَّ :

فلو أنا على جُحْرِ دُبْحَنَا البيت

ثم قال : وأما دم فقد استبان أنه من الياء ، لقول بعض العرب دَمَيَان . وقال بعضهم : دَمَوَان . فمما دَلَّ على أنه من الواو أكثر ، لأنهم قد قالوا هَنَوَانٍ وَأَخَوَانٍ وَأَبَوَانٍ . انتهى كلامه . وهذا مأخذ كلام الصحاح .

وقد ردَّ ابن جنى بعض هذا (في شرح تصريف المازني) وأيد مذهب سيبويه ، قال : وزن شاة فَعْلَة ساكنة العين . هذا هو الصواب . وكلمت بعض

(١) ط : « أبي العباس والمبرد » .

(٢) ط : « كما اشتقَّ تَرَبَّ من يتربُّ تَرَبًا » . وقد رجح على « من » في ش ليصح الكلام كما أثبت .

الشيوخ من أصحابنا بمدينة السَّلام في العَيْن منها هل هي ساكنة أو متحرّكة ؟ فادّعى أنَّها متحرّكة ، فسألته عن الدِّلالة على ذلك فقال : انقلابُها ألفاً يدلُّ على أنَّها متحرّكة ، لأنَّها لو كانت ساكنة لوجب إثباتها كما ثبتت في حوض وثوب . فقلت له : أنا وأنت مجمعان على أنَّ سكون العين هو الأصل ، وأنَّ الحركة زائدة ، وحكم الزيادة أنَّ لا تثبت إلاً بدليل . فأما قولك انقلابها دليلٌ على الحركة فغير لازم ، لأنَّ الحركة التي فيها إنَّما دخلتها لمجاورتها تاء التانيث ، وقد أجمعنا على أنَّ تاء التانيث يُفتح ما قبلها ، وأنَّ سكون العين هو الأصل حتى تقوم دلالةٌ على الحركة . وأما انقلاب العين فإنَّما هو لما حدث فيها من الفتح عند مجاورتها تاء التانيث ، فوقَفَ الكلام هناك . وكأنَّها ^(١) كانت شَوَّه فلما حذفت الهاء بقيت شَوَّه ففتحو الواو ^(٢) لِتاءِ التانيث ، فصار شَوَّه ، فانقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها .

فإن قيل : ما تنكر أن تكون فعلة ، لأنَّ اللام لما رَدَّت وأبدلت في شاء همزة بقيت الألف بحالها . ولو كانت إنَّما انفتحت العين لمجاورتها التاء لوجب إذا رجعت اللام وزالت التاء أن تعود إلى سكونها فيقال شَوَّه أو شَوَّه ^(٣) إذا أبدلت الهمزة ؟ قيل : هذا لا يلزم ، لأنَّ العين لمَّا تحركت لمجاورتها التاء ثم

(١) ش : « وأنها » ، صوابها في ط والمنصف ٢ : ١٤٧ .

(٢) في المنصف : « ففتحت الواو » . وما بعده من الكلام إلى « وانفتاح ما قبلها » ساقط من

المنصف .

(٣) ط : « وشوَّه » ، وأثبت ما في ش والمنصف .

رُدَّت اللام بعد ذلك ، تركت الفتحة في العين بحالها قبل الردّ . وهذا مذهب سيبويه . ألا ترى أنّه لم يكن عنده في قول الشاعر :

* جَرَى الدَّمِيَانِ بالخير اليقين *

دلالة على تحرك العين من دم ، لأنّها لما أُجْرِي عليها الإعراب في قولهم دمّ ودماً ودم ، ثم رد اللام في الثنية بقى الحركة ^(١) في العين على ما كانت عليه قبل الردّ ، كما قال الآخر :

* يديانٍ ييضاوان عند محمّل *

وقد أجمعوا على سكون العين من يد . وقد تراه قال يديان ، فحرّكها عند الردّ ، لأنّها قد جرت محركة قبل الرد ^(٢) . والقول فيه مثله في الدميّان . وغيره من أصحابنا ، وهو أبو العباس ، يذهب إلى ترك العين من دم لأنّه مصدر دَمِيت دَما ، مثل هَوِيت هوى . قال أبو بكر بن السراج : « وليس ذلك بشيء » .

ثم أورد ما نقلناه من كلام ابن السراج . وحاصل كلامه أنّ دما أصله سكون العين ، وأنّ لامه ياء لا واو . وبه جزم الزجاج (في تفسيره) عند قوله : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ^(٣) الآية . قال : إنّ الأَخْفَشَ يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو ، لأنّ أكثر ما يحذف الواو لثقلها ، والياء تحذف أيضاً لأنّها تنقل . والدليل على هذا أنّ يدّا قد أجمعوا أنّ المحذوف منه الياء ، ولهم

(١) ش : « بقيت الحركة » ، وما أثبت من ط يطابق النصف .

(٢) في النصف : « متحركة قبل الرد » . وكلمة « محركة » ساقطة من ش .

(٣) من الآيات ٤٩ في البقرة و ٤١ في الأعراف و ٦ من إبراهيم .

دليل قاطع من الإجماع . يقال يَدَيْتُ إِلَيْهِ يَدًا . ودم محذوف منه الياء ، يقال دمٌ ودميان . قال الشاعر :

* جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْحَبْرِ اليَقِينِ *

والبنوة ليس بشاهد قاطع في الواو ، لأنهم يقولون الفتوة ، والثنية فتيان ، فابن^(١) يجوز أن يكون المحذوف منه الواو والياء ، وهما عندي متساويان . ا هـ .

وقد حكى الخلاف ابن السَّجَرِيّ (في أماليه) في كون العين محرَّكة أو ساكنة ، وفي كون اللام ياءً أو واوًا ، ورجَّح كونها ياء ، قال : ودم عند بعض التصريفيين دَمًى ساكن العين قالوا : لأنَّ الأصل في هذه المنقوصات أن تكون أعينها سواكن ، حتَّى يقوم دليلٌ على الحركة ، من حيث كان السُّكُون هو الأصل ، والحركة طارئة . قالوا : وليس ظهور الحركة في دَمِيَان دليلًا على أنَّ العين متحركة في الأصل ، لأنَّ الاسم إذا حذفت لامه واستمرَّت حركات الإعراب على عينه ، ثم أُعيدت اللام في بعض تصارييف الكلمة ، أُلزموا العين الحركة . وقال من خالف أصحاب هذا القول : أصل دم دَمًى بفتح العين ، لأنَّ بعض العرب قلبوا لامه ألفًا فألحقوه بباب رَحًا ، فقالوا : هذا دمٌ ودمًا كرحا . وقال بعض العرب في تثنيته دَمَانٍ فلم يردُّوا اللام ، كما قالوا في تثنية يد يدان . والوجه أن يكون العمل على الأكثر . وكذلك حكى قوم دَمَوَان . والأعرُف فيه الياء . وعليه أنشدوا :

٣٥١

* جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْحَبْرِ اليَقِينِ *

(١) في النسختين : « فابن » . وانظر اللسان (بنى ٩٧) .

قال بعض أهل اللغة : من العرب من يقول الدَّمُّ بالتشديد ، كما تلفظ العامة ، وهي لغة رديّة . وأنشدوا لتأبط شراً :

حَيْثُ التقت بكرٌّ وفَهْمٌ كُلُّها والدَّمُّ يجري بينهم كالجَنول

والعامة تفعل مثل هذا في الفم . ومن العرب ^(١) من يشدد الفم أيضاً . وإنّما يكون ذلك في الشُّعر ، قال :

* ياليتها قد خرجت من فَمِّه * انتهى

والجُحر ، بضم الجيم وسكون الحاء المهملة : الشُّقُّ في الأرض . وقوله : (جَرى الدَّميان) إلخ أراد بالخبر اليقين ما اشتهر عند العرب ، من أنّه لا يمتزج دَمُ المتباغضين . وهذا تلميحٌ في غاية الحسن ، أى لَمَّا امتزجا وعُرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي : معناه لم يختلط دَمِي ودَمُهُ ، من بغضى له وبغضه لى ، بل يجري دَمِي يَمَنَةً ودَمُهُ يَسْرَةً . ويوضّحه قول المتلمس من قصيدة :

أحارثُ إِنّا لمو تُسَاطُ دماؤنا ترايلنَ حتّى لا يمسّ دَمَ دَما

وقال ابن قُتيبة في ترجمة المتلمس (من كتاب الشعراء) : هذا البيت من إفراطه . يقول : إِنّ دماءهم تماز من دماءٍ غيرهم . وهذا محالٌ لا يكون أبداً .

وكذا قال ابن عبد ربّه (في العقد الفريد ^(٢)) .

و (تساط) بالسّين المهملة ، يعنى تُخَلَطُ . ومنه قول العامة : « لو خُليط دَمِي بدمه لما اختلط » ، أى لبائنه من شدّة العداوة ولم يمازجه .

(١) في أمالي الشجرى ٢ : ٣٥ : « ومن العرب الغرب » ، يعنى الخلف .

(٢) العقد ٥ : ٣٥٩ حيث قال : « وهذا من الكذب المحال » .

وقال الأندلسي : معناه لو ذُبحنا على جُحْرٍ واحد لا مترجت دماؤنا بدمائكم .
يصف ما بينهما من العداوة . وهذا خلاف المعنى ، والصواب : لَمَّا امتزجت
دماؤنا .

ونقل بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) أن معنى
البيت : لو ذُبحنا على جُحْرٍ لَعَلِمَ مِنَ الشُّجَاعِ مَنَّا من الجبان ، بجري دمه
وجموده ^(١) ؛ لأنَّ من زعمهم أنَّ دم الشُّجاع يجري ، ودم الجبان يجمد .
وتحقيقه : جرى دمي ودمك ملتبيين بالخبر اليقين . ولا يخفى أنَّ هذا المعنى
غير صحيح هنا ، بدليل ما قبله ، وهو :

(لِعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رِيَّاحٍ عَلَى حَالِ التَّكَاشُرِ مِنْذُ حِينِ
لِيُغْضِنِي وَأُبْعِضُهُ وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي
فَلَوْ أَنَّا عَلَى جُحْرٍ ذُبَحْنَا) البيت

هكذا روى الأبيات الثلاثة ابنُ دريد ، (في كتابه المجتني ^(٢)) عن
عبد الرحمن عن عمِّه الأصمعي ، ونسبها لعلِّي بن بدَّال بن سليم .
والتكاشر : المباشطة ، من الكَشَرَ ، وهو التَّبَسُّمُ . وروى ابن دريد بدله
(في الجمهرة) : « على طول التجاور » . وعلى بمعنى مع .
وقد أدخل هذه الأبيات الثلاثة صاحبُ (الحماسة البصرية) في
قصيدة المثقَّب العبدِّي . وأنشد بعدها :

(١) أى جمود دم عدوه .

(٢) في النسختين : « المجتني » بالباء ، وإنما هو بالنون . والكتاب مطبوع في حيدآباد سنة
١٣٤٢ . يقول فيه ابن دريد في ص ١٢ : « سميناه كتاب المجتني لاجتماعنا فيه طرائف الآثار ،
كما تجتني أطايب الثمار » . فهذا يقطع بأنه بالنون .

٣٥٢

(فَإِذَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصَدِيقٍ فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَنًى مِنْ سَمِينِي)
وَالْأَفْطَرِخْنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِنِي (

وتبعه ابن هشام (في شرح شواهد) ، والعينى أيضاً (في شرح شواهد شروح الألفية) ، ولم يوردها أحد في هذه القصيدة .

وقد رجعت إلى ديوانه فلم أجدها في هذه القصيدة . ورواها المفضل (في المفضليات) عارية عنها ، ولم ينبه عليها أحد من شراحهم كابن الأنبارى وغيره .

وقال ابن المستوفى : رأيت ^(١) هذه الأبيات في كتاب نحو قديم منسوبة للفرزدق . ووجدتها أيضاً في نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن في ربيع الآخر ، سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ونسبها لمرداسي ^(٢) بن عمرو . وقال : وتروى للأخطل . ووجدتها (في نوادر اللحياني أبي الحسن على بن حازم ^(٣)) قد أنشدها لأوس . انتهى كلام ابن المستوفى .

وابن دريد هو المرجع في هذا الأمر ، فينبغي أن يؤخذ بقوله . والله أعلم .

وعلى بن بدال ، بفتح الموحدة وتشديد الدال ، وآخره لام .

على بن بدال

* * *

(١) ط : « في رواية » وأصلح الشنقيطي بقلمه هاتين الكلمتين بلفظ « رأيت » ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) ط : « ونسبها لمرداس » ، صوابه في ش .

(٣) في النسختين : « حازم » بالخاء المعجمة ، صوابه من كتب التراجم . وفي البغية : « على ابن المبارك ، وقيل ، ابن حازم ، أبو الحسن اللحياني » . وفي طبقات الزبيدي ٢١٣ : « اللحياني هو على بن حازم . وله كتاب في النوادر شريف » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٦٦ (فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَذْمَى كُلُّوْمُنَا)
ولكن على أقدامنا يَقْطُرُ الدِّمَاءُ

على أَنَّ المبرّد استدلّ به بأنّ الدّم أصله فَعَلَ بتحريك العين ، ولامه ياء محذوفة ، بدليل أَنَّ الشاعر لما اضطرّ أخرجه على أصله وجاء به على الوضع الأول . فقلوبه الدّما بفتح الدال فاعل يقطر ، والضمّة مقدّرة على الألف ، لأنّه اسم مقصور ، وأصله دَمَى ، تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فقلت ألفا . والدليل على أَنَّ اللام ياء قولهم فى الثنية : دميان ، وفى الفعل : دميّت يده . هذا محصل مدّعا ، وهو إنّما يتمّ على أَنَّ فتح الميم قبل حذف اللام ، وعلى أَنَّ الدّما بمعنى الدم ، وعلى أَنَّ يقطر بالياء التحتية . وفى كلّ واحد بحث .

أمّا الأول فممنوع ، وإنّما فتحة الميم حادثة بعد حذف اللام ، وهو مذهب سيبويه ، وذلك أَنَّ الحركة عنده إذا حدثت لحذف حرف ثم ردّ المحذوف ثبتت الحركة التى كانت قد جرت على الساكن قبل دخولها عليه بحالها . ويشهد له قولهم : يديان ؛ فإنّهم أجمعوا على سكون العين من يد من غير خلاف . وقد نراهم ، قالوا : يديان ، فحرّكوا عند الرّد ، لأنّها قد جرت محرّكة قبل رد اللام .

(١) النصف ٢ : ١٤٨ والتصحيح للعسكري ٣٢٥ ومجالس العلماء للزجاجي ٣٢٥ وأما ابن الشجرى ٢ : ٣٤ ، ١٨٧ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ / ٥ : ٨٤ وشرح شواهد الشافعية ١١٤ والحماسة بشرح المرزوق ١٩٨ .

وَأَمَّا الثَّانِي فَمَمْنُوعٌ أَيْضًا ، لاحتِمَالُ أَنَّهُ مُصْدِرُ دَمَى دَمًا ، كَفَرَحٍ
يَفْرَحُ فَرَحًا . قَالَ ابْنُ جَنَى (فِي شَرْحِ تَصْرِيفِ الْمَازِي) : دَمًا : مُصْدِرُ
دَمِيَّتِ يَدِهِ ، لَا بِمَعْنَى الدَّمِّ . وَأَمَّا قَوْلُهُ ، وَأَنْشَدْنِيهِ ^(١) أَبُو عَلِيٍّ :

* وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمَا *

فَالدَّمَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، وَهُوَ مُصْدِرُ مَقْصُورٍ عَلَى فَعَلٍ ، وَتَقْدِيرُهُ عَلَى
حَذْفِ مُضَافٍ . وَكَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٢) .

كَأَطُومٍ فَقَدَتْ بُرْغَزَهَا أَعْقَبَتِهَا الْغُبْسُ مِنْهُ عَدَمًا
غَفَلْتُ ثُمَّ أَتَتْ تَرْقُبُهُ فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدَمًا

فَإِنَّهُ أَوْقَعَ الْمَصْدَرَ فِيهِمَا مَوْعَجَ الْجَوْهَرِ ، وَتَأْوِيلُهُ عِنْدِي عَلَى حَذْفِ
الْمُضَافِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَقْطُرُ ذُو الدَّمَى ، وَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَذِي دَمَى . انْتَهَى .

وَالْأَطُومُ ، بِفَتْحِ الْأَلْفِ وَضَمِّ الطَّاءِ : الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ . وَالْبُرْغَزُ بِضَمِّ
الْمُوَحَّدَةِ فَالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ بَيْنَهُمَا ، وَآخِرُهُ زَايٌ ، هُوَ
وَلَدُهَا . وَالْغُبْسُ : جَمْعُ أَغْبَسَ ، وَهِيَ الذَّنَابُ ، وَقِيلَ هِيَ الْكِلَابُ . وَالِدَّمَا فِي
الْمَوْضِعَيْنِ لَاحْتِفَاءً فِي كَوْنِهِ بِمَعْنَى الدَّمِّ ، وَالتَّأْوِيلُ خِلَافُ الظَّاهِرِ .
وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَقَدْ رَوَى أَيْضًا بِالنُّونِ وَبِالتَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ قَالَ الْعِسْكَرِيُّ (فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ ^(٣)) : اخْتَلَفُوا
فِي نَصْبِ الدَّمِّ ، وَرَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ :

* عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا *

(١) ط : « وَأَنْشَدْنِيهِ » صَوَابُهُ فِي شَرْحِ الْمُنَاصِفِ ٢ : ١٤٨ .

(٢) الشَّاعِرُ مَجْهُولٌ . وَانْظُرْ مَعْجَمَ شَوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ ٣٣٧ .

(٣) شَرْحُ مَا يَقَعُ فِيهِ التَّصْحِيفُ وَالتَّحْرِيفُ ص ٣٢٥ .

بالنون ، أى تقطر دمًا من جراحنا . انتهى .

فَقَطَرَ على هذا متعَدٌ ، يقال قطر الدمُ وَقَطَرَتْه ، أى سال وأسلته . وأما الرواية بالناء الفوقية فقد رواها شراح الحماسة وقالوا : قطر فعلٌ متعَدٌ مسندٌ إلى ضمير الكلوم . فالدمًا على هاتين الروایتين مفعول به ، يحتمل أنه مقصور كما قال المبرد ، ويحتمل أنه الدم منقوص وألفه للإطلاق . وحينئذ يسقط الاستدلال على أنه مقصور . وقال المرزوقي (فى شرح الحماسة) ، وتبعه التبريزى وغيره : وإن شئت جعلت الدم منصوبًا على التمييز ، كأنه قال : تقطر دما ، وأدخل الألف واللام ولم يعتدّ بهما . وقال (فى شرح الفصيح) : وبعضهم يجعل الدّما تمييزًا ، ولا يعتدّ بالألف واللام ، أراد تقطر كلومنا دمًا ، أى من الدم ، كما فى قوله :

* ولا بفزارة الشعر الرّقابا (١) *

وما أشبهه . ويجوز فى هذا الوجه أن تنصبه على التشبيه بالمفعول به ، كما يفعل بقوله : هو الحسنُ وجهها . انتهى .

أقول : قد خطأ أبو عليّ الوجه الأوّل (فى المسائل البصرية) قال : وحملُ الدّما على التمييز خطأ . انتهى . وأما الوجه الثانى فليس على منوال ما مثل به . وزاد ابن جنى (فى إعراب الحماسة) فقال : روى : « تقطر الدما » ،

(١) ط : « بفزارة » تحريف ، صوابه فى سيبويه ١ : ٥٢ ، ٤٨٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٣ والعينى ٣ : ٩ . والأشمونى ٣ : ١٤ . والبيت للحرث بن ظالم . وصدّره :

بفتح المثناة الفوقية وضَمِّها . أُمَّا الْأَوَّلُ فَلَأَنَّ قَطَرَ مَتَعِدُّ . وَأَمَّا الثَّانِي فَعَلَى أَنَّهُ
منقول من قَطَرَ الدَّمُ بِالرَّفْعِ ، وَأَقْطَرْتَهُ ، كَقَوْلِكَ : سَالَ وَأَسْلَتَهُ . انْتَهَى .
وقد جاء تَقَطَّرَ الدِّمَا مَتَعِدِيًّا نَاصِبًا لِلدَّمِ ، فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ لِأَبِي طَالِبٍ ، حِينَ قَتَلَ خِدَاشَ بْنَ عُلْقَمَةَ بْنِ عَامِرٍ ، مِنْ أُبَيَّاتٍ
عَدَّتْهَا ثَلَاثَةٌ عَشَرَ بَيْتًا ، أَوْرَدَهَا أَبُو تَمَامٍ (فِي آخِرِ كِتَابِ مُخْتَارِ أَشْعَارِ
الْقِبَائِلِ) ، وَهُوَ :

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يَنْصِفُونَا فَأَنْصَفْتُ قَوَاطِعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقَطَّرَ الدِّمَا (١)

وَأَوْرَدَ السَّيُّوطِيُّ (فِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ) مَجْلِسَ ثَعْلَبٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ
النَّحْوِيِّينَ ، نَقَلَهُ مِنْ كِتَابِ غَرَائِبِ مَجَالِسِ النَّحْوِيِّينَ لِلزَّجَّاجِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ فَأَنْشَدَنَا :
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقَطَّرُ الدِّمَا
فَسَأَلْنَا : مَا تَقُولُونَ فِيهِ ؟ فَقُلْنَا : الدَّمُ فَاعِلٌ جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ . فَقَالَ :
هَكَذَا رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ (٢) . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : هَذَا غَلَطٌ ، وَإِنَّمَا الرِّوَايَةُ :
« تَقَطَّرَ الدِّمَا » مَنقُوطَةٌ مِنْ فَوْقِهَا ، وَالْمَعْنَى : وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرَ الْكُلُومُ
الدِّمَا ، فَيَصِيرُ مَفْعُولًا بِهِ . وَيُقَالُ قَطَرَ الْمَاءُ وَقَطَرْتُهُ أَنَا . وَأَنْشَدْنَا :

* فَإِذَا هِيَ بِعِظَامِ وَدِمَا * الْبَيْتَيْنِ

(١) الْبَيْتُ أَيْضًا مِنْ أُبَيَّاتٍ ثَلَاثَةٌ فِي حِمَاةِ الْبَحْتَرِيِّ ٦٠ . وَهُوَ مَعَ قَرِينٍ لَهُ فِي مَعْجَمِ الْمَرْزَبَانِيِّ

. ٢٦٢

(٢) وَكَذَا فِي الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ لِلْسَّيُّوطِيِّ ٣ : ٤٠ لَكِنْ فِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ لِلزَّجَّاجِيِّ ٣٢٥ :

« رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدَةٍ » .

وقال : كان الأصمعيّ يقول : إنّما الرواية بكسر الدال ، ثم قصر الممدود . انتهى .

وأما ما ادّعى المبرد أنّ لام الدم ياء لا واو ، فقد تقدم الكلام عليه في البيت قبل هذا .

وهو من أبيات ثلاثة أوردها أبو تمام (في الحماسة) للحُصَيْن بن

صاحب الشاهد

٣٥٤ الحُمَام المَرَيّ ، وأوردها الأَعْلَم الشنَمَرِيّ (في حماسه أيضًا) ، وهى :

(تأخّرتُ أَسْتَبْقَى الحَيَاةَ فلم أَجِدْ لنفسي حَيَاةَ مِثْلٍ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فلَسْنَا على الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا ولكنْ على أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
نُفْلِقُ هَامًا من رِجَالٍ أَعَزَّةٍ علينا وهم كانوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا)

أبيات الشاهد

وقوله : « تأخّرتُ أَسْتَبْقَى الحَيَاةَ » إلخ قال الطبرسيّ في شرحه : يقول : نكصت على عقبي رغبةً في الحَيَاةَ ، فرأيت الحَيَاةَ في التَقَدُّمِ . وقال المرزوق : يجوز أن يكون هذا مِثْلَ قولهم : « الشُّجَاعُ مُوقَى » ، أى تَهَيَّيْه الأَقْرَانُ فيتحامونه ، فيكون ذلك وقايةً له . وفي طريقته قول الآخر :

يَخَافُ الجِبَانُ ، يُرَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الأَجَلِ
وقد تدركُ الحَادِثَاتُ الجِبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ البَطْلُ
ومثله قوله الآخر :

تُهَيِّنِ الثُّفُوسَ وَهَوْنُ الثُّفُو سِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ أَوْقَى لها

ويجوز أن يقول : أَحْجَمْتُ مُسْتَبْقِيًا لَعِيشِي فلم أَجِدْ لنفسي عِيشًا كما يكون في الإقدام ، وذلك لأنَّ الأَحْدُوْثَةَ الجميلةَ عند الناس إنّما تكون بالتَقَدُّمِ لا بالتأخّر ، وبالاتِّحَامِ لا بالانحراف . ومن ذُكِرَ بالجميل وتُحَدِّثُ عنه بالبلاء

حَيَّ ذَكَرَهُ وَاسْمُهُ ، وَإِنْ ذَهَبَ أَثَرُهُ وَجَسَمُهُ . وَقَوْلُهُ : « حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ
أَتَقَدَّمَ » ، مَعْنَاهُ حَيَاةٌ تَشْبِهُ الْحَيَاةَ الْمَكْتَسِبَةَ فِي التَّقَدُّمِ وَبِالتَّقَدُّمِ

وَقَوْلُهُ : (فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ) إِيْلَ الْأَعْقَابِ : جَمْعُ عَقِبَ بَفَتْحِ
فَكْسَرِ ، هُوَ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ . وَالْكَلُومُ : جَمْعُ كَلَمَ بَفَتْحِ فَسْكَوْنِ ، وَهُوَ
الْجُرْحُ . قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : أَرَادَ : لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكَلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ . وَلَوْ لَمْ يَجْعَلِ
الْإِنْخِبَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَكَانَ الْكَلَامُ : لَيْسَتْ كَلُومُنَا بِدَامِيَةٍ عَلَى الْأَعْقَابِ .
فَيَقُولُ : نَتَوَجَّهُ نَحْوَ الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ وَلَا نُعْرِضُ عَنْهُمْ ، فَإِذَا جُرْحْنَا كَانَتْ
الْجَرَاحَاتُ فِي مَقَدِّمِنَا ، لَا فِي مُؤَخَّرِنَا ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ عَلَى أَقْدَامِنَا ، لَا عَلَى
أَعْقَابِنَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْقُطَامِيِّ :

لَيْسَتْ تُجْرَحُ قُرَارًا ظُهُورُهُمْ وَفِي التَّحُورِ كَلُومٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ^(١)

انتهى .

وَقَدْ أورد ابن هشام صاحب السيرة هذا البيت (في سيرته) ، وَتَبِعَهُ
الشَّامِيُّ فَأوردَهُ (في سيرته) أَيْضًا ، قَالَا : إِنْ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ فَرَّ يَوْمَ بَدْرٍ خَالِدَ
ابْنَ الْأَعْلَمِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ

فَمَا صَدَقَ فِي ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَرَّ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَدْرَكَ وَأَسْرَ .

انتهى .

فَظَاهَرَهُ أَنَّهُ قَائِلُ هَذَا الْبَيْتِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَالَهُ مِثْمَلًا بِهِ .
وَقَوْلُهُ : « نَفْلَقْ هَامَا » إِيْلَ قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : يَقُولُ : نَشَقُّقْ هَامَاتٍ مِنْ

(١) قبله في الديوان ٨٨ :

ثَابِتٌ لَهُ عَصَبٌ مِنْ مَالِكٍ رَجَعَ عِنْدَ الْلِقَاءِ مَسَارِيعٌ إِلَى النَّادَى

رجالٍ يكرمون علينا ، لأنهم منا ؛ وهم كانوا ^(١) أسبق إلى العقوق وأوفر ظلما ، لأنهم بدعونا بالشرّ وألجئونا إلى القتال ، فحن منتقمون ومُجازون . انتهى .

وقال الخطيب التبريزي : أصل العقوق القطع ، يقال عَقِيَ الرَّجِمَ كما يقال قطعها . وجمع العاقُّ أَعْقَةٌ ؛ وهو جمع نادر . انتهى .

وهذه الأبيات الثلاثة من قصيدة عدتها واحد وأربعون بيتا ^(٢) للحصين صاحب الشاهد ٣٥٥ ابن الحُمَام ، وهو شاعر جاهلي ، أوردَها المفضل (في المفضليات) وليس البيتان الأولان من الثلاثة موجودين في رواية المفضل ، والبيت الثالث في روايته إنما هو : « يَفْلُقَنَّ » بالنون ، لأنه ضمير السُيُوف في بيتٍ قبله ، وهو : (صَبْرٌ نَاوَكَا الصَّبْرُ مَنَّا سَجِيَّةٌ بِأَسَافِنَا يَقْطَعَنَّ كِفَاوَمِغْصَمَا)

وقد تقدّم أبياتٌ كثيرةٌ منها مشروحةٌ مع ترجمته في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائتين ، من باب الاستثناء ^(٣) .

وقد أورد ابنُ الأنباري (في شرحه) منشأ هذه القصيدة فقال : كانت بنو سعد بن ذبيان قد أحلبت على بنى سهم مع بنى صِرْمَةَ ، وأحلبت معهم مُحَارِبُ بن خَصَفَةَ ، فساروا إليهم ورئيسُهم حُمَيْضَةُ بن حرملة الصُرْمِي ، ونكصت عن حُصَيْنِ بن الحُمَامِ قَبِيلَتَانِ ، وهما عَنُوان بن وائلة بن سهم ، وعبد غنم بن وائلة بن سهم ، فلم يكن معه إلا بنو وائلة بن سهم والحُرْقَةُ ،

(١) ط : « وان كانوا » ، وأثبت ما في ش و شرح المزروقي ١٩٩ .

(٢) ط : « أحد وأربعون بيتا » .

(٣) الخزاعة ٣ : ٣١٨ - ٣٢٧ .

فسار إليهم فلقيتهم الحصين ومن معه بدارة موضوع ، فظفر بهم وهزمهم ،
وقتل منهم فأكثر ، فلذلك يقول الحصين بن الحمام :

ولا غزو إلا يوم جاءت محاربٌ يقودون ألفاً كلهم قد تكتبا^(١)

مولى موالينا ليسبوا نساءنا أثعلبٌ قد جئتم بتركاء ثعلبا

وإنما سارت إليهم محاربٌ للحلف الذى كان بينهم . فقال الحصين :
أيا أخويننا من أئينا وأئنا إليكم وعند الله والرحم العنبر . انتهى

وأحلبَ بالحاء المهملة ، قال (فى الصحاح) : يقال للقوم إذا جاءوا
من كل أوب للنصرة : قد أحلبوا . والمُحلب : الناصر . ويعجبني من آخر
هذه القصيدة قوله :

(فلستُ بمبتاع الحياة بسببة ولا مبتغى من رهبة الموت سلما)

يقول : لا أشتري الحياة بما أسبُ عليه وأعير به ، ولا أطلب النجاة من
الموت ، لأننى أعلم أن الموت لا بد منه . يعنى مَنْ طلب النجاة من الموت
احتملَ الدلَّ ، ومن علم أنه ميت لا محالة لم يحتمل المذلة .

والْحُصَيْن ، بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين . والحُمَام ، بضم الحاء ، بضم الحصين بن الحمام
المهملة وتخفيف الميم . والمرى نسبة إلى مرة ، وهو أبو قبيلة ، وهو مرة بن
عوف بن سعد بن ذبيان . وسهم وصرمة أخوان ، وهما ابنا مرة . وواثلة هو
ابن سهم . والحصين من بنى وائلة ، وهو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن

(١) الغزو : العجب . ط : « ولا غزو » ، صوابه فى ش .

مساب بن حرام بن وائلة . وحميضة ، بالتصغير هو ابن حرملة بن الأشعر بن إياس بن مُرَيْطَة بن ضَرَمَة بن صِرْمَة بن مرة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الخمسمائة ^(٢) :
 ٥٦٧ (يَارْبُ سَارِ بات ما تَوْسَدَا إِلَّا ذِرَاعَ الْعَنَسِ أَوْ كَفَّ اليدا)
 على أَنَّ السَّيرَافِي استدلَّ به على أَنَّ « يدا » أصله فَعَل بتحريك العين :

قال صاحب الصحاح : بعض العرب يقول لِلْيَدِ يَدًا ، مثل رَحَى .
 وأنشد الشعر . وتثنيتهما على هذه اللغة يَدَيَانِ مثل رَحَيَانِ . قال الشاعر :
 يَدَيَانِ بِيضَاوَانِ عِنْدَ مَحْرَقٍ قَدْ تَمْنَعَانِكَ مِنْهُمَا أَنْ تُهْضَمَا . انتهى .
 وتبعه ابن يعيش بقوله : « والذي أراه أَنَّ بعض العرب يقول في اليد ٣٥٦
 يدا » . إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح .

وقال ابن الأنباري (في كتاب الأضداد) : أنشد الفراء :
 * يَارْبُ سَارِ بات ما تَوْسَدَا * إلخ

أَي كَانَ ذِرَاعُ النَّاقَةِ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَسَادَةِ . وموضعُ الْيَدِ خَفَضٌ بِإِضَافَةِ الْكَفِّ إِلَيْهَا ، وَتَبَتِ الْأَلْفُ فِيهَا وَهِيَ مَخْفُوضَةٌ لِأَنَّهَا شَبِهَتْ بِالرَّحَى وَالْفَتَى .
 وعلى هذا قَالَتِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ : قَامَ أَبَاكَ ، وَجَلَسَ أَخَاكَ ، فَشَبَّهُوهُمَا بِعَصَاكَ وَرَحَاكَ . هذا مذهب أصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصبٌ

(١) في القاموس (ضرم) : « وضرمه بن صرمه بكسر الصاد المهملة : جد لهاشم بن حرملة » وقد ضبطت « ضرمه » بفتح الضاد والراء . وانظر مختلف القبائل لابن حبيب ٤٥ .
 (٢) رسالة الملائكة ١٦٥ وابن يعيش ٤ : ١٥٢ والمجم ١ : ٣٩ .

بكفّ ، وكفّ فعلٌ ماضٍ من قولك : قد كفّ فلان الأذى عنا . انتهى كلامه . فتأمل كلامه .

و (يا) حرف تنبيه و (ربّ) حرف جر . و (سارٍ) : اسم فاعل من سَرى في الليل . واسم بات ضمير سار ، وجملة ما توسّدَا خبرها ، والجملة الكبرى صفة لسارٍ . ويجوز أن تكون بات تامة ، وجملة ما توسّدَا حالٌ من ضمير فاعلها . و (توسّد) بمعنى اتّخذ وسادة . و (العنُس) بفتح العين وسكون النون : الناقة الشديدة . ويروى : « العُيس » بالكسر وبالمشاة التحتية ، وهى الإبل البيض التى يخالط بياضها شيء من الشقرة ، واحدها أُعيس والأنثى عيساء . يقول : أكثرُ من يسير الليل لم يتوسّد للاستراحة إلاّ ذراع ناقته المعقولة ، أو كفّ يده . وجواب ربّ محذوف ، تقديره لقيته ، أو مذكورٌ في بيت بعده . ولا يصح أن يكون جوابها ما توسّد . فتأمل .

وهذا الرجز لم أقف على قائله ولا تتمّته . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الخمسمائة ^(١) :
 ٥٦٨ (هُمَا حُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ ، وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ)
 على أن نون التثنية قد تحذف للضرورة كما هنا ، فإن الأصل : هما خطتان .

(١) الخصائص ٢ : ٤٠٥ والمغنى ٩٩ والعينى ٣ : ٤٨٦ والتصریح ٢ : ٥٨ والمصع ١ : ٤٩ / ٢ : ٥٢ والأهمونى ٢ : ٢٧٧ والحماسة بشرح المروزق ٨٩ واللسان (خطط) .

وهذا على رفع إसार . وأما على جرّه فخطأ مضاف إليه وحذفت النون للإضافة . قال ابن هشام (فى المغنى) : فى رفع إसार حذف نون المثنى من خطأتان . وفى جره الفصل بين المتضايقين بإمّا . فلم ينفك البيت عن ضرورة . انتهى

وقد تكلم على الوجهين ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) بكلام لا مزيد عليه فى الحُسن . قال : أمّا الرّفع فظريف المذهب ^(١) ، وظاهر أمره أنّه على لغة من حذف نون التثنية لغير إضافة ، فقد حُكى ذلك . ومما يعزى إلى كلام البهائم قول الحَجَلَة للقطة : « ييضُك ثنتا ، وييضى مائتا » ، أى ثنتان ، ومائتان . وقول الآخر ^(٢) :

لنا أعزُّ لُبْنٌ ثلاثٌ فبعضُها لأولادها ثنتا وما بيننا عَزُّ

وزهب الفراء فى قوله :

لها مَتَتانِ خَطَّاتا كَمَا أَكَبُّ على ساعديه التَّمِرُ ^(٣)

إلى أنّه أراد خطأتان ، فحذف النون استخفافاً . واستدلّ على ذلك بقول الآخر ^(٤) :

ومتان خطأتان كزُحُوفٍ من الهَضْبِ

وقد تَقَصَّيت القول على هذا الموضع فى كتابى (سر الصناعة) . فعلى هذا يجىء قوله :

هما خططنا إمّا إسار ومئة وإمّا دم

(١) وكنا ورد فى إعراب الحماسة الورقة ٢١ بالطاء المعجمة .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٣٠ وشرح القصائد السبع الطوال ٣٠٥ وشرح الحماسة للمرزوق

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٤ .

(٤) هو أبو دؤاد الأيادى . ديوانه ٢٨٨ واللسان (خطا) .

على أنه أراد : خطتان ، ثم حذف النون على ما تقدّم .

فإن قلت : فإذا كان بالثنائية قد أثبت شيئين ، فكيف فسرّ بالواحد ، فقال : إمّا وإمّا ، وهما يثبتان الواحد كما تثبته أو ^(١) .

فالجواب : أنه تصوّر أمرين ، واعتقد أنه لا بدّ من أحدهما ، وعلم أن المحصول عليه أحدهما لا كلاهما ، ففسّر ما تصوّره ، وهما شيئان ، بما يُحصل عليه وهو الواحد ، كما يخص بعد العموم في نحو قولك : ضربت زيداً رأسه ، ولقيت بنى فلان ناساً منهم .

فإن قلت : فهلاً حملته على حذف المضاف فكان أقرب مذهبا وأيسر متوهّما ، حتّى كأنه قال : هما إحدى خطّتين ؟

قيل : يمنع من ذلك قوله هما ، وهما لا يكون خبره مفرداً . ألا تراك ^(٢) لا تقول : أخواك جالس ولا نحو ذلك . فلذلك انصرفنا عن هذا الوجه إلى الذى قبله .

ويجوز عندى فيه وجّهٌ أعلى من هذا ، لضعف حذف نون الثنية عندنا ، وهو أن يكون على وجه الحكاية ، حتّى كأنه قال : هما خطّتان قولك : إمّا إيسار ومئة وإمّا دم ، فتحذف النون على هذا للإضافة البتّة .

وأما من جرّ إمّا إيسار ومئة ، فأمره واضح ^(٣) . وذلك أنه حذف النون للإضافة ولم يعتدّ « إمّا » فاصلاً بين المضاف والمضاف إليه . وعلى هذا تقول : هما غلاما إمّا زيد وإمّا عمرو ، وهذان ضاربا إمّا زيد وإمّا جعفر .

(١) ش : « كما تثبته أو » . وما فى ط يطابق ما فى إعراب الحماسة .

(٢) فى النسخين : « ألا ترى » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٣) هذا الكلام إلى آخره موضعه فى إعراب الحماسة قبل الكلام السابق .

وأُجود من هذا أن تقول : هما إما خطئنا إيسارٍ ومِنه وإما دمٌ . وإن شئت : وإما خُطئنا دم .

فإن قلت : إن إما مثل « أو » في أن كل واحدٍ منهما توجب إحدى الشيئين ، فترجع بك الحال إذن إلى أنك كأنك قلت : هما خطئنا أحد هذين الأمرين . وليس الأمر كذلك ، إنما هما خُطئتان إحداهما كذا والأخرى كذا . وليست أيضًا كل واحدة من الخطئتين للإيسار والدم جميعًا ، إنما أحدهما لأحدهما (١) على ما تقدّم .

فالجواب : أن سبب جواز ذلك هو أن كل واحدٍ من الإيسار والدم لما كان معرضًا لكل واحدة من الخطئتين ، يصلح أن يصير بصاحب الخطئة إليه ، أطلقًا جميعًا على كل واحد منهما بأن أضيفا إليه ، وجعل مُفضًى له ومَظَنَّة منه . ونحو منه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢) ولم يجعل كل واحد من الليل [والنهار (٣)] لكل واحدٍ من السكون والابتغاء ، وإنما جعل الليل للسكون ، والنهار للابتغاء ، فخلط الكلام اكتفاءً بمعرفة المخاطبين بوقت السكون من وقت الابتغاء . انتهى .

والبيت من أحد عشر بيتًا لتأبط شرًا ، أوردها أبو تمام (في الحماسة)

صاحب النامد

هكذا :

(إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جِدُّهُ أضاعَ وقاسى أمره وهو مُدْبِرٌ
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلاً به الخطبُ إلا وهو للقصد مُبْصِرٌ)

أبيات النامد

(١) في إعراب الحماسة : « إنما لإحداهما » .

(٢) الآية ٧٣ من سورة القصص .

(٣) التكملة من إعراب الحماسة .

فذاك قَرِيعُ الدَّهَرِ ما عاش حَوْلَ إذا سُدَّ منه مَنخَرٌ جاش مَنخِرُ
أقول لِلْحَيانِ وقد صَفِرَتْ لَهُمْ وطايبي ويومي ضَيِّقُ الْحَجَرِ مُغَوِّرُ^(١)
هما حُطَّتَا إِمَّا إِسَارٍ وَمِنَّةٍ وإِما دَمٍ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ
وَأُخْرَى أَصَادِي التَّنَفَسِ عنها وإِنَّهَا لَمَوْرِدُ حَرِّمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْنَرُ
فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فزَلَّ عَنِ الصَّفَا به جَوْجُو عَيْلٍ وَمَتَنٌ مَخْصَرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدِجِ الصَّفَا به كَدْحَةٌ ، وَالْمَوْتُ حَزْيَانٌ يَنْظُرُ
فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كَدْتُ آيَا وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفُرُ^(٢)

٣٥٨

وأورد صاحب الأغاني أول الأبيات « أقول للحيان » والأبيات الثلاثة قبله ، بعد قوله : فأبت إلى فهم ... البيت .

وخبر هذه الأبيات أَنَّ تَأَبَّطَ شَرًّا كَانَ يَشْتَارُ عَسَلًا فِي غَارٍ مِنْ بِلَادِ
هَذِيلَ ، وَكَانَ يَأْتِيهِ كُلَّ عَامٍ ، وَأَنَّ هَذِيلًا ذُكِّرَ لَهَا ذَلِكَ ، فَرَصَدَتْهُ لَوَقْتٍ ،
حَتَّى إِذَا هُوَ جَاءَ وَأَصْحَابُهُ تَدَلَّى فَدْخَلَ الْغَارَ . فَأُغَارَتْ هَذِيلٌ عَلَى أَصْحَابِهِ
وَأَنْفَرُوهُمْ ، وَوَقَفُوا عَلَى الْغَارِ فَحَرَّكُوا الْحَبْلَ ، فَأُطْلِعَ رَأْسَهُ فَقَالُوا : أَصْعَدُ .
قَالَ : فَعَلَامُ أَصْعَدُ ؟ عَلَى الطَّلَاقَةِ وَالْفِدَاءِ ؟ قَالُوا : لَا شَرَطَ لَكَ . قَالَ :
أَفْتَرَاكُمْ آخِذِي وَقَاتِلِي وَأَكْلِي جَنَائِي^(٢) . لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ! ثُمَّ جَعَلَ يُسِيلُ
الْعَسَلَ عَلَى فَمِ الْغَارِ ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى زِقِّ فَشَلَّهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ لَصِقَ بِالْعَسَلِ ، وَلَمْ
يَزَلْ يَتَزَلَّقُ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَ سَلِيمًا إِلَى أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، فَهَضَّ وَفَاتَهُمْ ، وَبَيْنَ
مَوْضِعِهِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ وَبَيْنَهُمْ [مَسِيرَةٌ^(٣)] ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ .

خبر الأبيات

(١) الحجر ، بفتح الحاء : الناحية ، ومثله الحجرة بالفتح . وفي المثل : « يربض حجرة ويرتعى وسطا » . شرح الحماسة للمرزوقي ٨١ .

(٢) ط : « جنائي » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) التكملة من ش .

وقوله : « إذا المرء لم يَحْتَل » إِنْخِ الحِيلَةُ من حال الشيء ، إذا انقلبَ عن جهته ، كأنَّ صاحبها يريد أن يستنبط ما تحوّل عند غيره ، ولذلك يقال : فلانٌ حَوَّلَ قُلُوبَ . و « جَدَّ جِئُهُ » : ازداد جِئُهُ جدًّا . والجَدَّ ، بالكسر : الاجتهاد . وأضاع : وجد أمره ضائعا ، أو بمعنى ضيَّع . والمعنى عاجلُ أمره مدبرًا فيه غير مقبل . أى إذا المرء لم يطلبْ رشده في إصلاح أمره في الوقت الذى يجب أن يفعله آل به أمره إلى الضياع .

وقوله : « ولكنْ أخو الحَزْم » ، يقول : صاحب الحزم هو الذى يستعدُّ للأمر قبل نزوله .

وقوله : « فذاك قَرِيعُ الدَّهر » إِنْخِ يجوز أن يكون فى معنى مختار الدهر ، ويكون من قرعت أى اخترته بقرعتى . ويجوز أن يكون من قرعه الدهر بنوائبه حتّى جَرَّبَ وتَبَصَّرَ . وقوله : « ما عاش » أى مدَّةَ عيشِهِ . وقوله : « إذا سُدَّ منه منخر » إِنْخِ مَثَلٌ للمكروب المضيق عليه . وجاشَ : تحرَّك واضطرب . والمعنى لا يؤخذ عليه طريقٌ إلَّا نفذ فى طريق آخر ، لافتنانه فى الحِيلِ .

وقوله : « أقول لِلْحَيانِ » إِنْخِ لِحَيان : بطنٌ من هذيل ، خاطبهم لما كانوا على رأس الغار الذى اشتار منه العسل . وقوله : « صَفَرْتُ وَطائى » الواو للحال . والوطاب هنا : ظُروف العسل ، وهى فى الأصل جمع وَطْب ، وهو سِقَاء اللبن . وصَفَرْتُ : خَلَّتْ . أشار إلى ظُروف العسل التى صَبَّ العسلُ منها على الجانب الآخر وركبه متزلفًا حتّى لحق بالسهل . وقيل : معناه خلا قلبى من وُدِّهم ، يريد وِطَابَ وُدِّى .

وقيل : أشرفت نفسى على الهلاك . فأراد بالوطاب جسمه . ومُعَوَّر ، من أعور لك الشيء ، إذا بدت لك عورته ، وهى موضع المخافة . وكل ما طلبته فأمكنك ، فقد أعورك وأعور لك .

وقوله : « هما خطئنا » إلخ هذا مقول القول . والخطئة : الحالة والشأن . وكأنهم كانوا يريدونه على الحالتين ، فأخذ يتهكم عليهما ويحكى مقالتهم . والمعنى : ليس إلا واحدة من خصلتين على زعمكم : إما استسار والتزام متكم إن رأيتم العفو . وإما قتل وهو بالحر أجدر مما يكسبه الذل . فهاتان الخصلتان هما اللتان أشار إليهما بقوله : « هما خطئنا » . وقد ثلثهما بخطئة أخرى ذكرها فيما بعد . وكله تهكم وهزء . وقوله : « والقتل بالحر أجدر » اعتراض بين ما عده من الخصال .

وقوله : « وأخرى أصادى النفس » إلخ المصاداة : إدارة الرأى فى تدبير الشيء والإتيان به . يقول : وههنا خصلة أخرى أدارى نفسى فيها ، وإنها هى الموضع الذى يرده الحزم ويصلر عنه إن فعلت . وإنما قسم الكلام هذه الأقسام لأنه رآهم يبتون ^(١) أمره عليها ، ولأنه نظر إلى جهتي الجبل ، فعلم أنه إن رضى ما أراده بنو لحيان كان فيه إحدى الحالتين من الأسر والقتل بزعمهم . وإن احتال للجهة الأخرى فالحزم فيها وخلاصه فيها ، وكان أمرا ثالثا .

وقوله : « وإنها لمورد حزم » اعتراض أيضا .

وهذه الأبيات الثلاثة من باب التقسيم الذى هو من محاسن الكلام ، وهو أن يقصد وصف شيء يختلف أحواله ، فيقسم أقساما محصورة لا يمكن

(١) أى يقطعون . وفى ط : « يبنون » ، وأثبت ما فى ش .

الزيادة عليها ولا التقصان ، كما قسم تأبط شرا أحواله مع بنى لحيان أقساما
ثلاثة لا رابع لها . ومنه قول بشر بن أبى خازم :

ولا يُنَجِّى من العَمَرَاتِ إِلَّا بَرَكَاءُ القتالِ أو الفرارِ

وليس فى أقسام النجاة للمحارب قسم ثالث .

ونحوه قول زهير :

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عيمى

فقسم الأيام ثلاثة ، ولا رابع لها .

وقوله : « فرشتُ لها صدرى » إلخ بين بهذا كيفية مزاولته لنفسه .

والفرش : البسط . وضمير لها للخطئة التى عبر عنها بقوله : « وأخرى » ، أى
فرشت من أجل هذه الخطئة صدرى على الصفا . وهذا حين صبَّ العسل
فتزلزل به عن الصفا ، أى بصدرة . جَوْجُوْ عِبل ، أى ضخم . ومتن مختصر ،
أى دقيق . والصدر والمتن : صدره ومتنه ، ولكنه أخرجه مخرج قولهم : لقيت
يزيد الأسد ، وزيد هو الأسد عندهم ، ووضع فرشت موضع ألقى
ووضعت . ويقال فرشت ساحتى بالأجر . وافرشت الشاة للذبح ، إذا
أضجعتها . كذا قال التبريزى .

وقوله : « فخالط سهل الأرض » إلخ الخلط ، أصله تداخل أجزاء

الشيء فى الشيء . والكدح بالأسنان والحجر : دون الكدم . يقول : وصلت إلى
السهل ولم يؤثر الصفا وهو الصخر ، فى صدرى أثرا ولا تحذشا ، والموت كان
قد طمع فى ، فلما رآنى وقد تخلصت بقى مستحيا . وخزيان ، من الخزاية
وهى الاستحياء ، ويجوز أن يكون من الخزى ، وهو الفضيحة والهوان .

و « ينظر » خبر ثانٍ أو حال من ضمير خزيان . وينظر : يتحير . وقد حُمِلَ قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾^(١) على معنى تتحرون .

وقوله : « فأبَت إلى فهم » . إلى آخره ، أبت : رجعت . وفهم : قبيلة تأبط شراً . وقوله : « وكَم مثلها » إلخ أى مثل هذه الخطة فارقتها بالخروج منها وهى مغلوبة تصفر وأنا الغالب . وقيل معناه : كم مثل لحيان فارقتها وهى تلهف كيف أفلتت .

وسياتى إن شاء الله تعالى الكلام على هذا البيت فى باب الفعل ، وفى أفعال المقاربة .

وقد تقدّمت ترجمة تأبط شرا فى الشاهد الخامس عشر من أوائل الكتاب^(٢) .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الخمسمائة^(٣) :
 ٥٦٩ (متى ما لَقْنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ رَوَانُفُ أَلَيْتِيكَ وَتُسْتَطَارَا)
 على أنّه يجوز اتفاقاً أن يقال أَلَيْتَانِ بقاء التأنيث ، إلى آخر ما نقله عن أبى على .

وقد نقل عنه ابن الشجرى (فى المجلس الثالث من أماليه) خلاف

(١) الآية ٨٤ من الواقعة .

(٢) الخزائن ١ : ١٣٧ - ١٣٩ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨ وإصلاح المنطق ٣٩٩ وابن عيش ٢ : ٥٥ / ١١٦ : ٦ : ٨٧ وشرح شواهد الشافعية ٥٠٥ والعينى ٣ : ١٧٤ والتصريح ٢ : ٢٩٤ والجمع ٢ : ٦٣ وديوان عنترة ١٠٨ .

هذا ، قال : قال أبو على الحسن بن أحمد الفارسي : قد جاء من المؤنث بالتاء حرفان لم يلحق في تثنيتهما التاء ، وذلك قولهم : خُصَيَانِ وآليَانِ ، فإذا أُفردوا قالوا : خُصِيَّةٌ وآلِيَةٌ . وأنشد أبو زيد : ٣٦٠

* يَرْتَجُّ آليَاهُ ارْتِجَاجَ الْوُطْبِ (١) *

وأنشد سيبويه :

كَانَ خُصْيِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلٍ (٢)

انتهى .

وقد جاءت في قوله : « روانف أليتيك » تاء التانيث كما ترى ، فالعرب إذن مختلفة في ذلك . انتهى كلام ابن الشجري .

وهذا كلام الصحاح ، قال : الآلِيَّةُ بالفتح : آليَةُ الشَّاةِ . فإذا ثُنِيَتْ قلت آليَانِ ، فلا تلحقه التاء .

وأنشده الزمخشري (في المفصل) على أَنَّ الحال قد تحيىء من الفاعل والمفعول معاً ، كفردين فإنه حالٌ منهما في تلقنى .

وكذا أنشده (في الكشف) عند قوله تعالى : ﴿ أَنْ لَا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَازًا ﴾ (٣) في قراءة من قرأ : ﴿ رَمَازًا ﴾ بضمين ، وهو جمع رَمَوزٍ كرسل جمع رسول . و ﴿ رَمَازًا ﴾ بفتحتين ، وهو جمع رامز

(١) نوادر أبي زيد ١٣٠ .

(٢) سيبويه ٢ : ١٧٧ . والرجز لخطام المجاشعي ، أو جندل بن المثنى ، أو سلمى الهذلية ، أو شماء الهذلية . معجم الشواهد .

(٣) الآية ٤١ من آل عمران . وقراءة « رمزا » بضمين هي قراءة علقمة بن قيس ، ويحيى ابن وثاب . وبفتحتين قراءة الأعمش . وبفتحة سائر القراء . تفسير أبي حيان ٢ : ٤٥٣ .

كخديم جمع خدام . قال : هو حالٌ منه ومن الناس دفعة ^(١) كما في البيت ،
بمعنى إلا مترامزين ، كما يكلّم الناس الأخرس بالإشارة ويكلّمهم .

و (متى) جازمة ، و (تلقنى) شرطها ، و (ترجف) جزاؤها .
وروى : « تُرعد » بالبناء للمفعول . و (روانف) فاعل ترجف .

قال أبو على (في المسائل البصرية) : وتستطارا جزم عطف على
تُرعد ، فحملته على الأليتين أو على معنى الروانف ، لأنهما اثنان في الحقيقة .
وهذا أحسن من أن تحمله على أن في وتُستطارا ضمير الروانف ، وتجعل الألف
بدلاً من النون الخفيفة ، لأنّ الجزاء واجب . وقد جاء :

* ومهما تشأ منه فزارة تمنعا *

إلا أنّ هذا إن لم يضطرّ إليه وزن كان بمنزلة في الكلام . انتهى .

وتبعه ابن السّيد (في أبيات المعاني) قال : تستطارا جزم بالعطف على
ترعد بحمله على الأليتين ، أو على معنى الروانف ، لأنهما اثنان في الحقيقة ،
وإنّما جمعهما اتّساعاً . وقال قوم : تستطار محمول على الروانف ، وفيه
ضميرها ، وكان الوجه أن يقول : تُستطرّ ، إلا أنه أتى بالنون الخفيفة فانفتحت
الراء ، فلم تسقط الألف التي هي عين الفعل ، وأبدل من النون ألفا . ومثله
قول الآخر :

(١) ش : « وفقه » ، صوابه في ط والكشاف للزمخشري ١ : ١٤٤ .

* وَمَهُمَا تَشَأُ مِنْهُ فَرَارَةٌ تَمْنَعَا ^(١) *

يريد : تَمْنَعُنْ . والقول الأول اختيار أُنَى عَلَى ، لَأَنَّهُ اضْطَرَّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَلَمْ يُضْطَرَّ فِي تَسْتَطَار ، لِأَنَّ لَهُ حَمَلَهُ عَلَى مَعْنَى التَّشْيَةِ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْكَلَامِ . انْتَهَى .

وزاد ابن الشجرى (فِي أُمَالِيهِ) وَقَالَ : مَعْنَى تَسْتَطَار تَسْتَحْفَ . وَيَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ مِنَ الْإِعْرَابِ ، أَحَدُهُمَا : أَنَّ يَكُونُ مَجْزُومًا مَعْطُوفًا عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلُهُ تَسْتَطَارَانِ ، فَسَقَطَتْ نُونُهُ لِلْجَزْمِ . فَالْأَلْفُ عَلَى هَذَا ضَمِيرٌ عَائِدٌ عَلَى الرُّوَانِفِ ، وَعَادَ إِلَيْهَا وَهِيَ جَمْعٌ ^(٢) ضَمِيرٌ تَشْيِي ، لِأَنَّهَا مِنَ الْجُمُوعِ الْوَاقِعَةِ فِي مَوَاقِعِ التَّشْيَةِ ، نَحْوُ قَوْلِكَ : وَجْهَ الرَّجُلَيْنِ ، فَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَى مَعْنَاهَا دُونَ لَفْظِهَا ، إِذِ الْمَعْنَى رَانَفْتَا الْبَيْتِكَ . كَمَا أَنَّ مَعْنَى الْوَجْهِ مِنَ قَوْلِكَ : حَيَّا اللَّهُ وَجْهَهُمَا ، مَعْنَى الْوَجْهَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ لَوَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْ وَجْهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِلْأَلْفَةِ إِلَّا رَانَفَةٌ وَاحِدَةٌ .

والجواب الثاني : أَنَّ يَكُونُ نَصْبًا عَلَى الْجَوَابِ بِالْوَاوِ ، بِتَقْدِيرِ : وَأَنَّ تَسْتَطَار ، فَالْأَلْفُ عَلَى هَذَا لِإِطْلَاقِ الْقَافِيَةِ ، وَالتَّاءُ لِلْخَطَابِ ، وَهِيَ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ لِلتَّائِيثِ . وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ التَّاءَ فِي هَذَا الْوَجْهِ أَيْضًا لِلتَّائِيثِ الرُّوَانِفِ ، وَجَاءَ الْجَوَابُ بَعْدَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ كَمَا يَحْتَجِ بِعَدِّ الْكَلَامِ الَّذِي لَيْسَ بِوَاجِبٍ ، كَالنَّهْيِ وَالنَّفْيِ . وَمِثْلُهُ فِي انْتِصَابِ الْجَوَابِ بِالْوَاوِ بَعْدَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ قَوْلُهُ

(١) لعوف بن عطية بن الخرع ، كما في سيبويه ٢ : ١٥٢ . وصدره :

• فَمَهُمَا تَشَأُ مِنْهُ فَرَارَةٌ تَعْطُكُم •

(٢) ط : « هُوَ جَمْعٌ » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَأُمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ٢١ .

عز وجل : ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ^(١) ﴾ ثم قال : ٣٦١
 ﴿ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ^(٢) ﴾ . ومن
 قرأ ﴿ ويعلم ﴾ رفعا ^(٣) استأنفه . ومثله قول النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
 ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنأ

قد روى : « ونأخذ » جزما بالعطف على جواب الشرط ، وروى نصبا
 على الجواب ، وروى رفعا أيضا على الاستئناف . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في أماليه) : يجوز أن يكون معطوفاً على ترجف
 وألحقت به نون التوكيد الخفيفة فقلبت ألفا في الوقف ، إلا أن إلحاق نون
 التوكيد في جواب الشرط ضعيف . ويجوز أن يكون منصوباً على أحد وجهين :
 أحدهما مذهب الكوفيين بالواو التي يسمونها واو الصرف ، مثلها عندهم في
 قوله تعالى : ﴿ وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ ﴾ في قراءة الأكثرين . والثاني مذهب
 البصريين ، وهو أن يكون معطوفاً على مقرر مثلها عندهم في قوله ويعلم ، أى
 لينتقم ويعلم . إلا أنه لا يمكن التقدير لفعل منصوب ، لأنه في المعنى سبب ،
 ولو قدر فعل منصوب لكان مسبباً ، فينبغي أن يكون التقدير لاسم منصوب
 مفعول من أجله ، كأنه قيل : ترجف روائف ألبتيك خوفاً واستطارة .

(١) الآية ٣٣ من سورة الشورى .

(٢) الآية ٣٤ ، ٣٥ من سورة الشورى .

(٣) بعده في أمالي ابن الشجري : « وهو نافع وابن عامر » .

فلَمَّا أتى بالفعل موضع استطرارةٍ وعطفٍ على المقتر (١) ، وجب أن يكون منصوبًا مثله في قولك : أريد إتيانك وتحدثنى . والرؤائف : أطراف الأليتين ، واحدته رانفة . وتُستطار بمعنى يُطلبُ منك أن تطير خوفًا وجبنًا . والعرب تقول لمن اشتدَّ به الخوف : طارت نفسه خوفًا . ومنه قوله :

* أَقُولُ لها وقد طارت شَعاعا (٢) *

وقال ههنا : وتستطارا ، كأنَّه طُلب منه أن يطير من الخوف . والضمير في وتستطارا للمخاطب لا للرؤائف ، إذ لا تطلب من الرؤائف استطرارة ، وإنما المقصود طلبه من المخاطب . انتهى .

وقوله : « كأنَّه قيل ترجف رؤائف أليتك خوفًا واستطرارةً » ، هو أجود ممَّا نقله العيني ، بأنَّ نصبه بأنَّ في تقدير مصدر مرفوع بالعطف على مصدر ترجف ، تقديره : ليكن منك رَجْفُ الرُّؤائف والاستطرارة .

وقال ابن يعيش : قوله وتستطارا يحتمل وجوها :

أحدها : أن يكون مجزومًا بحذف النون ، فالضمير للرؤائف ، وعاد إليها الضمير بلفظ التثنية لأنَّها تثنية في المعنى .

والثاني : أن يكون عائدًا إلى الأليتين .

(١) ش : « عطفًا على المقتر » .

(٢) لِقَطَرَى بن الفجاءة في الحماسة بشرح التبريزي ١ : ٩٦ والحماسة البصرية ١ : ٩١ وحماسة الخالدين ١ : ١١٦ . وعجزه :

• من الأبطال ويحك لا تراعى •

والآخر : أن يكون الضمير مفردًا عائدًا إلى المخاطب ، والألف بدل من نون التوكيد . انتهى مختصرًا .

ونقله العيني بحروفه ولم يعزه . ولا يخفى اختلاله ، فإنه قال : فيه وجوه . ولم يذكر غير الجزم ، وكان يجب أن يقابله بالنصب كما فعله غيره ^(١) ، ويقول بعده : والضمير للمخاطب والألف للإطلاق ، ويدرج عود الضمير إلى الأليتين في صورة الجزم . أو يقول : وتستطارا مجزوم ، في مرجع ضميره أوجه ثلاثة . وجعله تعدد احتمال مرجع الضمير وجوهًا مقابلة للجزم فاسد ، فإن الثلاثة محتملة في صورة الجزم . فتأمل .

وزاد العيني بعد هذا : ويقال الضمير المفرد عائد إلى الروانف ، تقديره : تستطارن هي . انتهى .

وهذا هو الأول مما ذكره ابن يعيش بعينه ، فذكره تكرارًا له ^(٢) . ٣٦٢

والبيت من أبيات عدتها ثلاثة عشر بيتًا لعنترة العبيسي ، خاطب بها صاحب الشاهد عمارة بن زياد العبيسي . قال الأعلام (في شرح شعره في الأشعار الستة) ، وابن الشجري (في أماليه) : كان عمارة يحسد عنترة على شجاعته ، إلا أنه كان يظهر تحقيره ويقول لقومه : إنكم قد أكثرتم من ذكره ، ولوددت أنني لقيته خاليًا حتى أريحكم منه ، وحتى أعلمكم أنه عبد . وكان عمارة مع كثرة جوده كثير المال ، وكان عنترة لا يكاد يمسك إبلا ، ولكن يعطيها إخوته

(١) ش : « كما فعل غيره » .

(٢) ش : « تكرارًا له » أي قد ذكره مكررا له . وفي ط : « تكرار » بالرفع على أنه خبر لذكره .

وبقسمها فيهم ، فبلغه ما يقول عُمارة فقال الأبيات .

وهذه أبيات ستة منها ، ويأتى إن شاء الله تعالى بقيتها (فى أفعال التفضيل) :

(أَحُولِي تَنْفُضُ اسْتَكْ مِذْرَوِيهَا	لِتَقْتَلَنِي فَهِيَ أَنَا ذَا عُمَارَا
مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ	رَوَانِفُ أَلَيْتِكَ وَتُسْتَطَارَا
وَسِيفِي صَارِمٌ قَبِضْتُ عَلَيْهِ	أُشَاجِعُ لَا تَرَى فِيهَا انْتِشَارَا
حُسَامٌ كَالْعَقِيقَةِ فَهُوَ كَيْمَعِي	سِلَاحِي لَا أَفْلٌ وَلَا فُطَارَا
وَكَالوَرِقِ الْخِفَافِ ، وَذَاتُ غَرْبٍ	تَرَى فِيهَا عَنِ الشَّرْعِ ازْوَرَارَا
وَمُطَرَّدُ الْكَعُوبِ أَحْصُ صَدَقُ	تَخَالُ سِنَانُهُ بِاللَّيْلِ نَارَا (

وقوله : « أَحُولِي تَنْفُضُ » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكارى التوبيخى .
 وحولى : ظرف لتنفض ، واستك فاعل تنفض ، ومِذْرَوِيهَا مفعوله . والمعنى :
 أَتَتَوَعَّدُنِي وَتَهْدِدُنِي وَاسْتَكْ تَضِيقُ عَن ذَلِكَ . وَتَنْفُضُ مِذْرَوِيهَا مِثْلَ لِحْفَتِهِ
 بِالْعِيدِ وَطَيْشِهِ . يقال : جَاءَ فَلَانٌ يَنْفُضُ مِذْرَوِيهِ ، إِذَا جَاءَ يَتَهَدَّدُ . وقد شرح
 السيد المرتضى ، قدس الله روحه ، هذه الكلمة (فى أماليه) أحسن شرح ،
 فى كلام نقله للحسن البصرى ، وقع فيه : « تَرَى أَحَدَهُمْ يَمْلُخُ فِي الْبَاطِلِ
 مَلَخًا ، يَنْفُضُ مِذْرَوِيهِ وَيَقُولُ : هَا أَنَاذَا فَاعْرِفُونِي » . قال : الْمَلَخُ هُوَ الشُّنَى
 وَالتَّكْسَرُ ، يُقَالُ مَلَخَ الْفَرَسُ ، إِذَا لَعِبَ . وَالْمِذْرَوَانِ : فِرْعَا الْأَلَيْتَيْنِ . هَذَا قَوْلُ
 أُمِّ عُيَيْدَةَ ^(١) ، وَأَنْشَدَ بَيْتَ عَنْتَرَةَ . وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ رَأْدًا عَلَيْهِ : لَيْسَ الْمِذْرَوَانِ

(١) فى أمالى المرتضى ١ : ١٥٦ : « أُمِّ عُيَيْدَةَ » . وسيأتى فى النص ص ٥١٧ نقل أُمِّ عُيَيْدَةَ
 عَنِ أُمِّ عُيَيْدَةَ .

فرعى الأليتين بل هما الجانبان من كل شيء ، تقول العرب : جاء فلان يضرب أضلريه ^(١) ، ويضرب عطفيه ، وينفض منرويه ، وهما منكباه . وذكر أنه سمع رجلاً من نصحاء العرب يقول : قنّع منرويه ، يريد جانبي رأسه ، وهما فوداه . وإنما سمياً بذلك لأنهما ينزبان أى يشيبان . والذرى ^(٢) : الشيب . قال : وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكيين والأليتين والطرفين من كل شيء . وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوسا :

على عَجسي هتافة المنروية من زوراء مضجعة في الشمال

أراد : قوساً ينبض طرفاها . قال : فلا معنى لوصف الرجل الذي كره الحسن ، بأنه يحرك أليتيه ، ولا من شأن من يبدخ وينبه على نفسه ، يقول : ها أناذا فاعرفوني ، أن يحرك أليتيه . وإنما أراد أنه يضرب عطفيه ، وهذا مما يوصف به المرح المختال . وربما قالوا : جاءنا ينفض منرويه ، إذا تهدّد وتوعّد ، لأنه إذا تكلم وحرك رأسه نفّض قرون فوديه ، وهما منرواه . قال المرتضى قدس الله روحه : وليس الذي ذكره أبو عبيدة ^(٣) ببعيد ، لأن من شأن المختال الذي يُزهي بنفسه أن يهتز ويثني ، فتتحرك أعطافه وأعضاؤه . ومنرواه من جملة ما يهتز ويتحرك ، لأنهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما

٣٦٣

(١) ط : « بصدره » : صوابه في ش . والأصدران : العطفان ، أى جانبا الإنسان من لدن الرأس إلى الورك . وانظر ما سيأتى من الأقوال في شرحه .

(٢) في الأمل : « الذرى والنزوة » .

(٣) في النسختين : « أبو عبيد » . وانظر حواشي الصفحة السابقة .

الاهتزاز . وإثما خصَّ المنروان بالذكر مع أنَّ غيرهما يتحرَّك أيضًا على طريق التقييح على هذا المختال ، والتهجين لفعله ^(١) .

وقول ابن قتيبة : ليس من شأن من يبدِّخ أن يحرك أليتيه ، ليس بشيء ، لأنَّ الأغلب من شأن البدِّاخ المختال الاهتزاز وتحريك الأعطاف . على أنَّ هذا يلزمه فيما قاله ، لأنَّه ليس من شأن كلِّ متوعَّد أن يحرك رأسه وينفض منرويه . فإذا قال إنَّ ذلك في الأكثر قليل له مثله .

هذا ما أورده السيد المرتضى رحمه الله .

وقوله : جاء فلان يضرب أصله ، قال ابن السكيت (في إصلاح المنطق ^(٢)) بدَّله : جاء يضرب أزدريه ، إذا جاء فارغا . قال شارحه ابن السَّيد : قوله : يضرب أزدريه ، إثما أصله أصله ، فأبدلوا مكان الصاد حرفا يطابق الدال في الجهر وعدم الإطباق ، وهو الزاي . والأصدران : عرقان يضربان تحت الصُّدغين ، لا يفرد له واحد . ومعناه أنَّه جاء فارغا نادما خائبا ، يلطم صدغيه ، ويضرب أعلاهما إلى أسفلهما ، ندما وتحسرا ، خديه ^(٣) . انتهى .

واعلم أنَّ كلام ابن قتيبة مأخوذ من كلام أنى مالك ^(٤) نقله عنه

(١) ط : « بفعله » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح ، وهو المطابق لما في المرتضى .

(٢) إصلاح المنطق ٣٩٩ .

(٣) كنا في النسختين .

(٤) ط : « من كلام مالك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح . وهذا أبو مالك عمرو بن

كركرة ، ترجم له ياقوت في معجم الأدياء ١٦ : ١٣١ ، ١٣٢ . ونقل عنه السيوطي في بغية الوعاة قال : كان يعلم في البادية . وورق في الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب . قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن منذر يقول : كان الأصمعي يوجب في ثلث اللغة ، وأبو عبيدة في نصفها ، وأبو زيد في ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها .

أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على الغريب المصنّف لأبى عبيد القاسم بن سلام) من تبين غلطاته فيه . قال أبو القاسم : وروى عن أبى عبيدة : المِزْرَى : طرف الآية . والرّانفة : ناحيتها . ثم قال إخباراً عن نفسه : يقال المذرون أطراف الأليتين ، وليس لهما واحد ، وهذا أجود القولين ، لأنّه لو كان لهما واحدٌ فقيل مِزْرَى لكان في الثنية مِزْرَيان بالياء . وما كانت في الثنية بالواو . قال أبو القاسم : كان يجب عليه إذ سمّت به نفسه إلى الرّدّ على أبى عبيدة معمر بن المثنى ، أن يضبط ما يروى أولاً ، وإلاّ فهو كالذى لم يُتمّ . والمذرون والرّانفان بمعنى واحد ، وقد فرق بينهما فجعل المذروين الطرفين ، وعبرَ عنهما بالأطراف ، وجعل الرانفة الناحية ، وليس كذلك قال أبو عبيدة وغيره . وكلام أبى مالك أحكا (١) ، لأنّه أتمّ . المذرون : أعالي الأليتين وأعالي القرنين أيضاً ، وكذلك أعالي المنكين . وكذلك الرّوانف ، الواحدة رانفة . وأنشد بيت عنترة . ففى هذا القول دليل على أنّ المذروين ليس باسمٍ لشيءٍ واحد . ومع هذا فقد قال أبو يوسف بن السكيت في (باب المثنى) : جاء ينفُض مِزْرَويه ، إذا جاء يتوعّد . وجاء يضرب أُرْدَرِيه ، إذا جاء فارغاً ، ويقال بالصاد أيضاً .

وهذا وإن كان غير ما قال أبو مالك فإليه يرجع ، لأنّ تحريك المنكين من فعال المتوعدّ ، فيريد أنّه متوعدّد هذا فعّالهُ ، ومحركٌ منكبِيهِ ، إنّما تتحرّك له فروعهما وأعاليهما ، كما قال أبو مالك . وما حكاه في واحد المِزْرَوين كلام

(١) من قولهم : حكاً العقلة وحكاها ، أى شدها وأحكمها .

أنى عمرو الشيباني ، فلم ينسبه إليه . انتهى كلامه (١) .

قال ابن الشجرى : وهذا الحرف مما شذَّ عن قياس نظائره ، وكان حقُّه أن تصير واوه إلى الياء كما صارت إلى الياء في قولهم : مَلْهِيَان وَمَغْزَيَان ، لأنَّ الواو متى وقع في هذا النحو طرفاً رابعاً فصاعداً استحقَّ الانقلاب إلى الياء ، حملاً على انقلابه في الفعل نحو يُلْهِى وَيُغْزَى . وإنَّما انقلبت الواو ياءً في قولك : مَلْهِيَان وَمَغْزَيَان وإن لم تكن طرفاً لأنها في تقدير الطَّرْف ، من حيث كان حرف التثنية لا يحصَّن ما أتصل به ، لأنَّ دخوله كخروجه . وصحَّت الواو في المذكورين لأنَّهم بنَّوه على التثنية ، فلم يُفَرِّدوا فيقولوا مِذْرَى كما قالوا مَلْهَى ، فصحَّت لذلك كما صحَّت الواو والياء في العِلَاوة والتَّهْيَاة ، فلم يقلبا إلى الهمزة لأنَّهم بنَّوا الاسمين على التَّأْنِيث . وكما صحَّت الياء في التَّأْنِيث من قولهم : عَقَلْتَهُ بِشَائِن ، إذا عقلت يديه جميعاً بطرفى حبل ، لأنَّهم صاغوه مثنى . ولو أنَّهم تكلموا بواحدة لقالوا ثناء مهموز ، كرداء ، ولقالوا في تثنيته : ثناءين ، كرداءين . انتهى .

٣٦٤

وقوله : (فها أناذا عُمارا) أراد : يا عمارة ، فرَّخَم وألحق ألف الإطلاق .

وعُمارَة هو أحد بنى زياد العبسى ، وهم : الربيع ، وعمارة ، وقيس ، وأنس ، كلُّ واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشاً . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرْشَب الأُمَّارِيَّة ، وكانت إحدى المُنْجَبات . وهى التى سئلت : أى بنيك أفضل ؟ فقالت : الربيع ، بل عُمارَة ، بل قيس ، بل أنس . ثم قالت :

(١) كلامه ، ليست في ط .

« ثَكَلْتُهُمْ إِنْ كُنْتُ أَدْرَى أَيْتُهُمْ أَفْضَلُ ، هُمْ كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرَعَةِ لَا يُدْرَى أَيْنَ طَرَفَاهَا » . وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَقَبٌ ، فَكَانَ عُمَارَةُ يُقَالُ لَهُ : الْوَهَّابُ ، وَكَانَ الرَّيِّيعُ يُقَالُ لَهُ : الْكَامِلُ ، وَقَيْسٌ يُقَالُ لَهُ : الْجَوَادُ ، وَأَنْسُ يُقَالُ لَهُ : أَنْسُ الْجِفَافُ . وَكَانَ عُمَارَةُ آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَسْمَعَ صَوْتَ أُسَيْرٍ يَنَادِي فِي اللَّيْلِ إِلَّا افْتَكَّهُ .

وقوله : (متى ما تَلَقَّنِي فَرْدَيْنِ) أى منفردين أنا وأنت خاصة ، ليس معى مُعِينٍ وليس معك معين . وما زائدة .

قال ابن الشجرى : والرانفة : طرف الآلية الذى يلى الأرض إذا كان الإنسان قائماً . وروى بدل فردين : « خِلْوَيْنِ » بالكسر ، أى خاليتين . وروى أيضاً : « بَرَزَيْنِ » بالكسر ، أى بارزين .

و « سِفَى صَارَم » إلخ الصارم : القاطع . والأشاجع : عصب ظاهر الكَفِّ ، وإحدها أشجع . قال ابن الشجرى : هى عروق ظاهر الكَفِّ ، وإحدها أشجع ، وبه سُمِّيَ الرجل . وهو قبل التسمية مصروفٌ كما ينصرف أفكَلٌ . ويقال : رجل عارى الأشاجع ، إذا كان قليل لحم الكَفِّ . انتهى .

وقوله : « لَا تَرَى فِيهَا انْتِشَارًا » ، قال الأعلم : يصف أنه سليم العصب شديد الخلق . والانتشار : انتشار العصب ، وهو انتفاخها ، كانتشار الفرس فى يديه (٢) .

(١) المحبر لابن حبيب ٣٩٨ ، ٤٥٨ والاشتقاق ٢٧٧ وجمهرة أنساب العرب ٢٥٠ والأغاني

١٤ : ١٩ والمعارف ٣٧ والمقد ٣ : ٣٥١ .

(٢) كلمة « الفرس » ساقطة من ش .

وقوله : « حسام كالعقيقة » إلخ يقول : هو صافٍ بَرّاق كالقِطعة من البرق ، وهى العقيقة . ويقال العقيقة : السحابة تنشق عن البرق . والكِمْع ، بكسر الكاف وسكون الميم : الضجيع . يقول : هو ملازم لى وإن كنت مضطجعاً . وقوله : « لا أَفْلَ » أراد سلاحى لا قَلَّ فيه ولا فُطارا . والأَفْلَ : الذى فيه فلول . والفُطَار بضم الفاء : المشقّق . يقول : هو حديد السّلاح تأمّها . وقال ابن الشجرى : العقيقة الشُّقّة من البرق ، وهى ما انعق منه . وانعقاها : تشقّقه . والكِمْع والكميع : الضُّجيع ، وجاء فى الحديث التّهى عن المُكامة ، والمكامة : أن يضطجع الرجلان فى ثوب واحد ليس بينهما حاجز . والمكامة : أن يقبل الرجل الرجل على فيه .

وقوله : « لا أَفْلَ ولا فطارا » أى لا قَلَّ فيه ولا فَطَرَ . والفَلَّ : الثَّلَم . والفَطَر : الشق . وموضع قوله كالعقيقة وصفٌ لحسام ، ففى الكاف ضمير عائذ على الموصوف . وانتصاب أَفْلَ على الحال من المضمر فى الكاف ، والعامل فى الحال ما فى الكاف من معنى التشبيه ، والتقدير : حسامٌ يشبه العقيقة غيرَ منفلٍّ ولا منفطر . انتهى .

وقوله : « وكالوَرَق الخِفاف » إلخ يعنى سهاماً جعل نصالها بمنزلة الوَرَق فى خِفَّتِها . وأراد : بعضُ سلاحى سِهَامٌ مثلُ الوَرَق الخِفاف بكسر الخاء ، جمع خفيف ضدّ الثقيل . وقوله : « وذاتُ غرب » يعنى قوساً . وغربها : حدّها بفتح الغين المعجمة وسكون المهملة . والشَّرْعُ ، بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة : جمع شرعة بكسر فسكون ، وهى الأوتار . والازورار : الميلاق .

يقول : هي محنية ففيها منيلٌ عن وترها . وكُلِّما ^(١) مالت عنه وبعدت كان أمضى لسهمها وأنفذ .

وقوله : « ومطرُذُ الكعوب » يعنى رمحاً طويلاً . وكعوبه : رؤوس أنابييه . واطرادها : تتابعها واستقامتها . والأحص ، بهملتين : الأملس الذى لا لحاء عليه ولا عُقدة . والصَّدق ، بفتح الصاد ، وهو الصُّلب المستقيم . وشبه سناناه بالنار لصفائه وحدته . يقول : إذا نظرت إليه ليلاً أضاء لك الظلام ، فكأنه نار .

وقد تقدّمت ترجمة عنتره فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الخمسمائة ^(٣) :
 ٥٧٠ (بلى أيرُ الحمار وخصيتاهُ أحبُّ إلى فزارةٍ من فزارٍ)
 لما تقدّم قبله ، وسيأتى ما يتعلّق به قريباً .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات ثلاثة للكميت بن ثعلبة ، وهي :
 (نَشْدُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخٌ إِذَا تُخِيرَتْ تَخْطِئُ فِي الْخِيَارِ)
 أَصِيحَانِيَّةٌ أُدِمْتُ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ
 بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخُصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةٍ مِنْ فَزَارِ)
 وقوله : « نَشْدُكَ » ، أراد : نَشْدُكَ بِاللَّهِ ، أَيْ ذَكَّرْتُكَ بِهِ

(١) فى النسختين : « وكل ما » ، صواب كتابتها بالاتصال .

(٢) الخزائن ١ : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) الدرة الفاخرة لحمة الأصبهانى ٨٧ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦ والميدانى ١ : ١٠٠

والمحاسن والأضداد ٨٨ والمحاسن والسلوى ١ : ٤٠٧ .

واستعطفتك به ، لتخبرني عما أسألك . ويقال أيضاً نشدتك الله من باب نصر . وجملة « نخطيء » في محل رفع صفة لشيخ ، من الخطأ ضد الصواب . وإذا ظرف له . والخيار هو الاختيار .

وقوله : « أصيحانية أدمت » إلخ الهمزة للاستفهام ، وصيحانية صفة لموصوف محذوف ، أى أتمرة صيحانية . والصَّيحَانِي : تمرٌ معروف بالمدينة . ويقال كان كبشٌ اسمه صَيحَانٌ بمهملتين ، شُدَّ بنخلةٍ فُنُسِبَ إليه وقيل صَيحَانِيَّة . وأدمت بالبناء للمفعول من الإدام ، يقال أدمت الخبز ، إذا أصلحت إساغته بالإدام ، وهو ما يؤتدم به ، مائعاً كان أو جامداً .

وقوله : (بلى أير الحمار) قد وقعت بلى هنا جواباً للاستفهام المجرد من النفي وشبهه . وهذا يشكل على اتفاقهم بأنها لايجاب بها الإيجاب . وقد وقع مثله في أحاديث من صحيحى البخارى ومسلم ، نقلها ابن هشام (فى المغنى) . وبنو فزارة يُرمون بأكل أير الحمار .

وقد بين مثله الجاحظ فى مساوى البخل (من كتاب المحاسن والمساوى ^(١)) قال : المثل السائر « هو أبخل من مادر » ، وهو رجلٌ من بنى هلال . وبلغ من بخله أنه كان يسقى إبله فبقى فى أسفل الحوض ماءً قليل ، فسلح فيه ومدر الحوض به ، فسمي مادرا .

وذكروا أن بنى فزارة وبنى هلال تنافروا إلى أنس بن مدرك ، وتراضوا به ، فقالت بنو هلال : يا بنى فزارة أكلتم أير الحمار . فقال بنو فزارة : لم نعرفه .

(١) صوابه : « المحاسن والأضداد » . انظر منه ص ٤٤ - ٤٥ .

وكان سبب ذلك أنَّ ثلاثة اصطحبوا : فزاري ، وتغلبى ، وكلايتى ،
فصادفوا حمار وحش ، ومضى الفزاري فى بعض حوائجه ، فطبخا وأكلا وخَبَيَا
للفزاري أير الحمار ، فلما رجع قال له : قد خَبَيْنَا لَكَ حِصَّتَكَ فَكُلْ . وأقبل يأكل
ولا يُسِيفه ، فجعلوا يضحكان ، ففطن وأخذ السيف وقام إليهما وقال : لتأكلان
منه وإلا قتلكما ! فامتنعا فضرب أحدهما فقتله ، وتناوله الآخر فأكل منه !

فقال بنو فزارة : منكم يا بنى هلال من سقى إبله فلما رويث سلح
فى الحوض ومكره بُخْلا .

ففرهم أنس بن مدرك على الهلائين ، فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير ،
وكانوا تراهنو عليها .

وفى بنى هلال يقول الشاعر :

لقد جللت خزيًا هلال بن عامر بنى عامر طرًا لسلحة مادر^(١)
فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها بنى عامر ، أنتم شيرار العشائر

هذا ما أورده الجاحظ ، ونقله حمزة الأصفهاني ، والميداني ، والزنجشري
فى أمثالهم^(٢) .

والكميت بن ثعلبة : شاعر إسلامي فقعى أسدى . ويقال له الكميت بن ثعلبة
الكميت الأكبر . وهو ابن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حَجَّوان^(٣)
ابن فقعى الأسدى . وهو جدُّ الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر .
وهو القائل فى قصّة ابن دارة وقتله :

(١) فى جميع المراجع المتقدمة : « بسلحة مادر » .

(٢) الدرّة الفاخرة ٨٦ والميداني ١ : ١٠٠ والمستقصى ١ : ١٣ .

(٣) بتقديم الحاء المهملة . قال ابن دريد : اشتقاقه من حجا بحجو بالمكان ، أى أقام به ،

أو من حج الشيء بحجه حجا ، إذا سحبه . الاشتقاق ١٠٤ وجمهرة ابن حزم ١٧٨ ، ١٩٥ .

فلا تُكثروا فيها الضَّجَّاجَ فَإِنَّهُ محالْسَيْفُ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا

وَمِنْ شِعْرِ الْكَمَيْتِ ابْنِ ابْنِهِ - وَلَهُ دِيْوَانٌ مُفْرَدٌ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْجُمُحَى
(فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ) غَيْرَهُ مِنْ اسْمِهِ كَمَيْتٌ ^(١) :-

فَقُلْتُ لَهُ تَاللهُ يَدْرِي مُسَافِرٌ إِذَا أَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعٌ ^(٢)

أَسْلَمَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مَعَهُ ، وَقَدْ أَوْرَدَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي
قِسْمِ الْمُخْضَرِّمِينَ (مِنْ الْإِصَابَةِ) عَنْ أُمِّ عَيْلَةَ وَالْمَرْزُبَانِيِّ ^(٣) .

وَأَمَّا الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ مَادِحُ آلِ الْبَيْتِ فَقَدْ تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ
السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَوَائِلِ الْكِتَابِ ^(٤) . وَهُوَ أَسَدِيٌّ أَيْضًا .

وَأَمَّا أُنْسُ بْنُ مَدْرَكَةَ الْخُثْعَمِيِّ فَهُوَ مِنَ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ^(٥) .

* * *

(١) الحق أنه ذكرهم جميعاً في ١٦٣ وإن يكن قد خص الكميت بن معروف بالغناية .
والنص فيه : « والثالث الكميت بن معروف ، وهو شاعر ، وجده الكميت بن ثعلبة شاعر ،
والكميت بن زيد شاعر ، والكميت بن معروف الأوسط أشعرهم قريحة . والكميت بن زيد أكثرهم
شعرا » ، ثم أنشد أبياتا للكميت بن معروف .

(٢) يدرى ، أى لا يدرى ، وحذف النفي بعد القسم كثير في كلامهم ، وفي الكتاب
العزير : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » ، أى لا تفتأ . والرواية في طبقات ابن سلام :
فقلت لها : والله ما من مسافر يحيط له علم بما الله صانع
ومات سنة اثنتين وعشرين ومائة .

(٤) الخزائنة ١ : ١٤٣ - ١٤٧ .

(٥) فات البغدادى أن ينبه على أنه قد سبقت ترجمته في الشاهد ١٧١ . انظر الخزائنة ٣ : ٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٧١ (يرتجُ ألياهُ ارتجاجَ الوطْبِ)

على أنَّه قيل أليانٍ فى تشية ألية ، من ضرورة الشعر ، والقياس
أليتان .

قال القالى (فى المقصور والمملود) : قال أبو حاتم : ربّما
حذفت العربُ هاء التانيث من ألية فى الاثنين ، فقالوا : أليتان وأليان .
وأنشدونا :

(كأنما عطيةُ بن كعبٍ طعينةٌ واقفةٌ فى ركْبِ
يرتجُ ألياهُ ارتجاجَ الوطْبِ)

وأورد أبو زيد (فى نوادره) هذه الأبيات الثلاثة ولم يزد عليها شيئاً . قال
الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : الطعينة : المرأة . والركب : أصحاب
الإبل . والارتجاج : الاضطراب . والوطب : سقاء اللبن . ا هـ .

قال ابن السّيد (فى شرحه أيضاً) : وصفه بأنَّ كفله عظيم رخو
يرتجُ ، لعظمه ورخاوته ، ارتجاجَ الوطْبِ ، وهو زقُّ اللبن . وارتجاجه :
اضطرابه . وهذا كقول الآخر :

فأما الصُّلور لا صلورَ لجعفرٍ ولكنَّ أعجازاً شديداً ضريرها ^(٢)

(١) نوادرأبى زيد ١٣٠ والمقتضب ٤١: ٣ والنصف ١٣١: ٢ والاقتضاب ٣٩٣ وابن الشجرى ١ :

٢٠ وابن يعيش ٤: ١٤٣ ، ١٤٥ ، والمقرب ٨٠ .

(٢) ابن يعيش ٧: ١٣٤ / ٩: ١٢ واللسان (ضرر ١٥٦) .

يقول : قَوَّتَهُم ليست في صدورهم ، إِنَّمَا هِيَ في أَكْفَالِهِمْ ، فهم يلقون منها ضَرِيرًا ، أَيْ ضَرَرًا وَمَشَقَّةً ^(١) . وَالظَّعِينَةُ : الْمَرْأَةُ ، سَمَّيْتُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا يُظَعِّنُ بِهَا . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ ظَعِينٌ بِغَيْرِ هَاءٍ ، لِأَنَّهَا فِي تَأْوِيلٍ مُظْعِنُونَ بِهَا . وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ صِفَةً لِلْمَوْثُوثِ فِي تَأْوِيلٍ مَفْعُولٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ ، نَحْوُ امْرَأَةٍ قَتِيلٍ وَجَرِيحٍ ، وَلَكِنَّهَا جَرَتْ بِمَجْرَى الْأَسْمَاءِ حَتَّى صَارَتْ غَيْرَ جَارِيَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ ، كَالذَّيْبِخَةِ وَالنَّطِيطَةِ . وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا وَاقِفَةٌ فِي رُكْبٍ لِأَنَّهَا تَتَبَخَّرُ إِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ وَتَعْظُمُ عَجِيزَتُهَا لِتَرَى حُسْنَهَا . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الْآخِرِ :

تَخْطُطُ حَاجِبَهَا بِالْمَدَادِ وَتَرْبِطُ فِي عَجْزِهَا مِرْفَقَهُ . اهـ

قوله : وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ صِفَةً لِلْمَوْثُوثِ فِي تَأْوِيلٍ مَفْعُولٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ ، أَقُولُ : هَذَا إِذَا كَانَ جَارِيًا عَلَى مَوْصُوفِهِ كَمَا مَثَلٌ . فَأَمَّا إِذَا كَانَ لِمَوْصُوفٍ غَيْرِ مَذْكُورٍ فَيَجِبُ التَّأْنِيثُ لَوْلَا يَلْتَبَسُ بِالْمَذْكُورِ . فَظَّعِينَةُ هُنَا وَارِدَةٌ عَلَى الْقِيَاسِ . وَهَذَا الرِّجْزُ مَعَ كَثَرَةِ الِاسْتِشْهَادِ بِهِ لَمْ يُعْلَمِ قَائِلُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأُنْشِدُ بَعْدَهُ ^(٢) :

(كَأَنَّ خُصِيَّتِي مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثُنَا حَنْظَلٍ)

لَمَّا تَقَلَّمْ قَبْلَهُ .

وَمِثْلُهُ ^(٣) قَالَ سَيَبُويه : مَنْ قَالَ خُصِيَّانِ لَمْ يَثْنِهِ عَلَى الْوَاحِدِ

(١) الَّذِي فِي اللِّسَانِ أَنَّ الضَّرِيرَ هُوَ الصَّبْرُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْمَقَاسَةُ لَهُ .

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي الشَّاهِدِ ٥٨٢ فِي هَذَا الْجُزْءِ ص ٤٠٠ .

(٣) الْكَلَامُ بَعْدَ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ « فَكَلْتُ خُصِيَّةً » وَرَدَ فِي شَرْحِ بَيْنِ كَلِمَةٍ « فَسَكَنَهُ » وَكَلِمَةٌ « وَنَقَلَ الْأَمَامُ الْمَرْزُوقِيُّ » التَّالِيَيْنِ .

المستعمل في الكلام ، يعنى أنَّ تُحصين تثنية تُحصى لا يستعمل في الكلام .
ومثله قول ثعلب ، قال (في فصيحه) : وتقول . هما الخصيان ، فإذا
أفردت أدخلت الهاء فقلت خصية ^(١)

وهو في (نوارى أى زيد) . ومن أبيات أدب الكاتب :
قد حلفت بالله لا أحبه أن طال خُصياه وقَصَّر زُبُه
أراد : [قَصَّر ^(٢)] ، بضم الصاد ، فسكنه .

ونقل الإمام المرزوقى (فى شرح الفصيح) عن الخليل أنَّه قال : الخصية
تؤنث ما دامت مفردة ^(٣) ، فإذا ثنوها أنثوا وذكرها .

ونقل اللبلى (فى شرحه أيضًا) عن ابن خالويه قال : أجمعت العرب
على إثبات الهاء فى واحدها فقالوا خصية ، فإذا ثنوا فمنهم من يقول الخصيان
بغير هاء ، وهى المختارة . ومنهم من يقول خصيتان . قال : فمن أثبت الهاء فى
الاثنين فلا سؤال معه فى الفرع على الأصل . ومن قال : هما الخصيان ، بناءً
على لفظ من قال : هما الأنثيان ، لأنَّ الأنثيين لا واحد لهما من لفظهما ،
فلما لم تلحق العلامة فى الأنثيين فى ذلك أسقطها من هذه .

وقال القالى (فى المقصور والمدود) : قال أبو حاتم : وربما حذفت
العرب هاء التانيث فى الاثنين من الخصية فقالوا : خُصيتان وخُصيان . وأنشد

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) التكملة من ش . وانظر أدب الكاتب ٣١٧ .

(٣) ش : « ما دامت مؤنثة » ، صوابه فى ط .

هذين البيتين عن أبي زيد . ثم قال : قال أبو زيد : لا يقال للواحد خُصِي بغير هاء .

وكذا قال أبو عثمان المازني (في التصريف الملوكي) ، قال :
وأما الصَّلَاة والعَبَاة فلم يجيئوا بهما على الصَّلَاة والعَبَاة ، كما أنَّهم حين قالوا
خصيان لم يجيئْ على الواحد ، ولو جاء على الواحد لقالوا : خصيتان ^(١) .
وقال ابن جنى (في شرحه) : العَبَاة والصَّلَاة بنيت في أوَّل أحوالها
على التأنيث ولم تجيء على المذكر ، ولو جاءت عليه لقالوا : عَبَاة وصَلَاة ،
كما أنَّ خصيان لو جاء على خصية ل قيل خصيتان ، ولكنه بُني على التثنية في
أوَّل أحواله وإن كانت فرعا ، كما بنيت العباة على التأنيث في أوَّل أحوالها وإن
كانت فرعا .

٣٦٨

قال أبو العباس : يقال خصية وخصي . فمن قال خصية قال
خصيتان . ومن قال خُصِي قال خُصيان . ومثله أَلِيَّة وآلِي . فمن قال أَلِيَّة قال
أَلِيَّتان . ومن قال أَلِي قال أَلِيَّان . قال الرَّاجِز :

* يَرْتَجِ أَلِيَّاهُ ارْتِجَاجَ الْوُطْبِ *

وقال آخر ^(٢) :

أُخْصِي حَمَارٍ بَاتَ يَكْدِمُ نَجْمَةً ^(٣) أَتَوَحَّدُ جَارَاتِي وَجَارُكَ سَالِمٌ

(١) وكذا في المصنف ٢ : ١٣١ . وفي ش : « الخصيتان » .

(٢) هو الحارث بن ظالم المري ، كما في المفضليات ٣١٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٦٨

واللسان (نجم ٤٥) .

(٣) في جميع المراجع : « أخصى حمار » بالتثنية . وفي ط : « أخصى » بالإفراد تحريف ،

وصححت في ش بالتثنية . و « نجمة » هي في ط : « لحمة » وقد صححت بذلك في ش . والنجمة :

واحدة النجم من النبات ، وهو هنا نبت بعينه ، وهو الثيل الذي ينبت على شطوط الأنهار .

وقال آخر :

* يا بأبى حُصياك من حُصْنى وزُبْ *

وقال آخر :

كَانَ حُصْيِهِ مِنَ التَّدْلِيلِ الْبَيْتِ

فَتَنَى الحُصْنَى عَلَى حُصَيْنٍ . اهـ

وإلى هذا ذهب أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على إصلاح المنطق) . قال ابن السكيت فى (إصلاحه) : تقول : ما أعظم حُصْيَتَهُ وحُصْيَتِيهِ ، ولا تكسر الخاء . قال الراجز :

* كَانَ حُصْيِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ *

الواحدة حُصْيَةٌ . وقالت امرأة من العرب (١) :

لَسْتُ أَبَالِي أَنْ أَكُونَ مُحْمِقَةً إِذَا رَأَيْتُ حُصْيَةً مَعْلَقَةً

وقال أبو القاسم المذكور : هذا قولٌ أصاب فى بعضه وسها فى بعضه .

الواحدة من الحُصْيَتَيْنِ حُصْيَةٌ ، ومن الحُصَيْنَيْنِ حُصْنَى . قال الراجز :

يَا بِأَبَى أَنْتَ وَيَافُوقَ الْبَيْبِ يَا بِأَبَى حُصْيَاكَ مِنْ حُصْنَى وَزُبْ (٢)

وقال الفرزدق :

أَتَانِي عَلَى الْقَعْسَاءِ عَادِلٌ وَطِيهٌ بِحُصْنِي لَيْمٍ وَاسْتِ عَيْدُ تُعَادِلُهُ (٣)

(١) مجهولة . وانظر معجم شواهد العربية ٥٠٧ .

(٢) لآدم مولى بلعبر ، فى البيان ١ : ١٨٢ واللسان (أبا) .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٣٧ . وانظر سيبويه ١ : ٨٤ . ولم يرد فيما طبع من كتاب التنبهات .

وانظر منه ص ٢٩١ .

والسابق إلى هذا المذهب أبو الحسن على اللحياني (في نوادره) كما نقله عنه اللبلى (في شرح الفصيح) قال : حكى اللحياني فيما جاء مثني من كلام العرب : ألى وخصنى ، وألية وخصية ، وفي التثنية أليان وأليتان ، وخصيان وخصيتان ، قال : هما لغتان . ا هـ

ونقل ابن السكيت (في إصلاح المنطق) عن أبي عمرو الشيباني أنه قال : الخصيتان : البيضتان . والخصيان : الجلدتان اللتان فيهما البيضتان . وأنشد البيت الشاهد .

قال شارح أبياته ابن السيرافي : التدلل : تحرك الشيء المعلق واضطرابه . وظرف العجوز : الجراب الذي تجعل فيه خبزها وما تحتاج إليه . وظرف العجوز خلق فيه تشنج لقدمه . شبه جلد الخصية به للعضون التي فيه ، وشبه الأنثيين في الصفن بمنظلتين في جراب . اهـ

وكذا قال المرزوقي : هذا البيت ^(١) أن يكون شاهداً للصنف أولى ، لأنه شبه موضع البيضتين بظرف جراب ، والبيضتين بالحنظلتين . ا هـ . وهذا التأويل وإن أمكن حمله في البيت هنا فلا يمكن حمله في الأبيات السابقة .

وقد تقدم في الشاهد الثامن والأربعين بعد الخمسمائة من باب العدد ^(٢) أنهما من رجز لخطام المجاشعي . ونسبهما أبو سهل الهروي (في شرح الفصيح) إلى جندل . وقيل قائلهما دكين . وأنشد قبلهما :
رِخْوِ يدِ اليمنى من الترسلِ من الرضا جَنَعْدِلِ التَّكْتُلِ

(١) ش : « هذا البيت يحتمل » ، وكلمة « يحتمل » مقحمة .

(٢) انظر ما سبق في ص ٤٠٣ من هذا الجزء .

ويقال : مرّ فلان يتكتّل ، إذا مرّ وهو يقارب الخطو ويحرك
منكبّه . اهـ

وقال اللبلى ^(١) (فى شرحه) : قال السّيرافى : هذان البيتان لشمّاء
الهذلية . وأنشد الشعر هكذا :

تقول ياربّ وياربّ هلّ هل أنت من هذا مُخلّ أحبلى
إمّا بتطليق وإلا فاقبل ^(٢) أو أزم فى وجعائه بدمل
كانّ خصيه من التّدليل ظرف عجور فيه ثنتا حنظل

شبه خصيه فى استرخاء صفّهما ، حين شاخ واسترخت جلدة استه
بظرف عجور فيه حنظلتان . وخصّ العجوز لأنها لا تستعمل الطّيب
ولا تتزيّن للرجال فيكون فى ظرفها ما تتزيّن به ، ولكنها تدّخر الحنظل ونحوه من
الأدوية . ويحتمل الشعر أن يكون مدحا فى وصف شجاع لا يجبن فى الحرب
فتنقلص خصيتا . قال : ويحتمل أن يكون هجوا . ووجهه أن يصف شيئا قد
كبر وأسّ ، ولذلك قال : ظرف عجوز ، لأنّ ظرفها خلق منقبض ^(٣) ، فيه
تشنّج لقدمه ، فلذلك شبه جلد الخصية به ، للعضون التى فيه . والأولى أن
يكون هجوا ، لذكره العجوز والحنظلتين ، مع تصريحه بذكر الخصيتين .

قال التّدميرى ^(٤) : ويروى : « من التهّل » ، وهو استرخاء جلدة

(١) سبقت ترجمته فى ١ : ١٩ .

(٢) رسمت فى ش بالباء والتاء معا لتقرأ بالوجهين .

(٣) كنا وردت بالنون فى النسختين .

(٤) نسبة إلى تدمير ، بضم التاء وفتحها ، مع سكون الدال وكسر الميم ، وهى كورة
بالأندلس شرق قرطبة ، وينسب إليها جماعة . والذى يعنيه هنا هو شارح الفصيح أحمد بن عبد الجليل
ابن عبد الله التدميرى ، كما فى بغية الوعاة ١٣٨ وكشف الظنون . توفى بفاس سنة ٥٥٥ . وفى ط :
« التدميرى » تحريف .

الخصية . قال : وظرف العجوز : مزودها الذى تخزن متاعها فيه . والحنظل نبات معروف ، ويقال العلقم . وروى عن أبى حاتم أنه قال : الحنظل ههنا : الثوم . ا هـ

وتقدم ما فيه . وقوله إن الشعر لشماء الهدلية ينافيه أوله :

* تقول ياربُّ وياربُّ هل *

وقوله :

* لستُ أبالى أن أكون مُحِمِّقه *

يقال أحمقت المرأة ، إذا ولدت ولداً أحمق . قال التدميرى ^(١) : معنى الشعر أن هذه المرأة كانت تلاعب ابناً لها صغيراً وترقصه ، وتنظر فى أثناء ذلك إلى خصيتيه ^(٢) فتفرح بكونه ذكراً ، فقالت : لست أبالى إذا ولدت الذكور أن يكون أولادى حمقى ، وأن أكون أنا محمقة أى ألد الحمقى . وذلك كله فراراً من البنات وكراهية لهن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الخمسمائة ^(٣) :

(كَأَنَّهُ وَجْهٌ تُرْكِيَّينِ إِذْ غَضِبَا)

٥٧٢

على أنه إذا أضيف الجزءان لفظاً ومعنى إلى متضمنيهما المتحدّين بلفظ واحد ، فلفظ الإفراد فى المضاف أولى من لفظ التثنية ، كما فى

(١) ش : « الدميرى » ، صوابه فى ط . وانظر ما سيأتى فى ص ٥٣٣ .

(٢) ط : « خصيته » ، صوابه فى ش .

(٣) ابن يعيش ٤ : ١٥٧ وديوان الفرزدق ٣٧١ . وجاء غير منسوب وبقافية « تذيب » فى

معاني الفراء ١ : ٣٠٨ وأملأ ابن الشجرى ١ : ١٢ .

البيت ، فإن تركيبين متضمَّنان ولفظهما متَّحد ، لجزأيهما ، وهما الوجهان ، فإنَّ وجه كلِّ أحدٍ جزء منه ، فلما أُضيف إليهما أُضيف بلفظ المفرد ، وهو الوجه . وهذا أولى من أن يقول : كأنَّه وجهها تركيبين . وجمعه أولى من الأفراد . فلو قال : كأنَّه وجوه تُركَّبُ كان أولى من وجَّه تركيبين . هذا محصَّل كلامه . وإيضاحه أنَّ كل ما في الجسد منه شيء واحد لا ينفصل كالرأس والأنف واللسان والظهر والبطن والقلب فإنَّك إذا ضمنت إليه مثله جاز فيه ثلاثة أوجه :

(أحدها) : الجمع ، وهو الأكثر نحو قوله تعالى : ﴿ فقد صَعَتْ قُلُوبُكُمَا ^(١) ﴾ . وإنما عبَّروا بالجمع والمراد الثنية لأنَّها جمع . وهذا لا يلبس . وشبَّهوا هذا النوع بقولهم : نحن فعلنا . قال سيبويه ^(٢) : وسألت الخليل عن : ما أحسنَ وجوههما فقال : لأنَّ الاثنين جميع ، وهذا بمنزلة قول الاثنين : نحن فعلنا ذاك ، ولكنَّهم أرادوا أن يفرِّقوا بين ما يكون منفردا وبين ما يكون شيئا من شيء : اهـ

يريد أنَّهم قد استعملوا في قولهم : ما أحسنَ وجوهَ الرجلين الجمع موضع الاثنين ، كما يقول الاثنان : نحن فعلنا ، ونحن إنما هو ضميرٌ موضوعٌ للجماعة . وإنَّما استحسنوا ذلك لما بين الثنية والجمع من التقارب ، من حيث كانت الثنية عدداً تُركَّب من ضمٍّ واحدٍ إلى واحد . وأول الجمع وهو الثلاثة تُركَّب من ضمٍّ واحدٍ إلى اثنين ، فلذلك قال : لأنَّ الاثنين جميع .

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختي .

وقوله : « وَلَكِنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَفْرُقُوا » إلخ ، معناه أَنَّهُمْ أَعْطَوْا الْمَفْرَدَ حَقَّهُ من لفظ التثنية فقالوا في رَجُلٍ رَجُلَانِ ، وفي وَجْهِ وَجْهَانِ ، ولم يفعل ذلك أَهْلُ اللغة العليا في قولهم : مَا أَحْسَنَ وَجْوهَ الرَّجُلَيْنِ ، وذلك أَنَّ الوجه المضاف إلى صاحبه إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ . فَإِذَا ثُبُتَ الثَّانِي مِنْهُمَا عَلِمَ السَّامِعُ ضَرُورَةَ أَنَّ الْأَوَّلَ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ وَفَّقَهُ فِي الْعِدَّةِ (١) فَجَمَعُوا الْأَوَّلَ كِرَاهَةً أَنْ يَأْتُوا بِثَنِيَّتَيْنِ مُتَلَاصِقَتَيْنِ فِي مِضَافٍ وَمِضَافٍ إِلَيْهِ . وَالتَّضَايِفَانِ يَجْرِيَانِ بِمَجْرَى الْأَسْمِ الْوَاحِدِ ، فَلَمَّا كَرِهُوا أَنْ يَقُولُوا مَا أَحْسَنَ وَجْهَيْ الرَّجُلَيْنِ ، فَيَكُونُوا كَأَنَّهُمْ قَدْ جَمَعُوا فِي اسْمٍ وَاحِدٍ بَيْنَ ثَنِيَّتَيْنِ ، غَيَّرُوا لَفْظَ التَّثْنِيَةِ الْأَوَّلَى بِلَفْظِ الْجَمْعِ ، إِذِ الْعِلْمُ مُحِيطٌ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ لِلثَّنِيَّتَيْنِ أَكْثَرُ مِنْ وَجْهَيْنِ ، فَلَمَّا أَمْنُوا اللَّبْسَ فِي وَضْعِ الْوَجْهِ مَوْضِعِ الْوَجْهِينِ اسْتَعْمَلُوا أَسْهَلَ اللَّفْظَيْنِ . كَذَا فِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ .

وهذا علّة البصريين .

وقال الفراء : إِنَّمَا خَصَّ هَذَا النَّوعَ بِالْجَمْعِ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ مِنْهُ يَقُومُ مَقَامَ الشَّيْئَيْنِ ، حَمَلًا عَلَى الْأَكْثَرِ ، فَإِذَا ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ شَيْءٌ مِثْلُهُ كَانَ كَأَنَّهُ أَرْبَعَةٌ ، فَأَتَى بِلَفْظِ الْجَمْعِ .

وهذا معنى حسن من معاني الفراء .

قال ابن يعيش : وهذا من أصول الكوفيين . ويؤيده أَنَّ مَا فِي الْجَسَدِ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَفِيهِ الدِّيةُ كَاللِّسَانِ وَالرَّأْسِ . وَأَمَّا مَا فِيهِ شَيْئَانِ كَالْعَيْنِ فَإِنَّ فِيهِ نِصْفَ الدِّيةِ .

(١) ط : « العدد » ، وأثبت ما في ش . وفي أمالي ابن الشجرى ١ : ١٣ : « في جميع العلة » .

وهذه عبارة الفراء ، نقلناها تبرُّكا . قال في تفسيره ، عند قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ^(١) ﴾ : وفي قراءة عبد الله : ﴿ وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا ﴾ وإِنَّمَا قال أَيْدِيَهُمَا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُوحَّدٌ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ إِذَا ذُكِرَ مضافاً إِلَى اثْنَيْنِ فصاعداً جمع ، فقليل : قد هُشِّمَتْ رُئُوسُهُمَا ، وملأت ^(٢) ظهورهما وبطنهما ضرباً . ومثله : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ^(٣) ﴾ . وإِنَّمَا اختير الجمع على التثنية لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ اثْنَيْنِ فِي الْإِنْسَانِ : الْيَدَيْنِ ، وَالرَّجْلَيْنِ ، وَالْعَيْنَيْنِ ^(٤) فلما جرى أَكْثَرُهُ عَلَى هَذَا ذُهِبَ بِالوَاحِدِ ^(٥) مِنْهُ مَذْهَبُ التَّثْنِيَةِ . وقد يجوز هذا فيما ليس مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، وذلك أَنَّ تَقُولَ لِلرَّجُلَيْنِ : خَلَيْتُمَا نِسَاءً كَمَا ، وَأَنْتَ تَرِيدُ امْرَأَتَيْنِ ، وَخَرَقْتُمَا قُمَصَكُمَا . وإِنَّمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ النُّحُويِّينَ مَنْ كَانَ لَا يَجِيزُهُ إِلَّا فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ . وكلُّ سواء . ا هـ

وكذا قال ابن الشجري في هذا ، قال : وَجَرَوْا عَلَى هَذَا السَّنَنِ فِي الْمُنْفَصِلِ عَنِ الْجَسَدِ ، فَقَالُوا : مَدَّ اللَّهُ فِي أَعْمَارِكَا ، وَنَسَأَ اللَّهُ فِي آجَالِكُمَا . ومثله في المنفصل فيما حكاه سيبويه : ضَعَّ رَحَاهُمَا ^(٦) . ا هـ

أقول : كذا ^(٧) في الشرح أيضاً . وحكاه سيبويه (في أوائل

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) ط : « وملئت » ، صوابه في ش ومعاني الفراء ١ : ٣٠٦ .

(٣) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٤) هذا ما في ش ومعاني القرآن ١ : ٣٠٧ . وفي ط : « اليدين والرجلان والعينان » .

(٥) في معاني القرآن : ذهب بالواحد منه إِذَا أَضِيفَ إِلَى اثْنَيْنِ .

(٦) سيبويه ٣ : ٦٢٢ من نسختي وكذا ٢ : ٢٠١ بولاق .

(٧) ش : « أقول كهذا » .

كتابه ^(١) : وَضَعَا رَحَالَهُمَا بِالْمَاضِي لَا بِالْأَمْرِ . قَالَ : وَقَالُوا : وَضَعَا رَحَالَهُمَا ،
يريد رَحَلَيَّ راحلتين . وَحَدَّ الْكَلَامِ أَنَّ يَقُول : وَضَعْتَ رَحْلَى الرَّاحِلَتَيْنِ .
وقال (في أواخر كتابه) : زعم يونس أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : ضَعَّ رَحَالَهُمَا وَغَلَمَانَهُمَا ،
وَأَمَّا هُمَا اثْنَانِ .

٣٧١

هذا حكم ما كان منه في الجسد شيء واحد ، فإن كان اثنين كاليد
والرجل فتثنيته إذا ثنيت المضاف إليه واجبة ، لا يجوز غيرها . تقول : فقأت
عينيهما ، وقطعت أذنيهما ، لأنك لو قلت أعينهما ، وأذانهما لا لتبس بأنتك
أوقعت الفعل بالأربع .

فإن قيل : فقد جاء في القرآن : ﴿ فاقطعوا أيديهما ^(٢) ﴾ فجمع اليد
وفي الجسد يدان ، فهذا يوجب بظاهر اللفظ إيقاع القطع بالأربع . فالجواب
أن المراد فاقطعوا أيماهما . وكذلك هي في مصحف عبد الله بن مسعود
[رضى الله عنه ^(٣)] . فلما علم بالدليل الشرعي أن القطع محلّه اليمين وليس
في الجسد إلا يمين واحدة ، جرت مجرى آحاد الجسد ، فجمعت كما جمع
الوجه ، والظهر ، والبطن .

(الثاني) من الوجوه الثلاثة ^(٤) : الأفراد . ولم يذكر سيبويه هذه

(١) ش : « في كتابه » فقط . وهو يشير إلى ما ورد في سيبويه ١ : ٢٤١ كما أن قوله التالي
« في أواخر كتابه » ، يشير به إلى ما ورد في ٢ : ٢٠١ .

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٣) التكملة من ش . وفي أمالي ابن الشجري : « في مصحف عبد الله » فقط . ومما هو
جدير بالذكر أن هذا الحوار مأخوذ من أمالي ابن الشجري . ولم يصرح البغدادى هنا بالأخذ .

(٤) انظر ما سبق في أول الكلام على الشاهد من قول البغدادى : « جاز فيه ثلاثة أوجه :
أحدهما الجمع » . فهذا هنا استمرار ذكر هذه الأوجه .

المسألة ، وذلك نحو قولك : ما أحسن رأسهما ، وضربت ظهر الزيدين ، وذلك لوضوح المعنى ، إذ لكل واحد شيء واحد من هذا النوع ، فلا يشك ، فأنى بلفظ الأفراد إذ كان أخف .

قال الفراء فى تفسير تلك الآية : وقد يجوز أن تقول ^(١) فى الكلام : السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما ، لأن المعنى اليمين من كل واحد منهما ، كما قال الشاعر ^(٢) :

كُلُوا فى نصفِ بطنكمُ تعيشُوا فإنَّ زمانكمُ زمنٌ خميصُ
وقال الآخر ^(٣) :

الساردون وثيمٌ فى ذرا سبأ قد عضَّ أعناقهمُ جلدُ الجواميس
من قال « ذرا » بالضم جعل سبأ جبلا ، ومن قال « ذرا » بالفتح أراد موضعاً ^(٤) .

ويجوز فى الكلام أن تقول : اثنتى برأس شاتين ورأسى شاة ^(٥) .

(١) ط : « يقول » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء ١ : ٣٠٧ .

(٢) البيت مجهول القائل . وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٠٨ كما أنه هو الشاهد ٥٧٥ من شواهد الخزائن .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ ومعجم الشواهد ٢٠٠ .

(٤) لم يذكر فى معانى القرآن ١ : ٣٠٨ الضبط بالضم فى الأولى وبالفتح فى « ذرا » الثانية . وقد وجهه محققا معانى القرآن على هذا الوجه : « من قال ذرى جعل سبأ جبلا » مع ضبط « ذرى » هنا فى الفتح وقراءة « جبلا » بالياء ، بمعنى القبيلة ، أى إن تيمنا يحتمون بسبأ ويمتنعون بها . ثم أتبع ذلك بقراءة « من قال ذرى أراد موضعاً » مع ضبط « ذرى » هنا بضم النال .

(٥) فى معانى القرآن : « ورأس شاة » . وبعده : « فإذا قلت برأس شاة » .

فإذا قلت : رَأْسِي شاةٌ فَإِنَّمَا أَرَدْتُ رَأْسَ هَذَا الْجِنْسِ . وإذا قلت برأس شاتين فَإِنَّكَ تريد به الرأس من كُلِّ شاة . قال الشاعر في ذلك :
 كَأَنَّهُ وَجْهُ تَرْكِيَيْنِ قَدْ غَضِبَا مُسْتَهْدَفٌ لَطْعَانٍ غَيْرِ تَذْيِيبٍ . اهـ
 وقوله : « رَأْسِي شاة » هذه مسألة زائدة على ما ذكروا في هذا الباب ،
 استفيد جوازها منه .

قال ابن خلف : وقرأ بعض القراء : ﴿ فَبَدَّتْ لَهَا سَوَاءُكُمَا ﴾^(١)
 بالإفراد^(٢) . والعَجَبُ من ابن الشجريّ في حمله الإفراد على ضرورة الشعر ،
 فَإِنَّهُ لم يقل أَحَدٌ إِنَّهُ من قبيل الضرورة . قال : ولا يكادون يستعملون هذا إِلَّا
 في الشعر . وأنشدوا شاهداً عليه :
 كَأَنَّهُ وَجْهُ تَرْكِيَيْنِ قَدْ غَضِبَا البيت

وقال في آخره : ذَبَّ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ^(٣) : دفع عنه . وذَبَّبَ في الطعن
 والدَّفْع ، إذا لم يبالغ فيهما . اهـ

وتبعه ابن عصفور (في كتاب ضرائر الشعر) ، والصحيح أَنَّهُ غير
 مختص بالشعر .

(الثالث) : التثنية . وهذا على الأصل وظاهر اللفظ . قال
 سيبويه^(٤) : وقد يثنون ما يكون بعضاً لشيء . زعم يونس أَنَّ رُؤْيَةَ كان يقول :

(١) الآية ١٢١ من طه . وفي الأعراف ٢٢ : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما »
 بدون فاء .

(٢) هي قراءة الحسن . إتحاف فضلاء البشر ٢٢٢ .

(٣) ط : « على فلان » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، وأمالى ابن الشجري ١ : ١٢ .

(٤) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختي .

ما أحسن رأسيهما . وقال الراجز ^(١) :

* ظهراهما مثل ظهور الترسين *

قال الفراء في تفسير تلك الآية ^(٢) : وقد يجوز تشبيها . قال أبو ذؤيب الشاعر :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العُبط التي لا تُرَقَع . اهـ

وقال ابن الشجري : ومن العرب من يُعطى هذا حقّه كلّ من التَّشْيَةِ ، فيقولون : ضربت رأسيهما ، وشققت بطنيهما ، وعرفت ظهريكما ، وحيا الله وجهيكما . فمما ورد بهذه اللغة قول الفرزدق :

* بما في فؤادينا من الشوق والهوى ^(٣) *

وقول أبي ذؤيب :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ البيت

أراد : بطعنات نوافذ كنوافذ العُبط : [جمع العبيط ^(٤)] ، وهو البعير الذي يُنحر لغير داء . اهـ

والجمع في هذا الباب هو الجيد المختار ، وبه نزل القرآن العظيم ^(٥) .

(١) هو خطام المجاشعي ، كما في سيبويه .

(٢) يعنى آية « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . انظر معاني القرآن ١ : ٣٠٧ .

(٣) ديوان الفرزدق ٥٥٤ والنقائض ٥٥٣ . وتماه :

« فيبرأ منهاض الفؤاد المشعف »

(٤) التكملة من ش وأمال ابن الشجري ١ : ١٢ .

(٥) اقتبسه البغدادى من قول ابن الشجري : « والجمع في هذا ونحوه هو الوجه ، كما جاء في

التنزيل : قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا » .

والبيت الشاهد قافيته رائية لا بائية

وهو من قصيدة عدتها ستة عشر بيتاً للفرزدق ، هجا بها جريراً تهكم به وجعله امرأة . وهذه عشرة أبيات بعد ستة من أولها :

صاحب الشاهد

(ما تأمرون عباد الله أسألكم
لئن طلبتم به شأوى لقد علمت
ولا يحامى على الأنساب منفلق
هدرت لما تلقنتى بجوتها
ثم اتقتى بجهم لا سلاح له
معلنكسي الكئين مجلوم مشافره
كأنه وجه تركيين قد غضبا (٣)
كان رمانة في جوفه انفلق
هل يغلين بظرها أبرى إذا اطعنا
إني لقومى سنان يطعنون به

آيات الشاهد

قوله : « ما تأمرون عباد الله » إلخ ما استفهامية ، وعباد الله منادى ، والباء من قوله « بشاعر » متعلق بقوله « تأمرون » ، أو هو بمعنى عن متعلق بأسألكم . وأراد بالشاعر جريراً . ومختمر صفة ثانية له ، اسم فاعل من اختمرت المرأة ، أى ليست الخمار بالكسر ، وهو ثوب تغطي به المرأة رأسها . وجملة « حوله دُرْجان » صفة أولى لشاعر . نسبه إلى أنه امرأة :

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٢) في الديوان : على الأحساب . . وستأتى هذه الرواية في التفسير .

(٣) حورت في ش إلى : إذ غضبا ، . وهى رواية الديوان .

والدُّرج بالضم ، وهو وعاء الطَّيب ، كالحُقَّة والعُلبَة .

وقوله : « لئن طلبتم به شأوى » إلخ به أى بهذا الشاعر . والشَّأْوُ : بفتح الشين وسكون الهَمْزة : الغاية والسَّبق . يقول : إن أردتم منه أن يبلغ غايته ، أو يسبقنى . واللام فى لئن موطئة للقسم ، وجملة لقد علمت : جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه جواب القسم . وفاعل علمت ضمير شاعر ، والمراد به امرأة ^(١) . وعلى بمعنى مع . والعَقْبُ بفتح العين وسكون القاف : جرىُّ الفرس بعد جريه الأوَّل . والخَرَاجُ : مبالغة خارج . والقَتْرُ بفتح القاف والمثناة الفوقية : العُبار . يقول : لا يمكن أن تبلغ شأوى فضلاً عن السَّبق ، فإنَّها تعلم أنَّى كثيراً ما خرجت من العُبار ، أى إذا كان أحدٌ سابقاً شققت غباره فسبقتَه وخرجتُ من غباره . وهذا بعد التعب والجرى الكثير ، فكيف أكون فى أوَّل جري .

وقوله : « ولا يحامى على الأحساب ^(٢) » ، أراد بالمنفلق : ذات لها انفلاق ، وهو كناية عن ذات الفرج . والانفلاق : الانشقاق . ومقنَّع : ذات قناع . وحين متعلِّق بمقنَّع . ويلقى بالبناء للمفعول ، من اللُّقى . وفاتر النَّظَر ، أى ضعيف النظر . وهذه الأوصاف الثلاثة من أوصاف النساء .

وقوله : « هَدَرْتُ لَمَّا تَلَقَّيْتَنِي » إلخ الجُونة ، بضم الجيم : العُلبَة ،

٣٧٣

(١) ش : « المراد به امرأة » بإسقاط الواو .

(٢) هى رواية الديوان . وإن كان البغدادى قد رواه : « على الأنساب » فى الإنشاد المتقدم .

وَدُرْج الطَّيِّب . والحشخششة : صوت السِّلَاح ونحوه . وَحَفِيف مفعول مطلق ،
أى خشخششته كحفيف الريح . والحَفِيف ، بالحاء المهملة وفاءين ، وهو
صوت الريح إِذَا مَرَّتْ عَلَى الأشجار . والعُشْر بضم ففتح : شجر عظيم له
شوك . والهدير : صوت شِقْشِقة الجمل . يقول : لما برزت لمحاربتى وكان
سلاحها جُوتنها ، وكان صوتها مؤثثاً ضعيفاً كصوت الريح المارة بالأشجار ،
هدرتُ عليها كالفلح المائج فادهشتها .

وقوله : « ثم اتقتنى بجهم لا سلاح له » إلخ الجهم : الغليظ الثخين ،
وهو هنا كناية عن فرجها . وأراد بالسِّلَاح الشعرَ النابت حوله ، وشبهه بمنخر
الثور حالة كونه معكوساً . والعكس : أَنْ يَشْدَّ حَبْلٌ فى منخره إِلَى رُسْغ يَدَيْهِ
ليذَلَّ ، وحينئذ يُرى شَقُّهُ أَوْسَع . وأصله فى البعير .

وقوله : « مَعْلَنَكْسِ الكَيْنِ » المعلنكس : الكثيف المجتمع . وقال شارح
ديوانه : هو الكثير اللَّحْم . والكَيْن بالفتح : لحم الفرج من داخل .
والمَشَافِر : جمع شَفْر بالضم على خلاف القياس ، وشَفْر كلُّ شَيْء : حرفه .
والمجلوم : المقصوص شعره بالجَلَم بفتح الجيم واللام ، وهو المَقْصَّ ونحوه .
ومعلنكس ومجلوم كلاهما بالجرّ صفتان لجهم ، وكذا قوله : « ذى ساعدين » ،
وجملةُ يَسْمَى إلخ . وأراد بالسَّاعدين الأسكتين ، أى حرفيه ، وسَمَّاهما
ساعدين لغلظهما وطولهما .

وقوله : (كَأَنَّهُ وَجْهُ تَرْكِيْن) إلخ أى كَأَنَّ ذلك الجهم ، المراد به
الفرج . شبه كل فِلَقَة منه بوجه تَرْكَى . والأتراك غِلَظ الوجوه عراضها

حُمْرَهَا . وَإِذَا ظَرَفَ عَامِلُهُ مَا فِي كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى التَّشْبِيهِ . وَعِنْدَ غَضَبِهِمْ تَشْتَدُّ
وَجُوهُهُمْ حُمْرَةً . وَرَوَى الْفَرَاءُ وَغَيْرُهُ : « قَدْ غَضِبَا » فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ حَالًا مِنْ
تَرْكِيبَيْنِ ، عَلَى طَرَزِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا ^(١) 》 . وَمُسْتَهْدَفُ صِفَةِ لَوَجِهِ ، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ اسْتَهْدَفَ . قَالَ
صَاحِبُ الْعَبَابِ : وَاسْتَهْدَفَ ، أَيُّ انْتَصَبَ . قَالَ النَّابِغَةُ فِي صِفَةِ فَرَجٍ :
وَإِذَا طَعْنَتْ طَعْنَتْ فِي مُسْتَهْدِفٍ رَأَى الْمَجَسَّةَ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدٍ

وَشَيْءٍ مُسْتَهْدَفٍ ، أَيُّ عَرِيضٍ . ١ هـ

(وَالطَّعَانُ) بِالْكَسْرِ : مُصْدَرُ طَعَنَهُ بِالرَّحِمْ طَعْنًا وَطَعَانًا . وَغَيْرُ بِالرَّفْعِ
صِفَةُ لِمُسْتَهْدَفٍ . وَ (الْمُنْجَحَرُ) : اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ انْجَحَرَ ، أَيُّ دَخَلَ جُحْرَهُ ،
بِضْمِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْمَهْمَلَةِ ، يُقَالُ أَجْحَرْتُهُ ، أَيُّ أَجْلَأْتُهُ إِلَى أَنْ دَخَلَ جُحْرَهُ ،
فَانْجَحَرَ .

وَقَوْلُهُ : « كَأَنَّ رَمَانَةً » إِنْخَ ، يُرِيدُ أَنَّ دَاخِلَ ذَلِكَ الْفَرَجِ مُحَمَّرٌ شَدِيدُ
الْحَرَارَةِ . وَيُوقَدُ : يُشْعَلُ . وَالْقُرَرُ : جَمْعُ قُرَّةٍ بِالضَّمِّ : الْبَرْدُ ، كُغْرِفَةٌ وَغُرْفٌ .
وَقَوْلُهُ : « هَلْ يَغْلِيَنَّ بَظَرُهَا » إِنْخَ يَغْلِيَنَّ مُؤَكَّدٌ بِالنُّونِ الْخَفِيفَةِ . وَالْبَظَرُ :
لَحْمَةٌ بَيْنَ شُفْرَى الْفَرَجِ تَقْطَعُهَا الْخَاتَنَةُ . وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَمْ يَخْتَنَّ بِظَرِهَا يُقَالُ لَهَا
بَظْرَاءٌ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الشَّتَمِ : يَا ابْنَ الْبَظْرَاءِ ! وَاطَّعْنَا أَصْلَهُ ، تَطَاعْنَا ، وَالْأَلْفُ
ضَمِيرُ الْبَظَرِ وَالْأَيُّرُ . وَقَوْلُهُ : « وَالطَّاعِنُ الْأَوَّلُ » إِنْخَ ، أَيُّ مِنْ يَطْعَنُ أَوَّلًا هُوَ

(١) الْآيَةُ ١٢ مِنْ سُورَةِ الْحَجَرَاتِ .

الذى يذهب بالظفر ويغلب . ومعلوم أنَّ الذكر هو الذى يبدأ بالطعن
للأنثى .

وقوله : « إني لقومى سنان » إلخ يقول : إني لقومى كالسنان يطعنون بى
نحو الأعداء . ويطعنون بضم العين . وقوله : « وأنت أخت » إلخ هذا
التفات من الغيبة إلى الخطاب . وأنت مبتدأ ، وعيبة خبره . وأخت منادى .
لما جعل جرياً امرأة قال له : يا أخت كليب ، أى يا امرأة من قبيلة
كليب . والعيبة بالفتح : خرج صغير توضع فيه الثياب . والكرم : جمع
كمر بفتحتين ، كقصب جمع قصبة ، وهو الذكر والأير ، وأصله الحشفة ،
ويطلق عليه مجازاً ، تسمية للكل باسم الجزء .

٣٧٤

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من
شواهد س (٢) :

٥٧٣ (ظهراهما مثل ظهور الترسين)

على أنه قد جمع بين اللغتين ، فإنه أتى بثنية المضاف فى ظهراهما ،
وبجمعه فى ظهور الترسين .

(١) الخزاعة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢ . وانظر البيان ١ : ١٥٦ والمجلد ٣٠٣ وإعراب
القرآن المنسوب للزجاج ٧٨٧ والمخصص ٩ : ٧٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٥ ، ١٥٦ وشرح شواهد
الشافعية ٩٤ والمعنى ٤ : ٨٩ والجمع ٢ : ٦٢ والمغنى ٣١٦ والأشعوى ٣ : ٧٤ ويس ٢ : ١٢٢ .

واستشهد به سيبويه على تثنية المضاف على الأصل ، في موضعين من كتابه

الموضع الأول : في الرُّبْع الأوَّل ، في باب ما جرى من الأسماء التي من الأفعال وما أشبهها ، من الصفات التي ليست بفعل . وتقدّم نقل كلامه في البيت الذي قبل هذا .

والموضع الثاني : أوَّل الرُّبْع الرابع بين أبواب جموع التكسير ، في باب ترجمته : هذا باب ما لُفِظَ به مما هو مُثْنِيٌّ كما لُفِظَ بالجمع . قال : وهو أن يكون كُلُّ واحدٍ منهما بعضُ شيءٍ مفرد من صاحبه ، وذلك قولك : ما أحسن رُؤُوسَهُمَا وأحسَنَ عوَالِيَهُمَا . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(١) ، ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ ^(٢) . فرقوا بين المثنى الذي هو شيءٌ على حدة وبين ذا . وقال الخليل : نظيره قولك : فعلنا ، وأنتم اثنان ، فَتَكَلَّمُ بِهِ كَمَا تَكَلَّمُ بِهِ وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ . وقد قالت العرب في الشَّيْئَيْنِ اللَّذَيْنِ كُلُّ واحدٍ منهما اسمٌ على حِدةٍ وليس واحدٌ منهما بعضُ شيءٍ ، كما قالوا في ذا ، لِأَنَّ التثنية جمعٌ ، فقالوه كما قالوا : فعلنا . زعم يونس أنهم يقولون : ضَعَّ رَحَالَهُمَا وَغَلَمَانَهُمَا ، وَإِنَّمَا هُمَا اِثْنَانِ ^(٣) . إلى أن قال : وزعم يونس أنهم يقولون : ضَرَبْتُ رَأْسَيْهِمَا . وزعم أنه سمع ذلك من رؤية أيضًا ، أَجْرَوْهُ عَلَى الْقِيَاسِ . قال هِمْيَانُ بْنُ قُحَافَةَ :

(١) الآية ٤ من التحريم .

(٢) الآية ٣ من المائدة .

(٣) ط : « وأنهما » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، وكتاب سيبويه ٢ : ٢٠٢ .

* ظهراهما مثلُ ظهورِ الترسينِ *

وقال الفرزدق :

* هما نفثا في فئ من فَمَوَيْهما (٢) *

وقال أيضاً :

بما في فؤادينا من الشوقِ والهوى فُجِبِرَ مُنْهَاضُ الفؤادِ المعذبِ (٢)

انتهى كلامه .

قال الأعلام : الشاهد فيه تشنية الظهريْن على الأصل ، والأكثرُ في كلامهم إخراجُ مثل هذا إلى الجمع ، كراهةً لاجتماعِ تشنيتين في اسم واحد ، لأنَّ المضاف إليه من تمام المضاف ، مع مافى التشنية من معنى الجمع ، وأنَّ المعنى لا يشكّل ، ولذلك قال : مثل ظهورِ الترسين ، فجمع الظُّهر .

قال الزجاج (في تفسير آية السارق) : قال بعض النحويين : إنَّما جُعِلَتْ تشنية ما كان في الإنسان منه واحدٌ جمعاً لأنَّ أكثرَ أعضائه فيه منه اثنان ، فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك . قال : لأنَّ للإنسان عَيْنين ، فإذا ثَنِيَتِ العينين قلت عيونهما ، فجُعِلَتْ « قلوبكما » و « ظهوركما » في القرآن كذلك ، وكذلك « أيديهما » . وهذا خطأ ، إنَّما ينبغي أن يفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيء منه اثنان . وقال قوم : إنَّما فعلنا

(١) عجزه :

• على النابح العاوى أشد رجاء •

(٢) صوابه « المشغف » كما أشار إلى ذلك الشنتمرى . وانظر ما سبق من التعليق في

ص ٣٧٢ .

ذلك للفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيء منه اثنان ، فجعل ما في الشيء منه واحدً تثنيتُهُ جمعًا ، كقول الله : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(٢) . قال أبو إسحاق : حقيقة هذا الباب أنَّ ما كان في الشيء منه [واحدٌ] ^(٢) ، لم يثنَّ وَلِفِظَ به على لفظ الجمع ^(٣) لَأَنَّ الإضافة تبيَّنه . فإذا قلت : أَشْبَعْتُ بَطُونَهُمَا عُلِمَ أَنَّ لِلْأَثْنَيْنِ بَطْنَيْنِ فَقَطْ . وأصل التثنية الجمع ، لأنَّك إذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدًا إلى واحد . وكان الأصلُ أن يقال اثنا رجال ، ولكن رجلاين لا يدلُّ على جنس الشيء وعدده ، فالتثنية يحتاج إليها للاختصار فإذا لم يكن اختصارٌ ردَّ الشيء إلى أصله ، وأصله الجمع ، فإذا قلت قلوبهما فالتثنية فيهما قد أغتكت عن تثنية قلب ، فصار الاختصار ههنا تركً تثنية قلب . وإن ثنَّي ما كان في الشيء منه واحدٌ فذلك جائز عند النحويين . قال الشاعر :

* ظهراهما مثلُ ظهورِ الترسينِ *

فجاء بالتثنية والجمع في بيتٍ واحد .

وحكى سيبويه أنَّه قد يجمع المفرد الذي ليس من شيء إذا أردت به التثنية . وحكى عن العرب : وضعا رجالهما ، يريد : رحلي راحلتيهما . انتهى .

وأنشده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ ^(٤) قال : ذكر المفسرون أنَّهما بستانان من بساتين الجنة . وقد يكون في العربية جنَّة تثنيتها العرب في أشعارها . أنشدني بعضهم :

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) ط : « لم يثن لفظه على الجمع » ، وصوابه في ش .

(٤) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

ومهمهين قَذَفِين مَرَّتَيْنِ قَطَعْتُهُ بِالسَّمْتِ لَا بِالسَّمْتَيْنِ (١)

وَأَنْشَدَنِي آخِر :

يَسْعَى بِكِبْدَاءٍ وَلَهْذَمِينَ قَدْ جَعَلَ الْأَرْطَاةَ جَنَّتَيْنِ

وذلك أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَوَافٍ تَقِيْمُهَا الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ ، فَيَحْتَمِلُ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ .

قال الفراء : الْكِبْدَاءُ (٢) : الْقَوْسُ . وَيُقَالُ لَهْذَمٌ وَلِهْذَمٌ ، لَغْتَانُ (٣) ، وَهُوَ السَّهْمُ . انْتَهَى .

والصحيح أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ رَجَزٍ لِخِطَامِ الْمُجَاشَعِيِّ ، وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ ، لَا لَهْمِيَّانَ بْنِ قَحَافَةَ . كَمَا تَقَدَّمَ نَقْلُ أَبِيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الرَّجَزِ فِي الشَّاهِدِ الْخَامِسِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ (٤) . وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيْحَةُ كَذَا :

(وَمَهْمِهَيْنِ قَذَفِينِ مَرَّتَيْنِ ظَهَرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ الثَّرْسَيْنِ أَنْطَارُ الشَّاهِدِ) جُبَّتُهُمَا بِالثَّعْبِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ عَلَى مُطَارِ الْقَلْبِ سَامِي الْعَيْنَيْنِ)

وَالْوَاوُ فِي مَهْمِهَيْنِ وَאו رَبَّ . وَالْمَهْمَةُ : الْقَفَرُ الْمُخَوِّفُ . وَالْقَذْفُ ، بَفَتْحِ الْقَافِ وَالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ بَعْدَهَا فَاءٌ : الْبَعِيدُ مِنَ الْأَرْضِ . وَقَالَ الْعَيْنِيُّ :

(١) لِخِطَامِ الْمُجَاشَعِيِّ ، أَوْ هِمِيَّانَ بْنِ قَحَافَةَ . مَعْجَمُ الشُّوَاهِدِ ٥٤٣ .

(٢) فِي مَعَانِي الْفَرَاءِ ٣ : ١١٨ « الْكِبْدَاءُ » ، وَكَذَا فِي الرَّجَزِ « بِكِبْدَاءٍ » ، وَمَا هُنَا صَوَابُهُ . وَفِي اللِّسَانِ : « وَقَوْسُ كِبْدَاءٍ : غَلِيْظَةُ الْكَبْدِ شَدِيدَتِهَا . وَقِيلَ قَوْسُ كِبْدَاءٍ ، إِذَا مَلَأَ مَقْبَضُهَا الْكَفَ » . وَكَبْدُ الْقَوْسِ : قُوَّةُ مَقْبَضِهَا حَيْثُ يَقَعُ السَّهْمُ .

(٣) ضَبَطَ فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ بِوزن جَعْفَرٍ فَقَطْ .

(٤) الْخُرَازْمِيُّ ٢ : ٣١٣ - ٣١٨ .

هو المكان المرتفع الصُّلب . قال : ويروى « فَذَفْدِين » . والفَدَفْد : الأرض المستوية . قاله الجوهري .

والمرت ، بفتح الميم وسكون الراء المهملة بعدها مثناة فوقية : الأرض التى لا ماء فيها ولا نبات . والظُّهر : ما ارتفع من الأرض . شَبَّهه بظهر ثُرس فى ارتفاعه وتعرّيه من النبات . كما قال الأعشى :
وفلاة كأنها ظهر ثُرس ليس إلا الرّجيع فيها علاؤ
وقال الأعمى : وصَفَ فلاتين لا نبتَ فيهما ولا شخصَ يُستَدلُّ به ،
فشَبَّههما بالثُّرسين .

وقال العيني : مثل ظهري الثُّرسين فى الاستواء والاملاس ، وعدم المرافق فيهما ، من نبتٍ للرّاعية ، أو عَلمٍ هادٍ للناس . وجبتهما : قطعتهما ، وهو جواب ربِّ المقدرة . يقال جاب الوادى يَجُوبُه جوبا ، إذا قطعَه بالسَّير فيه . وروى : « قطعته » بإفراد الضمير .

نقل العيني عن أبى على أنّه قال : أفرد الضمير وهو يريد المهمين ، كما قال تعالى : ﴿ تُسْفِيكُم مِّمَّا فِى بَطُونِهِ ﴾^(١) . ويقال التقدير : قطعت ذلك . ويقال : إنما أفرد الضمير لأنّه أراد المهمة ، وإنّما ثناه تنبيهاً على طولهِ واتصال المشى لراكبه فيه ، كما قال رؤبة :
* ومهمه أطرافه فى مهمه * انتهى

وهذا يؤيد ما قاله الفراء . وقوله : « بالنعت لا بالنعتين » أى نُعتا لى مرّة واحدة ، فلم أحتج إلى أن يُنعتا لى مرّة ثانية . وصَفَ نفسه بالحذق والمهارة . والعربُ تفتخر بمعرفة الطُّرق ، وتعيّر الجاهل بها .

(١) الآية ٦٦ من سورة النحل .

وأما رواية « قطعته بالسَّمت لا بالسَّمتين » فهو من رجزٍ لشاعر آخر ،
أنشده الفارسي (في تذكرته) ، وذكر قبله :
ومهمه أعورٍ إحدى العينين بصيرٍ الأخرى وأصمُّ الأذنين
* قطعته بالسَّمت لا بالسَّمتين * .

قال : كانت في هذا الموضع بئران ، فعُورَت إحداها وبقيت الأخرى ،
فلذلك قال : أعورٍ إحدى العينين . وقوله : « وأصمُّ الأذنين » يعني أنه ليس
به جبل فيسمع صوت الصدى .

وقوله : « بالسَّمت » إلخ أى قيل لى مرةً واحدة فاكثفت . انتهى
وقال : السَّمت : السَّير بالحدس . وقال ابن يسعون : يريد بالسَّمت
إلخ بإشارةٍ واحدة^(١) ، ولم أحتج إلى تكرير النظر ، لحذقي ومعرفتي بالطريق .
وقوله : « على مُطارِ القلب » متعلِّقٌ بجُبتِهما . أراد : على فرسٍ جيِّدٍ
هذه صفته .

وترجمة خطام المجاشعي تقدَّمت في الشاهد الخامس والثلاثين بعد
المائة^(٢) .

* * *

(١) ط « بإشارةٍ واحد » ، وأثبت ما في ش مع أثر تغيير .

(٢) الخزنة ٢ : ٣١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٧٤ (وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ)

على أنه قريبٌ من وقوع المفرد موقع المثنى ^(٢) ، فيما يصطحبان ولا يفترقان ، كقولك : عيني لا تنام ، أى عيناى ، وإنما قال « قريب منه » لأنّ المثال وقع فيه المفرد فى موقع المثنى ، والبيت وقع فيه المثنى وهو عيناى فى موضع المفرد ، لأنّ خبره ترتع ، وليس فيه ضمير اثنين .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : قال أبو عمرو : وإذا كان الاثنان لا يكاد أحدهما ينفرد من الآخر مثل اليدين والرجلين والخُفَّين ، فإن تقدّم مثناه جاز لك فى الشعر والكلام ، أن توحّد صفته فتقول : خفّان جديدٌ وجديدان ، وعينان ضخمةٌ وضخمتان ، لأنّ الواحد يدلّ على صاحبه إذا كان لا يفارقه . وأنشد الفراء :

سأجزيك خذلانًا بتقطيعي الصِّفا إِيْلِكَ وَخُفًّا وَاحِدٍ يَقْطُرُ الدِّمَا
فقال : يقطر ، ولم يقل : يقطران . انتهى .

والمصراع عجزٌ ، وصدْرُهُ :

(حشأى على جمرٍ ذكئٍ من الغضا)

والبيت من قصيدة لأبى الطيّب المتنبي ، مطلعها :

(حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أُشِيعُ)

صاحب الشاهد

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٠ ، ١٢١ وديوان المتنبي بشرح العكبرى ١ : ٣٨٤ .

(٢) ط : « الشئ » ، صوابه فى ش .

قال الواحدى فى شرحه : الحشا : ما فى داخل الجوف ، ويريد به القلب ههنا . يقول : قلبى على جمر شديد التوقد من الهوى ، أى لأجل توديعهم وفراقهم . وعينى ترتع فى وجه الحبيب فى روضى من الحسن .
والبيت من قول أبى تمام :

أفى الحق أن يضحى بقلبى مأتم من الشوق والبلوى ، وعينائى فى غرس
وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، ولا تكاد
تتفرد إحداها برؤية دون الأخرى ، فاكتمى بضمير الواحدة ، كما قال
الآخر (١) :

* بها العينان تنهل (٢) * انتهى

وقال صدر الأفاضل ، عند قول المعرى (٣) :

كان أذنيه أعطت قلبه خبراً عن السماء بما يلقي من الغير

فإن قلت : كيف لم يبرز الضمير فى أعطت مع إسناده إلى ضمير
الاثنتين ؟ قلت : إما لأنه قد نزل العضوين منزلة عضو واحد ، لأن المقصود
بهما منفعة واحدة . وعليه قول امرئ القيس :

وعين لها حدره بدره شقت مآقيهما من آخر (٤)

ألا ترى أنه عنى بالعين العينين ، حتى صرف إلى ضمير الاثنين . وقول
أبى الطيب :

(١) هو امرؤ القيس . ملحقات ديوانه ٤٧٢ . وانظر ما سأتى فى ص ٥٥٦ .

(٢) صدره :

• لمن زحلوقة زل •

(٣) شروح سقط الزند ١٤٦ .

(٤) ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

وتكرّمت رُكْبائُها عن مَبْرِكٍ تقعانٍ فيه وليس مِسْكًا أَذفرا
لأنّه جعل كلَّ رُكبتين كركبةٍ واحدةٍ حتّى قال : تقعان . وإمّا لأنّه قد
عامل المثنى معاملة الجمع . ومنه قول عنتره :

متى ما تلقنى فردين تُرْجُف روائفُ أَلَيْتِكَ وتُستطارا
وقال آخر (٢) :

* أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفِي الْخَيْلَ رَمَاجَ (٢) *

ألا ترى أنّه قد سَمَّى الرّانفتين والقُرَيْن روائف وأقربا .

ومثله في احتمال الوجهين قوله (٣) :

كَأَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنُفِلٍ أَوْ سُنْبَلًا كَجِلَّتْ بِهِ فَانْهَلَتْ

وقول الفرزدق :

* وَلَوْ بَخِلْتُ يَدَايَ بِهَا وَضَنْتُ (٤) *

هذا وقول أبي الطيّب :

* وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحَسَنِ تَرْتَعُ *

مع تمكّنه من أن يقول : وعيني - دليل على أنّه لا في مقام الضرورة .

انتهى .

(١) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٥ .

(٢) ط : « سعى الخيل » ، صوابه في ش والديوان . وصلره :

« كأن ريقه لما علا شطبا » .

(٣) هو سلمى بن ربيعة ، كما في الحماسة ٥٤٦ بشرح المرزوق . ونسب في الأصمعيات

١٦١ إلى علباء بن أرقم .

(٤) عجزه كما في الديوان ٣٦٤ :

« لكان لها على القدر الخيار » .

وقد تكلم ابن الشجرى (فى أماليه) على البيت ، وجعل المسألة رباعية ، فلا بأس بنقل كلامه تكميلاً للفائدة . وقال بعد إنشاد البيت : الحشا : ما بين الضلع التى فى آخر الجنب إلى الورك ، والجمع أحشاء . وذكت النار تذكو : اتقدت وارتفع لهبها . والروضة : موضع يتسع ويجتمع فيه الماء ، فيكثر نبتة . ولا يقال لموضع الشجر روضة . والرتوع فى الأصل للماشية ، وهو ذهابها ومجيئها فى الرعى . وكثر ذلك حتى استعمل للآدميين . وفى التنزيل : ﴿ نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ ^(١) ﴾ . ومن قرأ : ﴿ نَرْتَعُ ﴾ بكسر العين فهو نفع من الرعى . وأصل رتع : أكل ما شاء . ومنه قول سويد بن أبى كاهل :
وُحَيِّنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهْجِي رَتْعُ ^(٢)

وإنما قال عيناى فتنى ثم قال ترتع فأخبر عن الاثنين بفعل واحدة ، لأنَّ العضوين المشتركين فى فعل واحد مع اتفاقهما فى التسمية يجرى عليهما ما يجرى على أحدهما . ألا ترى أنَّ كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأخرى . فاشتراكهما فى النظر كاشتراك الأذنين فى السمع ، والقدمين فى السعى . ويجوز أن يعبر عنهما بواحدة ، تقول : رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى ، ٣٧٨

(١) الآية ١٢ من سورة يوسف . وهذه قراءة أبى عمرو ، وابن عامر ، بالنون وسكون العين . وأما قراءة « نرتع » بالنون وكسر العين فهى قراءة البزى ، كما قرأ قبل : « نرتعى » بإثبات الياء . وقراءة عاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف : « يرتع ويلعب » بالياء وسكون العين من الرتوع . وقرأ نافع وأبو جعفر : « يرتع ويلعب » من الارتعاء . إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢ .

(٢) المفضليات ١٩٨ .

وما سَعَتْ في ذاك قدمي . فَإِنْ قَلْتُ بَعِيْنِي وَأُذِنِّي وَقَدَمِي فَتَنَيْتُ ، فهو حَقُّ الكلام ، والأوَّلُ أَخَفُّ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا .

ولك في هذا الباب ^(١) أربعة أوجه من الاستعمال :

أحدها : أَنْ تستعمل الحقيقة في الخبر والمخبر عنه ، وذلك قولك : عيناى رأته ، وأذناى سمعناه ، وقدمائى سَعَتَا فيه .

والثاني : أَنْ تعبِّر عن العضوين بواحد وتفرد الخبر ، حملاً على اللفظ تقول : عيناى رأته ، وأذنى سمعته ، وقدمي سَعَتْ فيه . وإنَّما استعملوا الأفراد في هذا تخفيفاً ، وللعلم بما يريدون . فاللفظ على الأفراد والمعنى على التثنية . فلو قيل على هذا :

* وَعَيْنَاى فِي رَوْضٍ مِنَ الْحَسَنِ تَرْتَعُ *

كان جيِّداً .

والثالث : أَنْ تُثَنِّي العضو وتفرد الخبر ، لأنَّ حكم العينين أو الأذنين أو القدمين حكمٌ واحدة ، لاشتراكهما في الفعل ، فتقول : أذناى سَمَعْتُهُ ، وعيناى رأته ، وقدمائى سَعَتْ فيه ، كما قال :

* وَعَيْنَاى فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسَنِ تَرْتَعُ *

ومنه قوله سُلَمَى بن ربيعة السَّيْدِي ^(٢) :

فَكَأَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنَفَلٍ أَوْ سُنْبِلًا كُحِلَتْ بِهَا فَا نَهَلَتْ ^(٣)

(١) كذا في النسختين ، وهو الوجه . والذي في أمالي ابن الشجرى ١ : ١٢١ : « في هنا

البيت » .

(٢) نسبة إلى بنى السيد بن ضبة ، كما في شرح التبريزى للحماسة ٢ : ١١٩ . وفي ش :

« السدى » تحريف .

(٣) كذا في النسختين ، وإن كان الشنقيطى قد جعلها بقلمه « كحلت به » ، وهى رواية

أبى تمام ، كما في شرح التبريزى والمرزوق ٥٤٧ .

ومنه قول امرئ القيس :

لمن زُحْلُوفَةٌ زُلُّ بها العينان تنهَلُّ

وللفرزدق :

ولو بخلت يدائى بها وضئت لكان على للقلير الخيارُ

والرابع : أن تُعَبِّرَ ^(١) عن العضوين بواحد وتُثْنِي الخبر ^(٢) ، حملاً على المعنى ، كقولك : أذنى سَمِعْتَاه ، وعينى رَأَتْاه . ومنه قول امرئ القيس ، وهذا قليل ^(٣) :

وعينٌ لها حَنَرَةٌ بَنَرَةٌ شُقَّتْ مَا قِيهَا مِنْ أُخْرٍ

وقول الآخر :

إذا ذكرتُ عيني الزَّمانَ الذى مضى بصحراءٍ فَلَجَّ ظِلَّتَا تَكْفَانِ

فأما ما أنشده ابن السكيت من قول الراجز :

* وَالسَّاقُ مَنِ بَارِدَاتِ الرَّيرِ ^(٤) *

فكان الوجه أن يقول باردةً حملاً على لفظ الساق ، أو باردتان ؛ لأنَّ المراد بالساق الساقان ، ولكنه جمع فى موضع التثنية . ويشبه ذلك قولك : ضربتُ رَعُوسَهُمَا . ويمكن أن تكون الألف فى باردات إشباعاً ، كقول القائل :

(١) ط : « أن يعبر » ، وما أثبت من ش يطابق أمالى ابن الشجرى .

(٢) ط : « ويشئ الخبر » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٣) والبيت فى ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

(٤) قبله فى اللسان (رير) :

أقول بالسبت قُويق الدير إذا أنا مغلوب قليل الغير

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمَنْتَرَجٍ ^(١)
 أَرَادَ : بِمَنْتَرَجٍ ، فَأَشْبَحَ الْفَتْحَةُ فَنَشَأَتْ عَنْهَا الْأَلْفُ . وَيُقَالُ مَخٌّ رَأْرٌ
 وَرِيرٌ ، لِلرَّقِيقِ مِنْهُ .

وقوله : (من الغضى ^(٢)) مفسر للجمر . وكذلك قوله : (من
 الحسن) مفسر للروض ، فمن متعلقة بمحذوف وصف للمفسر . وقال
 (حشائى) والمراد ما جاور الحشا ، وهو القلب . والعرب تعبر عن الشيء
 بمجاوره ، فالمعنى : قلبى على جمر من الغضى ، شديد التوقد ، لرفاقهم ،
 وعينى ترتع من وجه الحبيب فى روض من الحسن . واستعار الرتوع للعين
 لتصويب النظر وتصعيده فى محاسن المنظور إليه . واستعار لحسنه روضاً تشبيهاً
 لعينيه بالنرجس ، ولخذه بالشقيق ، ولثغره بالأفحوان .

ومعنى البيت ناظرٌ إلى قول أبى تمام :
 أَفَى الْحَقِّ أَنْ يَمْسَى بِقَلْبِي مَاتَمٌ مِنْ الشَّوْقِ وَالْبَلْوَى ، وَعَيْنَايَ فِي عُرْسٍ
 وَأَنْشِدْتُ لِلرُّضَى .

٣٧٩

* فالقلب فى مَاتَمٍ والعين فى عُرْسٍ ^(٣) *

(١) لإبراهيم بن هرمة فى ديوانه ٨٧ وشرح شواهد الشافعية ٢٥ .

(٢) الذى فى أمالى ابن الشجرى فى نص البيت وتفسيره : « من الهوى » ، ولكن البغدادى
 ذكر رواية « الغضى » هنا وفى متن البيت .

(٣) صدره فى ديوانه ١ : ٤٢٥ :

• تلذ عيني وقلبي منك فى ألم •

وقبله :

كم نظرة منك تشفى النفس عن عرض وترجع القلب منى جد متتكس

واستعمال المأتم لجماعة النساء في المناحة خاصة مما لم تُرده العرب ،
ولكنه عندهم لجماعة في المناحة وغيرها . قال أبو حية :
رمته أناة من ربيعة عامرٍ نثوم الضحى في ماتم أى ماتم

وقول امرئ القيس فيما ذكرته شاهداً وصَف به عين فرس . ومعنى
حذرة : مكتنزة ضخمة . وبذرة : تبذر النظر . وشقت ماقيهما من أخر ، أى
اتسعت من آخرهما .

والبيت من ثالث البحر المسمى بالمتقارب ^(١) ، عروضه سائلة وضربه
محذوف ، ووزنه فَعْل ، وقد استعمل فيه الخرم الذى يسمى التلم فى أول
النصف الثانى ، وقلما يوجد الخرم إلا فى أول البيت .

وقوله : « لمن زحلوفة » الزحلوفة ^(٢) : الزلاقة التى يتزلج فيها الصبيان
فيزلقون . ويروى : « زحلوفة » بالقاف . انتهى كلام ابن الشجرى .

وترجمة المتنبي قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة ^(٣) .

* * *

(١) كتب مصصح طبعة بولاق : « قوله عروضه سائلة ، فيه أن العروض محذوفة مثل
الضرب » . وقد فات البغدادى أن ينبه هنا على هذا الخطأ الذى وقع فيه ابن الشجرى فى أماليه ١ :
١٢٣ .

(٢) كلمة « الزحلوفة » ساقطة من ش .

(٣) الخزائن ٢ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٥٧٥ (كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيسٌ)
على أن فيه قيام المفرد مقام الجمع ، وهو « بطونكم » ، لأنه يريد :
بطن كل واحد منهم .

وظاهره أنه غير ضرورة . ونص سيويه على أنه ضرورة .
قال سيويه (في مسائل التمييز من باب الصفة المشبهة من أوائل
الكتاب) :

قال بعضهم في الشعر ما لا يستعمل في الكلام^(٢) . قال علقمة بن
عَبْدَةَ :

بِهَ جَيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَيَيْضُ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ^(٣)
وقال :

لَا تُنْكِرُوا الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا^(٤)

(١) في كتابه ١ : ١٠٨ . وانظر معاني الفراء ١ : ٣٠٧ والمقتضب ٢ : ١٧٢ والمحجب ٢ : ٨٧ وأمالى ابن السجري ١ : ٣١١ / ٢ : ٢٥ ، ٣٨ ، ٢٤٣ وابن يعيش ٥ : ٨ / ٦ : ٢١ ، ٢٢ والجمع ١ : ٢٥ .

(٢) في كتاب سيويه : « وليس بمستكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم في الشعر ما لا يستعمل في الكلام » .

(٣) الرواية في سيويه والشتمرى والمفضليات ٣٩٤ وديوان علقمة ١٣٢ : « بها جيف الحسرى » . وما قبله من الأبيات يميز الروائتين ، فإن فيها : « فأوردتها ماء » ، وفيها : « بمشبهات هولن مهيب » .

(٤) الرجز للمسيب بن زيد مناة الغنوى ، كما في الشتمرى واللسان (شجا) . ونسب في المحجب ٢ : ٩٧ إلى طفيل . وفي ش : « لا تنكر » في جميع المواضع ، وكذا في أصول سيويه ، وصوابه ما أثبت . وانظر حواشي سيويه ١ : ٢٠٩ من نسختي .

إلى أن قال : ومما جاء في الشعر على لفظ الواحد يراد به الجمع :

كلوا في بعض بطونكم تعفوا البيت

وقوله : « به جيف الحسرى » إلخ ، هو جمع حسير ، وهى الناقة التى أعيت ، من الإعياء والكلال .

قال الأعلم : وصف طريقاً بعيداً شاقاً على من سلكه . والصليب : اليابس ، وقيل هو الودك . أى قد سال ما فيه من رطوبة لإحماء الشمس عليه . يقول : أكلت السباع ما عليها من اللحم فتعرت ، وبدا وضح العظام .

وقوله : « لا تنكروا القتل » إلخ قال الأعلم : وصف أنهم قتلوا من قوم كانوا قد سبوا من قومه ، فيقول : لا تنكروا قتلنا لكم وقد سيئتم منا ، ففى حلوقكم عظم بقتلنا إياكم ، وقد شجينا نحن ، أى غصصنا بسيئكم لمن سيئتم منا . والبيت للمسيب بن زيد مناة الغنوى .

وقوله : (كلوا فى بعض) إلخ قال الأعلم : وصف أنهم قتلوا من شدة الزمان وكلبه ^(١) ، فيقول : كلوا فى بعض بطونكم ولا تملئوها حتى تعتادوا ذلك تعفوا عن كثرة الأكل وتقنعوا باليسير ، فإن الزمان ذو مخمصة وجذب . والشاهد أنه وضع الجلد موضع الجلود ، والحلق موضع الحلوق ، والبطن موضع البطون ؛ لضرورة الشعر .

٣٨٠

ونقل ابن السراج كلام سيبويه فى باب التميز ، وتبعهما ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) .

(١) الذى فى الشتمرى : • وصف شدة الزمان وكلبه • فقط .

وذهب الفراء (في تفسيره) إلى أنه جائز في الكلام غير مختص بالشعر . وقد تقلّم النقل عنه قبل هذا بيّتين . وقال أيضاً في تفسير سورة النحل عند قوله تعالى : ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ ^(١) ، قال : وَحَدَّ الْيَمِينِ وَجَمَعَ الشَّمَائِلِ ، وكلُّ ذلك جائز في العريّة . قال الشاعر :
 بَفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِن كَانَ هَدْنِي رِزْيَةُ شَبْلَى مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاعِمِ ^(٢)
 ولم يقل بأفواه الشامتين . وقال الآخر ^(٣) :
 * قد عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ ^(٤) *

ولم يقل جلود . وقال آخر ^(٥) :
 فَبَاسَتْ بَنَى عَبْسٍ وَأَسْتَاهِ طَيِّئٍ وَبَاسَتْ بَنَى دُودَانَ حَاشَا بَنَى نَصْرِ
 فَجَمَعَ وَوَجَدَ . وقال آخر :
 كُلُوا فِي نَصِيفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيسُ
 وجاز التوحيد ^(٦) لأنّ أكثر الكلام يواجه به الواحد ، فيقال : خذ عن يمينك وعن شمالك ؛ لأنّ المكلم واحد والمتكلم كذلك ، فكأنّه إذا وحد ذهب إلى واحدٍ من القوم . وإنّ جمع فهو الذي لا مسألة فيه . انتهى .

(١) الآية ٤٨ من سورة النحل .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ٧٦٤ يرثى ابنين له . وفي الديوان « إن كان منسى » .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ .

(٤) صدره كما في معاني الفراء ٢ : ١٠٢ ، وما سبق في ٥٣٧ :

« الواردون وتيم في ذرى سباً » .

(٥) في معاني القرآن : « الآخر » ، والكلام بعده إلى « آخر » التالية ساقط من ش .

(٦) في معاني القرآن : « فجاء التوحيد » .

وتبعه جماعة منهم ابن جنى (فى المحتسب) قال فى سورة المؤمنين : قرأ ﴿ عَظْمًا ﴾ واحدًا ﴿ فكسونا العظام ﴾ جماعة : السُّلْمَى ، وقتادة ، والأعرج ، والأعمش ، واختلف عنهم . وقرأ : ﴿ عِظَامًا ﴾ جماعة ﴿ فكسونا العظم ﴾ واحدًا : مجاهد . قال أبو الفتح : أمّا من وحد فإنه ذهب إلى لفظ أفراد الإنسان والتُّطفة والعَلقة . ومن جمع فإنه أراد أن هذا أمر عام فى جميع الناس ^(١) .

وقد شاع عنهم وقوع المفرد فى موضع الجماعة ، نحو قول الشاعر :

* كلوا فى نصفِ بطنكمُ تعفوا *

وقال آخر ^(٢) :

* فى خلقكم عظمٌ وقد شَجِينَا *

وهو كثير ، وقد ذكرناه . إلا أن من قدّم الأفراد ثم عقب بالجمع أشبه لفظًا ، لأنه جاور بالواحد لفظ الواحد الذى هو إنسان ، وسُلالة ، ونطفة ، وعَلقة ، ومُضغة ، ثم عقب بالجماعة ، لأنها هى العَرَض . ومن قدّم الجماعة بادر إليها ، إذ كانت هى المقصود ، ثم عاد فعامل اللفظ المفرد بمثله . والأوّل أجرى على قوانينهم . ألا تراك تقول : من قامَ وقعدوا إخوتك ، فيحسنُ لانصرافه عن اللفظ إلى المعنى . وإذا قلت : من قاموا وقعد إخوتك ، ضعُف ، لأنك قد انتحيت بالجمع على المعنى ، وانصرفت عن اللفظ . فمعاودة اللفظ

(١) انظر لتوضيح هذا المحتسب ٢ : ٨٧ .

(٢) هو طفيل ، أو المسيب بن زيد مناة . وانظر ما سبق فى حواشى ٥٥٩ .

بعد الانصراف عنه تراجع ، وانتكاث ^(١) . فاعرفه وابن عليه ، فإنه كثير جدًا . انتهى .

ومنها الزمخشري (في كشافه) قال عند قوله تعالى : ﴿ وَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ^(٢) : فإنه وُحِدَ السَّمْعُ مع جمع القلوب ، كما وُحِدَ الشاعر البطن مع جمع كلوا . ومقتضى الظاهر أسماعهم وبطونكم ، لكن لما كان المراد سمع كل واحد منهم وبطن كل واحد مع أمن اللبس جاز ، فإنه من المعلوم أن لكل واحد منهم سمعًا واحدًا وبطنًا .

وقد أورد البيت في عدة مواضع (من الكشاف) ، وأورده أيضًا (في المفصل) في باب التمييز ، ولم يقل شراحه كابن يعيش : إنه ضرورة .

ومنها صاحب اللباب قال : وقد يقع الواحد موقع الجمع نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طِبَّنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾ ^(٣) . ونظيره : * كَلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا * ٣٨١

وقوله : (كَلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ) ، قال صاحب الكشاف : أكل في بعض بطنه ، إذا كان دون الشَّيْع ، وأكل في بطنه إذا امتلأ وشيع . وأراد بعض بطونكم . وقوله : (تَعَفُّوا) مجزوم بحذف النون في جواب الأمر . قال ابن السيرافي : الخميمص : الجائع . والخميص ^(٤) : الجوع . أراد بوصفه الزمن

(١) في ش والمحاسب ٢ : ٨٨ : « والانتكاث : الانصراف عن الشيء » ، وفي اللسان : « وطلب فلان حاجة ثم انتكث لأخرى أى انصرف إليها » . وفي ط : « وانتكاب » بالباء ، ولا وجه له ، فإن الانتكاب إلقاء الكنانة أو القوس على المنكب .

(٢) الآية ٧ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٤ من سورة النساء .

(٤) الخمص ، بالفتح وبالتحريك أيضا .

بخصيص أنه جائع مَنْ فيه ، فالصفة للزمن والمعنى لأهله . يقول لهم : اقتصروا على بعض ما يُشبعكم ولا تملثوا بطونكم من الطعام فينفد طعامكم ، فإذا نفذ احتجتم إلى أن تسألوا الناس أن يُطعموكم شيئاً . وإن قَدَرتم لأنفسكم جزءاً من الطعام عَفَفتم عن مسألة الناس . انتهى .

قال شارحُ اللُّباب ، وبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المِفْصَل)
تعفوا : من العِفَّة . ويروى : « تعيشوا » . كانوا يتلصصون ويتغاورون ، لأنهم فى زمن قحط ، فقال لهم ذلك . والمعنى : كلوا قليلاً تكونوا أعفَاء لا يصدر منكم فعلٌ قبيح كالإغارة والتلصص . أو تعيشوا ، ولا تموتوا ، فإنَّ زمانكم زمنٌ قحط أهله جائعون . انتهى .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعلم قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الخمسمائة ^(١) :

٥٧٦ (لنا إبلاّن فيهما ما علّمتم)

على أنه يجوز تشنية اسم الجمع على تأويل : فرقتين ، وجماعتين .

قال ابن يعيش (فى شرح المِفْصَل) : القياس يأبى تشنية الجمع . وذلك أنَّ الغرض من الجمع الدلالة على الكثرة ، والتشنية تدلُّ على القلة ، فهما معنيان متدافعان ، ولا يجوز اجتماعها فى كلمةٍ واحد . وقد جاء شيء من ذلك عنهم على تأويل الأفراد ، قالوا : إبلاّن ، وعَنَمَان ، وجمالان . وحكى سيبويه :

(١) انظر الأصمعيات ١٦٧ .

لقاحان سوداوان ، وإنَّما لقاح جمع لِقْحَة . هذا كلامه .

أقول : المراد من تثنية الجمع تضعيفه بجعله مثلين من نوعين ، فلا تدافع بين التثنية والجمع ، إلَّا إذا توجَّها إلى مفرد . وقد تقدم ما يتعلق به في الشاهد الثلاثين (١) .

وأنشده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءَانِ ﴾ (٢) من سورة القمر في قراءة التثنية (٣) ، على أنَّ المراد نوعان : ماء السماء وماء الأرض ، كما يقال : تمران وإبلان .

وهذا المصراع وقع في شعرين : أحدهما ما أنشده أبو زيد (في نوادره (٤)) ، وهو المشهور في كتب النحو والتفسير ، وتمأته :

* فعن أَيْة ما شَتُّمُ فَتَنَكَّبُوا (٥) *

وهو بيت مفرد لم يذكر غيره ولا قائله .

ونسبه الصَّاغَانِي (في العباب) لشُعبه بن قُمير - وهو شاعر شعبة بن قمر

(١) الخزانة ١ : ٢٠٥ .

(٢) الآية ١٢ من سورة القمر .

(٣) قراءة « الماءان » لم ينسبها الزمخشري ، وقد نسبها أبو حيان ٨ : ١٧٧ إلى علي ، والحسن ، ومحمد بن كعب ، والجحدري . وقرئ بالتثنية مع الواو « الماوان » وهي قراءة ثانية للحسن كما في الكشف وتفسير أبي حيان ، وعن الحسن أيضا : « المايان » بالياء ، كما في تفسير أبي حيان .

(٤) نوادر أبي زيد ١٤٣ . وإيراده فيها يوهم أو يرجح أنه لشعبة بن قمر ، لأن أبا زيد أورده بعد أبيات لشعبة بن قمر ، مماثلة في الوزن والروى .

(٥) أشير في النوادر وشرحها إلى رواية : « فعن أبيه » بإضافة أى الى الهاء .

مخضرم ، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يره . ذكره ابن حجر (في الإصابة ، في قسم المخضرمين) ، وقال : الإبل لا واحد لها من لفظها ، وهى مؤنثة ، لأنَّ أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، والجمع آبال . وإذا صغرتها أدخلتها الهاء فقلت أُيَّلة ، كما تقول غنيمة . وإذا قالوا ^(١) : إبلان فإنما يريدون قطعتين من الإبل . انتهى .

ومثله ما أنشده أبو تمام (فى الحماسة) من شعرٍ للمساور بن هند ، وهو :

إذا جارة شئت لسعد بن مالك لها إبل شئت لها إبلان ^(٢)

أراد : إذا جارة لسعد بن مالك شئت إبل لها شئت من أجلها قطيعان من الإبل . والشئ : الطرد .

٣٨٢

قال ابن المستوفى : قالوا فى نحوه : إبلان وعَمان ولقاحان . ونحوه أنَّهم أرادوا به قطعتين : قطعة فى جهة ، وقطعة فى أخرى ، أو قطعتين من الإبل والغنم ، أو إبلا موصوفة بصفة غير الإبل الأخرى لتفيد التثنية معنى ما . وقوله : (عن أبيه) بالتونين ، والأصل عن أبيهما ، فلما حُذف المضاف إليه عوض عنه التونين . والمشهور فى الكتب « فعن أبيها » بتأنيث الضمير ، على أنَّه راجع إلى فرقة وقطعة . وروى : « وعن أبيهما » بضمير التثنية مع تخفيف

(١) ط : « أرادوا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى الحماسة ١٦٦٣ بشرح المرزوق : « شلت بها » أى بسببها ولمكانها .

أَيَّ . وهذه الرواية واضحة . قال صاحب العباب : وانتكب الرجل كنانته أو قوسه ، إذا ألقاها على منكبيه ؛ وكذلك تنكبها . وتنكَّبُهُ : تجنَّبَهُ . انتهى .

قال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : الإبلان : جماعتان من الإبل . ولفظ الإبل في عُرفهم عبارة عن مائة بعير ، وإن جاز استعماله في أكثر منه . وقوله : (فيهما ما علمتم) قال صاحب الكتاب ، يعنى الرَّخْشَرى : أى ما علمتم من قَرى الأضياف وتحمل الغرامات والديات . والتنكَّب : التجنَّب . وتنكَّبَ القوسَ : ألقاها على منكبيه . ولا يدرى مم أخذ ما في البيت ^(١) . نقله كله ^(٢) عن المقتبس .

قلت : أخذه من الثانى ، وضمَّنه معنى الأخذ . والمعنى : لنا قطيعان من الإبل فيهما ما علمتم من قَرى الأضياف وتحمل الغرامات ، فخذوا عن أيَّهما ما شئتم وأردتم ، فإنَّها مباحة غير ممنوعة . ولا يبعد أن يريد : فتجنَّبوا عن أيَّهما ما دام لكم مشيئة أى أبداً . فتجنَّبوا فإنَّها محفوظة بنا . وفي هذا الوجه يكون البيت مشتقاً على السَّماحة والحماسة والقصد إلى وصف أربابها بالعزَّة والقوة ، وإنَّ أحداً لا يقدر على التعرُّض لإبلهم . هذا كلامه .

وقال خَضْرُ الموصلى (في شرح شواهد التفسيرين) : تنكَّبوا : اجعلوه في منكبيكم . وعن للمجاوزه ، لأنَّ القطعة المتَّكِّبة ^(٣) قد انفصلت عن الباقي ، مِن تنكَّبَ القوسَ : ألقاها على منكبيه ، أو من نكَّبَ عن الطريق :

(١) أى من أى المعنيين . ش : « مم أخذها في البيت » .

(٢) ط : « نقل كله » ، وأثبت ما في ش .

(٣) ط : « المتكبة » ، بتقديم النون ، والوجه ما أثبت من ش .

عدل عنه ، أى اعدلوا عن أيها شئتم . وما زائدة ، على معنى أن فى كل طائفة منها ما يدل على أنها للأجواد ، فانصرفوا عن أيها شئتم ، خائبين عاجزين عن مجاراتنا ^(١) . انتهى .

والظاهر أن المعنى هو هذا الأخير . ويمنع المعنى الأول شيان : أحدهما : لفظي وهو تعدية تنكب بعن ، فإن المعنى على الانصراف والمجازة عنهما . والثاني : معنوي ^(٢) وهو أن الإبل لا يمكن حملها على المنكب عادة . والله أعلم .

ثم رأيت (فى شرح أبيات إيضاح الفارسي ، لابن برّي) المصراع الثانى : « فَعَنَ أَيُّهَا » ، بإفراد الضمير وتانيثه . وقال : قبله :

(غداة دعا الداعى فكان صريحه نحيحا إذا كَرَّ الدُّعَاءُ المَثُوبُ
بكلِّ وَاةٍ ذاتِ جِدٍّ وباطلٍ وطُرفٍ عليه فارسٌ متلبَّبُ
وجمع كرامٍ لم تَمَزَّرْ سرائهم حُسَى الذَّلَّ لا دُرْدُ ولا متأشَّبُ ^(٣))

الصريح : الإجابة ، وهو فى معنى مُصْرَخ الذى هو مصدر ، كالإصراخ . يقال أصرخته ، إذا أغثته . ونحيحا : مُنْجِحًا . والمَثُوبُ : المناذى . والوَاةُ ، بفتح الواو وهمزة مملوذة فهاء : الفرسُ السريعة المقتدرة الخلق ، كأنها تضمن لحاق المطلوب وتعديه لسرعتها وقوتها . والطُرفُ : الحصان الكريم .

٣٨٣

(١) ط : « مجازاتنا » بالزاي ، صوابه بالراء كما فى ش .

(٢) ش : « والثاني معنى » .

(٣) لم تمزّر ، من التمزّر ، وهو الشرب قليلا قليلا . ومثله التمزّر . وفى نوادر أئى زيد ١٤٣ : « والتمزّر وهو الشيء الذى تجزأ به » . وفى النسختين : « لم يزر » ، وصوابه من النوادر . والحسى : جمع حسوة ، بالضم ، وهى الشيء القليل من الشراب ، أو ما كان ملء الفم . وفى النسختين : « حشى » بالشين ، صوابه من النوادر . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى لا أسنان له . والمتأشَّب :

والمُتَلَبِّبُ : المتحرِّمُ المشمِّر . وقوله : « فعن أيُّها » أعاد الضمير على مجموع الإبلين لأنَّها جماعة . وأراد بقوله « ما علمتم » المنية ، ويجوز أن تكون الهاء تنبيهاً ، والتقدير : فعن أيُّها شئتم فتنبَّكوا . وعدى تنكَّبوا بعن ، لأنَّه بمعنى اعدلوا ، ومعناه التحذير والإرشاد ، أى تنكبوا ما شئتم من ذلك فهو خير لكم . انتهى كلامه .

وقال شارح آخر لأبيات الإيضاح ^(١) : الهاء من أيُّها راجعة إلى الأصناف الثلاثة التى ذكرها قبل ، وهى راكب كلِّ واة ، وراكب كل طرف ، والجمعُ الكرام . ومراده الإيعادُ والتَّهديد ، لا صريح الاستفهام ، كأنَّه قال : فعن أيُّها ما شئتم فتنبَّكوا هذه الإبل إن استطعتم ، أى إنَّكم لا تقدرون على ذلك . هذا كلامه .

والشعر الثانى هو شعر عوف بن عطية ^(٢) [الخريع التيمى . والمصرع أوَّل قصيدة عدَّتْها سبعة عشر بيتاً . وهذه أربعة أبيات من أوَّلها :

هما إبلانٍ فيهما ما علمتُم	فادَّوَّهما إن شئتم أن نُسالِما
وإن شئتمُ القحتم وتنجتم	وإن شئتم عينا بعين كما هما
وإن كان عقلاً فاعقلوا لأخيكمَا	بناتِ المَحَاضِ والبَكَارِ المَقاحِما
جزيتُ بنى الأعشى مكانَ لبونهم	كرامَ المَحَاضِ واللِّقَاحِ الرِّوائِما

قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى (فى شرح ديوانه) : أقبل أهل بيت من ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وهم بنو الأعشى ، حتَّى نزلوا وسط الرِّباب ، فأغار عليهم بنو عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة ،

(١) ط : « وقال شارح آخر أبيات الإيضاح » ، صوابه فى ش .

(٢) التكملة من ش .

فَأَخَذُوا إِبِلَهُمْ ، فَقَالَ بَنُو الْأَعْشَى : انظُرُوا رَجُلًا مِنَ الرِّبَابِ لَهُ مَنَعَةٌ وَعِزٌّ فَادْعُوا عَلَيْهِ جَوَارِكُمْ لَعَلَّهُ يَمْنَعُكُمْ ، وَتُلَبِّسُوا بَيْنَ الْقَوْمِ شَرًّا ! فَاتُوا عَوْفَ بْنَ عَطِيَّةَ بْنَ الْخُرْعِ فَقَالُوا : يَا عَوْفُ ، أَنْتَ وَاللَّهِ جَارُنَا ، وَقَدْ أَخْبَرْنَا قَوْمَنَا أَنَّكَ نَزِيدُكَ . فَاذْهَبْ عَوْفٌ إِلَى عَبْدِ مَنَاةَ فَقَالَ : أَذْهَبُ إِلَى هَؤُلَاءِ إِبِلَهُمْ . فَأَخَذُوا يَضْحَكُونَ بِهِ ، وَقَالُوا : إِنْ شِئْتَ جَمَعْنَا لَكَ إِبِلًا ، وَإِنْ شِئْتَ عَقَلْنَا لَكَ . قَالَ : أَمَّا عِنْدَكُمْ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالُوا : لَا . فَانصَرَفَ عَنْهُمْ فَقَالَ لِبَنِي الْأَعْشَى : اتَّبِعُوا مَصَادِرَ النَّعَمِ . حَتَّى إِذَا أُورِدُوا قَالَ : يَا بَنِي الْأَعْشَى لَا تَقْصُرُوا ، خُذُوا مِثْلَ إِبِلِكُمْ . فَأَخَذُوا ثُمَّ انْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا مَعَهُ عَلَى أَهْلِهِ ، فَجَاءَهُ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ فَقَالُوا : يَا عَوْفُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : الَّذِي صَنَعْتُمْ حَمَلَنِي . فَأَخَذَ يَلْعَبُ بِهِمْ وَقَالَ : إِنْ شِئْتُمْ جَمَعْنَا لَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ عَقَلْنَا لَكُمْ . فَقَالَ عَوْفٌ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ

وقوله (١) : (هُمَا إِبِلَانِ) إِنْخُ أَيُّ إِبِلِ بَنِي الْأَعْشَى وَإِبِلِكُمْ . وَأَدَّى الْأَمَانَةَ إِلَى أَهْلِهَا ، إِذَا أُوصِلَهَا . وَالْإِسْمُ الْأَدَاءُ (٢) وَالتَّادِيَةُ .

وقوله : « وَإِنْ شِئْتُمْ أَلْقَحْتُمْ » إِنْخُ قَالَ السَّكْرِيُّ : يَقُولُ : إِنْ شِئْتُمْ فَرَدُّوْهَا ، أَوْ تَلْقَحُونَهَا وَتُنْتِجُونَهَا وَتَرُدُّونَهَا بِأَوْلَادِهَا . وَ « عَيْنٌ بَعِينٌ » أَيُّ رَدُّوْهَا بِأَعْيَانِهَا حَتَّى نَرُدَّهَا بِأَعْيَانِهَا . وَيُقَالُ قَدْ نَتَجَتِ الْفَرَسَ وَالنَّاقَةَ فَهِيَ مُنْتَوِجَةٌ . وَفَرَسٌ نَتَوُجٌ : فِي بَطْنِهَا وَلَدٌ . انْتَهَى

ويقال أَلْقَحَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ الْقَاحَا : أَحْبَلَهَا . وَالنَّتَاجُ : اسْمٌ يَشْمَلُ

(١) بدله في ش : « وما » !

(٢) ط : « الأدي » ش : « الادا » ، والوجه ما أثبت كما في المعاجم .

وضَعُ البهائم من الغنم وغيرها . وإذا وَلَّى الإنسان ناقةً أو شاةً ماخضًا حتَّى تضع قَيْلًا : نتجها نتجًا ، من باب ضرب . فالإنسان كالقابلة ، لأنَّه يتلقَّى الولدَ ويُصلح من شأنه ، فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة .

٣٨٤

وقوله : « وإن كان عقلاً فاعقلوا » إلخ يقال عَقَلَتْ عنه : غرمت عنه مالزمه من دية وجناية . وابن مَحَاضٍ : ولد الثاقة يأخذ في السنة الثانية ، والأنثى بنتُ مَحَاضٍ ، والجمع فيهما بنات مَحَاضٍ . والبكار : جمع بكرة ، ككلاب جمع كلبة . والبكرة : الصَّغِيرَةُ الشَّابَّةُ من الثَّوْق ، والذكر بَكَر . والمَقَاحِم : جمع مُقَحَّم بضم الميم وفتح الحاء : البعير الذي يُربَّع ويُنثى في سنة واحدة ، فَيُقَحَّم ^(١) سنًا على سنٍّ . قال الأصمعي : وذلك لا يكون إلَّا لابن الهرميين . قال السكري : يقول : إن صار الأمر إلى عقل أخيكم الذي أخذت إبله فاعقلوا بنات المَحَاضِ والبَكَارِ المَقَاحِم ، أى اجمعوا له الرَّذَالَةَ فَأَدُّوْهَا إِلَيْهِ . وهذا هزءٌ بهم ^(٢) .

وقوله : « جَزَيْتُ بنى الأعشى » إلخ يريد أنَّه عَوَّضَهُمْ إِبِلًا خَيْرًا مِنْ إِبِلِهِمْ . قال السكري : والمَحَاضِ : الحوامل ، واحداً حَلِيفَةٌ . واللِّقَاح : ذوات الألبان ، واحداً لِقْحَةٌ بكسر فسكون . ويقال أيضًا لِقُوح ، والجمع لُقُح بضمين . والرَّوْائِم : جمع رَائِم ، وهى التى أُحْبَّت ولدها وعُطِفَتْ عليه . يقال قد رثمته أمه رِثْمَانًا . ورأىها : ما عُطِفَتْ عليه من ولد غيرها أو بَوٍّ . انتهى .

(١) فى النسختين : « فتقحم » ، ووجهه ما أثبت .

(٢) رسمت فى ش : « هزؤ بهم » .

وعوف بن عطية بن الخرع تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادى
والسبعين بعد الأربعمائة (١) .

تَمَّة

من أمثلة تثنية اسم الجمع : قومان . قال الفرزدق :
وكلُّ رفيقٍ كلُّ رحلٍ وإنّهما تعاطى القنا قومأهما أخوان
واستشهد به ابن عصفور (في شرح الجمل الكبير) على تثنية قوم .
وكذا ابن مالك (في شرح التسهيل) . فقوماهما فاعل تعاطى ، وحذف نون
التثنية للإضافة إلى هما .
وفيه شاهدٌ أيضاً على تثنية المضاف إلى اثنين المرجوحة ، فيكون من
قبيل :

* ظهرأهما مثلُ ظهورِ الترسين (٢) *

ومعنى البيت أنّ كل رفيقين في السّفَر أخوان وإن تعادى قومأهما
وتعاطوا المطاعنة بالقنا . ورخلُ الشخص : مأواه في الحضر ، ثم أطلق على
أمتعة المسافرين ، لأنّها هناك مأواه .

وهذا البيت مع وضوح معناه قد حرّفه أبو علىّ الفارسي (في المسائل
البغداديات) بتنوين قوم ، وزعم أنّه مفرد منصوب ، فاختلّ عليه معنى البيت
وإعرابه ، فاحتاج إلى أن صحّحه بتعسّفات وتمحّلات كان غنياً عنها ،

(١) ش : « الواحد » بدل « الحادى » . وانظر الخزانة ٦ : ٣٧٠ .

(٢) انظر ما سبق في ٥٤٤ .

ومقامه أعلى وأجل من أن يُنسب إليه مثل هذا التحريف ، ولكن هو كما قيل :
 * كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معاييه (١) *

وقد تبعه على هذا التحريف والتخريج ابن هشام (في معنى اللبيب)
 ولخص كلامه من غير أن يعزوه إليه . وأنقل لك كلامهما حتى لا تقضى
 العجب منهما .

قال أبو علي (في البغداديات) : ينشد بيت الفرزدق وهو :-
 وكل رفيق كل رحل البيت

وفيه غير شيء من العربية . فمنه : قال تعاطى وقد تقدّمه اثنان ولم يقل
 تعاطيا . فإن قلت : إنه حذف لام الفعل من تعاطى لالتقاء الساكنين ولم يرده
 إلى أصله للضرورة فيقول تعاطيا ، فهو قول . وهذه الضرورة عكس ما في قول
 امرئ القيس :

* لها متنتان خطاتا (٢) *

لأن هذا البيت اللام في موضع وجب حذفها ، مثل رمتا ، لأن الحركة
 للتاء في رمتا غير لازمة ، والفرزدق حذفه في موضع وجب إثباته ، لأنك تقول

(١) البيت ليزيد بن محمد المهلب ، كما في زهر الآداب ٥٥ ونهاية الأرب ٣ : ٩٤ والتمثيل
 والمحاضرة للثعالبي ٩٣ . وورد في جمهرة الأمثال للعسكري ٢ : ٢٨٣ والتنبية على أمالي القائل ص
 ١٥ بلون نسبة . وصلره :

• ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها •

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٦٤ . وقد سبق في ص ٥٠٠ . والبيت بتمامه :

لها متنتان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر

تعاطيا وتراميا . وإن قلت تعاطى تفاعل ، والألف لام الفعل ليست بضميره ،
 وفى الفعل ضميرٌ واحدٌ وإن كان فى اللفظ مثْنى ، فهو فى المعنى كناية عن
 كثرة ، وليس المراد بالثنائية هنا اثنين فيحمل الكلام عليها ، ولكِنَّه فى المعنى ٣٨٥
 يرجع إلى كل ، فحملت الضمير على كل ، فهو قول (١) . ويقوى هذا :
 ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ (٢) . ألا ترى أَنَّ الطائفتين لَمَّا كانتا فى
 المعنى جمعا لم يرجع الضمير إليهما مثْنى لكنه جمع على المعنى . وكذلك
 تعاطى ، أفرد على المعنى إذ كان لكل ، ثم حمل بعدُ الكلام على المعنى
 فقال : هما أخوان . فالقول فى هما أَنَّهُ مبتدأ فى موضع خبر الابتداء الأول وهو
 كل ، وثناؤه وإن كان فى المعنى جمعا للدلالة المتقدمة أَنَّ المراد بهذه الثنائية
 الجمع . ألا ترى أَنَّ قوله كل رقيقى كل رجل ، جمع ؟! ونظيره قوله
 ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ بعد : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ .

فإن قال قائل : إنَّهما يرجع إلى رقيقين على قياس قولهم فى قوله تعالى :
 ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ (٣) فهو عندنا مخطئ ،
 لأنَّ الاسم الأول يبقى متعلقا بغير شئ . وهذا القول ينتقض فى قول من
 يقول به ، لأنَّه عندهم يرتفع بالثانى ، أو بالراجع إليه ، فإذا لم يكن له ثانٍ
 كان إيَّاه فى المعنى ولم يعد إليه شئ ، وجب أن لا يجوز ارتفاعه به عندهم .
 والجملة التى هى هما أخوان رفع خبر لكل . ولا أستحسن أن يكون هما فصلا

(١) فهو قول ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٩ من الحجرات .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

لو كان المبتدأ والخبر معرفتين ، لأننى وجدت علامة ضمير الاثنين يُعنى به الجمع في البيت والآية ، وفي قول الآخر ^(١) :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا يُوفَى الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادَى

وقوله : ﴿ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(٢) ، ونحو هذا . ولم أجد الاثنين المظهرين يُعنى بهما الجمع والكثرة . فإن كان كذلك جعلت هما مبتدأ وجعلت أخوان خبره ، وحملته على لفظ هما دون معناه . ولو جعلت هما فصلاً وكان الاسمان معرفتين وما قرب منهما ، وجعلت أخوان خير كل لم يمتنع ، لأن الاثنين المظهرين قد عنى بهما الكثرة أيضاً . ألا ترى أنَّ في نفس هذا البيت : وكل رفيقى كل رحل ، وليس الرفيقان باثنين فقط ، وإنما يراد بهما الكثرة . فكذلك يراد بأخوان الكثرة . إلا أنَّ قوله : « وكل رفيقى » في الحمل على الجمع أحسن من حمل أخوان على الجمع ، لأنَّ المعنى في قوله : وكل رفيقى كل رحل : كل الرفقاء ، إذا كانوا رفيقين رفيقين فهما أخوان وإن تعاطى كل واحد مغالبة الآخر ، لأجتماعهما في السفرة والصحبة . فالقول الأوّل في هذا هو الوجه . ومثل هذا قولهم : هذان خير اثنين في الناس ، وهذان أفضل اثنين في العلماء . فيدلُّك على أنَّ الاثنين في قولنا : هذان خير اثنين في الناس ، والرفيقين في هذا البيت ، ما يذهب إليه سيويوه ، من أنَّ المعنى : إذا كان الناس اثنين اثنين فهذا أفضلهم ، وإضافة رفيقين في هذا البيت إلى كل رحل ، لو كان المراد بهما اثنين فقط لكانت هذه

(١) هو الأسود بن يعفر النهشلى . المفضليات ٢١٦ .

(٢) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

الإضافة مستحيلة ، لأنَّ رفيقين اثنين لا يكونان لكلَّ رجل . ففى هذا البيت دليلٌ على أنَّ رفيقين يراد بهما الكثرة . وفيه أنَّ حملهما على معنى كلٍّ ، وفيه الوجهان اللذان حملناهما تعاطى .

فأما قوله قوماً فيحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون بدلا من القنا ، لأنَّ قومهما من سببهما وما يتعلَّق بهما . ويحتمل أن يكون مفعولاً له ، وكأنه قال : وإن هما تعاطيا القنا للمقاومة ، أى لمقاومة كلِّ واحد منهما صاحبه ومغالبيته . ويحتمل أن يكون مصدراً من باب ﴿ صُنِعَ اللَّهُ ^(١) ﴾ و ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ^(٢) ﴾ لأنَّ تعاطى القنا يدلُّ على مقاومة . فتحمل قوماً على هذا كما حملت ﴿ وعد الله ﴾ على ما تقدَّم فى الكلام ، مما فيه وعدٌ . هذا آخر كلامه .

٣٨٦

وقال ابن هشام (فى المغنى) : هذا البيت من المشكلات لفظاً ، وإعراباً ، ومعنى . فلنشرحه .

قوله : كلَّ رجل ، كلَّ هذه زائدة ، وعكسه حذفها فى : ﴿ على كلِّ قلبٍ متكبر ^(٣) ﴾ فيمن أضاف . وتعاطى أصله تعاطيا ، فحذفت لامه للضرورة . وعكسه إثبات اللام للضرورة فيمن قال :
* لها مَثْنَتَانِ خطاتا *

إذا قيل إنَّ خطاتا فعل وفاعل ، أو ألف تعاطى لامُ الفعل ووحد الضمير لأنَّ الرفيقين ليسا باثنين معيّنين ، بل هما كثير ، كقوله تعالى :

(١) من الآية ٨٨ فى سورة النمل .

(٢) من الآية ١٢٢ فى سورة النساء ، وآيات أخرى .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة غافر .

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ^(١) ﴾ ، ثم حمل على اللفظ إذ قال : هما أَخَوَانٌ ، كما قِيلَ : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ^(٢) ﴾ . وجملة هما أَخَوَانٌ خبر كَلِّ . وقوله : قَوْمًا إِمَّا بَدَلٍ مِنَ الْقَنَا لَأَنَّ قَوْمَهُمَا مِنْ سَبِيهِمَا إِذْ مَعْنَاهُ تَقَاوُمُهُمَا ، فحذفت الزوائد فهو بدل اشتغال . وإِمَّا مفعول لأجله ، أى تعاطيا القنا لمقاومة كُلِّ منهما للآخر ، أو مفعول مطلق من باب ﴿ صُنِعَ اللَّهُ ﴾ لَأَنَّ تَعَاطَى الْقَنَا يَدُلُّ عَلَى تَقَاوُمِهِمَا . ومعنى البيت : أَنَّ كُلَّ الرَّفَقَاءِ فِي السَّفَرِ ، إِذَا اسْتَقْرُوا رَفِيقَيْنِ رَفِيقَيْنِ فَهُمَا كَالْأَخَوَيْنِ ، لاجتماعهما في السَّفَرِ والصُّحْبَةِ ، وَإِنْ تَعَاطَى كُلُّ مَنَّهُمَا مَغَالِبَةَ الْآخَرِ . انتهى كلامه .

وهذا كله كما ترى فاسدٌ لفساد أساسه . وقد تنبَّه له الدماميني (في الحاشية الهندية) إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى كَلَامِ أُنَى عَلَى ، وقال : أطال المصنف ، يعنى ابن هشام ، في تقرير ما يزيل الإشكال الذى ادَّعاه ، وكله مبنًى على حرف واحد ، وهو ثبوت تنوين قَوْمًا من جهة الرواية ، ولعلها ليست كذلك . وإنَّما هى « قوماهما » تشنية قوم ، والمنشئ مضافٌ إلى ضمير الرفيقين . ولا إشكالَ حينئذٍ لا لفظًا ، ولا إعرابًا ، ولا معنى . وقد رأيت في نسخة (من ديوان الفرزدق) هذا البيت مضبوط الميم من « قوماهما » بفتحة واحدة ، وملكت هذه النسخة في جلددين . وضبط هذا البيت هو الذى كان باعثًا على شرائها . والله الحمد والمثنة . انتهى .

(١) من الآية ٩ في سورة الحجرات .

(٢) من الآية السابقة .

وقد نقل العيني^(١) كلام ابن هشام بعينه (في شرح شواهد الألفية)
من غير غزوٍ إليه .

صاحب الشاهد
والبيت من قصيدة للفرزدق خاطب فيها ذئبًا أتاه وهو نازلٌ في بعض
أسفاره ، وكان قد أوقد نارا ، ثم رمى إليه من زاده . وقال له : تعش ، وينبغي
أن لا يخون أحدٌ منا صاحبه حتى نكون مثل الصّاحبين .

وقال أبو عبيدة (في كتاب الضيفان ^(٢)) : ضاف الفرزدق
ذئب^(٣) ، ومعه مسلوخ ، فألقى إليه رُبع الشاة ، وأراد أصحابه طرده
فنهاهم ، ثم ألقى إليه الرُبع الآخر فشبع ، فقال الفرزدق هذه القصيدة ، وهذه
أبيات منها ^(٤) :

أبيات الشاهد
(وأطلس عسّالٍ وما كان صاحبًا دعوتُ لنارى موهنا فأتاني ^(٥)
فلما أتاني قلتُ دونك إننى وإياك فى زادى لمُشتركانِ
فبتُ أَقْدُ الزَّادَ بينى وبينه على ضوءِ نارٍ مرّةً ودُخانِ
فقلتُ له لما تكشّر ضاحكًا وقائمُ سيفى فى يدي بمكانِ ^(٦)
تَعْشْ فَإِنْ عَاهَدْتَنى لا تخوننى نكنْ مثْل من يادئُبُ يصطحبانِ ^(٧)
وأنت امرؤُ يا ذئبُ والغدرُ كتما أُخَيِّنْ كانا أُرِضعا يلبانِ ٣٨٧

(١) العيني : ٤٦٣ عرضا .

(٢) هذا النص نقله أيضا في العيني ١ : ٤٦١ .

(٣) يقال ضافه وتضيفه : نزل به وصار له ضيفا .

(٤) ديوان الفرزدق ٩٧٠ والعيني ١ : ٤٦٢ .

(٥) في الديوان : دعوت بنارى .

(٦) الديوان : من يدي .

(٧) في الديوان : فان واثقتى لا تخوننى .

ولو غَيْرَنَا نَبِهَتْ تَلْتَمِسُ الْقِرَى رَمَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شِبَاةَ سَيْنَانٍ ^(١)
وَكُلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحِيلٍ وَإِنْ هُمَا تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا أَخَوَانِ (

والأطلس : الأغبر من الذئاب . والواو واو رب . وعَسَّال : صفة مبالغة من الْعَسْلَان ، وهو مَشَى الذئب باضطراب وسرعة . وَالْمَوْهَن ، بفتح الميم وكسر الهاء : ساعة تمضي من الليل . وَأَقْدُ : أقطع طولاً . والتكشُّر : ظهور الأسنان عند الضحك . وتعشَّ : أمر من تعشَّى . والبيت شاهد لإطلاق مَنْ على اثنين ، لقوله يصططحبان . وأُخَيَيْن : مصغَّر أخوين . واللَّبان بالكسر : لبن الآدمي . وشِبَاة كُلِّ شَيْء : حُدُّه ، وهو بفتح الشين المعجمة والموحدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الخمسمائة ^(٢) :
٥٧٧ (لَأَصْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِئُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ)
على أَنَّهُ يَجُوزُ تَثْنِيَةُ الْجَمْعِ الْمَكْسَّرِ ، فَإِنَّ جِمَالَيْنِ مثنى جِمال ، أى قطيعين من الجمال .

وأورده صاحبُ الكشف عند قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ^(٣) على تثنية الضمير مع أَنَّ المرجع السموات والأرض ، بإرادة ما بين الجنسين .

(١) في الديوان : « أَمَّاكَ بِسَهْمٍ » .

(٢) مجالس ثعلب ١٧١ والأغاني ١٨ : ٤٩ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والمقرب ٨٠ والهمع ١ :

٤٢ .

(٣) الآية ٦٥ من سورة مريم و ٢٤ من الشعراء و ٥ من الصافات و ٦٦ من ص و ٧ من الدخان و ٣٧ من النبأ .

وقال (فى المفصل) : وقد يُثنى الجمع على تأويل الجماعتين والفريقين .
أنشد أبو زيد :

* لنا إبلانٍ فيهما ما علمتم ^(١) *

وفى الحديث : « مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين ^(٢) » . وأنشد
أبو عبيد :

لأصبحَ الحىُّ أوبادًا ولم يجلوا البيت

وقالوا : لقاحانِ سوداوانِ . وقال أبو النجم :

* بين رماحى مالكٍ ونهشلٍ ^(٢) * انتهى

والحديث رواه نافع عن ابن عمر ، والمروى فيه : « مثل المنافق مثل
الشاة العائرة بين غنمين ، تغير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ، لا يُدرى أيهما
تتبع » . والعائرة بالعين المهملة : المترددة ، من عار الفرس ، إذا ذهب هنا
وهنا . شبه المنافق فى تردده وعدم ثباته على جانب بالشاة المترددة بين قطيعين
من الغنم ، لا تستقر فى قطع . ويقال : سهم عائر وحجر عائر ، إذا لم يعلم
من أين هو ، ولا من رماه .

ولم يقيّد الجمع بالمكسر ^(٣) كما قيّده الشّارح المحقق به ، احترازًا من
الجمع المصحح ، لئلا يجتمع فيه إعرابان بالحروف ، وهو ممتنع لوضوحه .

(١) انظر الشاهد السابق .

(١) رواه النسائي فى كتاب الإيمان وشرائعه ٨ : ١٢٤ ، كما رواه أحمد فى ٢ : ٣٢ ، ٤٧ ،
٦٨ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ، ٢٨٣ أولى ، من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) شرح شواهد الشافعية ٣١٢ وابن يعين ٤ : ١٥٥ . وانظر الخزانة ٢ : ٣٩٤ .

(٣) يعنى الرمحشوى فى المفصل .

واللَّقَاح : جمع لَقَوْح ، وهى النَّاقَةُ ذاتُ اللَّبَنِ ، مثل قِلَاصٍ وَقِلْوَصٍ .
وقال ثعلب : اللَّقَاح جمع لِقْحَةٍ بالكسر ، وإن شئتَ لَقَوْح ، وهى التى
تُنتَجُ ، فهى لَقَوْحُ شهرين أو ثلاثة ، ثم هى كَبُونٌ بعد ذلك . وتقدّم شرح قوله :
* بين رماحى مالك ونهشيل *

فى باب الندبة ^(١) .

وقوله : (لأَصْبَحَ الحَيُّ أُوْبَادًا) البيت ، قبله :
سعى عِقَالًا فلم يترك لنا سَبْدًا فكيف لو قد سَعَى عمرو عِقَالَيْنِ)
أنشدهما أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (فى أمثاله) وقال :
استعمل معاوية بن أبى سفيان ابن أخيه عمرو بن عُتْبَةَ ^(٢) بن أبى سفيان ،
على صدقات كلب ، فاعتدى عليهم ، فقال عمرو بن العَدَاء الكلبى هذا
الشَّعْر .

و (سعى) فى الموضعين ، من سَعَى الرجل على الصدقة ، أى الزَّكَاةِ
يسعى سعيًا : عمل فى أخذها من أربابها . وعِقَالًا وعِقَالَيْنِ منصوبان على
الظرف ، أراد : مدّة عِقَال ، ومدّة عِقَالَيْنِ . والعِقَال : صدقة عام . قال
الأصمعى : بُعِثَ فلانٌ على عِقَالِ بنى فلان ، إذا بُعِثَ على صدقاتهم . قال
أبو عبيد : هذا كلام العرب المعروف عندهم . فأما ما روى أن عمر كان
يأخذ مع كل فريضة عِقَالًا ورواءً ، فإذا دخلت إلى المدينة باعها ثم تصدّق

(١) هو الموضع الذى سبقت الإشارة إليه من الخزنة ٢ : ٣٩٤ .

(٢) ش : « عمرو بن أبى عتبة » تحريف . وقد كتب ناسخ ش تعليقاً بخطه : « كذا بخط
المؤلف ، وصوابه عمرو بن عتبة » . وانظر لعمرو بن عتبة جمهرة ابن حزم ١١٢ ، وقد ذكر أنه قتل
مع ابن الأشعث ، وأن عقبه بالبصرة . منهم العتبي الشاعر . وانظر المعارف ١٥١ .

بتلك العقل والأروية ؛ فالعقال : الحبل الذى يُعقل به البعير ، والرؤاء : الحبل الذى يُقرن به البعيران .

وقالوا فى قول أبى بكر : « لو منعونى عقلاً ممّا أدّوا إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهُم عليه » : يعنى بالعقال صدقة عام ، وقيل أراد الحبل الذى كانت تُعقل به الفريضة المأخوذة فى الصدقة . وهو بالحبل أولى فى هذا الموضع ، لأنّ الإنسان إنّما يذكر فى مثل هذا الموضع الأقلّ لا الأكثر ، بناء على قوّة العزّمة فى الأدنى ، فكيف فى الأعلى . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل ^(١)) ، بعد نقل كلام أبى بكر ، رضى الله عنه : قوله : « لو منعونى عقلاً » على خلاف ما تتأوله العامة . ولقول العامة وجه قد يجوز ، فأما الصحيح فإنّ المصدّق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمناً قيل : أخذ عقلاً . وإذا أخذ الثمن قيل : أخذ نقداً .

وقال الشاعر :

أتانا أبو الخطاب يضرب طَبْلَهُ فردّ ولم يأخذ عقلاً ولا نقداً ^(٢)

والذى تقول العامّة تأويله : لو منعونى ما يُساوى عقلاً فضلاً عن غيره . وهو وجه . والأوّل هو الصحيح ، لأنّه ليس له عليهم عقال يُعقل به البعير فيطلبه فيمنعه ، ولكن مجازه فى قول العامّة ما ذكرنا . وهو من كلام

(١) الكامل ٢٢٢ ليسك .

(٢) بعده فى حواشى الكامل : « كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول » .

العرب (١) : أَنَا بَجْفَنَةٍ يَقَعْدُ عَلَيْهَا ثَلَاثَةٌ ، أَيْ لَوْ قَعَدَ عَلَيْهَا ثَلَاثَةٌ لَصَلَحَ .
انتهى .

وقال ثعلب (في أماليه) : الْعِقَالُ : صَدَقَةٌ سَنَةٍ فِي خَيْرِ أَيْ بَكْرٍ :
« لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا » . وَأَنْشُدَ الْبَيْتَيْنِ .

وَالسَّبْدُ ، بَفَتْحَتَيْنِ ، الشَّعْرُ وَالْوَبَرُ .

وقال ابن السَّيِّدِ (في شرح أدب الكاتب) : إِذَا قِيلَ : مَا لَهُ سَبْدٌ
وَلَا لَبْدٌ ، فَمَعْنَاهُ مَا لَهُ ذُو سَبْدٍ ، وَهُوَ الْإِبِلُ وَالْمَعَزُ ، وَلَا ذُو لَبْدٍ ، وَهُوَ الْغَنَمُ .
ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ مَثَلًا مَضْرُوبًا لِلْفَقْرِ ، فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ لَا مَالَ لَهُ أَيْ شَيْءٌ
كَانَ . فَفِيهِ مَجَازٌ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : إِيقَاعُهُمُ النَّفْيَ عَلَى السَّبْدِ وَاللَّبْدِ ، وَهُمْ يَرِيدُونَ نَفْيَ مَا لَهُ
السَّبْدُ وَاللَّبْدُ .

وَالثَّانِي : اسْتِعْمَالُهُمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ فِي
الْإِبِلِ وَالْمَعَزِ وَالْغَنَمِ خَاصَّةً . انْتَهَى .

وقوله : « فَكَيْفَ » هُوَ ظَرْفٌ مَعَ عَامِلِهِ الْمَحْذُوفِ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ
خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ ، أَيْ كَيْفَ حَالُنَا . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ دَلِيلُ جَوَابِ لَوْ . يَقُولُ :
تَوَلَّى هَذَا الرَّجُلُ عَلَيْنَا سَنَةً فِي أَخْذِ الزَّكَاةِ مَنَّا فَلَمْ يَتْرِكْ لَنَا شَيْئًا لَظَلَمَهُ إِيَّانَا ،
فَلَوْ تَوَلَّى سَتَيْنِ عَلَيْنَا عَلَى أَيْ حَالِ كُنَّا نَكُونُ ؟

وقوله : « لِأَصْبَحَ الْحَيُّ » إِنْخِ ، اللَّامُ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ (٢) . وَزَعَمَ

(١) كلمة « هو » ليست في الكامل .

(٢) ط : « جواب القسم » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

خضر الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين ^(١)) أن اللام فى جواب « لو » المتقدمة . وهو ذهول عما قبله . والحي : القبيلة . والأوياد : جمع ويد بفتحين ، قال الجوهري : الويد بالتحريك : شدة العيش وسوء الحال ، مصدر يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ، ثم يجمع فيقال أوياد ، كما يقال عدل وعدول ، على توهم النعت الصحيح . وأنشد البيت .

وقال ابن برّى (فى شرح أبيات الإيضاح للفارسي) : الوجه أن يكون جمع ويد ، وهو السيئ الحال ، كفخذ وأفخاذ . انتهى .

والهيجاء : الحرب ، قال ابن ولاد (فى المقصور والمدود) : الهيجاء ثمذ وثقصر . قال الشاعر ^(٢) :

* يا رَبِّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا *

وقال آخر ^(٣) :

* إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا ^(٤) * انتهى .

وهى مؤنثة كما فى البيتين .

(١) ط : « التفسير » ، صوابه فى ش . والتفسيران هما تفسير الزمخشري المسمى بالكشاف ، وتفسير البيضاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل .

(٢) هو لييد . ديوانه ٣٤٠ والأغاني ٤ : ٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والجمع ٢ : ٢٥ .

(٣) البيت مجهول القائل . وانظر ابن يعيش ٢ : ٤٨ ، ٥١ والمغنى ٥٦٣ .

(٤) عجزه كما فى المراجع المتقدمة ، والمقصود والمدود لابن ولاد ١١٧ :

« فحسبك والضحاك سيف مهند » .

وهذه الكلمة مع شهرتها لم يوردها القالى (فى المقصور والمدود) مع أنه استقصى النوعين ^(١) فى كتابه .

وثنى الجمال لأنه جعلها صنفين : صنفًا لترحلهم يحملون عليها أثقالهم ، وصنفًا لحربهم يركبونه إذا جنّبوا خيلهم . ويؤيده رواية أبى الفرج : « يوم الترحل والهيجا ^(٢) » . و (أوبادًا) : خبر أصبح إن كانت ناقصة ، وحال من القوم إن كانت تامة . وروى أبو الفرج : « لأصبح الحى أوقاصًا » ، وهو جمع وقص بفتحتين ، وقد تسكن القاف : ما بين الفريضتين من نصب الزكاة مما لا شيء فيه . فعلى هذه الرواية حذف مضاف ، أى لأصبح مال الحى أوقاصًا ، أى لا يوجد عندهم فى العام الثانى ما يجب فيه الصدقة . وعَمرو بن عَدّاء الكلبى : شاعرٌ إسلامى .

عمرو بن عداء

* * *

تم بعون الله تعالى وحسن تيسيره الجزء السابع
من خزانة الأدب بتقسيم محققها

(١) ش : « مع استقصاء النوعين » .

(٢) ط : « والهيجا » ، صوابه بالقصر كما فى ش والأغاني ١٨ : ٤٩ . ولا يستقيم الوزن بمد

الهيجا .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

٢٩٦	« قصة يهس »	٣٤	قيس بن الخطيم
٢٩٦	يهس بن صهيب	٣٧	الأخنس بن شهاب
٣٣٦	عبد الله بن معاوية	٤٩	عبد مناف بن ريع
٢٥٣	« الكلمات المختصة بالنفى »	٦٧	حرقة بنت النعمان
٣٨٣	الريبع بن ضبع	٨١	الحارث بن ظالم
٤٤٠	عارق الطائى	١٣٠	من اسمه عفاق
٤٤٦	قريط بن أنيف	١٣٠	عفاق بن مرى
٤٦٧	واثلة بن الأسقع	١٤٧	« نيران العرب »
٤٧٥	عصام بن عبيد الزماني	١٥٣	المخلق بن جزء
٤٨٩	على بن بدال	١٩٦	خداس بن زهير
٤٩٧	الحصين بن الحمام	٢٥٢	المرار الفقعى
٥١٨	عمارة بن زياد العيسى	٢٥٧	عبيد الله بن العباس
٥٢٣	الكميت بن ثعلبة	٢٦٠	معن بن أوس
٥٢٤	أنس بن مدركة	٢٦٧	حسن بن زيد
٥٨٥	عمرو بن عداء الكلبي	٢٨٤	ابن قيس الرقيات
٢٩٣	« قصدة قصيرة »		

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الظروف

- ٣ ٥٠١ أما تَرَى حَيْثُ سُهَيْلٌ طَالَعَا
- ٨ ٥٠٢ فشدَّ ولم تَفْزَعْ بيوتٌ كثيرةٌ لدى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعِمِ
- ١٩ ٥٠٣ للفتى عَقْلٌ يعيش به حيث تَهْدِي سَاقَهُ قَدُمُهُ
- ٢٢ ٥٠٤ ترفعُ لى حِندَفُ واللهُ يرفعُ لى نَارًا إِذَا حَمَدَتْ نيرانهم تَقِيدُ
- ٢٥ ٥٠٥ إِذَا قَصُرَتْ أَسِيفَانَا كَانَ وَصْلُهَا خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَضَارُبُ
- ٣٩ ٥٠٦ حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةَ الشُّرْدَا
- ٥٠ ٥٠٧ فَأُضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خِرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْهَى أَقْرَبَا
- ٥٩ ٥٠٨ فِينَا نَسُوقُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
- ٧١ ٥٠٩ بَيْنَا تَعْنُقُهُ الْكِمَاءَ وَرَوْعِهِ يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرَى سَلْفُغِ
- ٧٧ ٥١٠ فقام أَبُو لَيْلَى إِلَيْهِ ابْنُ ظَالِمٍ وَكَانَ إِذَا مَا يَسْلُلُ السَّيْفَ يَضْرِبُ
- ٨٣ ٥١١ مِنْ أَيْنَ عَشْرُونَ لَهَا مِنْ أَنَّى

- ٥١٢ صَرِيْعُ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرُقْنَه
لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سُودُ النَّوَابِ ٨٦
- ٥١٣ فَأَصْبَحَتْ أَنَّى تَأْتِيهَا تَبَسُّنَ بِهَا
كَلَا مَرْكَبِيهَا تَحْتَ رَجْلِكَ شَاجِرُ ٩١
- ٥١٤ شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ
مَتَى لَجِيجُ خُضْرٍ لَهْنٌ نَتِيجُ ٩٧
- ٥١٥ أَوْ رَاعِيَانِ لُبْعَانِ لَنَا شَرِبَتْ
كُنَى لَا يَحْسَنَانِ مِنْ بُعْرَانَا أَثَرَا ١٠٢
- ٥١٦ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ لِمَ أَسْلَمْتَنِي
لَهُمُومٌ طَارِقَاتٍ وَذِكْرُ ١٠٨
- ٥١٧ فَإِنَّ الْكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمَا
وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أَنَّى غَلَامُ ١١١
- ٥١٨ طَارُوا غَلَامَهْنَ فِطْرَ غَلَامَا
وَأَشْدُّ بِمَثْنَى حَقَبٍ حَقَوَاهَا ١١٣
- ٥١٩ فَلَوْلَا نَبْلٌ غَوْضٍ فِي
حُطْبَاءَى وَأَوْصَالِي ١١٦
- ٥٢٠ وَلَوْ لَا دِفَاعِي عَنْ عِفَاقٍ وَمَشْهَدِي
هَوَتْ بِعِفَاقٍ عَوْضُ عَنَقَاءَ مُغْرَبُ ١٢٩
- ٥٢١ رَضِيعَتِي لِبَابِنِ ثُدَى أُمِّ تَقَاسَمَا
بِأَسْحَمٍ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ ١٣٨
- ٥٢٢ لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مُذْ أَمَسَا
١٦٧
- ٥٢٣ لَا إِلَهَ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلَكَ فِي حَسَبٍ
عَنَّى وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي ١٧٣

باب النكرة والمعرفة

- ٥٢٤ فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ عَامٍ
أُظْهِرْتُكَ كَانَ أُمُّكَ أُمَّ حِمَارُ ١٩٢
- ٥٢٥ أَرِيفُ التَّرْحُلِ غَيْرَ أَنَّ رَكَابَنَا
لَمَّا تَزُولُ بِرِحَالِنَا وَكَانَ قَدِ ١٩٧
- ٥٢٦ يَا خَلِيلِي أَرْبَعًا وَاسْتَخْبِرَا أَلْ
مَنْزِلَ الدَّرَاسِ مِنْ أَهْلِ الْحَلَالِ ٢٠٥
- ٥٢٧ أَمَّا وَالْذَّمَاءُ الْمَائِرَاتِ تَخَالُهَا
عَلَى قَنَةِ الْعَزَى وَبِالنَّسْرِ عِنْدَمَا ٢١٤

باب العلم

- ٥٢٧ سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا نَعُوذُ بِهِ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمْدُ ٢٣٤
- ٥٢٨ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ ٢٤٣
- ٥٢٩ سَكَنُوا شُبَيْثًا وَالْأَحَصَّ وَأَصْبَحْتُ نَزَلْتُ مَنَازِلَهُمْ بَنُو ذِيانٍ
- وَإِذَا فَلَانٌ مَاتَ عَنْ أَكْرُومَةٍ رَقَعُوا مَعَاوِزَ فَقِيهِهِ بِفَلَانٍ ٢٤٨
- ٥٣٠ أَخَذْتُ بَعِينَ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ وَبِالَّذِينَ حَتَّى مَا أَكَادُ أَدَانُ
- وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغَنَى وَرَدَّ فَلَانٌ حَاجَتِي وَفَلَانٌ ٢٥٣
- ٥٣١ اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَلَى هَنٍ وَهَنٍ فِيمَا مَضَى وَهَنٍ ٢٦٣
- ٥٣٢ يَا رَبِّ يَا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسْأَلُ
- ٥٣٣ قُلْ لَابْنِ قَيْسٍ أَخِي الرُّقِيَّاتِ مَا أَحْسَنَ الْعِرْفَ فِي الْمَصِيبَاتِ ٢٧٨
- ٥٣٤ وَمِنْ طَلَبِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ لِلْمَوْتِ بِالسَّيْفِ يَيْهَسُ
- نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ ٢٩٠
- ٥٣٥ أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أَمَلٌ عَلَيْهَا بِالْبَلَى الْمَلَوَانِ ٣٠١
- ٥٣٦ وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ التَّمْلُ الذِي جَمَعَا ٣٠٩
- ٥٣٧ لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِتِّي لَيْتَ إِنَّ لَوْأَ وَإِنَّ لَيْتَا عَنَاءَ ٣١٩
- ٥٣٨ أَشْلَى سَلُوقِيَّةً بَاتَتْ وَبَاتَ بِهَا بُوْحَشٍ إِصْبِيتَ فِي أَصْلَابِهَا أَوْدُ ٣٢٤
- ٥٣٩ تَأْنِي لَهُ ذَاكَ بَنَاتُ الْيَبِي ٣٤٥

أسماء العدد

٣٤٧	حَتَّى اسْتَأْزَرُوا بَنِي إِحْدَى الْإِخْوَةِ	٥٤٠
٣٦٥	لَهَا ثَنَائًا أَرْبَعُ حِسَانُ وَأَرْبَعُ فَتَغْرُهَا ثَمَانُ	٥٤١
٣٦٧	ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ وَثَلَاثُ ذَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي	٥٤٢
٣٧٠	ثَلَاثُ مِئِينَ لِلْمُلُوكِ وَفِيهَا رَدَائُ وَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِ الْأَهَاتِمِ	٥٤٣
٣٧٥	وَحَاتَمُ الطَّائِي وَهَابُ الْمِثْيِ	٥٤٤
٣٧٩	إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاءُ	٥٤٥
٣٩٠	فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ خَلُوبَةً سَوْدًا كَخَافِيَةِ الْغَرَابِ الْأَسْحَمِ	٥٤٦
٣٩٤	وَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثَ شَخْصٍ : كَاعْبَانٍ وَمُعْصِرٍ	٥٤٧
٤٠٠	كَأَنَّ خُصْمِيهِ مِنَ التَّدْلِيلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا خَنْظَلٍ	٥٤٨
٤٠٧	فَطَافَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَكَانَ التَّكْيِيرُ أَنْ تَضَيَّفَ وَتَجَارَا	٥٤٩

باب المذكر والمؤنث

٤٢٠	فَقُلْتُ لَهَا : أَصَبْتُ خَصَاةَ قَلْبِي وَرُبَّتْ رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ	٥٥٠
٤٢١	يَا صَاحِبَا رُبَّتْ إِنْسَانٍ حَسَنٍ	٥٥١
٤٢٤	لَقَدْ أَغْدُو عَلَى أَشَقِّ رَ يَغْتَالِ الصَّخَارِيَّا	٥٥٢
٤٢٧	تَهْدَدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتُونَا	٥٥٣

- ٥٤٤ مؤلَّتانِ تُعرِف العِتقَ فيهما كسامعتني شاةً بحوملٍ مُفردٍ ٤٣٦
 ٥٥٥ حَلَفْتُ بِهِدْيٍ مُشَعَّرٍ بِكَرَاتِهِ يَحُبُّ بِصَحراءِ الغَيْطِ درادقه ٤٣٧
 ٥٥٦ لو كنت من مازنٍ لم تَسْبِخْ إيلي بنو اللقيطة من ذهلٍ بن شيانا ٤٤١
 ٥٥٧ فَعَبْتُ غِشاشًا ثم مَرَّتْ كأنها مع الصُّبحِ ركبٌ من أحاطةٍ مُجْهَلٍ ٤٤٧

باب المشي

- ٥٥٨ أُحِبُّ مِنْهَا الأنفَ والعينانا ٤٥٢
 ٥٥٩ إِنَّ أباهَا وَأبَا أباهَا قد بَلَّغَا في المجد غايتها ٤٥٥
 ٥٦٠ يارُبُّ خالٍ لَكَ من عُربته فَسَوَّته لا تنقضي شهرته
 ٤٥٦ شهرتي ربيع وجمادينه
 ٥٦١ لَيْتَ وَلَيْتَ في مجالِ ضَنْكِ كِلَاهما ذو أَشْرٍ وَمَحْكٍ ٤٦١
 ٥٦٢ كَانَ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ فارةٌ مِسْلِكٍ ذُبِحَتْ في سَكِّ ٤٦٨
 ٥٦٣ لو عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ عن منزلِ الدَّامِ ٤٧٣
 ٥٦٤ يَذِيانِ يِضَاوَانِ عِنْدَ حَلْمٍ قد يَمْنَعَانِكَ أَنْ تُضَامَ وتُضْهَدَا ٤٧٦
 ٥٦٥ فلو أَنَا على جُحْرِ ذُبَحْنَا جَرَى الدَّمِيانِ بِالْحَبْرِ اليَقِينِ ٤٨٢
 ٥٦٦ فَلَسْنَا على الأعقابِ تَذْمِي كلوْمُنَا ولكن على أَقْدَامنا يَقْطُر الدِّمَا ٤٩٠
 ٥٦٧ يارُبُّ سارٍ باتَ ما تَوَسَّدَا إِلَّا ذِرَاعَ العَنَسِ أو كَفَّ اليَدَا ٤٩٨
 ٥٦٨ هما خُطَّتَا إِمَّا إِسارٌ وَمِنَّةٌ وإِما دَمٌ والقَتْلُ بالحرِّ أَجْدُرُ ٤٩٩
 ٥٦٩ مَتَى ما تَلَقَيْنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ رَوانِفُ أَلَيْتِكَ وتُسْتَطارا ٥٠٧

- ٥٧٠ بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخُصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةٍ مِنْ فَزَارٍ ٥٢١
- ٥٧١ يَرْتَجُّ أَلْيَاهُ ارْتِجَاجُ الْوَطْبِ ٥٢٥
- ٥٧٢ كَأَنَّهُ وَجْهُ تَرْكِيئِينَ إِذْ غَضِبَا مُسْتَهْدِفٌ لَطْعَانٍ غَيْرُ مُنْجَحِرٍ ٥٣٢
- ٥٧٣ ظَهَرَاهُمَا مِثْلَ ظَهْوَرِ الثُّرَسَيْنِ ٥٤٤
- ٥٧٤ حَشَايَ عَلَى جَمْرٍ ذَكِيٍّ مِنَ الْهَوَى وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ ٥٥١
- ٥٧٥ كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ مَحْيِصٌ ٥٥٤
- ٥٧٦ لَنَا إِبْلَانٍ فِيهِمَا مَا عَلِمْتُمْ فَعَنْ آيَةٍ مَا شِئْتُمْ فَتَنَكَّبُوا ٥٦٤
- ٥٧٧ لِأَصْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجْلُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَالَيْنِ ٥٧٩

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣٠٩